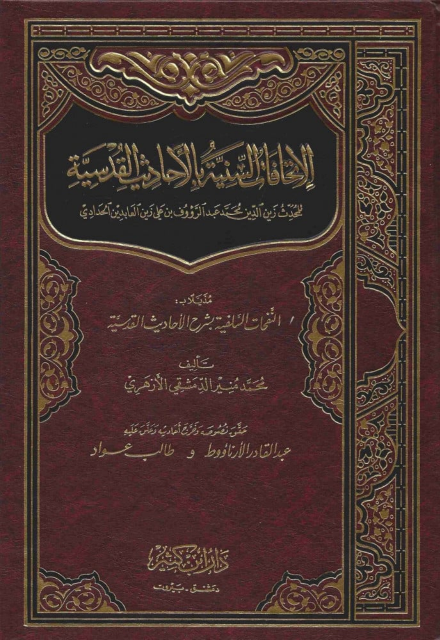
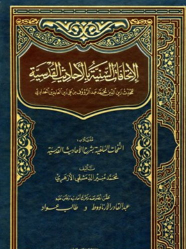

الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية
للمحدث زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي زين العابدين الحدادي
مذيلاً ب:
النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية
تأليف
محمد منير الدمشقي الأزهري
حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
عبد القادر الأرناؤوط و طالب عواد
دار ابن كثير
دمشق - بيروت


الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية
للمحدث زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي زين العابدين الحدادي
النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية
تأليف
محمد منير الدمشقي الأزهري
حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
عبد القادر الأرناؤوط و طالب عواد
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذا كتاب (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية) نقدِّمه للناس في وقت يحتاج الناس فيه إلى معرفة الأحاديث القدسية ، وما أكثرها ، وكثير من الناس بل ومن طلاب العلم يظن أننا إذا قلنا: هذا حديث قدسي ، أنه حديث صحيح ، وهذا غير صحيح. فكم من الأحاديث القدسية فيها ضعف ، وربما كانت شديدة الضعف أو موضوعة ، فهي كالأحاديث النبوية سواء بسواء؛ لذلك كان لا بد من البحث عنها ، والنظر في أسانيدها ، والتحقيق فيها ، والحكم عليها حسب قواعد علم مصطلح الحديث ، فقد تكون صحيحة ، وقد تكون حسنة ، وقد تكون موضوعة.

والحافظ المناوي الذي جمع هذه الأحاديث لم يجمعها على أنها صحيحة ، بل جمعها جمعاً بغضّ النظر عن صحتها ، وحسنها ، وضعفها بل على أنها أحاديث قدسية فقط ، والشيخ محمد منير بن عبده آغا الدمشقي الذي شرحها لم يتعرض للأحاديث من جهة صحتها وضعفها ،

وإنما شرح ألفاظها ومعانيها ، وترجم لبعض الرواة كما ذكر رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الأحاديث: أنه وجد بعض الأحاديث تحتاج إلى شرح وإيضاح ، وعلق عليها قدر الحاجة الماسة ، وعرَّف الحديث القدسي ، وبين الفرق بينه وبين القرآن الكريم ؛ ليكون القارىء على بصيرة من أمره .

وقد رتبه المؤلف المناوي على حروف المعجم تسهيلاً لطلاب العلم ، فجزى الله تعالى خيراً المؤلف ، والشارح .

هذا وقد قمنا بتخريج الأحاديث القدسية التي جمعها المؤلف المناوي ، كما خرجنا الأحاديث التي استشهد بها الشارح صاحب كتاب النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية الشيخ محمد منير الدمشقي ، وترجمنا بعض الأعلام باختصار نرجو الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد القادر الأرناؤوط وطالب عواد

ترجمة المؤلف

هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. له مؤلفات كثيرة ، منها الكبير والصغير ، والتام والناقص ، عاش في القاهرة ، وتوفي بها ، من تصانيفه: كنوز الحقائق في الحديث ، والتيسير شرح الجامع الصغير ، اختصره من شرحه الكبير «فيض القدير شرح الجامع الصغير» و«شرح الشمائل» للترمذي ، و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» و«الجواهر المضيئة في الآداب السلطانية» وغيرها من الكتب ، منها ما قد طبع ، ومنها ما لم يطبع.

وكتاب «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية» وهو كتابنا هذا ، وهو متساهل في الصحيح والحسن ، يعلم ذلك من يطالع كتابه «فيض القدير شرح الجامع الصغير». وهو من كبار علماء مصر ، انزوى للبحث والتصنيف ، وكان قليل الطعام ، كثير السهر ، وقد مرض في آخر عمره ، وضعفت أطرافه ، فكان ولده يستملي منه تآليفه.

توفي سنة (١٠٣٠ هـ) رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرحَ قلوبَ أحبابه بأحاديثه القُدسيَّة، والصلاةُ والسلام على خاتم أنبيائه الناطق بالحكمة وجوامع الكَلِم الكلِّية، وآله وصحبه الباذلين جهدَهم في نشرِ العلوم، والمشاريع الشرعية، والعرفية.

أما بعد: فيقول أفقر الورى إلى ربه الغنيِّ محمد منير بن عبده آغا الدِّمشقيُّ الأزهريُّ: طلب منِّي جماعةٌ من طلبةِ العلم في المعاهدِ الدِّينيَّة أنْ أختارَ لهم كتاباً في الأحاديث القُدْسية، وأنشره كي ينتفعوا به مع بيانِ مخرج الحديثِ، فنقَّبت عن ذلك مدَّةً، فعثرتُ على رسالةِ الشيخِ الوليِّ المحدِّثِ عبد الرؤوف المناوي الحدَّادي والد محمد تاج الدِّين في دار الكتبِ المصرية، فندبتُ أحدَ علماءَ الأزهر إلى نقلها عن أصْلِها وبعد أنْ تمَّ ذلك قابلتُها، وصحَّحتُها، ولما وجدتُ فيها بعض أحاديث تحتاج إلى شرحٍ، وإيضاحٍ علَّقتُ عليها بقدر الحاجة الماسَّة لذلك، وأرجو الله أن يوفقني إلى نشر الكُتب النافعةِ التي تنهض بالأمَّةِ، وتذكِّرُها بسلفها، وما كانوا عليه من المجد، والعزِّ، والسيطرة على غالب ممالك المعمورة.

وأذكرُ هنا تعريفَ الحديثِ القُدسيِّ، والفرقَ بينه وبين الحديثِ النبويِّ، وبينه وبين القرآن الحكيم؛ ليكونَ القارىءُ على بصيرةٍ منها.

أقول:

الحديثُ القُدْسيُّ: هو ما أخبرَ الله تعالى به نبيَّه بإلهامٍ، أو مقامٍ، فأخبر الرسولُ عليه الصلاة والسَّلام عن ذلك المعنى بعبارةٍ مِنْ نفسه.

والحديثُ النبويُّ: ما يضافُ إلى النَّبيِّ ﷺ لفظاً ومعنىً، فيقال: حديثٌ نبويٌّ، ولا يقال له: حديثٌ قدسي.

والقرآن: هو اللفظ المنزلُ على محمد ﷺ للإعجاز بسورةٍ منه، المتعبَّدُ بتلاوته. وفرّقَ الفقهاءُ بينها: بأنَّ القرآنَ معجزٌ، وكونه معجزةٌ باقية على ممرِّ الدهور، محفوظةٌ من التغيير والتبديل.

وحرمةُ مسِّه للمُحْدِث وتلاوتِه لنحو الجنب، وروايتِه عند الإمام أحمد، وكراهتُه عند الشافعية، وتسميةُ الجملة منه آيةٌ وسورة، ويعطى قارِئُه بكلِّ حرفٍ عشر حسنات، وأنَّ الصلاة لا تكون إلا بالقرآن، وأنَّ جاحدَ القرآن يكفر بخلافِ جاحد الحديث القُدْسيِّ، والنبويِّ، وأنَّه لا بدَّ فيه من كونِ جبريل عليه السلام واسطةً بين النبي ﷺ وبين الله تعالى، بخلاف الحديث القدسيِّ، وغير ذلك مما هو مذكورٌ في محالِّه، والله أعلم.

وقال ملاَّ علي القاري عليه رحمةُ الباري: الحديثُ القدسيُّ: ما يرويه صدرُ الرواة وبدرُ الثقات، عليه أفضلُ الصَّلوات، وأكملُ التحيَّات عن الله تبارك وتعالى تارةً بواسطةِ جبرائيل عليه السَّلام، وتارةً بالوحي، والإلهامِ، والمنام مفوّضاً إليه التعبيرَ بأي عبارةٍ شاء من أنواع الكلام.

(تنبيه) وُجِدَ في خطبةِ هذه الرسالة لمحمد المدعو: تاج الدين بن المناوي الحدَّادي، وفي طُرَّةِ الرسالة: ـ جمع الحقيرُ الفقيرُ الرَّاجي فضل ربه القدير محمد المدعو تاج الدين المناوي الحدادي ـ وفي فهرس دار الكتب المصرية: محمد تاج الدين بن علي بن زين العابدين ـ وفي «كشف الظنون» هو للشيخ محمد المعروف بعبد الرؤوف المناوي الحدادي المتوفى سنة ١٠٣٥، أوَّلُه: الحمدُ لله الذي نزَّل أهلَ الحديث أعلى منازل

الشرفِ. . . إلخ، وهذا كله خلاف الحقيقة، والصَّواب ـ على ما يظهر من ترجمةِ الحافظ: عبد الرؤوف بن تاج العارفين علي بن زين العابدين الحدَّادي، ثم المناوي القاهري ـ إنَّـه لعبدِ الرؤوف، إلا أنَّه لم يكمله، بل تركه مسودةً، فجاء ولدُه المدعو: تاج الدين، وأكمله بعد أن بيَّضه، ونسبهُ إلى نفسهِ؛ لأن والده عبد الرؤوف عجز في آخرِ عمره بسببِ الأمراض مِنْ تكميل كثير من مؤلفاته ـ على ما جاء في كتاب «خلاصة الأثر» فكان ولده محمد تاج الدين يَستملي منه التآليف، ويسطِّرها؛ لذلك نسب ولدُه: محمد تاج الدين هذه الرسالة لنفسه في خطبتها، وهذا ما اهتديت إليه بعد بحثٍ عميقٍ، والله هو الهادي للصَّواب، وإليه المرجع والمآب.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي نزَّل أهلَ الحديث أعلى منازلَ التشريف، والصلاةُ والسَّلام على سيدِنا محمدٍ النبيِّ الشريف، العفيف، وآلهِ، وصحبِهِ، المعصومين في المقالِ عن التبديلِ والتحريف.

وبعد: يقولُ العبدُ الضعيف، الرَّاجي عفوَ ربِّه الرؤوفِ اللطيف محمدُ المدعو: تاج الدين المناوي الحدادي، كفاه الله شر المناوي، والمعادي:

هذا كتابٌ أوردتُ فيه ما وقفتُ عليه من الأحاديث القدسية، الواردة على لسان خير البريَّة، مرتِّباً له على حروف المعجم، سائلاً الله أن يغفر لي ما ارتكبته من الزلل، ويرحم، إنَّه على ما يشاء قدير، وبالإجابةِ جدير، وسمَّيتهُ «الإتحافاتِ السنيَّة بالأحاديث القدسية».

١ ـ قالَ الله تعالى: «ابْنَ آدمَ! أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ سَبْعَ آياتٍ: ثَلاثٌ لِي، وثَلاثٌ لك، ووَاحدةٌ بَيْني وبَيْنِكَ، فأمَّا التي لِي: فالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمين * الرَّحمنِ الرَّحيم * مالكِ يومِ الدِّينِ، والَّتي بَيْني وبَيْنَك: إِيَّاكَ نَعبدُ وإِيَّاكَ نَسْتعينُ، مِنْكَ العبادَة وعليَّ العَوْنُ، وأمَّا الَّتي لكَ: اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صراطَ الَّذينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غيرِ المغْضوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالين»[١]. رواه الطبراني في معجمه الأوسط عن أُبيٍّ بنِ كعب.

ش ـ خاطب اللهُ عبادَه بخطابٍ عامٍّ شاملٍ المؤمنَ، والكافرَ، الذَّكرَ، والأنثى، الحرَّ، والعبد بقوله: «ابنَ آدم» أي: أنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل سبعَ آياتٍ: ثلاثاً

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٤١١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١١٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن أرقم متروك. فالحديث ضعيف.

مختصةً بالله تعالى، أولها: الحمد لله، الحمدُ والثناء على الحقيقة لا يكون إلا لله جلَّ اسمُه، وتنزَّهت صفاتُه، فكلُّ فردٍ من أفرادِ الحمد إنما هو للهِ سبحانه، وتعالى حقيقةً؛ لأنَّ النعم منه وإليه.

والثانية: الرحمن الرحيم، يعني: أنَّ هذين الوصفين هما من خواصِّ أسمائه ونعوتِ جلاله، فهو جلَّ جلالُه: الرحمنُ؛ أي: المنعم بجلائل النعم، والرحيم بدقائقها.

قال أبو علي الفارسي[1]: الرحمنُ: اسمٌ عامٌّ في جميع أنواع الرحمة، يختص به تعالى، والرحيم: إنما هو في جهةِ المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والثالثة: مالكِ يوم الدين؛ أي: مالك يوم الحساب والجزاء، يومَ يدين الله العبادَ بأعمالهم، ويجازي كلَّ عاملٍ بما عمله، واكتسبه.

وثلاثاً مشتركةً بين الربِّ تعالت أسماؤه، وبين العبد، وهي: إيَّاك نعبدُ وإياك نستعين ألاَّ نعبدَ إلا إيَّاك، ولا نستعينَ إلا بك، فنخصُّك بالعبادةِ والاستعانةِ في جميع الأمور، لا نفعل عبادةً ما إلا لذاتِك وعظمةِ جلالك، فكلُّ عبادةٍ لغيرِك أو فيها غيرُك شركٌ، ومردودةٌ على صاحبها، والاستعانةُ، والالتجاءُ والمعونة لا تكونُ إلا بكَ جلَّ اسمُكَ، وعزَّ ثناؤُكَ، ومنُّك، فمن استعانَ بغيرِك، وأشرك معكَ غيرُك، فقد أشركَ، وجحد نعماءَك، وضلَّ سواءَ الطريق. منكَ العبادةُ وعليَّ العون، أي: فعلى العبدِ المخلوقِ القيامُ بالعبادةِ التي أمرهُ الله جلَّ ذكرُه بها وحضه عليها، ومنه طلبها، ومن اللهِ جلَّ جلاله المعونةُ، والتسديدُ، والقدرةُ عليها، وتسهيلُها، والتوفيقُ لها، والتيسيرُ لفعلها، والمحافظةُ عليها.

وأمَّا التي هي خاصةٌ بالعبد: فاهدنا الصراط المستقيم... إلخ؛ بأن يدعو الله سبحانه في السَّرَّاء، والضَّرَّاء بأن يهديَه إلى دين الحقِّ الواضح؛ الذي لا اعوجاجَ فيه، والصِّراط السَّوي الذي هو دينُ الإسلام: الدِّينُ الخالص، الدِّينُ المشتمل على سعادةِ الدارين. صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين. غيرِ المغضوب عليهم الذين فسدتْ إرادتُهم، فعلموا الحقَّ وعدلوا عنه،

---

(١) أبو علي الفارسي: هو الحسين بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أحد الأئمة في علم العربية. ولد في (فسا) من أعمال فارس، دخل بغداد سنة (٣٠٧) وتجول في البلدان، وقدم حلب سنة (٣٤١)هـ فأقام مدة عند سيف الدولة، وعاد إلى فارس فصحب عضد الدولة، وتوفي سنة (٣٧٧)هـ.

ولا صراطَ الضالين الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالةِ، لا يهتدون إلى الحقِّ. اللهم أصلح حالَ الأمة الإسلامية، واهدهم للتمسُّكِ بالكتاب الحكيم، وسنة مَنْ هو بالمؤمنين رحيم!

٢ ـ «ابنَ آدمَ! تفرَّغْ لِعبادتي أَمْلأْ صَدرَكَ غِنىً، وأسدَّ فقْرَك. وإلا تفعل؛ مَلأتُ صَدرَكَ شُغلاً، ولم أسدَّ فَقْرَك»[١]. رواه الترمذي، والبيهقيُّ عن أبي هريرة.

ش ـ أمرٌ من الله تعالى لعباده أن يفرِّغوا قلوبَهم إلى عبادته تعالى، ولا يشغلوها بالسوى فتملأ صدورهم غنى، فلا ينظرون إلى الدنيا وزهرتها، ولا إلى ما في أيدي الناس. بل الدنيا بأيديهم دونَ قلوبهم يأخذون الزادَ للآخرة، كمثلِ المسافر ليس له من سفرِه إلا المرورُ إلى مقصده، وهذه طريقةُ السَّلفِ الصالح، والقرون الأُول. ويسد فقرَه بأَن لا يحتاج إلى أحدٍ، وتشبع نفسه، وتزهد في الدنيا، وإن لم يفعلْ ما أمره الله به من ذلك ملأ اللهُ صدره شغلاً؛ بأن يكونَ همُّه الدُّنيا، لا يشبع من حطامها؛ لانهماكِه فيها، وشرهه، ولم يسدَّ فقره، بل يكون دائماً محتاجاً فيها، ظاهر الفقر وإن كان لديه مالٌ كثير. فاسأل الله السَّلامة من الدُّنيا والميل إليها.

٣ ـ «ابنَ آدمَ! اذْكرني بَعدَ الفجرِ، وبَعدَ العصرِ ساعةً أكفك ما بَيْنهما»[٢]. رواه مسلم في الزهد، وأبو نعيم عن أبي هريرة.

٤ ـ «ابنَ آدمَ! اكفني أولَ النَّهارِ أربعَ رَكعاتٍ أكفكَ بهنَّ آخر يَوْمك»[٣]

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٨). والترمذي رقم (٢٤٦٨) في صفة القيامة. وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه رقم (٤١٠٧). في الزهد. باب الهمِّ بالدنيا. والبيهقيُّ في الشعب رقم (١٠٣٣٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن حبان رقم (٢٤٧٧) موارد. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. نقول وهو حديث صحيح.

(٢) رواه عبد الله في زوائد الزهد لأحمد ص (٣٧). وقال حدثنا عبد الله بن سندل، حدثنا ابن المبارك عن جبير عن الحسن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيما يذكر عن ربه عز وجل. والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه كما قال غير واحد. وانظر التهذيب.
ورواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٣) وقال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن عن أبي هريرة. نقول: وهو حديث ضعيف.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٣). وأبو يعلى رقم (١٧٥٧). وذكره الهيثمي =

رواه الإمام أحمد وأبو يعلى عن عقبة بن عامر الجهني.

٥ ـ «ابنَ آدمَ! صَلِّ لي أربعَ رَكعاتٍ من أوَّلِ النَّهارِ أكْفِكَ آخره»[١] . رواه أحمد عن أبي مرَّة الطائفي.

٦ ـ «ابنَ آدَمَ! عنْدَكَ ما يكفيكَ، وأنتَ تطلبُ ما يُطغيكَ، لا بقليلٍ تقنعُ، وَلا مِنْ كثيرٍ تشبعُ، إذا أصبحتَ مُعافى في جَسدِكَ، آمناً في سِرْبكَ، عنْدَكَ قُوتُ يَوْمكَ فَعلى الدُّنيا العَفَاءُ»[٢] . رواه ابن عدي، والبيهقيُّ عن ابن عمر.

ش ـ أي: يابن آدم عندك ما يسدُّ حاجتك على وجه الكفاف، وأنت تحاول أخذ ما يُطغيك، ويحملك على الظلم، ومجاوزة الحدود الشرعية، والحقوق المرعية. يابن آدم لا بقليل من الرزق تقنعُ؛ أي: ترضى، وتكتفي بما قسم لك، ولا من كثيرٍ تشبعُ، بل لا تزالُ شرهاً، نهماً، تتطلع لما في أيدي الناس. يابن آدم إذا أصبحت؛ أي: دخلت في وقتِ الصباح والحال أنَّك معافى، أي: سالماً من الآلام، والآثام في جسدك، وبدنك، آمناً في سِرْبك ـ بكسر وسكون، أي: نفسك ـ أو بفتحٍ وسكون ـ مذهبُك وملكك. عندكَ قوت يومك، وهو ما يقوم بكفايتك في يومك، وليلتك، أو ما يسدُّ الرمق، فعلى الدنيا العفاء ـ بفتح العين المهملة ـ أي: الهلاك، والدروسُ، وذهابُ الأثر.

قال الزمخشري[٣]: ومنه قولهم: عليه العفاء: إذا دعا عليه ليعفو أثره والمعنى: إذا

= في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٥) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وهو حديث صحيح.

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٨٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٦) وقال رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح نقول: وهو حديث صحيح. من حديث أبي مرّة الطائفي رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (١٠٣٦٠). وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٨) والطبراني في الأوسط رقم (٨٨٧٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٩) وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الداهري وهو ضعيف: أقول: الداهري قال الذهبي في الكنى ليس بثقة ولا مأمون، وقال الجوزجاني: كذاب. وقال العقيلي: لايقيم الحديث، ويحدِّث ببواطيل عن الثقات.

(٣) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي =

كنتَ كذلك، فقد جمعَ الله لك ما تحتاجُه من الدنيا، فدعْ عنك ما عداه، واشتغلْ بما يقربك إلى الله.

قال الغزالي[1]: ومهما تأملت الناس كلّهم وجدتهم يشكون، ويتألمون من أمورٍ وراء هذه الثلاث، مع أنه وبالٌ عليهم، ولا يشكرون نعمة الله فيها. ومرَّ سليمان عليه السلام على بلبل بشجرة يحرك رأسه، ويميل ذنبه، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ونبيه أعلم. قال يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدُّنيا العفاء، وصاحت فاختة فأخبرَ أنها تقول: ليتَ ذا الخلقِ لم يخلقوا. وقال صالح بن جناح[2] لابنه: إذا مرَّ بك يومٌ وليلةٌ وقد سلم فيهما دينك، ومالك، وبدنك، وعيالك؛ فأكثر الشكر لله، فكم من مسلوبٍ دينه ومنزوعٍ ملكه، ومهتوكٍ ستره ذلك اليوم وأنتَ في عافية، ومن هنا نشأ زهد الزاهدين فاستراحت قلوبُهم بالزُّهد، واكتفوا بالورع عن الكدِّ وتفرغت قلوبُهم وأعمالهم لبذل الجد في سبيل الحمد، ومُيِّزَ القريبُ من البعيد، والشقيُّ من السعيد، والسادة من العبيد، وهذا هو المهيع الذي قبض بسطةَ وجوهِ القلوب فلم يبق للعاقل حظٌّ فيما زاد على كِسرةٍ تكسرُ شهوته، وسترةٍ تواري عورته، وما زاد متجر، إن أنفقه ربحه، وإن ادَّخره خسره.

وفيه حجة لمن فضَّل الفقر على الغنى. وقد أفادَ مطلعُ الحديث: أنَّ الصِّحةَ نعمةٌ عظيمٌ وقعها، جزيلٌ نفعها. بل هي أجلُّ النعم على الإطلاق، وفي إشعاره إعلام بأن العالِم ينبغي له ألاَّ يغفلَ عن وعظِ الناس؛ إذ الإنسانُ لما جبل عليه من الغفلاتِ لا بدَّ له من ترغيبٍ يشدُّه، وترهيبٍ يردُّه، ومواعظ ترققه، وأعمالٍ تصدقه، وإخلاصٍ يحققه، لترتفعَ أستارُ الغفلة عن عيونِ القلوب، وتكتسبَ الأخلاقُ الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائي النفوس. ولقد هزَّ القلوب بحسن هذا النظم، وبلاغة تناسبه، وبراعة ربطه،

= النحوي صاحب (الكشاف) (والمفصَّل) كان رأساً في البلاغة والعربية. توفي رحمه الله سنة (٥٣٨)هـ.

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي، حجة الإسلام، وأعجوبة الزمان. صاحب كتاب إحياء علوم الدين توفي رحمه الله سنة (٥٠٥) هـ.

(٢) صالح بن جناح اللخمي: شاعر دمشقي من العلماء. أدرك التابعين، تنسب إليه مقطوعات لطيفة، وله رسالة في الأدب والمروءة، نشرها الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس.

وحسن انسجامه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] أفاده المؤلف في «فتح القدير» والحديث فيه مقال.

٧ ـ «أَحبُّ ما تَعبَّدني بهِ عَبْدِي النُّصحُ ـ وفي رواية ـ لِكلِّ مُسلم»[١]. **رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي، والحكيمُ، وأبو نعيم.**

٨ ـ «أَحَبُّ عبادي إليَّ أعْجلُهمْ فِطْراً»[٢]. **رواه أحمد، والحكيمُ، وأبو نعيم عن أبي أمامة، والترمذيُّ عن أبي هريرة.**

٩ ـ «إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي المُؤمِنَ؛ فَصَبَر، فَلَمْ يَشْكُني إلى عُوَّادِهِ؛ أَطْلَقْتُه مِنْ أساري، ثمَّ أبْدلْتُه لحْماً خيْراً منْ لحمِهِ، ودماً خيراً مِنْ دمِهِ، ثم يستأنِفُ العَملَ»[٣]. **رواه الحاكم عن أبي هريرة.**

ش ـ الابتلاءُ: الاختبارُ، والامتحان، والتجربةُ. قال القتيبي: يقال من الخير: أبليتُه أبليه إبلاءً. ومن الشر: بلوته أبلوه بلاءً. والمعروف أنَّ الابتلاء يكون في الخير والشرِّ معاً من غير فرق بين فعليهما، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والعوَّاد: الزُّوار، وكلُّ من أتاكَ مرةً بعد أخرى فهو عائد، وإن اشتهر ذلك في عيادةِ المريض. والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ العبدَ المؤمنَ إذا ابتلاه الله بإحدى بلايا الدنيا، فليصبرْ، وليحتسبْ بالله في أجره، وإذا اجتمع بأحدٍ من أصدقائه وأوليائه فلا يُظهر له الجزعَ، والضَّجَر، والألَمَ، وأنَّه أصيبَ بكذا، وكذا؛ لأنَّ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٤). وابن المبارك في الزهد رقم (٢٠٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٧) وقال: رواه أحمد، وفيه عبيد الله ابن زحْر، عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٧) ورقم (٧٢٤١). والترمذي رقم (٧٠٠). وابن خزيمة (٢٠٦٢). وابن حبان رقم (٣٥٠٧) و(٣٥٠٨). والبغوي رقم (١٧٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده قرة. وهو ابن عبد الرحمن المعافري المصري. وهو متفق على ضعفه. والحديث إسناده ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٣٤٩). وصححه، ووافقه الذهبي. ومن طريقه البيهقي في سننه (٣/ ٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. نقول وهو حديث صحيح.

هذا شكوى من الله إلى عباده، وهذا لا يليق. بل يُبْدِي الفرحَ، والسُّرور؛ لأنَّ أكثرَ الابتلاء يكونُ للعظماء المقرَّبين، والأتقياءِ المصلحين، ليثتبوا، ويصبروا، فيكونوا قدوةً وأسوةً لغيرهم من الضعفاء ومرضى القلوب. فإذا فعل ذلك أُطلِق مِنْ إسار التقليد والتكليف، وغُفِرَ له ذنوبُه، وكُفِّر عنه سيئاته، فكان مع النبيينَ، والشهداءِ، والصالحين. اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين!

١٠ - «إذا ابْتَلَيْتُ عبْدِي بحَبِيبتَيْه ثمَّ صَبَرَ؛ عوَّضتُه عنهما الجَنَّة» يعني: عينيه. رواه أحمد عن أنس[١]، والطبراني عن جرير[٢].

ش - حبيبتيه: تثنية حبيبة، والمراد بهما: عيناه، وأطلق عليهما ذلك لأنَّهما أحبُّ أعضاء الإنسان إليه، وأنفعهما، وليس الابتلاءُ بالعمى لسخطٍ، بل لدفع مكروهٍ يكون بالبصر، ولتكفير ذنوبٍ، وليبلغه إلى درجةٍ لم يكنْ يبلغها بعمله.

وسببُ الحديث: ما أخرجه البيهقيُّ عن أنسٍ أيضاً بلفظ: «قال: مرَّ بنا ابنُ أمِّ مكتوم، فسلَّم، فقال رسولُ الله ﷺ: ألا أحدِّثكم بما حدَّثني جبريل: إن الله يقول: حقٌّ عليَّ مَنْ أخذتُ كريمتيه أن ليس له جزاءٌ إلا الجنة»[٣]. ورواه البيهقيُّ أيضاً عن أنسٍ بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: حدثني جبريلُ عن ربِّ العالمين: أنَّه قال: جزاءُ مَنْ أخذت كريمتيه الخلودُ في داري، والنظر إلى وجهي»[٤] وعبَّر هنا بكريمتيه؛ لكرمهما

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٦٥)، والبخاري رقم (٥٦٥٣) في المرضى: باب فضل من ذهب بصره، والترمذيُّ رقم (٢٤٠٣)، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبرانيُّ في الأوسط (٥٥٧١). والكبير رقم (٢٢٦٣). وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، والكبير. وفيه حصين بن عمر ضعفه أحمد وغيره. ووثقه العجلي. من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ويشهد له ما قبله.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٩٩٦٣). وفي إسناده هلال بن سويد واهٍ. ويقال: هو أبو ظلال، من حديث أنس رضي الله عنه، والحديث ضعيف الإسناد.

(٤) رواه البيهقي في الشعب رقم (٩٩٦٠). بلفظ المؤلف وفي إسناده أبو ظلال واهٍ ضعفه أبو داود، والنسائي، وابن عدي. والحديث ضعيف الإسناد. ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٨٥٥)، وأبو يعلى رقم (٤٢١١) بنحوه، =

عند الإنسان، لما فيهما من المنافعِ، ولذلك نفى المولى تعالى ذكره الحرج عمن فقدهما، ومما يناسبُ المقام قولُ حَبرِ الأمة عبدِ الله بن العباس رضي الله عنهما لمَّا عمي في آخر عمره:

إنْ يأخذ اللهُ مِنْ عينيَّ نورَهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي دَخلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسَّيفِ مشهورُ

١١ ـ «إذا ابْتَلَيْتُ عَبْداً مِنْ عبادِي مؤمناً، فحَمِدني على ما ابْتَليْتُه، فأجْرُوا له ما كُنتُمْ تُجْرونَ لهُ»[١]. وهو صحيحٌ. رواه أحمدُ، والطبرانيُّ في المعاجم الثلاثة عن أبي الأشعث الصنعاني.

ش ـ في الحديث دلالةٌ على أنَّ العمل الذي يعمله المبتلى قبل ابتلائه مكتوبٌ له، ومدَّخر عند الله ثوابُه، لا ينقطع بابتلائه، كقيام الليل، والأوراد، وغير ذلك مما كان

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه أشرس بن الربيع، ولم أجد من ذكره. وأبو ظلال ضعفه أبو داود، والنسائي، وابن عدي، ووثقه ابن حبان، فالحديث ضعيف الإسناد.

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٣) وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) عن إسماعيل بن عياش، عن راشد بن داود عن أبي الأشعث الأصبهاني: أنه راح إلى مسجد دمشق. وهجَّر بالرواح فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه ـ فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريد ها هنا إلى أخٍ لنا مريض نعوده فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمةٍ؛ قال له شداد: أبشر بكفارات السيئات، وحط الخطايا. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزَّ وجلَّ يقول: (إني إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا. ويقول الرب عز وجل: أنا قيَّدت عبدي، وابتليته، وأجروا له كما كنتم تجرون له. وهو صحيح). وفي إسناده راشد ابن داود. وهو الصنعاني الدمشقي فيه خلاف. وثقة ابن معين، ودحيم، وابن حبان، وقال البخاري: فيه نظر. وقال في التقريب: صدوق له أوهام. نقول فالحديث حسنٌ بطرقه، وشواهده.

يعتادُه قبل أن يحلَّ به الابتلاء، فسبحانك يا ربُّ من خالقٍ كريمٍ، وإلهٍ بعبادك رؤوف رحيم!

١٢ ـ «إذا تَقرَّبَ إليَّ العَبْدُ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إليْه ذِراعاً، وإذا تقرَّبَ إليَّ ذِراعاً تقرَّبتُ مِنه باعاً، وإذا أتى إليَّ مَشْياً أتيْتُهُ هَرْولةً»[١]. رواه البخاريُّ عن أنسٍ وأبي هريرة، وأبو عوانة والطبريُّ عن سلمان.

هذا الحديث يدلُّ على أنَّ الله سبحانه وتعالى يتَّصف بالتقرُّب، والهرولة، وللعلماء في ذلك مذهبان: مذهبُ أهلِ الرَّعيل الأول من لدن الصحابةِ إلى آخرِ القرون الثلاثةِ المشهود لها بالخيرية، وهو أنَّ اللهَ تعالى وتبارك متَّصف بجميع ما ورد في الكتاب الحكيم، وما جاء في السنَّة الصحيحة السمحةِ التي ليلُها كنهارها، وعلى الخلقِ أنْ تؤمنَ بذلك، وتقرّ بلسانها، وتعتقدَ بجنانها: أنَّ الربَّ تعالت أسماؤه، وتنزَّهتْ صفاتُه يتَّصفُ بها اتصافَ ربٍ خالقٍ ليس كمثله شيءٌ، وليس كمثلها شيء، ولا شكَّ، ولا ريب أنَّ ما اتَّصف به خالقنا، ورازقنا يغايرُ ما اتَّصف به العبدُ المخلوق المربوب؛ لأنَّ الله تعالى قد أطلق كثيراً من الأوصاف على ذاته المقدسة في القرآن المجيد التي ليس كمثلها شيء، وأطلقها نفسها على عبده المخلوقِ الضعيف ـ راجعْ كتاب «التوحيد لابن خزيمة» تجدْ ما يسرُّك، ويذهبُ ما اختلج في ضميرك ـ وإني لأعجبُ كلَّ العجب من بعض علمائنا المتقدمين، وأساطين المحققين؛ كيف يفرُّون كلَّ الفرار عندما يسمعون مثلَ هذه الألفاظ، وأنَّها تسند إلى الله جلَّ ذكره، وتعالت أسماؤه حقيقةً، ويجتهدون لتأويلها طاقتَهم، ويوردون تشكيكات، واحتمالات توقُع العاميَّ في أمر دينه، وتذهب به المذاهب، وتصرفه عمَّا فُطِرَ عليه. وماذا عليهم لو وافقوا علماءَ السَّلف في ذلك، ووصفوا الله بما وصفَ به نفسَه في محكم تنزيله، وعلى لسان رسوله وحبيبه محمد سيِّد الأولين، والآخرين، وعليه كان الصحابة أجمعون حقيقةً لا مجازاً. وقالوا عند ذكر كل صفة من صفات الربِّ الحكيم: ليس كمثله شيءٌ، وهو السميع العليم، وليس كذلك في جانبِ صفات المخلوقِ الحادث، فإنَّ صفاتِه لها مثل، وتتغير، وتتفاوت، ويطرأ عليها ما يضعفها، أو يزيدها قوةً إلى غير ذلك مما نشاهده، ونراه.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٠). والبخاري رقم (٧٥٣٦) من حديث أنس رضي الله عنه. ورواه البخاري رقم (٧٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهاكَ جملةً من كلام المؤوِّلين لذلك تحامِياً من الوقوع في التشبيه على ظنِّهم، وفِراراً من اعتقادِ أنَّ الربَّ يتَّصفُ بصفاتٍ هي تشبه صفاتِ العَبيد على زعمهم، فرحم الله المتقدِّمين، وغفر ما للمتأخِّرين!

قال الحافظ خاتمة المتأخرين ابنُ حجر العسقلانيُّ في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري» عند الكلام على هذا الحديث في باب: ذكر النبيّ ﷺ وروايته عن ربِّه: قال ابنُ بطال[1]: وصفَ سبحانه وتعالى نفسَه بأنه يتقرب إلى عبده، ووصفَ العبدَ بالتقرُّبِ إليه، ووصفه بالإتيانِ والهرولةِ، كل ذلك يحتملُ الحقيقة والمجاز، فحملُها على الحقيقةِ يقتضي قطعَ المسافاتِ، وتداني الأجسام، وذلك في حقه تعالى محال، فلمَّا استحالتِ الحقيقةُ تعيَّنَ المجازُ لشهرته في كلام العرب، فيكونُ وصفُ العبدِ بالتقرُّبِ إليه شبراً، وذراعاً، وإتيانِه، ومشيه معناه: التقرُّبُ إليه بطاعتِه، وأداء مفترضاتِه، ونوافِله، ويكون تقرُّبه سبحانه من عبدِه، وإتيانِه المشي عبارةً عن إثابته على طاعته، وتقربه من رحمته، ويكونُ قوله: أتيته هرولة؛ أي: أتاه ثوابي مسرعاً. ونقل عن الطبري أنَّه إنما مثَّل القليلَ من الطاعةِ بالشِّبرِ منه، والضِّعف من الكرامة والثواب بالذِّراع، فجعل ذلك دليلاً على مبلغ كرامته لمن أدمن على طاعته: أنَّ ثواب عمله له على عمله الضِّعفَ، وأنَّ الكرامة مجاوزةُ حدِّه إلى ما يثيبه اللهُ تعالى. وقال ابن التين: القرب هنا نظير ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] فإنَّ المرادَ به: قربُ الرتبة، وتوفيرُ الكرامة، والهرولةُ كنايةٌ عن سرعة الرَّحمة إليه ورضا الله عن العبد، وتضعيف الأجر. قال: والهرولةُ ضربٌ من المشي السريع، وهي دون العدو. وقال صاحب «المشارق»: المراد بما جاء في هذا الحديث: سرعةُ قَبول توبة الله للعبد، أو تيسير طاعته، وتقويته عليها، وتمام هدايته، وتوفيقه، والله أعلم بمراده. وقال الراغب: قربُ العبد لله من التخصيص بكثيرٍ من الصفات التي يصحُّ أن يوصفَ الله بها وإن لم تكن على الحدِّ الذي يوصف به الله تعالى، نحو: الحكمة، والعلم، والرحمة، وغيرها، وذلك يحصل بإزالة القاذورات المعنوية من الجهل، والطيش، والغضب، وغيرها بقدرِ طاقة البشر. وهو قربٌ روحانيٌّ، لا بدنيٌّ، وهو المرادُ بقوله: إذا تقرَّب العبد مني شبراً تقربتُ منه ذراعاً. اهـ. وهنا كلامٌ كثيرٌ للعلماء المتأخرين،

---

(١) ابن بطال: هو العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، ويعرف بابن اللحام من كبار المالكية، شارح صحيح البخاري. قال ابن بشكوال كان من أهل العلم والمعرفة توفي سنة (٤٤٩) هـ.

كالفخر الرازي، وإمام الحرمين، وأضرابهما.

وأغرب من ذلك: أنِّي لازمتُ شيخاً جليلاً كان يدعو إلى السنَّة، ومذهبِ السَّلف، وينفر من البدع، وكان حريصاً على ذلك سالكاً مهيعَ التقشف، ولباس الصُّوف، وله تلاميذ، وأصحاب في مصر وغيرها كثيرون، ولهم هيئاتٌ، وسماتٌ، وكلٌّ يدعو إلى ما يدعو إليه ذلك الشيخ، ولكن من الأسف عندما قرُبَ أجلُه، وحانت منيَّته ألَّف كتاباً في التوحيد هدم فيه ما كان بناه مدَّةَ حياته، ورجَّح فيه مذهبَ الخلف وادَّعى: أنَّ السَّلف أوَّلوا، ولم يُبينوا، وأما الخلف: فأوَّلوا، وبيَّنوا إلى غير ذلك مما زحزح مركزه من قلوبِ خواصِّ أصحابه، وسقط من أعينهم، وكسد سوقُ الكتاب، فرحمه الله، وغفر له!

١٣ ـ «إذا ابتلَيْتُ عبْداً مِنْ عبادي مؤمناً فحَمَدني، وصَبَر على ما ابْتَلَيْتُه؛ فإنَّـه يَـقُومُ مِنْ مَضْجَعـهِ ذلـكَ كيَـوْمَ ولدَتْـه أمُّـه مِنَ الخَطايَـا، ويقُولُ الرَّبُّ للْحفَظةِ: إنِّي قَـيَّـدْتُ عبْدِي هذا، وابْتَلَيْـتُه، فأجْرُوا عَليْه ما كُنتمْ تَجرون له قبْـلَ ذلـكَ مِـنَ الأجـرِ[1] وهـو صحيـحٌ». رواه أحمد، وأبو يعلى، وحميد بن زنجويه، وأبو نعيم، وابن عساكر عن شدَّاد بن أوس.

ش ـ قوله: «مؤمناً» قيدٌ في ذلك؛ لأنَّ من اتَّصف بالإيمان؛ عمل بأحكامه من صلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، وزكاةٍ. . .إلخ، ولا جدال في أنَّ من كان كذلك، وابتُلي بأشياء منعته من أداءِ نوافله، وأوراده لجديرٌ باستحقاق الثَّواب حين كان صحيحاً سليماً.

١٤ ـ «إذا وجَّهْـتُ إلى عبْـدٍ منْ عبِيـدِي؛ مُصيبَـةً في يَـديه، أو مالِـه، أوْ وَلدِه، ثمَّ اسْتقْـبَلَ ذلكَ بصبْرٍ جميلٍ استحييتُ منـهُ يومَ القيامَـةِ أنْ أنْصـبَ لهُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٣). والطبراني في الكبير رقم (٧١٣٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٣ و٣٠٤) وقال: رواه أحمد. والطبراني في الكبير والأوسط. كلُّهم من رواية إسماعيل بن داود عن راشد الصنعاني. وهو ضعيف في غير الشاميِّين. نقول: والحديث حسنٌ بطرقه، وشواهده.

ميزاناً، أو أنشُرَ لهُ ديواناً»[1]. رواه القضاعي، والديلمي، والحكيم الترمذيُّ عن أنس.

ش ـ سُئل رسولُ الله ﷺ عن الصَّبر الجميل، قال: صبرٌ لا شكوى فيه[2]، وقال مَنْ بثَّ؛ فلم يصبرْ. والاستحياءُ صفةٌ من صفات الربِّ جلَّ ذكره، وفيه الكلام السابق. والديوان: هو ما يكتب فيه أعمالُ العبد.

١٥ ـ «إذا ذَكرني عبْدي خالياً ذكرتُهُ خالياً، وإذا ذكَرني في مَلأٍ ذكرته في مَلأٍ خَيْرٍ منَ الملأ الذي ذكَرني فيه». رواه الطبرانيُّ عن ابن عباس[3].

ش ـ قوله: خالياً؛ أي: منفرداً، ليس معه أحدٌ إمَّا سرّاً في نفسه، أو جهراً، والملأ ـ مهموز ـ جمعه أملاء: الجماعةُ، وقد جاء تفسيره في كثيرٍ من كتب اللغة «كالنهاية» وغيره: أشرافُ القوم، ورؤساؤهم، ومقدموهم الذين يُرجعُ إلى قولهم، وعلَّله بعضُهم بقوله: سُمُّوا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروفِ، وجودةِ الرأي، أو لأنَّهم يملؤون العيونَ أبهةً، والصدور هيبةً، والأنسب بالمقام هنا أن يفسَّر بالأعمِّ، ولا يخفى على العاقل ما في هذا الحديث من اعتناء الربِّ تباركت أسماؤه، وتنزَّهتْ صفاتُه بعبده المؤمن الذاكر اللهمَّ اجعلنا من الذاكرين اللهَ في السرِّ والجهر!

١٦ ـ «إذا بلَغَ عَبْدي أرْبعينَ سَنةً؛ عافيْتُهُ مِنَ البَلايا الثلاث: منَ الجنونِ، والجذامِ، والبرصِ. وإذا بلَغَ خمسينَ سنةً؛ حاسَبْته حِساباً يَسيراً، وإذا بَـلغ

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٦٢). وذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٧٢) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: أخرجه ابن عدي عن أنس رضي الله عنه. وسنده ضعيف. نقول: في إسناده يعقوب بن الجهم مُتهم، والحديث ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وقال رواه هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبَّان بن أبي حَبَلَة. قال: سئل رسول الله ﷺ، فهو مرسل.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٤٨٤). والبزار رقم (٣٠٦٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٨) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي، وهو ثقة. نقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

ستّينَ سنـةً؛ حَبَّبْتُ إليه الإنابةَ، وإذا بلَغ سبْعينَ سَنةً؛ أحببْتُه للملائكةِ. وإذا بلغ ثمـانينَ؛ كتبتُ حَسناتِـه، وألْقيتُ سيئاتِـه، وإذا بَـلغ تسعيـنَ؛ قـالتِ الملائكة: أسيرُ اللهِ في أرضهِ، فغفَر له ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّر وشَفع فإذا بلَغ أرذلَ العُمرِ؛ كتب اللهُ لهُ مثْل ما كانَ يَعْمل في صحَّتـه منَ الخيرِ، وإنْ عَمِلَ سَيّـئةً لم تكتب»[1]. رواه الترمذي عن عثمانَ بنِ عفان.

ش ـ قوله: عبدي الإضافةُ إضافةُ تشريف، والمرادُ بالعبدِ: العبدُ الصالح المتَّقي، المتبع المأمورات، المجتنب المنهيات. والجذام: عِلةٌ رديئةٌ تنتَشرُ في البدن كله، فيفسد مزاجُ الأعضاء وهيئتها. والبرص: بياض يظهر في ظاهر البدن، يشوِّه هيئة الإنسان، وهما داءان عافانا الله وإياكَ منهما! وأرذلُ العمر: ما إذا بلغ الهرم حتى يعود كهيئته في حال صباه، لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً، وهو سن الخرف، والعته، نسأل الله السلامة منه! ففي الحديث ترغيب من الله تعالى إلى عباده أن يواظبوا على الطاعات، ويجتهدوا في الأعمال المرضية من حين نشأتهم، فيُحْفظوا من البلايا والأمراض في حالِ كبرهم.

١٧ ـ «إذا أحـبَّ عبـدِي لقـائي؛ أحببـتُ لقـاءَهُ، وإذا كـرِهَ لِقـائـي؛ كرهــتُ لقـاءه»[2]. رواه مالك، والبخاريُّ، والنسائيُّ عن أبي هريرة.

ش ـ فيه إثباتُ صفةِ المحبة لله تعالى، وكذلك الكراهة، وفيهما ما تقدَّم من الاختلاف بين العلماء في ذلك من إبقائهما على حقيقتهما مع التنزيه، أو تأويلهما بأنَّ المحبة إرادةُ الخير للعبدِ، وهدايته إليه، وإنعامه عليه. وكذلك يقال في الكراهة، والأسلم التفويض كما هو مذهبُ السَّلف، وفيه ترغيبُ المؤمنِ بأن يحبَّ الموت؛ لأنه لقاء الله، فيلاحظ العبد لقاء الله فيجتهد في الطاعات، ويكثر من النوافل، ليكونَ أبيضَ

---

(١) رواه الحكيم الترمذيُّ في نوادر الأصول (ص ١٧٦) من حديث عثمان رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. ورواه أحمد بنحوه في المسند رقم (٥٦٢٦) و(٢/ ٨٩). والبزار (٣٥٨٧). وأبو يعلى رقم (٤٢٤٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وإسناده ضعيف أيضاً.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤١٨) ورقم (٩٤١٠). والبخاري رقم (٧٥٠٤). ومالك في الموطأ (١/ ٢٤٠). والنسائي في المجتبى (٤/ ١٠). وابن حبان رقم (٣٦٣). والبغوي رقم (١٤٤٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الوجه نقيَّ العمل، ذا صفاتٍ حميدةٍ فيستحقّ الإنعام؛ وإن كان كلُّ ذلك بفضل الله، وإحسانه.

١٨ ـ «إذا قبضْتُ كريمَةَ عبْدي، وهو بها ضَنينٌ، فحَمدني على ذلك؛ لم أرضَ لـه ثـوابـاً دُونَ الجنَّـةِ»[١]. رواه الطبرانيُّ، وابن حِبَّان، وأبو نعيم عن العرباض بن سارية.

١٩ ـ «إذا أخـذْتُ كريمتي عبْـدي في الدُّنيـا؛ لَمْ يكُنْ لهُ جزاءٌ عندي إلا الجنَّةِ، إذا حمدني عليهما»[٢]. رواه الترمذيُّ عن أنس.

٢٠ ـ «إذا أخذْتُ كريمتي عبْدي، فَصبرَ، واحْتَسبَ؛ لَمْ أرَ له ثواباً دون الجنَّـة»[٣]. رواه البخاريُّ عن أنس، وأحمد عن أبي أمامة[٤].

ش ـ تقدَّم شرحُ الحديث، وعبَّر هنا في الحديث الأول بالكريمةِ بالإفراد، وفي الثاني بالتثنية ـ كريمتي ـ وفي الثالثِ كذلك. الكريمةُ: العين، وعبَّر عنها بذلك لأنَّها أكرمُ الأعضاء، وأنفعُها للإنسان. وقوله: ضنين؛ أي: بخيل. ففيه حثٌّ على الصبر إذا

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٢٩٣١). وإسناده حسن، ورواه البزار رقم (٧٧١)، والطبراني في الكبير (١٨) و(٢٥٤ و٢٥٧) بإسنادين. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٠٩) وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير، وفيه أبو بكر بن أبي مريم ضعيف من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. نقول: وهو حديث حسنٌ بطرقه وشواهده.

(٢) رواه الترمذيُّ رقم (٢٤٠٣) وقال الترمذيُّ: وفي الباب عن أبي هريرة، وزيد ابن أرقم. قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن غريب من هذا الوجه. وأبو ظلال اسمه هلال. نقول: وهو حديث صحيح بطرقه، وشواهده.

(٣) رواه البخاري رقم (٥٦٥٣) في المرضى. والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/٢٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٣٠٨) وقال: رواه أحمد، والطبرانيُّ في الكبير، وفيه إسماعيل بن عياش، وفيه كلام. أقول: إسماعيل بن عياش، قال في التقريب: صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلِّط في غيرهم. والحديث حسنٌ بطرقه، وشواهده.

بُلي الإنسان بمصائبِ الدنيا، بأن كلّ شيء بحسبه من الأجر والثواب.

٢١ - «إذا همَّ عَبْدي بحَسنةٍ، ولمْ يعْملْها؛ كَتبْتُها لهُ حَسنةً، فإنْ عملها؛ كتَبْتُها عشرَ حَسناتٍ إلى سَبْعمئةِ ضِعْف، وإذا همَّ بسيّئة ولمْ يعْملْها، لم أكْتُبها علَيه، فإنْ عملها؛ كَتبْتها سيِّئةً واحدةً»[١]. رواه الشيخان، والترمذيُّ، وابن حِبَّان عن أبي هريرة.

٢٢ - «إذا همَّ عَبْدي بسَيِّئة، فَلمْ يعْمَلْها؛ فاكتُبوها لهُ حَسَنةً، فإنْ عَمِلَها؛ فاكتُبُوها لهُ سيِّئةً، فإنْ تابَ منْها؛ فامحُوها عنْهُ، وإذا همَّ عَبْدي بحَسَنةٍ فَلَمْ يعْملها؛ فاكْتُبُوها لهُ حسنة، فإنْ عملَها؛ فاكتُبوها بعَشَرةِ أمْثالها إلى سَبْعمئة ضِعْف»[٢]. رواه ابن حِبَّان عن أبي الدرداء.

٢٣ - «إذا همَّ عَبْدي بسَيّئة؛ فلا تكْتُبوها عَليْه، فإنْ عَملَها؛ فاكْتُبوها سَيِّئة، وإذا همَّ بحَسَنة فَلَمْ يَعْملها؛ فاكْتُبوها حَسنةً، فإذا عملها؛ فاكْتُبوها عشراً»[٣]، رواه الشيخان عنه.

ش - الهمُّ: ترجيحُ قصدِ الفعل، تقول: هممتُ بكذا: أي: قصدتُه بهمَّتي، وهو فوق مجرد خطور الشيء بالقلب. قال ابن فارس: الهمُّ: ما هممت به، وهممتُ بالشيء هماً من باب قتل: إذا أردته، ولم تفعله، ووقع لمسلم في رواية همَّام عن أبي هريرة بلفظ: «إذا تحدث» وهو محمول على حديث النفس، لتوافق الروايات الأخرى. قال الحافظُ ابن حجر: ولكن ليس قيداً في كتابةِ الحسنة، بل بمجرَّد الإرادة تكتب الحسنةُ، نعم ورد ما يدلُّ على أنَّ مطلق الهمِّ والإرادة لا يكفي، فعند أحمد،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٣٤) و(٤١١). ومسلم رقم (١٣٠) في الإيمان. وابن حبان رقم (٣٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن حبان رقم (٣٨١) وفي إسناده زكريا بن يحيى الوقار، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال يخطىء، ويخالف. وأورده ابن أبي حاتم (٣/ ٦٠١) ولم يذكر فيه جرحاً، ولا تعديلاً، وضعفه ابن يونس وغيره، وكذَّبه صالح جزرة. وقال ابنُ عدي: يضع الحديث. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس من حديث أبي الدرداء كما أشار المؤلف رحمه الله.

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٨) في الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وصححه ابن حبان، والحاكم من حديث خريم بن فاتك رفعه: «ومن همَّ بحسنةٍ يعلمُ الله أنه قد أشعر بها قلبه، وحرص عليها»[1] وقد تمسَّك به ابن حبان، فقال بعد إيراد حديث الباب في «صحيحه»: المرادُ بالهمِّ هنا: العزمُ، ثم قال: ويحتملُ أنَّ الله يكتبُ الحسنةَ بمجرد الهمِّ بها. وإن لم يعزم عليها زيادةً في الفضل. وقوله: «ولم يعملها» يتناول نفي عمل الجوارح، وأما عملُ القلب: فيحتمل نفيه أيضاً؛ إن كانت الحسنة تكتب بمجرد الهمِّ كما في معظم الأحاديث، لا إن قيدت بالتصميم كما في حديث خريم، ويؤيد الأول حديث أبي ذرٍّ عند مسلم: «إنَّ الكفَّ عن الشرِّ صدقة». وقوله في الحديث الأول: «كتبتها له حسنةً» أي: لمن همَّ بالحسنة، ولم يعملها. وفي رواية البخاري: حسنةً كاملةً. ومعنى قوله: «كتبتها»: أمر الملائكةَ الحفظةَ بكتابتها، بدليل ما في الحديث الثاني، والثالث، وما في رواية البخاري عن أبي هريرة في كتاب التوحيد بلفظ: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعملها»[2] وفيه دليلٌ على أنَّ الملكَ يطلع على ما في قلب الآدمي، إمَّا بإطلاع الله إيَّاه، أو بأن يخلق له علماً يدركُ به ذلك: ويؤيِّد الأول: ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني[3]: «قال ينادي الملك: اكتب لفلانٍ كذا، وكذا، فيقول: يا رب إنَّه لم يعمله. فيقول: إنه نواه. وقيل: بل يجدُ الملك للهمِّ بالسيئة رائحةً خبيثةً، وبالحسنة رائحةً طيبة. وأخرج ذلك الطبري عن ابن معشر المدني، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة: ورأيت في شرح مغلطاي[4]: أنه ورد مرفوعاً. قال الطوفي[5]: إنما كتبتِ الحسنةُ بمجرد الإرادة؛ لأنَّ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٢١ و٣٢٢) من حديث خريم بن فاتك وفي إسناده المسعودي، قال الحافظ في التقريب: صدوق، اختلط قبل موته. وجهالة الرجل الراوي عن خريم رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٧٥٠١) في التوحيد. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أبو عمران الجوني: وهو الإمام الثقة عبد الملك بن حبيب البصري. رأى عمران بن حصين. وروى عن جندب البجلي وأنس بن مالك. حدَّث عنه شعبة. والحمَّادان. وآخرون. وثقه يحيى بن معين وغيره. توفي رحمه الله سنة (١٣٣)هـ.

(٤) مغلطاي: ابن قليج بن عبد الله البكجري: المصري، الحكري الحنفي، أبو عبد الله علاء الدين مؤرخ، من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب، تركي الأصل. توفي رحمه الله سنة (٧٦٢ـ)هـ.

(٥) الطوفي: هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، =

إرادةَ الخير سببٌ إلى العمل، وإرادة الخير خير؛ لأنَّ إرادةَ الخير من عملِ القلب، واستشكل بأنه إذا كان كذلك، فكيف لا تتضاعف لعموم قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وأجيب بمثل الآية على عمل الجوارح، والحديث الهمُّ على المجرد، واستشكل أيضاً بأنَّ عمل القلب إذا اعتبر في حصول الحسنة، فكيف لم يعتبر في حصول السيئة، وأجيب: بأن ترك عمل السيئة التي وقع الهمُّ بها يُكفرها؛ لأنه قد نسخ قصده السيئة، وخالف هواه، ثم إنَّ ظاهر الحديث حصولُ الحسنة بمجرد الترك، سواء كان ذلك لمانع أم لا، ويتجه أن يقال: يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع، فإن كان خارجياً مع بقاء قصد الذي همَّ بفعل الحسنة فهي عظيمة القدر، ولا سيما إن قارنها ندمٌ على تفويتها، واستمرت النية على فعلها عند القدرةِ: وإن كان الترك من الذي همَّ من قبل نفسه فهي دون ذلك إلا إن قارنها قصدُ الإعراض عنها جملة، والرغبة عن فعلها، ولا سيما إن وقع العمل في عكسها، كأن يريد أن يتصدَّق بدرهم مثلاً فصرفه بعينه في معصية، فالذي يظهر في الأخير ألاَّ تكتب له حسنةٌ أصلاً، وأما ما قبله فعلى الاحتمال، أفاده الحافظ ابن حجر في (فتحه).

والضِّعْف في اللغة: المثنى، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله، قال الخليلي[1]: التضعيف أن يزاد على أصل الشيء، فيجعل مثليه وأكثر، وكذلك الأضعاف، والمضاعفة. وقال الأزهري[2]: الضِّعفُ في كلام العرب: المثل. هذا هو الأصل، ثم استعمل الضعف في المثل وما زاد، وليس للزيادة حدٌّ.

قال الحافظ: والتحقيق: أنه اسم يقع على العدد بشرط أن يكون معه عددٌ آخر، فإذا قيل: ضعف العشرة فُهِم: أنَّ المراد عشرون، ومن ذلك: لو أقرَّ بأن له عندي ضعفُ

= أبو الربيع نجم الدين، فقيه حنبلي . ولد بقرية طوف. أو طوفا. من أعمال صرصر في العراق. ودخل بغداد سنة (٦٩١ـ)هـ ورحل إلى دمشق سنة (٧٠٤ـ)هـ. وجاور بالحرمين توفي في بلدة الخليل بفلسطين سنة (٧١٦ـ)هـ.

(١) الخليلي: هو العلامة الحافظ أبو يعلى، الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الخليلي القزويني، مصنف كتاب (الإرشاد في معرفة المحدثين) توفي رحمه الله سنة (٤٤٦) هـ.

(٢) الأزهري: هو العلامة أبو منصور محمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، صاحب كتاب «تهذيب اللغة» المشهور توفي سنة (٣٧٠)هـ.

دِرهم لزمه درهمان. أو ضعفي درهم، لزمه ثلاثة.

وقوله: «وإذا همَّ بسيئة. . . إلخ» ظاهره: إطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك، وقد جاء مقيداً في صحيح البخاري من حديث الأعرج عن أبي هريرة، ولفظه: «إذا أراد عبدي أن يعملَ سيئةً فلا تكتبوها حتى يعملها، فإن عملها؛ فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها من أجلي؛ فاكتبوها له حسنة».

ونقل القاضي عياض عن بعض العلماء: أنَّه حمل حديث ابن عباس على عمومه. ثمَّ صوَّب حمل مطلقه على ما قيد في حديث أبي هريرة. قال الحافظ ابن حجر: قلت: ويحتمل أن تكون حسنة من ترك بغير استحضار ما قيد به دون حسنة الآخر، لما تقدَّم: أن ترك المعصية كفٌّ عن الشرِّ، والكفُّ عن الشرِّ خير. ويحتمل أيضاً أن يكتب لمن هَمَّ بالمعصية ثم تركها حسنة مجردة، فإن تركها من مخافة ربه سبحانه كتبت حسنة مضاعفة. وقال الخطابي[1]: محلُّ كتابة الحسنة على الترك أن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه؛ لأن الإنسان لا يسمَّى تاركاً إلا مع القدرة، ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه على الفعل مانعٌ كأن يمشي إلى امرأة ليزني بها مثلاً فيجد الباب مغلقاً، ويتعسَّر فتحُه. ومثله: مَنْ تمكَّن من الزنى مثلاً، فلم ينتشر، أو طرقه ما يخاف من أذاه عاجلاً. ووقع في حديث أبي كبشة الأنماري ما قد يعارض ظاهر حديث الباب، وهو ما أخرجه أحمد، وابن ماجه، والترمذي وصححه بلفظ: «إنما الدنيا لأربعة» فذكر الحديث، وفيه «وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً، فهو يعمل في ماله بغير علم لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يرى لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، ورجل لم يرزقه الله مالاً، ولا علماً، فهو يقول: لو أنَّ لي مالاً؛ لعملتُ فيه بعمل فلان، فهما في الوزر سواء»[2] فقيل: الجمع بين الحديثين بالتنزيل على حالتين،

---

(١) الخطابي: هو الإمام العلامة: الحافظ اللغوي: أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي: صاحب التصانيف. ولد سنة (ثلاثمئة وبضع عشرة) وسمع من أبي سعيد بن الأعرابي بمكة. قال أبو طاهر السلفي: أما أبو سليمان الشارح لكتاب أبي داود إذا وقف منصف على مصنفاته، واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته؛ تحقق إمامته، وديانته فيما يورد. توفي رحمه الله (٣٨٨) هـ.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٣١) والترمذي رقم (٢٣٢٦) في الزهد وابن ماجه رقم (٤٢٢٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح. وهو كما =

فتحمل الحالة الأولى على مَنْ همَّ بالمعصية هماً مجرداً من غير تصميم، والحالة الثانية على مَنْ صمَّم على ذلك، وأصرَّ عليه. وهو موافقٌ لما ذهب إليه الباقلانيُّ[1]، وغيره، قال المازري[2]: ذهب ابنُ الباقلانيِّ - يعني: ومن تبعه - إلى أنَّ من عزم على المعصية بقلبه، ووطن عليها نفسه: أنه يأثم، وحمل الأحاديث الواردة في العفو عمن همَّ بسيئة ولم يعملها على الخاطر الذي يمرُّ بالقلب، ولا يستقرُّ. قال المازري: وخالفه كثير من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، ونقل ذلك عن نص الشافعي، ويؤيده قوله في حديث أبي هريرة فيما أخرجه مسلم من طريق همّام عنه بلفظ: «فأنا أغفرُها له ما لم يعملها»[3]. فإنَّ الظاهر: أنَّ المراد بالعمل هنا عمل الجارحة بالمعصية المهموم به، وتعقبه عياض بأن عامةَ السلف وأهل العلم على ما قال ابن الباقلاني؛ لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنَّهم قالوا: إنَّ العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة، لا السيئة التي هم أن يعملها، كمن يأمر بتحصيل معصية ثم لا يفعلها بعد حصرها، فإنَّه يأثم بالأمر المذكور، لا بالمعصية. ومما يدل على ذلك حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» والذي يظهر: أنه من هذا الجنس، وهو أنه يعاقبُ على عزمه بمقدار ما يستحقه، ولا يعاقبُ عقاب مَنْ باشر القتل حِسَّاً. وهنا قسمٌ آخر، وهو أنَّ من فعل المعصية، ولم يتب منها، ثم همَّ أن يعود إليها؛ فإنه يعاقب على الإصرار، كما جزم به ابن المبارك وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥] ويؤيده: أن الإصرار معصية اتفاقاً، فمن عزم على المعصية، وصمم

= قال... من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه.

(١) الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر. أبو بكر قاضٍ من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. من كتبه إعجاز القرآن توفي رحمه الله (٤٠٣) هـ.

(٢) المازري: هو العلامة المتفنن، أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، مصنف كتاب (الإيضاح في علم الأصول) وله شرح كتاب التلقين لعبد الوهاب المالكي في عشرة أسفار، وهو من أنفس الكتب. توفي رحمه الله سنة (٥٣٦) هـ.

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٩) في الإيمان. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليها كتبت عليه سيئة، فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية. قال النووي: وهذا ظاهرٌ حسنٌ لا مزيد عليه، وقد تظاهرت نصوصُ الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقرِّ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩] الآية، وقوله: ﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات: ١٢] وغير ذلك.

وقال ابن الجوزي: إذا حدَّث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ، فإن عزم، وصمَّم زاد على حديث النفس، وهو من عمل القلب. قال: والدليلُ على التفريق بين الهمِّ والعزم: أنَّ من كان في الصلاة، فوقع في خاطره أن يقطعها لم تنقطع. فإذا صمَّم على قطعها بطلت. وأجيب عن القول الأول بأن المؤاخذة على أعمال القلوب المستقلة بالمعصية لا تستلزمُ المؤاخذة على عمل القلب بقصد معصية الجارحة إذا لم يعمل المقصود؛ للفرق بين ما هو بالقصد، وما هو بالوسيلة.

وقسَّم بعضُهم ما يقع في النفس أقساماً يظهر منها الجواب عن الثاني، أضعفُها: أن يخطر له، ثم يذهب في الحال، وهذا من الوسوسة، وهو معفوٌّ عنها، وهو دون التردُّد. وفوقه: أن يتردَّد فيه، فيهمُّ به، ثم ينفر عنه، فيتركه، ثم يهمُّ به، ثم يترك كذلك، ولا يستمرُّ على قصده، وهذا هو التردُّد، فيعفى عنه أيضاً. وفوقه: أن يميل إليه، ولا ينفر عنه، لكن بل لا يصمِّم على فعله، وهذا هو الهمُّ، فيعفى عنه أيضاً. وفوقه: أن يميل إليه، ولا ينفر عنه بل يصمِّم، فهذا هو العزمُ، وهو منتهى الهمّ، وهو على قسمين:

(القسم الأول) أن يكونَ من أعمال القلوب صرفاً، كالشكِّ في الوحدانية، أو النبوَّة، أو البعث، فهذا كفر، ويعاقب عليه جزماً، ودونه المعصية التي لا تصل إلى الكفر، كمن يحبُّ ما يبغضُ الله، ويبغضُ ما يحبُّه الله، ويحبُّ للمسلم الأذى بغير موجب لذلك، فهذا يأثم، ويلتحق به الكِبْرُ، والعجب، والبغيُ، والمكرُ، والحسدُ. وفي بعض هذا خلاف؛ فعن الحسن البصري(١): أنَّ سوء الظنِّ بالمسلم وحسدَه معفوٌّ

---

(١) الحسن البصريُّ: ـ هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت وكانت أم الحسن مولاة لأمِّ سلمة أم المؤمنين المخزومية. وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً. رأى عثمان، وطلحة. روى عن عمران بن الحصين، والمغيرة بن شعبة. توفي رحمه الله (١١٠هـ).

عنه، وحملوه على ما يقع في النفس مما لا يقدر على دفعه، لكن من يقع له ذلك مأمورٌ بمجاهدة النفس على تركه.

(والقسم الثاني) أن يكونَ من أعمال الجوارح، كالزنى، والسرقة، فهو الذي وقع فيه النزاع، فذهبت طائفةٌ إلى عدمِ المؤاخذة بذلك أصلاً، ونُقِل عن نصِّ الشافعي، ويؤيده ما وقع في حديث خريم بن فاتك المنبه عليه قبل، فإنَّه حيث ذكر الهمَّ بالحسنة قال: علم الله أنَّه أشعرها قلبه، وحرص عليها، وحيث ذكر الهمَّ بالسيئة لم يقيد بشيءٍ، بل قال فيه: ومن همَّ بسيئة لم تكتب عليه، والمقام مقام الفضل، فلا يليق التحجير فيه.

وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم، وسأل ابن المبارك سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بما يهم به؟ قال: إذا جزم بذلك، واستدل كثيرٌ منهم بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وحملوا حديث أبي هريرة الصحيح المرفوع: «إنَّ الله تجاوز لأمتي عما حدثتْ به أنفسها ما لم تعمل به، أو تكلم»[١] على الخطرات، كما تقدم.

ثم افترق هؤلاء، فقالت طائفةٌ: يعاقب عليه صاحبه في الدنيا خاصةً بنحو الهمِّ، والغمِّ، وقالت طائفةٌ: بل يعاقبُ عليه يوم القيامة، لكن بالعتاب، لا بالعذاب، وهذا قولُ ابن جريج[٢]، والربيع بن أنس[٣]، وطائفة، ونُسِبَ ذلك إلى ابن عباس أيضاً، واستدلوا بحديث النجوى الماضي شرحه في باب ستر المؤمن على نفسه من كتاب الأدب، واستثنى جماعة ممن ذهب إلى عدم مؤاخذة من وقع منه الهمُّ بالمعصية ما يقع في الحرم المكي، ولو لم يصمم، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٥و٣٩٣). والبخاري رقم (٢٥٢٨) في العتق، وأبو داود رقم (٢٢٩) والترمذي رقم (١١٨٣). وابن ماجه رقم (٢٠٤٤). وابن حبان رقم (٤٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم أبو خالد، صاحب التصانيف، أول من دوَّن العلم بمكة، حدَّث عنه عطاء بن أبي رباح فأكثر، كان صاحب تعبُّد، وتهجد، توفي سنة (١٥٠) هـ.

(٣) الربيع بن أنس بن زياد البكري، الخراساني، المروزي، بصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي، وأكثر عنه، توفي سنة (١٣٩) هـ.

عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ذكره السدّي في تفسيره عن مرّة، عن ابن مسعود، وأخرجه أحمد من طريقه مرفوعاً، ومنهم من رجحه موقوفاً، ويؤيد ذلك: أنَّ الحرم يجب اعتقاد تعظيمه، فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته.

وتعقب هذا البحث بأنَّ تعظيم الله آكدُ من تعظيم الحرم ومع ذلك فمن همَّ بمعصيةٍ لا يؤاخذه، فكيف يؤاخذه بما دونه، ويمكن أن يجاب عن هذا بأنَّ انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله؛ لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله، فصارت المعصيةُ في الحرم أشدَّ من المعصية في غيره، وإن اشترك الجميع في ترك تعظيم الله تعالى! نعم مَنْ هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى، ومن هم بمعصية الله قاصداً الاستخفاف بالله كفر، وإنما المعفو عنه مَنْ همَّ بمعصية ذاهلاً عن قصد الاستخفاف. وهذا تفصيلٌ جيد، ينبغي أن يُستحضرَ عند شرح حديث: «لا يزني الزاني وهو مؤمن»[1].

وقال السّبكي[2]: الكبير الهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً، والخاطر، وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه، والهمُّ ـ وهو قصد فعل المعصية مع التردد ـ لا يؤاخذ به لحديث الباب. والعزم ـ وهو قوة ذلك القصد، أو الجزم به، ورفع التردد ـ قال المحققون: يؤاخذ به، وقال بعضهم: لا، واحتجَّ بقول أهل اللغة: هم بالشيء: عزم عليه، وهذا لا يكفي، قال: ومن أدلة الأول حديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما...»[3] الحديث، وفيه: «إنَّه كان حريصاً على قتل صاحبه» فعلل بالحرص. واحتجَّ بعضهم بأعمال القلوب، ولا حجة معه؛ لأنها على قسمين:

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٣٧٦). والبخاري رقم (٥٥٧٨) في الأشربة، ومسلم رقم (٥٧ و١٠٢). وأبو داود رقم (٤٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي، تقي الدين أبو الحسن. عالم مشارك في الفقه. والتفسير. والمنطق. والحديث واللغة توفي رحمه الله (٧٥٦)هـ).

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/٤٣ و٥١)، والبخاري رقم (٣١) في الإيمان و(٦٨٧٥) في الديات، ومسلم رقم (٢٨٨٨)، وأبو داود رقم (٤٢٦٩)، والنسائي (٧/١٢٥)، وابن ماجه رقم (٣٩٦٥)، وابن حبان رقم (٥٩٤٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. =

أحدهما لا يتعلق بفعل خارجي وليس البحث فيه، والثاني يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه، واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه، وهو شهر السلاح إشارته به إلى الآخر، فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا، انتهى. ولا يلزم من قوله: «فالقاتل والمقتول في النار» أن يكونا في درجةٍ واحدةٍ من العذاب بالاتفاق. والله أعلم.

٢٤ ـ «إذا اشْتَكى عَبْدِي فأظْهَر المرَضَ مِنْ قبْلِ ثَلاثٍ فَقدْ شكانِي»[١]**. رواه الطبراني في الأوسط عنه.**

ش ـ الشكوى والشكاة والشكاية: المرض، والمعنى: إذا مرض العبد فأظهر مرضه، وأخبر به من يراه، أو يزوره قبل ثلاث أيام؛ فقد شكا مولاه الرحيم إلى عبده الضعيف، وأخبر بما يقاسيه من ألم المرض الذي أوجده فيه ربُّه، وخالقه، وليس هذا حال المؤمن القوي الإيمان بل حالُ ضعفاء القلوب. اللهمَّ اجعلنا من عبادك الصابرين في السراء والضراء!

٢٥ ـ «أرْبعُ خِصال: واحِدةٌ فيما بَيْني وبَيْنكَ، وَواحدةٌ فيما بيْنكَ وبينَ عِبادِي، وَواحِدةٌ لي، وَواحدةٌ لكَ. فأمَّا التي لي: فَتعْبُدني لا تُشرِكُ بي شيئاً. وأمَّا التي لكَ: فما عمِلْتَ مِنْ خيرٍ جزَيْتُك به، وأمَّا الَّتي بيْني وبَيْنكَ: فمنْكَ الدُّعاءُ، وعليَّ الإجابةُ. وأمَّا التي بينَك وبينَ عبادي: تَرْضى لهُمْ ما تَرْضى لِنَفْسكَ»[٢]**. رواه أبو نعيم عن أنس.**

ش ـ في الحديث أربع خصال: الخصلة الأولى تختص بالله جل ذكره، أعني: العبادة، وهي في اللغة من الذلة، يقال: طريقٌ معبَّد، وبعيرٌ معبَّد؛ أي: مُذَلَّل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف. قال الراغب الأصفهاني

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٧٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩٥)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله بن العمري، وهو متروك.

(٢) رواه أبو يعلى رقم (٢٧٥٧)، والبزار رقم (١٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥١) وقال: رواه أبو يعلى، والبزار. وفي إسناده: صالح المري ضعيف. وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (٣٢٨٦). وعزاه إلى أبي يعلى. نقول: وإسناده ضعيف.

في مفرداته: العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير، وهي الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وتكون للإنسان، والحيوانات، والنبات. وعبادة باختيار، وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٣٦]. اهـ ولا يجوز فعلها شرعاً، ولا عقلاً إلا لله تعالى؛ لأنه المستحقُّ لكونه مولياً لأعظم النعم من الحياة، والوجود، وتوابعهما؛ لذلك يحرم السجود لغيره سبحانه وتعالى؛ لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب، ومواطىء الأقدام والنعال غاية الخضوع. وقيل: لا تستعمل إلا في الخضوع له سبحانه، وما ورد من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨] واردٌ على زعمهم تعريضاً لهم ونداءً على غباوتهم؛ وتستعمل بمعنى الطاعة، ومنه ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] وبمعنى الدعاء، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] وبمعنى التوحيد، ومنه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وكلها متقاربة المعنى.

والخصلة الثانية: هي مختصةٌ بالعبد، وهي استحقاقُ الأجر، وجزاؤه على عمله الصالح يعني: أن الله سبحانه وتعالى يجزي العبد على ما عمل من الخير، وأما ما عمل من الشر: فأمره موكولٌ إلى ربه وموجده، إن شاء حاسبه عليه وعاقبه، وإن شاء غفر له وسامحه. سبحانك يا رب ما أحلمك، وأرأفك بعبدك المذنب!

والخصلة الثالثة: مشتركةٌ بين الله تنزهت صفاتُه، وبين العبد الضعيف، وهو أنَّ العبد إذ دعا الله سبحانه وتعالى في السرِّ والعلن؛ استجاب له، ولبَّاه، وقد ورد في الدعاء وفضله آثارٌ كثيرة نأتي بنبذة منها. روى أصحاب السنن الأربع، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن أبي شيبة في مصنفه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء هو العبادة» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾[1] الآية [غافر: ٦٠] وأخرج

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، وأبو داود رقم (١٤٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٧١٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠). والترمذي رقم (٣٣٧٢). والحاكم (١/ ٤٩٠ و٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان =

الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء مخُّ العبادة»[1]. وأخرج الترمذي، وابن حبان، وصححه من حديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يزيد في العمر إلا البر»[2]، وأخرج الحاكم في المستدرك، والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإنَّ البلاء لينزل فيتلقاه الدعاءُ، فيعتلجان إلى يوم القيامة»[3]. ومعنى يعتلجان: يتصارعان، ويتدافعان. وأخرج الترمذي، وابن حبان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله من الدُّعاء»[4] وأخرج ابن حبان في صحيحه

= رقم (٨٩١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. نقول: وهو حديث صحيح.

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٦٨) في الدعوات من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢١٣٩). والقضاعي في مسند الشهاب (٨٣٣). والطحاوي في مشكل الآثار رقم (٣٠٦٨)، والطبراني في الكبير رقم (٦١٢٨) من حديث سلمان رضي الله عنه. وفي إسناده ضعف، ولعلَّه يتقوى بما رواه أحمد، وابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه بلفظ: (لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يردُّ القضاء إلا الدعاء. وإن الرجل ليحرم الزرق بالذنب يصيبُه). وهو حديث حسن دون قوله: وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٢). وصححه الحاكم، وقال الذهبي في التلخيص: زكريا مجمع على ضعفه. والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٨٥٩)، والطبراني في الأوسط رقم (٢٥١٩) من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده زكريا بن منظور ضعيف، وعطاف الشامي مجهول. والحديث ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٢)، والترمذي رقم (٣٣٧٠) في الدعوات. وابن ماجه رقم (٣٨٢٩)، والحاكم (١/ ٤٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢)، وابن حبان رقم (٨٧٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وإسناده حسن.

من حديث أنس رضي الله عنه: «لا تعجزوا في الدعاء فإنَّه لن يهلكَ مع الدعاء أحد»[1]. وأخرج الحاكم في المستدرك، وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «الدُّعاء سلاحُ المؤمن، وعماد الدِّين، ونور السموات والأرض»[2]، والإجابة مشروطة بأن لا يكون في الدعاء دعوة فيها إثم، أو قطيعة رحم.

روى أحمد في مسنده، والبزار وأبو يعلى ـ قال المنذري بأسانيد جيدة ـ وأخرجه أيضاً الحاكم، وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري: «أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمَّا أن يعجلَ له دعوته، وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرفَ عنه من السوء مثلها. ـ زاد في المشكاة ـ قالوا: إذاً نكثر؟ قال: الله أكثر» أي: فضله[3]، رواه أحمد. وأخرج الترمذي عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أحدٍ يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفَّ عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثمٍ، أو قطيعة رحم»[4]، وأخرج

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٨٧١) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي إسناده عمر بن محمد بن صهبان ضعيف، ورواه الحاكم (١/ ٤٩٣ و٤٩٤) وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: لا أعرف عمراً، تعبت عليه. كذا وقع في المستدرك عمرو بزيادة الواو. والصواب عمر. قال العقيلي: عمر بن محمد لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به.

(٢) رواه الحاكم (١/ ٤٩٢). وأبو يعلى رقم (٤٣٩). والقضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٧) وقال: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، وهو متروك. فالحديث ضعيف.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٨). والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٣) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٨ و١٤٩) وقال رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الأوسط. ورجال أحمد، وأبي يعلى، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي. وهو ثقة. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٨) في الدعوات. باب: إنَّ دعوة المسلم مستجابة. من حديث جابر رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

أبو داود، والترمذي، وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين من حديث سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله حيي كريمٌ يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردَّهما صفراً خائبتين»[1] وفي قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وما تقدم من الأحاديث دليل على أنَّ دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطى ما سأله؛ إمَّا معجلاً، وإما مؤجلاً بفضل الله عزَّ وجلَّ.

الخصلةُ الرابعة: مشتركةٌ بين العبد وبين إخوانه الآدميين، وهي أن يرضى لأخيه من الخير والطاعات ما يرضى أن يكون مثله له، ومقابله: أن يكره لأخيه من الشر ما يكره لنفسه أن تلقاه، وهذا معنى ما رواه البخاري، ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»[2]: قال الإمام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى: الأولى أنْ يُحمل ذلك على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحبُّ لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم دوامه على الإسلام، ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مستحباً. والحديث محمول على نفي الإيمان الكامل عمن لا يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، والمراد: المحبة بإرادة الخير والمنفعة، ثم المراد: المحبة الدينية، لا المحبة البشرية، فإنَّ الطباع البشرية قد تكره حصول الخير، وتمييز غيرها عليها: والإنسان يجب عليه أن يخالف الطباع البشرية، ويدعو لأخيه، ويتمنى له ما يحبُّ لنفسه، والشخص متى لم يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه كان حسوداً، فعلى الإنسان أن يعالج نفسه، ويحملها على الرضا بالقضاء، ويخالفها بالدُّعاء لعدوِّه بما يخالف النفس.

وقال أبو الزناد[3]: ظاهر هذا الحديث التساوي، وحقيقتُه: التفضيل؛ لأنَّ الإنسان

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٨٨)، والترمذي رقم (٣٥٥١)، وابن ماجه رقم (٣٨٦٥) في الدعاء. وابن حبان رقم (٨٧٦). والبغوي رقم (١٣٨٥) من حديث سلمان رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٧٦ و٢٧٢). والبخاري رقم (١٣). ومسلم رقم (٤٥) في الإيمان، وابن ماجه رقم (٦٦)، والترمذي رقم (٢٥١٥). من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أبو الزناد: هو عبد الله بن ذكوان، الإمام الفقيه، الحافظ، المفتي، أبو عبد الرحمن، القرشي المدني، ولد في حياة ابن عباس رضي الله عنه، وحدث =

يحبُّ أن يكون أفضل الناس، فإذا أحبَّ لأخيه مثله فقد دخل هو في جملة المفضولين، ألا ترى أنَّ الإنسان يحب أن ينتصف من حقه، ومظلمته، فإن أكمل إيمانه وكان لأخيه عنده مظلمة أو حق بادر إلى إنصافه من نفسه وإن كان عليه فيه مشقة. قال المدني في هذا الحديث: أخرجه أبو يعلى الموصلي، وأبو نعيم عن أنس، وضُعِّفَ.

٢٦ ـ «اذكروني بطاعَتي أذكُرْكم بمَغفِرتي فمَن ذَكَرني وهُو مُطيعٌ؛ فحَقٌّ عليَّ أنْ أذكُرهُ وهو منِّي بمغفِرتي، ومَنْ ذَكَرَني وهو لي عاصٍ، فحقٌّ عليَّ أنْ أذكُرَه وهو لي بمَقْتٍ»[١]. رواه الديلمي، وابن عساكر عن أبي هند الرازي.

ش ـ أمر الله تعالى عبيده بأن يذكروه وهم متلبسون بالطاعة؛ ليكون الذكر مقبولاً يثاب عليه، ويدَّخر لديه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] ثمَّ فصل ذلك في الحديث بأن العبد إذا ذكر خالقه وهو مطيع؛ فحقٌّ على الربِّ تباركت أسماؤه أن يذكره وهو من حزب أولياء الله تعالى وذاكريه بالمغفرة؛ بحيث إذا بدرت منه بادرةٌ، أو وقع في هفوة يغفرها له ويسامحه. وإذا ذكره العبد وهو عاصٍ فحقٌّ على الله جل ذكره أن يذكره وهو ـ مملوك لله عبده ـ بمقت. والمقت في الأصل أشدُّ البغض، وهذه من الصفات التي سبق الكلام فيها في حديث: «إذا تقرَّب. . . إلخ» رقم (١٢) فارجع إليه.

٢٧ ـ «اشْتدَّ غَضبي على مَنْ ظَلم مَنْ لا يجِدُ لهُ ناصراً غَيْري». رواه الطبراني في الكبير، والقضاعي عن عليٍّ[٢].

= عن أنس بن مالك. وأبي أمامة بن سهل، وأبان بن عثمان، حدَّث عنه ابنه عبد الرحمن، وسفيان الثوري. توفي رحمه الله سنة (١٣٠) هـ لسبع عشرة خلت من رمضان.

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٤١) من حديث أبي هند الرازي، وإسناده ضعيف. وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٤٨) فانظره.

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٥٢). والطبراني في الصغير (٧١)، والأوسط رقم (٢٢٢٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٠٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه مسعر بن الحجاج النهدي كذا هو في الطبراني، ولم أجد إلا مسعر بن يحيى النهدي. ضعفه الذهبي بخبر ذكره. نقول: والحديث ضعيف الإسناد.

ش ـ الغضبُ: صفة من صفات الله جلَّ ذكره التي ليس كمثلها شيء، وفيها ما تقدَّم بين السلف والخلف، وهو في وصف المخلوق به: ثَوَران دم القلب إرادة الانتقام، ولذلك قال النبي ﷺ: «اتقوا الغضب، فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه، وحمرة عينيه؟»[1]. وقد قسم في جانب المخلوق إلى محمودٍ، ومذموم، فالأول: ما كان في جانب الدِّين، والحقِّ، والثاني: ما كان في خلافه. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إمَّا بنقصانٍ، أو زيادةٍ، وإما بعدولٍ عن وقته، أو مكانه. وهو قبيحٌ عند جميع الملل، وعاقبته وخيمة، وقد ورد في ذمِّ من اتَّصف به آياتٌ كثيرة، وآثارٌ يكلُّ القلم عن إحصائها، وهو يتفاوت ضعفاً وقوة، ولا شك: أنَّ ظلم من يجد أنصاراً أمثاله يغيثونه من مظلمته، وينصرونه من ظالمه أقل ممن ظلم من لا يجد ناصراً يأخذ بيمينه، ويمنعه من ظالمه إلا ربَّ الأرباب، من يجيب دعوة المظلوم من غير حجاب، فظلم من هذا حاله أشدُّ جرماً، وأكبر إثماً من حال من ظلم من له حميَّةٌ، أو شوكةٌ، أو ملجأ. والله أعلم.

٢٨ ـ «اطْـلُبوا الخيْر عنْدَ الرُّحمـاءِ من أمَّتي؛ تَعيشُوا في أكْنـافِهِمْ؛ فإنَّ فيهمْ رَحمتي، وَلا تَطْلُبوهُ منَ القاسِية قُلُوبهم؛ فإنَّ فيهمْ سَخَطي»[2]. رواه القضاعي عن أبي سعيد.

ش ـ الرحماء: جمع رحيم، وهو مبالغة راحم، والأكناف: جمع كنف بالتحريك: الجانب، والناحية، وهذا ترغيبٌ في أن يكونَ الإنسانُ رحيماً، فيكون له حمىً، وظل، وجانبٌ يلجأ إليه البشر، ويحتمون فيه؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى وضع رحمته فيه. وفيه ذمٌّ للقاسية قلوبهم، المنزوع منهم الرحمة، والحال فيهم سخط الله وعقابه. والمعنى: اطلبوا الخير عند الرحماء الرقيقة قلوبهم، السهلة عريكتهم، فإنكم إنْ فعلتم ذلك؛

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٩ و٦١). والترمذي رقم (٢١٩١). وفي سنده علي بن زيد بن جدعان. وهو ضعيف. ومع ذلك فقد حسَّنه الترمذي. بلفظ (ألا إن الغضب جمرةٌ في قلب بني آدم).

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٠٠)، والديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٥١٦)، والطبراني في الأوسط رقم(٤٧١٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن مروان السدي الصغير متروك. نقول: الحديث ضعيف.

عشتم في أكنافهم، لأنَّ فيهم رحمة الله تعالى، وكرمه، وجوده. ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم، الغليظة أفئدتهم، فإنكم لا تنجحوا، ولا تحظوا ببغيتكم؛ لأنَّ الله جلَّ ذكره وضع فيهم سخطه، وكراهته، وشدَّة غضبه. اللهم اجعلنا من الرحماء الذين يعيشون تحت كنفك، وظلك!

٢٩ ـ «أعْددْتُ لِعبادي الصَّالحينَ مالا عيْنٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمِعتْ، ولا خَطَر على قلْب بَشرٍ». رواه أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة[(١)]، والطبراني في الأوسط عن أنس[(٢)]، وابن جرير عن أبي سعيد[(٣)]، وعن قتادة مرسلاً.

ش ـ أعددت: هيأت لعبادي الصالحين شيئاً لم تر العيون مثله، ولا سمعت الآذان به، ولا خطر على قلب أحدٍ من البشر، ولا شكَّ أنَّ نعيمَ الجنة وتحفَها شيء لا يمكن للإنسانِ أن يصفه؛ لأنه باقٍ لا يلحقه التغيير، والانحلال، ولا العطب، والاضمحلال، بخلاف ملذَّات الدُّنيا، ونعيمها، فإنَّها سريعة الفناء، قليلُ الانتفاع بها. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: سبب هذا الحديث: أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه: مَنْ أعظمُ أهل الجنة منزلةً؟ «قال: غرستُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر» أخرجه مسلم، والترمذي من طريق الشعبي

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٣)، والدرامي (٢/ ٣٣٥)، والبخاري (٣٢٤٤) في بدء الخلق ورقم (٤٧٧٩) في التفسير، ومسلم رقم (٢٨٢٤) في الجنة والترمذي رقم (٣١٩٧) في التفسير، وابن ماجه رقم (٤٣٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط رقم (١٦٥٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه محمد بن مصعب القرقساني. وهو ضعيف، من حديث أنس رضي الله عنه. ويشهد له ما قبله.

(٣) رواه البزار رقم (٣٥١٥). وقال: لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلاَّ سلام. وكان بصرياً من خيار الناس وعقلائهم. ورواه أبو نعيم في صفة الجنة رقم (١٢١). وحلية الأولياء (٢/ ٢٦٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ويشهد له ما قبله.

سمعتُ المغيرة بن شعبة على المنبر رفعه إلى النبي ﷺ: «أنَّ موسى سأل ربه»[١] فذكر الحديث بطوله.

٣٠ ـ «افْتَرَضْتُ على أمَّتِكَ خمْسَ صَلواتٍ، وعهِدْتُ عنْدِي عهْداً أنَّهُ مَنْ حافَظ عَليهنَّ لوَقْتهِنَّ؛ أدْخلْتُه الجنَّة، ومَن لمْ يُحافِظْ عَليهنَّ؛ فلا عَهْد له عنْدي»[٢]. رواه ابن ماجه، وأبو نعيم عن قتادة.

ش ـ العهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى، ويتعهد، كالقول، والقرار، واليمين، والوصية، والضمان، والحفظ، والزمان، والأمر، يقال: عهدَ الأمير إلى فلان بكذا: إذا أمره، ويقال للنار من حيث أنها تراعى بالرجوع إليها، وللتاريخ لأنه يحفظ، وقوله: «ومن لم يحافظ عليهن» أي: على الصلوات الخمس بأن ضيعها كلها، أو بعضها، وذلك يصدق على من أخَّر صلاةً واحدةً عن وقتها المضروب لها، فلا عهد له عند الله في دخول الجنة، قال السندي في تعليقه على سنن ابن ماجه: بل أمره مفوض إلى الله في تعذيبه، أو إدخاله الجنة، وفي الزوائد: في إسناده نظر من أجل ضُبارة ودويد. انتهى.

٣١ ـ «أعْددْتُ لِعبادِي الَّذين آمنُوا، وعمِلوا الصَّالحات مالا عيْنٌ رَأتْ، ولا أُذنٌ سمِعَتْ، ولا خَطر على قلْبِ بَشرٍ»[٣]. رواه ابن جرير عن أنس بلاغاً.

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٩) في الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها. والترمذي رقم (٣١٩٨) في التفسير، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن حبان رقم (٦٢١٦) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٤٠٣) باب ما جاء في أن الصلاة كفارة من حديث أبي قتادة بن ربعي. وهو حديث حسن، ويشهد له ما رواه أبو داود، والنسائي. وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً: (خمس صلوات افترضهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيّع منهن شيئاً استخفافاً لحقهن، كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة. ومن لم يأت بهن؛ فليس له عهد، إنْ شاء عذَّبه، وإن شاء أدخله الجنة)، وهو حديث صحيح.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ =

ش ـ تقدم شرح مثله قريباً.

٣٢ ـ «إنَّ السَّمواتِ والأرْض ضَعُفتْ عنْ أنْ تَسعَني، وَوسِعني قلْبُ المُؤمنِ»[١]. رواه أحمد عن وهب بن منبه.

ش ـ هذا إشارة إلى أنَّ المؤمن أفضل من السموات والأرض؛ لأنَّ قلبه أوسع منهما، وفيه ما تقدَّم والخلاف في ذلك بين السَّلف، والخلف. فعلى الإنسان أن يؤمن بذلك، ويسلِّم.

٣٣ ـ «إن الَّذي قالَ: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا؛ فقدْ كفَر بي، وآمن بذلكَ النَّجْمِ، وإنَّ الَّذي يقُولُ: إنَّ اللهَ سَقانا؛ فقَد آمنَ بي، وكفَر بذلك النَّجْم»[٢]. رواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود.

ش ـ النوء: النجم إذا مال للمغيب، والجمع: أنواء، ونوآن ـ بضم الأول ـ حكاه ابن جني مثل: عبد، وعبدان، وبطن، وبطنان. قال حسان بن ثابت شاعر الإسلام رضي الله عنه:

ويثـــربُ تعلـــمُ أنّـــا بهـــا   إذا قحـــط الغيـــث نـــوآتهـــا

= وقال: قال ابن جرير: حدثني العباس بن أبي طالب. حدثنا معلى بن أسد. حدثنا سلام بن أبي مطيع. عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وذكره. وليس من حديث أنس كما أشار المؤلف رحمه الله. وفي إسناده سلام بن أبي مطيع. قال الذهبي في الميزان (٢/ ١٨١) ليس بمستقيم الحديث عن قتادة خاصة وهذا منه.

(١) لم نجده بهذا اللفظ، وهو بمعنى ما يروى: (قال الله تعالى: «لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع») قال الحافظ العراقي في تخريجه للإحياء (٣/ ١٥) لم أر له أصلاً.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦١٨٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١١٤ و١١٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلم بن خالد الزنجي، وثقه جماعة، وضعفه غيرهم، ومحمد بن ماهان مجهول، ومحمد بن حنيفة الواسطي قال الدارقطني: ليس بالقوي من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. لكن يشهد له ما رواه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

وقيل: معنى النوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه، وهو نجمٌ آخر يقابله من ساعته في المشرق في كلِّ ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة، فإن لها أربعة عشر يوماً، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وإنما سمي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ـ أي: نهض وطلع ـ وذلك الطلوع هو النوء، وبعضهم يجعل النوء السقوط، كأنه من الأضداد، قال أبو عبيد[1]: ولم يسمع في النوء أنه سقوط إلا في هذا الموضع. وكانت العربُ تضيف الأمطار، والرياح، والحرَّ، والبرد إلى الساقط منها، وقال الأصمعيُّ: إلى الطالع منها في سلطانه، فتقول: مطرنا بنوء كذا.

قال أبو عبيد: الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة، كلُّها من الصيف، والشتاء، والربيع، والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلومٌ مسمًّى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم، وطلع آخر؛ قالوا: لا بدَّ من أن يكون عند ذلك مطر، أو رياح، فينسبون كلَّ غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدبران، والسماك. انتهى.

قال شمَّر: هذه الثمانية والعشرون التي أراد أبو عبيد هي منازل القمر، وهي معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس، والروم، والهند، لم يختلفوا أنها ثمانية وعشرون، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] قال: وقد رأيتها بالهندية، والرومية، والفارسية مترجمة، قال: وهي بالعربية فيما أخبرني به ابن الأعرابي: (السرطان، والبطين، والنجم، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرق، والجبهة، والخراثان، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر.

---

(١) أبو عبيد: هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله ولد سنة (١٥٠) هـ وسمع إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، صنف التصانيف، وهو من أئمة الاجتهاد، له كتاب (الأموال). قال البخاري: توفي سنة (٢٢٤) هـ بمكة المكرمة.

والحوت) قال: ولا تستنيء العرب بها كلها، إنما تذكر بالأنواء بعضها، وهي معروفة في أشعارهم، وكلامهم.

وإنما غلَّظ الشرع في ذلك؛ لأنَّ العرب كانت تزعم: أنَّ ذلك المطر الذي جاء بسقوط نجم هو فعلُ النجم، وكانت تنسب المطر إليها، ولا يجعلونه سقيا من الله، وإن وافق سقوط ذلك النجم المطر يجعلون النجم هي الفاعلة.

قال أبو إسحاق: وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، ولم يرد ذلك المعنى، ومراده: أنا مطرنا في هذا الوقت، ولم يقصد إلى فعل النجم، فذلك والله أعلم جائز، كما جاء عن عمر رضي الله عنه: أنه استسقى بالمصلى، ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها. فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس، فإنما أراد عمر رضي الله تعالى عنه: كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة: أنه إذا تم أتى الله بالمطر؟ والصحيح: أنه لا يجوز نسبة ذلك إلى النجم، ولو على طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في «الفروع» بأنه يحرم قول: مطرنا بنوء كذا، وجزم في الإنصاف بتحريمه، ولو على طريق المجاز، ولم يذكر خلافاً، قال في فتح المجيد: وذلك أنَّ القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع، ولا يضر، ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركاً أصغر، والله أعلم.

٣٤ ـ «إنَّ أحبَّ عبادي إليَّ أعْجلُهم فِطْراً»، رواه أحمد، والترمذي عن أبي هريرة[١].

ش ـ فيه استحباب تعجيل الفطر للصائم رمضان كان أو غيره، وورد في ذلك أحاديث، منها ما رواه سهل بن سعد: أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[٢] أخرجه الشيخان في صحيحيهما وغيرهما، وعن أبي ذرٍّ: أنَّ

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (٨٣٤٢)، والترمذي رقم (٧٠٠) في الصوم. والبغوي رقم (١٧٣٣)، وابن حبان رقم (٣٥٠٧و٣٥٠٨)، والبيهقي في السنن (٤/ ٢٣٧). وابن خزيمة رقم (٢٠٦٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده قرة بن عبد الرحمن ضعيف. والوليد بن مسلم وقد عنعن. لكن يتقوى بشواهده التي بعده.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٣١). والبخاري رقم (١٩٥٧). والترمذي رقم =

النبيِّ ﷺ قال: «لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور وعجلوا الفطر»[1] أخرجه أحمد، وجاء في سنن أبي داود ما يبين حكمة ذلك، فقد روى بسنده عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يزال الدينُ ظاهراً ما عجَّل الناس الفطر؛ لأنَّ اليهود والنصارى يؤخرون»[2]، ففي هذا إشارةٌ إلى أنَّ هذا الفعل دخل فيه التحريف من أهل الكتاب، فبمخالفتهم وردِّ تحريفهم قيامُ الملة، والله أعلم.

٣٥ ـ «إنَّ أَوْليائي مِنْ عبادي، وأحبَّائي مِنْ خَلْقي الَّذين يُذْكرُون بذِكْرِي، وأذكرُ بذِكْرِهم»[3]. رواه الطبراني في الكبير والحكيم، وأبو نعيم عن عمرو بنِ الجموح.

ش ـ هذا ترغيبٌ في ذكرِ الله تعالى، وبيان منزلةِ أولياء الله تعالى وأحبابه، أسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، ومعنى ـ والله أعلم ـ الذين يُذكرون بذكري: أنَّ الناس إذا رأوا من كان مستقيماً في عمله، مواظباً على صلواته، وصيامه، مقبلاً على مرضاة ربه؛ ذكروا الله تعالى، وقالوا: لا إله إلا الله، سبحانه القادر، جلَّ الخالقُ، عزَّ الموفق، وإذا ذكر الناسُ اللهَ؛ ذكروهم لمحاسن أوصافهم، وجمال صفاتهم، وحسن سيرتهم.

= (٦٩٩). وابن حبان رقم (٣٥٠٢) وابن ماجه رقم (١٦٩٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(١) رواه أحمد في المسند (٥/١٤٦ و١٧٢) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه. وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف، وسليمان بن أبي عثمان مجهول. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٥٤): رواه أحمد وفيه سليمان بن أبي عثمان مجهول.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٥٠) وأبو داود رقم (٢٣٥٣)، وابن ماجه رقم (١٦٩٨)، وابن حبان رقم (٣٥٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٣١) وصححه، ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦) من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه، وفي إسناده رشدين بن سعد ضعفه الكثيرون. وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وأبو منصور مولى الأنصار، قاضي إفريقية، ذكره البخاريُّ، وقال: إنَّ حديثه مرسل؛ يعني: إنه لم يلق عمرو بن الجموح.

٣٦ ـ «إنَّ بُـيُوتي في الأرْضِ المساجدُ، وإنَّ زُوَّاري فيها عُمَّارُها»[١].

رواه أبو نعيم عن أبي سعيد الخُدري.

ش ـ البيوت: الأماكن التي يصطفيها المولى جل ذكره لتنزلات رحمته، وصعود وهبوط ملائكته في الأرض، والمساجد: جمع مسجد، وهو بيت الصَّلاة، وإنَّ زوار الله ـ تنزهت ذاته، وتباركت أسماؤه ـ في هذه البيوت عمارُها الذين يقيمون فيها الصلوات، ويُحيون فيها السنن، ويمنعون البدعَ، ويذكرون الله تعالى، ويتدارسون العلم، أولئك الزوَّار حقّاً.

٣٧ ـ «إنَّ عَبْداً أصْحَحْتُ لهُ بدنَه، وأوْسَعْتُ عَليهِ في الرّزْقِ، ثمَّ لمْ يَفِدْ إليَّ بعْدَ أرْبعةَ أعْوامٍ لمَحْرومٌ»[٢]. **رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى عن أبي الدرداء.**

٣٨ ـ «إنَّ عَبْداً أصْحَحتُ لهُ جِسْمَهُ، وأوْسَعتُ عليه في مَعيشَتِه، فمَضى عليه خمْسَةُ أعْوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لمَحْرُومٌ». رواه ابن حبان، وأبو يعلى عن أبي سعيد[٣]. **وابن عدي، وابن عساكر عن أبي هريرة**[٤].

ش ـ الوفد: هم القوم يجتمعون، ويردون البلاد، واحدهم: وافد. وكذلك الذين

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء (١/ ١٥٢) وقال العراقي في تخريجه: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٤٩٠)، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٨٨٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بطرقه، وشواهده.

(٣) رواه ابن حبان رقم (٣٧٠٣)، وأبو يعلى رقم (١٠٣)، والبيهقي في السنن (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٤) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٢٦٢). وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٩٦). والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٠٦ و٢٠٧) من طريق الوليد بن مسلم عن صدقة ابن يزيد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصدقة بن يزيد ضعفه أحمد. وقال أبو حاتم: صالح. وقال أبو زرعة: ثقة، فالحديث صحيح بطرقه، وشواهده، ويشهد له ما قبله.

يقصدون الأمراء لزيارةٍ، واسترفادٍ، وانتجاع، وغير ذلك، والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ العبد إذا كان صحيح الجسم، كثير الرزق، فَحقَّ عليه أن يتذكَّر ذلك، ويعلم: أنَّ هذا من مولاه تفضُّل منه وإحسان، فيقوم ببعض حقِّ الشكر له تبارك وتعالى للزيارة في بيته ـ وهو الكعبة ـ ومن لم يفعل ذلك، وتناءى، وكسل؛ فهو محرومٌ من نعم الله جلَّ ذكرُه، وإحساناته، ولا يخفى أنَّ من كان هذا حاله لحقيقٌ بالحرمان، والله أعلم.

٣٩ ـ «إنَّ عَبْدي المُؤمنَ بمنْزلة كلِّ خَيْرٍ، يَحْمدُني وأنا أنْزَعُ نَفْسهُ من بَيْنِ جَنْبَيْه»[١]. رواه أحمد عن أبي هريرة.

ش ـ يعني: أنَّ العبدَ المؤمنَ يحمد الله سبحانه وتعالى في كلِّ حالٍ، في السَّرَّاء، والضَّرَّاء، فهو بمنزلة الخير، لا يأتي إلا بنفع، وفائدة، ومع هذا فإنَّ الله جلَّ ذكره ينزَع نفس عبده من بين جنبيه؛ أي: يقبض روحه إليه إذا حان أجلُه، وهو صابرٌ لأمر ربه، مستسلمٌ لقضائه؛ وهذا مثلٌ للعبد الحقيقي، فإنَّه لا يرى من مولاه إلا كلَّ خير، ولا يفتر عن عبادته في كلِّ حال؛ لأنَّ حقَّ المولى لا يقدَّر بزمن، ولا عمل، لا سيما أنَّ الله جلَّ ذكرُه الذي أوجد عبده من العدم، وألبسه حلة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وأسبغ نعمه ظاهرةً وباطنةً. اللهمَّ وفقنا لطاعتك! وزاد المدني في كتابه: الإتحافات السنية في آخر الحديث، ورواه البيهقي في شعب الإيمان.

٤٠ ـ «إنَّ عَبْدي كلَّ عَبْدي الَّذي يَذْكُرُني وهو مُلاقٍ قِرْنَه»[٢]. رواه الترمذيُّ عن عمارة بن زعكرة.

ش ـ القِرن ـ بكسر الأول وسكون ثانيه ـ: الكفء، والنظير في الشجاعة والحرب، ويجمع على أقران، والمعنى: أنَّ عبدي الحقيقي، الذي أخلص في العبادة، ولم يغفل عن ذكري، هو مَنْ ذكرني في ساحة القتال مع قِرْنه، وخصمه؛ لأنَّ هذه الحالة تنسي الإنسان كلَّ شيءٍ؛ حيث يريد أن يخلص من خصمه، ويستنقذ روحه من براثن عدوِّه، فهو في هذه اللحظة إذا ذكر الله سبحانه وتعالى؛ فإنَّه لا ينساه، ولا يغفل عن ذكره في

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٤١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٦) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٧٦) من حديث عمارة بن زعكرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

غيرها، فهو عبدٌ يحقُّ له أن يتَّصفَ بما في الحديث من قوله: «إنَّ عبدي كلَّ عبدي. . . إلخ» والله أعلم. قال المدني: أخرجه ابن سعد، والترمذي، وضعفه، والطبراني في الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان.

٤١ ـ «إنَّ لِعبدي عليَّ عَهْداً إنْ أقامَ الصَّلاة لِوَقْتِها ألا أعذِّبَه، وأنْ أدْخلَهُ الجنّـة بغَيْر حسابٍ»[١] . رواه الحاكم عن عائشة.

ش ـ العهد: الموثق، وتقدم تفسيره في شرح الحديث (٣٠)، وإقامة الصلاة لوقتها: المحافظة عليها في أوقاتها المشروعة. وأل في الصلاة للعهد، وهي الصلاة الكاملة، المستوفية للأركان، والشروط، والسنن، والمستحبات. ولا شكَّ أنَّ من أتى بها كذلك يكون عبداً مؤمناً حقّاً، فيجتنب المنهيات، ويفعل المأمورات، يشغل نفسه في طاعات ربه؛ لأنَّ الله تعالى يقول في كتابه المنزل على رسوله المكرم: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ومن كان هذا حاله؛ فإنه حقيقٌ ألا يعذب بعذاب الله، وأن يدخل الجنة بغير حساب، والله أعلم، وهنا عزا المصنف الحديث إلى الحاكم، وظاهره إلى كتابه المستدرك، وليس كذلك، بل ذكره في تاريخه كما بيَّنه المدني في كتابه.

٤٢ ـ «إنَّا أنْزَلْنا المالَ لإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وَلَوْ كانَ لابْنِ آدمَ وَادٍ لأَحَبَّ أنْ يكونَ لهُ ثانٍ، ولوْ كانَ لهُ وادِيانِ لأحبَّ أنْ يكونَ لهما ثالث، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ثمَّ يَتُوبُ اللهُ على مَنْ تابَ»[٢] . رواه أحمد، والطبراني في الكبير عن أبي واقدٍ الليثي.

ش ـ يعني: أنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل المال، وأوجده، وجعله بين يدي خلقه؛ ليقيموا به شعائر الدين، ويظهروا معالم الشَّرع من صلاةٍ، وزكاةٍ، وغيرهما؛ لا أن يضعوا ما رزقهم الله من المال في غير موضعه، يصرفوه في الملاهي والملذات، وفي

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج/٧/ رقم (١٩٠٣٦) وقال: رواه الحاكم في تاريخه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/٢١٨ و٢١٩) والطبراني في الكبير رقم (٣٣٠٠ و٣٣٠١) والبيهقي في الشعب رقم (١٠٢٧٧) و(١٠٢٧٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٠) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد رجال الصحيح. نقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

غير طاعات الله، وإحياء سنة نبيه ﷺ، فإنَّ قيامَ العالَم بإحياء قوانين دينهم، وسلوك نهج كلياته، وإبراز مفروضاته، وسننه، ومستحباته، ففي ذلك سعادتهم دنيا وأخرى، ويكون وضع الشيء في محله المشروع له. وما تأخرت الأممُ وانتشر الفسادُ فيها إلا بنبذ تعاليم الرسل والأنبياء، وطرح ما أتوا به من المحاسن والمشروعات، والأخذ بما تسوله لهم أنفسهم من السُّوء، والفحشاء، والانقياد لما تزيِّنُهُ لهم شياطينُهم من المعتقدات الباطلة والأعمال الفاسدة. فأرجو الله تعالى أن يوفِّقَ الأممَ أجمع إلى الأخذ بدين الإسلام، دين العزِّ، والقوةِ، والرحمةِ، والرأفةِ، والسلامِ، والأمانِ، والسهل الممكن لكلِّ إنسان!

ولما كان الإنسانُ بطبعه ميالاً إلى حبِّ المال، شرهاً، طمعاً، لا يشبع، وليس له حدٌّ ينتهي إليه إلا ما كان من مادته، والجزء الأكبر فيه؛ قال الله تعالى في الحديث لو كان لابن آدم وادٍ ـ أي: من ذهب، أو فضة ـ لأحبَّ أن يكون له ثانٍ، ولو كان له واديان لأحبَّ... إلخ، ولا يملأ جوفه إلا التراب؛ لأنه منه خلق، وإليه يعود، والله أعلم.

٤٣ ـ «إنَّك إنْ ذَهبْتَ تَدْعُو على آخَرَ مِنْ أَجْلِ أنَّه ظَلمَك، وإنَّ آخَرَ يَدْعُو عَلَيْكَ إنَّك ظَلمْتَه، فإن شِئْتَ استجَبنَا لكَ، وَعليْكَ، وإن شِئتَ أخَّرتُكما إلى يومِ القِيامةِ، فأوْسِعُكما عَفْوي»[1]. رواه الحاكم عن أنس.

ش ـ فيه: أنَّ الله سبحانه وتعالى حليمٌ ورؤوف بعباده يحبُّ تأخيرَ الجزاء إلى الآخرة، ولا يجازي عبده عقب ارتكابه الجُرم؛ ليشمله عفوه جلَّ، وعزَّ يوم القيامة، ويثيب صاحب الحق بحسب مظلمته، وتعدِّي الغيرِ عليه. وفيه أيضاً: أنَّ الله تبارك يستجيبُ للمظلوم، ويحبسُ شكايته عنده ذخراً له في وقتٍ يكون أحوجَ ما يكون إليه. سبحانك يا رب ما أحلمك بعبادك، وأرأفك بهم!

٤٤ ـ «إنَّما أتقبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تواضَعَ بها لِعظَمتي، ولم يَسْتَطِلْ على خَلْقي، ولَم يَبِتْ مُصِرّاً على مَعْصِيتي، وقطَع نهَارَه في ذِكري، ورَحِمَ المسْكينَ، وابنَ السَّبيلِ، والأرْملةَ، ورَحِمَ المصَابَ. ذلكَ نورُه كنُورِ الشَّمسِ. أكْلَؤُهُ بعِزَّتي، وأسْتَحفظُه بمَلائِكتي، أجْعَلُ لهُ في الظُّلْمةِ نُوراً،

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج/ ٣/ رقم (٧٠١٧) وقال: رواه الحاكم في تاريخه من حديث أنس رضي الله عنه. وفي إسناده إبراهيم بن زيد الأسلمي. قال ابن حبان: واه.

وفي الجَهَالةِ حِلماً، ومثلُهُ في خَلْقي كمثَلِ الفرْدوس في الجَنَّةِ»[1] رواه البزار عن ابن عباس.

ش ـ أعظمُ أعمال الدِّين بعد الإقرار بالشهادتين الصلاةُ، ولذلك كانت صلةً بين الربِّ والعبد، ولها فوائد كثيرة، ومنافع عظيمة، منها: أنَّها تنهى صاحبها عن الفحشاء، والمنكر، ومن نجده يصلِّي الصلواتِ الخمس، ويواظبُ عليها، وهو مقبلٌ على شهوات نفسه، مطيعٌ لهواه، ليس عليه سمات أهل الصَّلاح والتقوى، نعلم أنَّ صلاته غيرُ مقبولة؛ لأنها لم تستوف الشروط المعتبرة شرعاً حسِّيَّةً كانت أو معنوية؛ بدليل ما ذكر في الحديث. وليست الشروط، والأركان، والمستحبات التي تذكر في كتب الفقه كافيةً في أن يكون المصلِّي ناجياً من عذاب الله يوم القيامة، بل لا بدَّ من أشياء أخر تضاف إليها، كما في الحديث، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٩] فبين الله تعالى في هذه الآيات أوصافَ المؤمن الذي نجا، وفاز من العقاب والعتاب، ومَنْ لم يتصفْ بهذه الصفاتِ فحاله حال خوفٍ، وخطر، ولذلك قال الله في الحديث: «إنما أتقبَّل الصلاة مِمَّنْ تواضع بها لعظمتي» أي: إنما تُقبل صلاةُ مَنْ تواضع بصلاته لله جلَّ، وعلا، ولم يستطلْ على الناس، ويحتقرهم، ويترفع عليهم، ولم يبتْ مصراً على معصية الله تعالى، بل إذا فعل معصيةً ووقع في جريمة فليبادرْ إلى الله بتوبةٍ نصوح قبل أن يمضي عليها الوقتُ، وتُسجَّل في كتاب الأعمال، وكان غالبَ نهاره في ذكر المولى تبارك وتعالى، ورحم الفقيرَ، والمسكينَ، وابنَ السبيل المسافر الغريب الذي ليس له أنيسٌ، ولا مأوى، ومن كانت أرملةً خاليةً من الزوج، وتعول نفسها، ورحم من كان أُصيبَ بجائحةٍ، أو مرضٍ، أو فاقةٍ، ولم يجد ما يسدُّ حاجته، أو يدفعُ مصيبته، فمن اتَّصف بهذه الأوصاف الحميدة

---

(١) رواه البزار رقم (٣٤٨). وابن حبان في المجروحين (٢/ ٣٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٤٧) وقال: رواه البزار، وفيه عبد الله بن واقد الحراني ضعفه النَّسائي، والبخاري، وإبراهيم الجوزجاني، وابن معين في رواية، ووثقه في روايةٍ. ووثقه أحمد وقال: وكان يتحرى الصدق، وأنكر على من تكلم فيه. أقول: وإسناده ضعيف.

كان نورُه كنورِ الشمس، يظهر لأهل الله من ملائكةٍ، وأنبياء، وأولياء، ويستظلُّ به أهل الفسوق ـ اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الكاملة، ووفقنا لأن نموت ونلقاك ونحن على حبك ـ! فيحفظه المولى جل ذكره بعزته؛ أي: بقوته وشدَّته، ولا يخفى على الفطن ما في هذا التعبير من الاعتناء والحماية والصيانة لعبده المطيع المتصف بهذه الخصال، ومع كلِّ هذا الإكرام يجعل له المولى نوراً في الظلمة، وحلماً في الجهالة، وما أحلى هذا التشبيه في قوله تعالى: «ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة» فإنَّ الفردوس من أحاسن الجنان، وأرفعها، وأعلاها منزلةً، والله أعلم.

٤٥ ـ «إنّي أنَا اللهُ لا إلهَ إلا أنَا، مَنْ أقرَّ لي بالتَّوحيدِ؛ دَخَل حصْني، ومَنْ دَخلَ حِصْني؛ أمِنَ مِنْ عَذابي»[(١)] . رواه الشيرازي في الألقاب عن عليٍّ.

ش ـ التوحيدُ: إفرادُ الله جلَّ وعلا بالتأثيرِ والضُّرِّ، والنَّفع، والرِّزقِ، والخَلْقِ، والإيجاد إلى غير ذلك مما لم يمكن لغير الله أن يتَّصف به. والحصن: المكان الذي لا يُقدرُ عليه لارتفاعه، ومنعته، وجمعه: حصون. والمعنى والله أعلم: أنَّ العبد إذا اعتقد، وأقرَّ لله سبحانه وتعالى بالوحدانية؛ أي: في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ أَمِنَ من عذاب الله جلَّ ذكرُه؛ لأنه دخل في حصنه، وحماه الذي لا يصل إليه أحدٌ، ولا يلحق مَنْ ولجه أذى.

٤٦ ـ «إنِّي إذا أخذْتُ كريمَتي عَبْدٍ، فَصَبر، واحْتَسَبَ؛ لَمْ أرْضَ لهُ ثَواباً دُونَ الجنَّة»[(٢)] . رواه ابن ماجه، وأبو يعلى، والطبراني عن ابن عباس.

٤٧ ـ «إنَّ أوْليائي مِنْ عبادي، وأحِبَّائي من خَلْقي، الَّذين يُذْكَرُون

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٩١) من حديث علي رضي الله عنه، وفي إسناده (أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي) وثقة يحيى على تشيع فيه، وتكلم فيه الساجي، والنسائي، وأبو حاتم، والجرجاني. وابن عدي. والدارقطني وقال أبو زرعة: لا أحدِّث عنه، ولا أرضاه. قال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال محمد بن طاهر: كذاب، فالحديث ضعيف جداً.

(٢) رواه أبو يعلى رقم (٢٣٦٥). وابن حبان رقم (٢٩٣٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٨) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. وذكره الحافظ في المطالب العالية برقم (٢٤٢٨) وقال: رواه أبو يعلى. نقول: وإسناده صحيح.

بذِكْرِي، وأذْكر بذِكْرِهم»[1]. رواه الحكيم، وأبو نعيم عن عمرو بن الجموح.

ش ـ الحديث الأول تقدم برقم (٢٠) والثاني تقدم برقم (٣٢) وزاد فيه: رواه الطبراني في الكبير.

٤٨ ـ «إنِّي حَرَّمتُ الظُّلْمَ على نفْسِي وجَعَلْتُه مُحرَّماً بَينَكُم، فَلا تَظالموا! يا عبادي! كلُّكمْ ضالٌّ إلا مَنْ هدَيْتُه، فاسْتَهدوني؛ أهدِكم. يَا عِبادِي! كلُّكمْ جائِعٌ إلا مَنْ أطعمتُه، فاسْتطعِموني؛ أطْعمْكمْ. يا عبادي! كلُّكمْ عارٍ إلا مَنْ كسَوتُه، فاسْتكْسوني؛ أكْسِكمْ. يا عبادِي! إنَّكم تُخْطِئونَ باللَّيلِ والنَّهارِ، وأنا أغْفِرُ الذنوبَ جميعاً غيرَ الشِّرْكِ، فاسْتَغفِرُوني؛ أغفِرْ لكمْ. يا عِبادي! إنَّكم لن تَبْلُغوا ضَرِّي، فَتضُرُّوني، ولنْ تبْلغوا نَفعي؛ فَتنْفعوني. يا عبادي! لوْ أنَّ أوَّلَكمْ، وآخرَكمْ، وإنْسَكمْ، وجِنَّكمْ كانُوا على أتْقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم؛ ما زاد ذلكَ في مُلْكي شَيئاً. يا عبادِي! لوْ أنَّ أوَّلَكمْ، وآخِركمْ، وإنْسكم، وجِنَّكم، كانُوا على أفْجَرِ قلبِ رجُلٍ واحدٍ منْكم؛ ما نَقص ذلكَ منْ مُلْكي شيئاً. يا عبادي! لوْ أنَّ أوَّلَكم، وآخِركُمْ، وإنْسَكمْ، وجنَّكم، قامُوا في صَعيدٍ واحدٍ، فسَألوني، فأعْطَيْتُ كلَّ إنسانٍ مسألَتَه؛ ما نَقص ذلكَ ممَّا عندِي شيئاً إلا كما يُنْقِصُ المَخيطُ إذا أدخلَ البَحْرَ. يا عبادي! إنّما هِي أعمالُكم أحْصيها لَكمْ، ثمَّ أوفِّيْكُم إيَّاها، فمَنْ وجدَ خيْراً؛ فلْيَحمَدِ اللهَ، ومَنْ وجد غيرَ ذلك؛ فلا يَلومَنَّ إلا نَفْسَه»[2]. رواه مسلم، وأبو عوانة، وابن حبان، والحاكم عن أبي ذر.

ش ـ هذا الحديثُ شريفُ القدر، عظيم المنزلة، جليلُ الموقع، جامعٌ لفوائد شتَّى، قد تضمن من قواعد الدِّين العظيمة: من العلوم، والأعمال، والأصول، والفروع، وغير ذلك مما لا يحصره قلمٌ، ولا يحصيه عادٌّ؛ لذلك كان الإمام أحمد بن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم. والبخاري في الأدب المفرد رقم (٤٩٠). والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤١). والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

حنبل رضي الله عنه يقول: هو أشرفُ حديثٍ لأهل الشام، وكان أبو إدريس الخولاني[1] إذا حدَّث به جثا على ركبته، كما ذكره مسلم في صحيحه، وراويه هو إمامُ أهل الصُّوفية الذي قيل فيه: «ما أظلت الخضراءُ ولا أقلت الغبراء أصدقَ لهجةً منه»[2] فالله سبحانه وتعالى نفى الظلم عن نفسه بقوله: «إني حرَّمتُ الظلم على نفسي» أي: لا يليق، ولا ينبغي أن أتَّصف به، وهو مستحيلٌ في حقه تعالى؛ لأنَّ الظلم قبيح، ونفاه الباري تعالى في غير موضع من كتابه، فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ [النحل: ١١٨] وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٨] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] وقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] ونفى تبارك ذكره إرادته الظلم أيضاً بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] ونفى خوف العباد له بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قال أهل التفسير من السلف في هذه الآية: لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم، فينقص من حسناته، يعني: أنَّ المحسن لا يظلم في الآخرة فينقصه الله جل ذكره من إحسانه، أو يجعله لغيره، ولا يظلم مسيئاً فيجعل عليه سيئات غيره، بل لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت. وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٤١]. وللعلماء في تفسير الظلم المنفي هنا أقوال، وتنازع، فبعضهم قد شذَّ، وبعضهم قد غلا، وتجاوز، والقول الوسط في ذلك ما أشرنا إليه

---

(١) أبو إدريس الخولاني، هو عائذ الله بن عبد الله، بن عمرو بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة، قاضي دمشق، وعالمها، وواعظها، ولد عام الفتح، وحدث عن أبي ذر، وأبي الدرداء، وحذيفة، حدث عنه أبو سلام الأسود، ومكحول، وله جلالة عجيبة، توفي رحمه الله سنة (٨٠) هـ.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٨٠٤). باب مناقب أبي ذر رضي الله عن عنه. وهو حديث حسن.

قبل، وهو: أنَّ الظلم الذي حرمه الله على نفسه، ونفى إرادته كما تقدَّم هو مثل أن يترك حسنات المحسن، فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيرِه، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي ينزه الربُّ عنها لقسطه، وعدله، وهو قادرٌ عليها، وإنما استحقَّ الحمد، والثناء؛ لأنه تركَ الظلم، وهو قادرٌ عليه، وكما أنَّ الله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن صفات النقص، والعيب، فهو أيضاً منزَّهٌ عن أفعال النقص، والعيب.

وقوله: «وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» ـ هو بفتح التاء ـ وتخفيف الظاء في الأصول المعتبرة، ونقل ابن حجر: أنه روي مشدداً، والأشهر تخفيفها؛ أي: جعلت الظلم بينكم يا عبادي محرماً، فلا يَظْلِمْ بعضُكم بعضاً، والخطابُ للثقلين؛ لاختصاصهم بالتكليف، وتعاقب التقوى والفجور، ولأنَّ ما بعده من الألفاظ كالطعام، والكسوة ينصُّ على ذلك، وهذه الجملة تجمع الدِّين كلَّه، فإنَّ ما نهى الله عنه راجعٌ إلى الظلم، وكلُّ ما أمر به راجعٌ إلى العدل ولهذا قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال الإمامُ تقيُّ الدين بنُ تيمية في شرح هذا الحديث: فأخبر أنَّه جلَّ ذكره أرسل الرسل، وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنَّه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحقُّ، فالكتابُ يهدي، والسيفُ ينصر، وكفى بربك هادياً ونصيراً، ولهذا كان قوامُ الناس بأهل الكتاب، وأهل الحديد، كما قال من قال من السَّلف: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: الأمراءُ، والعلماء، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩] أقوالاً تجمع العلماء، والأمراء، ولهذا نصَّ أحمدُ، وغيرُه على دخول الصنفين في هذه الآية؛ إذ كلٌّ منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله، وكان نوَّابُ رسول الله ﷺ في حياته كعليٍّ، ومعاذ، وأبي موسى، وعتَّاب بن أسيد، وعثمان بن أبي العاص، وأمثالهم يجمعون الصنفين، وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، ونوابهم، ولهذا كانت السُّنَّة: أنَّ الذي يصلي بالناس هو صاحب الكتاب، والذي يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد. انتهى.

وقال العلامةُ السَّعد في شرح الأربعين النووية: إذ الظالم ينحطُّ عن رتبة النبوة ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وعن درجة الولاية: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وعن مرتبة السلطنة «بيت الظالم خرابٌ ولو بعد حين» وعن نظر الخلائق

«جبلت القلوب على حبٍّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها»[1] وعن حظ نفسه وتبقى خسارته في الدنيا، والعقبى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]

وفي الترمذي مرفوعاً: «ثلاثةٌ لا تردُّ دعوتُهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوقَ الغمام، وتفتحُ لها أبوابُ السماء، ويقول الربُّ: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[2]، وحُكِيَ: أنَّ الأمير نوحاً لما وضع الخراج على أهل سمرقند، بعث بريداً إلى أميرها، فأحضرَ الأئمة، والمشايخ، وأعيان البلد، وقرأ عليهم الكتاب، فقال الفقيه أبو منصور الماتريدي للبريد: قد أدَّيتَ رسالة الأمير، فاردد إليه الجواب، وقل له: زدنا ظلماً حتى نزيد في دعاء الليل، ثم تفرقوا فلم تذهب إلا أيام حتى وجدوه قتيلاً وفي بطنه زجُّ رمحٍ مكتوب:

بغـــيٌ والبغـــيُ سهـــامٌ تنتظـــر ... أتتـــه مـــن أيـــدي المنـايـا والقَـدَرْ

سهـامُ أيـدي القـانتـاتِ فـي السَّحـر ... يـرميـنَ عـن قـوسٍ لهـا الليـل وَتَـرْ

ولا شك أنَّ كلَّ خيرٍ وصلاحٍ داخلٌ في القسط والعدل، وكلَّ شرٍّ وفسادٍ داخلٌ في الظلم، والظلم يتفاوت، وبعضه أشدُّ ضرراً من بعض، فهو في جميع أنواعه وأفراده ممنوعٌ، ينفر عنه الطبع السليم، وتأباه الفطرة، وكذلك يمتنع عموماً من حيث متعلقه، سواءٌ كان الظلم ظلماً لمسلمٍ، أو لكافر، قريبٍ، أو بعيد، صاحبٍ، أو عدوٍّ، اعتدى عليك أم لم يعتد. فهو محرَّم في كلِّ شيءٍ، ولكلِّ أحدٍ. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ [المائدة:

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٥٩٩ و٦٠٠) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) والبيهقي في الشعب (٨٩٨٤) وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفي إسناده إسماعيل الخياط قال فيه أحمد: روى أحاديث موضوعة عن فطرٍ وغيره، وتركناه، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات. وقال أبو داود: كان كذاباً، ورواه البيهقي موقوفاً رقم (٨٩٨٣). والحديث ضعيف جداً مرفوعاً، وموقوفاً.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٤ و٤٤٥ و٤٧٧)، وابن حبان رقم (٣٤٢٨)، وابن ماجه رقم (١٧٥٢)، وابن خزيمة رقم (١٩٠١)، والترمذي رقم (٣٥٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف ولبعض فقراته شواهد.

٨] أي: يحملنكم بغض قومٍ وهم الكفار على عدم العدل ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨] وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقوله: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته» إلخ، بعد ما ذكر جلّ شأنه في أوَّل الحديث ما أوجبه من العدل، وحرَّمه من الظلم على نفسه، وعلى عباده عموماً عقَّب ذلك بذكر إحسانه إلى عباده، وإنعامه عليهم مع غناه عنهم، وفقرهم إليه، وأنَّهم لا يقدرون على جلبِ منفعةٍ لأنفسهم، ولا دفع مضرةٍ إلا أن يكون هو الميسِّر لذلك، وأمر عباده أن يسألوه ذلك، وأخبر أنَّهم لا يقدرون على نفعه، ولا ضره مع عظم ما يوصل إليهم من النعماء، ويدفع عنهم من البلاء، وجلب المنفعة ودفع المضرة إما أن يكونا في الدين، أو في الدنيا، فصارت أربعة أقسام: الهدايةُ، والمغفرة، وهما جلبُ المنفعة. ودفعُ المضرة في الدين والكسوة، والطعام، وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا، وإن شئت قلت: الهداية، والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن، وهو الأصل في الأعمال الإرادية. والطعامُ، والكسوة يتعلقان بالبدن؛ الطعامُ لجلب المنفعة، واللباس لدفع المضرة. وفتح الأمر بالهداية، فإنَّها وإن كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين، فكل أعمال الناس تابعةٌ لهدي الله إيَّاهم، والله أعلم، أفاده الإمام المجتهد ابن تيمية في شرحه مع بسط. وقوله: «كلكم ضال» أي: من شأنكم، وجبلتكم الضلالةُ كما روي: «أنَّ الله خلق الخلق في ظلمة الطبيعة، فألقى عليهم من نوره.. إلخ»[1] أي: في ظلمة الطبيعة من الميل إلى الشهوات، والركون إلى المحسوسات، والغفلة عن أسرار عالم الغيب، ومالك السموات، فألقى عليهم من نوره، أي: بسبب ما نصب لهم من الحجج النيِّرة، فمن أصابه من ذلك النور؛ اهتدى، ومن أخطأه؛ ضلَّ عن الطريق المستقيم، وغوى.

فالناس خلقوا لا يهتدون إلى طريق الصَّواب والنهج السَّويِّ إلا بمرشدٍ، وهادٍ. فمن هداه الله يشرح صدره، ويُنوِّر قلبه ويصفي استعداده عما ينافي قبول الحق والصراط المستقيم من ظلمات الشكوك، والشبه، واتباع الهوى، والعمل بالبدع التي

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦) ورقم (٦٦٤٤) مطولاً. والترمذي رقم (٢٦٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢٤١). وابن حبان رقم (٦١٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

تصادم الشرع الشريف، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار. كما أخبر بذلك شفيعُ المذنبين من النار، فينبت فيه شجر التَّصديق، والإيقان بما جاء به سيد ولد عدنان من أصول الدين، وفروعه، فينمو بأغصان الطاعات في كلِّ حينٍ، ووقت، ثم يثمر بثمار المشاهدة والتجليات، وعلم اليقين، فيرى الحقَّ حقاً فيتبعه، ويرى الباطل باطلاً فيجتنبه، وهذا لا ينافي قوله ﷺ: «كل مولودٍ يولد على الفطرة...»[1] الحديث، فإنَّ هذه ظلمةٌ طارئة على الفطرة الأولى، كما يشير إليه ما رُوِيَ: «خلق الله الخلق على معرفته، فاغتالتهم الشياطين» وقال ابن المبارك رضي الله عنه: يولد على ما يصير إليه من سعادةٍ، أو شقاوةٍ، فمن علم أنه يصير مسلماً موحداً؛ ولد على فطرة الإسلام، والتوحيد، ومن علم أنَّه يصير كافراً جاحداً نعماء ربه؛ ولد على فطرة الكفر. ويُستَدَلُّ ذلك بقوله تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقوله: «فاستهدوني أهدكم» أي: اطلبوا مني الهداية الموصلة إليَّ؛ أدلكم عليها، وأوصلكم إليها. ولعلَّ الحكمة في طلبه سبحانه وتعالى سؤال الهداية؛ مع أنه سبحانه يهدي من يشاء بحسن الرعاية، وجميل العناية إظهارُ الافتقار، والإشعارُ بأنه لا هداية قبل سؤاله إياه، فربما قال: إنما أوتيته على علمٍ عندي، فيضلُّ بذلك، ويشقى، فإذا سأل ربه الأمور الدنيوية، والأخروية؛ فقد اعترف على نفسه بالعبودية، ولمولاه بالربوبية، وهذا مقامٌ شريفٌ، ومشهدٌ لطيفٌ، وفيه دليلٌ لأهل السنة والجماعة على أنَّ المهتدي مَنْ هداه الله تعالى، وبإرادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه، وأنَّ غير المهتدي لم يرد الله هدايته، فلم يهتد لذلك، ولو أرادها له لاهتدى؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] إلى غير ذلك من الآي، والله أعلم.

وقوله في الحديث: «يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا مَنْ أطعمتُه» لما فرغ من الامتنان بالأمور الدِّينيَّة شرع في الامتنان في الأمور الدنيوية، فقال: ...إلخ، وكرَّر النداء

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٩٣)، والبخاري رقم (١٣٥٩) في الجنائز، ورقم (١٣٨٥ و٤٧٧٥) ومسلم رقم (٢٦٥٨)، والترمذي رقم (٢١٣٨). وابن حبان رقم (١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

زيادةً في تشريفهم، وتعظيمهم، ولذا أضافهم إلى نفسه جل شأنه. قال الإمام العلامة تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن تيمية في شرحه: فيقتضي أصلين عظيمين: وجوب التوكُّل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام، ودفع المضرَّة كاللباس. وأنه لا يقدر غيرُ الله على الإطعام والكسوة قدرةً مطلقة، وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ [النساء: ٥] فالمأمور به هو المقدور للعباد. وكذلك قوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٦] وقوله: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] وقوله: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] فذمَّ مَنْ يترك المأمورَ به اكتفاءً بما يجري به القدر. ومن هنا يعرف: أنَّ السبب المأمور به، أو المباح لا ينافي وجوب التوكُّل على الله في وجود السبب: بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب؛ إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سببٌ تام لحصول المطلوب، ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى؛ فإنَّه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن ظنَّ الاستغناء بالسبب عن التوكل؛ فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكُّل، وأخلَّ بواجبِ التوحيد، ولهذا يُخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب، فمن رجا نصراً، أو رزقاً من غير الله خذله الله، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، وقد قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] إلخ ما قال؛ يعني: أنَّ الله جلَّ ذكره خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام، فكلُّ طاعم كان جائعاً حتى يطعمَه الله، يسوق الرزق إليه، وتصحيح الآلات التي هيأها له، فلا يظن ذو الثروة: أنَّ الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحدٌ غير الله تعالى. وفيه أيضاً: أدب الفقراء، كأنَّه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإنَّ هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعِمُهم، فاستطعموني أطعمكم، وكذلك ما بعده أفاده الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[1] في شرحه، والله أعلم.

---

(١) تقي الدين بن دقيق العيد: هو الإمام محمد بن علي بن وهب ولد في شعبان سنة (٦٢٥)هـ بناحية «ينبع» على البحر الأحمر. قال ابن سيد الناس: لم أر مثله فيمن رأيت، ولا حملت عن أجل منه، توفي رحمه الله سنة (٧٠٢)هـ.

قوله: «**تخطئون**» بضم التاء، وسكون الخاء المعجمة، وكسر الطَّاء المشالة، هذه هي الرواية المشهورة. ورُوي بفتح أوله، وثالثه. والخطأ يطلق على معانٍ، قال الراغب في مفرداته: الخطأ: العدول عن الجهة، وذلك أضْرُب؛ أحدها: أن يريد غير ما تحسن إرادته، فيفعله، وهذا هو الخطأ التامُّ المأخوذ به الإنسان، يقال: خطيء يخطأ، خطأً، وخطاءة ـ أي: بكسر الأول فيهما ـ والثاني: أن يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع منه خلاف ما يريد، فيقال: أخطأ إخطاءً، فهو مخطيء، وهذا قد أصاب في الإرادة، وأخطأ في الفعل. والثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله، ويتفق منه خلافه، فهذا مخطيء في الإرادة، ومصيب في الفعل، فهو مذمومٌ بقصده، وغير محمودٍ على فعله.

وجملة الأمر: أن من أراد شيئاً، فاتفق منه غيره، يقال: أخطأ، وإن وقع منه كما أراده؛ يقال: أصاب. وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن، أو أراد إرادة لا تجعل: أنه أخطأ؛ ولهذا يقال: أصاب الخطأ، وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب، وأخطأ الخطأ، وهذه اللفظة مشتركة كما ترى، مترددة بين معانٍ يجب لمن يتحرَّى الحقائق أن يتأمَّلها. انتهى بنوع تصرف.

وقوله: «بالليل والنهار»: أنَّ في ساعاتهما، وأوقاتهما، وقدَّم الليل على النهار؛ لأنَّ الليل ظلمةٌ، وهي الأصل، والنور طاريء عليها يسترها، ولأنَّ المقام يقتضي تقديمه؛ إذ أكثر المعاصي والآثام تعمل في الليل. والاستغفار من الذنوب: طلب المغفرة، والعبدُ أحوج شيءٍ إليه لما تقدم. وقد جاء في القرآن الحكيم ذكرُ الاستغفار، والتوبة، والأمر بهما، والحث عليهما في غير آيةٍ، فلا حاجة إلى إيرادها خوف الإطالة. وأما مِنَ الحديث النبوي، فلا مانع من ذكر نبذة من ذلك.

روى الترمذيُّ، وابنُ ماجه من حديث أنس بن مالك خادمِ الرَّسول ﷺ عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام قال: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1] وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والله! إني لأستغفر الله، وأتوب إليه كلَّ يومٍ مئة مرَّة»[2] وأخرج أيضاً من حديث الأغرِّ المزني

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٠١)، والدارمي (٢/٣٠٣)، وابن ماجه رقم (٢٤٥١) من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده حسن.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٢٥٥) في التفسير من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو حديث صحيح. وليس في البخاري كما أشار المؤلف.

سمع النبي ﷺ يقول: «يا أيّها الناس! توبوا إلى ربكم، واستغفروه، فإنّي أتوب إلى الله، وأستغفره كل يومٍ مئة مرَّة»[1] وخرَّج الإمام أحمد بن حنبل من حديث حذيفة قال: «كان في لساني ذَرَبٌ ـ أي: حاد اللسان، لا أبالي بما أقول ـ على أهلي لم أعدُه إلى غيره، فذكرت ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: أين أنت من الاستغفار يا حذيفة! إنّي لأستغفر الله كلَّ يومٍ مئة مرَّة»[2]، وخرَّج الإمام أحمد بن حنبل، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه من حديث ابن عمر قال: إن كنا لنعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «ربِّ اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم!»[3].

والمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان؛ أحدُهما: المغفرة لمن تاب، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ فهذا السياق مع سبب نزول الآية يبيِّن: أن المعنى: لا ييأس مذنب من مغفرة الله تعالى، ولو كانت ذنوبه ما كانت؛ فإنَّ الله جلَّ ذكره لا يتعاظمه ذنبٌ من أن يغفره لعبده التائب. وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب؛ فإنَّ الله تعالى يغفر ذلك لمن تاب منه؛ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٥] وقال في الآية الأخرى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١] وقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ﴾ [المائدة: ٧٣] إلى قوله ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤] قال الإمام

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٠٢). والبخاري في الأدب والمفرد رقم (٦٢١). والبغوي رقم (١٢٨٨). وابن حبان رقم (٩٢٩) رضي الله عنه. والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٤٦٦) من حديث الأغرِّ المزني رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٩٤ و٣٩٦) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦١٨). وأبو داود ورقم (١٥١٦)، والترمذي رقم (٣٤٣٤)، وابن ماجه رقم (٣٨١٤)، وابن حبان رقم (٩٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

تقي الدين أحمد بن تيمية: وهذا القول الجامع بالمغفرة لكلِّ ذنبٍ للتائب منه، كما دلَّ عليه القرآن، والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم، وإن كان من الناس من يستثني بعض الذنوب، كقول بعضهم: إن توبة الداعية إلى البدع لا تقبل باطناً للحديث الإسرائيلي الذي منه: «فكيف من أضللت» وهذا غلط، فإنَّ الله قد بين في كتابه، وسنة رسوله أن يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] قال: الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم: عذبوا أولياءه، وفتنوهم، ثم هو يدعوهم إلى التوبة، كذلك توبة القاتل وغيره إلى آخر ما قال.

وثانيهما: المغفرة بمعنى تخفيف العذاب، أو بمعنى تأخيره إلى أجلٍ مسمَّى، وهذا عامٌّ مطلقاً، لهذا شفع النبي ﷺ في عمه أبي طالب مع موته على الشرك فنقل من غمرةٍ من نارٍ حتى جعل في ضحضاحٍ من نارٍ، في قدميه نعلان من نار يغلي منهما دماغُه. قال: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[1] على هذا المعنى دلَّ قولُه تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥] وقوله جل ذكره: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠] وغير ذلك من الآيات. قال العلامة الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد في شرح الأربعين حديثاً النووية: في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كلُّ مؤمن.

وكذلك: أنَّ الله خلق الليل ليطاع فيه، ويعبد بالإخلاص، حيث تسلم الأعمال فيه غالباً من الرياء والنفاق، أفلا يستحي المؤمن ألا ينفق الليل فيما خُلِقَ له من الطاعات حتى يخطىء فيه، ويعصي الله تعالى في مواطنه؛ وأما النَّهار: فإنّه خلق مشهوداً من الناس فينبغي مِنْ كلِّ فطنٍ أن يطيع الله فيه أيضاً، لا يتظاهر بين الناس بالمخالفة، وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطىء سراً أو جهراً؛ لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك: «وأنا أغفر الذنوب جميعاً» فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف، وأكَّدها بقوله:

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٩) في الإيمان. باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب من حديث العباس رضي الله عنه.

«جميعاً»، وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالاستغفار؛ لئلا يقنط أحدٌ مِنْ رحمة الله لعظم ذنبٍ ارتكبه. انتهى.

وقوله: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري...» إلخ. الضَّرُّ ـ يفتح أوله، ويضم ـ: الضرر، ضدُّ النفع، وهو منصوب بنزع الخافض، أو لن تصلوا إلى ضرري، كذا في بعض شروح الأربعين؛ قال الأزهري: كلُّ ما كان سوءَ حالٍ وفقرٍ، وشدَّة في بدنٍ؛ فهو ضُرّ بالضم؛ وما كان ضدَّ النفع؛ فهو بفتحها. انتهى.

ولما كانت الجبلَّة والعادة في الخلق أن يوصل بعضهم إلى بعضٍ نفعاً، أو ضرّاً، وكان هذا مألوفاً لهم فيما بينهم، فإذا رأيت إحساناً من أحدٍ، أو إساءةً من أحدٍ إليك فتجتهد لأن توصل إليه نظير صنعه من خيرٍ، أو شرٍّ، أو منفعةٍ، أو مضرَّة فالناس وراء المنافع أياً كان وكلٌّ بحسبه، أراد المولى جلَّ ذكره أن يبيِّن لخلقه وعبيده: أنه سبحانه لا يصله شيء من طاعتكم، فينتفع به، ولا يصله شيء من معصيتكم فتضرونه به؛ بل أعمالكم الطيبة الصالحة تثابون عليها يوم القيامة، وتنتفعون بها في الآخرة، وكذلك أعمالكم الخبيثة، فإنَّكم تجازون عليها يوم الموقف الأعظم، وتعذبون بسبب ما ارتكبتموه من الأمور المخلة، فليجتهد كلُّ إنسان: ويدَّخرْ لنفسه من الأعمال الصالحات ما يعود نفعُه عليه في وقت شدَّة حاجته إليه، وليجهدْ نفسه على منعها من ارتكاب ما يخلُّ بالآداب الإنسانية، والقواعد الشَّرعية لئلا يكون وزرُ ذلك عليه في يومٍ لا شفيع يشفع إلا بإذن الله سبحانه وتعالى. قال قتادة: إنَّ الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً به عليهم، ولكن أمرهم بما فيه صلاحُهم، ونهاهم عما فيه فسادُهم.

وقد ورد في ذلك آياتٌ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١] أي: لم يزل كذلك. وقال حاكياً عن موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨] وقال: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقال: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وقال: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧] والمعنى والله أعلم: أنه تعالى يحبُّ من عباده أن يتقوه، ويطيعوه، كما أنه يكره منهم أن يعصوه. ولهذا يفرح بتوبة التائبين أشدَّ من فرح من ضلَّت راحلتُه التي عليها طعامُه، وشرابُه بفلاةٍ من الأرض، وطلبها حتى أعيا، وأيس منها، واستسلم للموت، وأيس من الحياة، ثم غلبته عيناه فنام، واستيقظ، فإذا

هي قائمة عنده. وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح والسرور، وهذا كلُّه مع غناه عن طاعات عباده، وتوبتهم إليه، وأنه إنما يعود نفعها إليهم دونه، ولكن هذا من كمال جوده، وإحسانه إلى عباده، ومحبته لنفعهم، ورفع الضر عنهم، فهو يحبُّ من عباده أن يعرفوه، ويحبُّوه، ويخافوه، ويتَّقوه، ويطيعوه، ويتقرَّبوا إليه، ويحبُّ أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب أحدٌ غيره، وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده، كما في رواية عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذرٍّ لهذا الحديث: «مَنْ علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة ثم استغفرني؛ غفرت له، ولا أبالي»(١). وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «واللهِ للهُ أرحمُ بعباده من الوالدة بولدها»(٢).

وقوله: «يا عبادي! لو أنَّ أولكم وآخركم. . . إلخ» بعد ما ذكر الله تعالى أنه جلَّ ذكره لا ينتفع من عباده بطاعتهم إيَّاه، ولا يحصل له ضررٌ بسبب عصيانهم إيَّاه، بل الانتفاعُ والضَّررُ عائدان عليهم، ومجازون بذلك، عقَّب ذلك بأنَّ ملكه جلَّ ثناؤه لا يزيدُ بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررةً، أتقياء، قلوبُهم على قلب أتقى رجلٍ منهم، كذلك لا ينقص ملكه بمعصية العاصين، ولو كان جميع الإنس والجنِّ عصاةً، فجرةً، قلوبُهم على قلب أفجر رجلٍ منهم، فإنَّه سبحانه الغني بذاته عمَّن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فملكه ملكٌ كامل لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه على أي وجهٍ كان، وفيه دليل على أنَّ الأصل في التقوى والفجور هي القلوب، فإذا بـرَّ القلب، واتَّقى؛ برَّت الجوارح، وإذا فجر القلب؛ فجرت الجوارحُ. أفاده الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم بنوع تصرفٍ.

وقوله: «ولو أنَّ أوَّلكم، وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. . . إلخ» الصعيد: وجه الأرض، وظاهرها؛ أي: في مقامٍ واحد. وقوله: فسألوني؛ أي: في تلك الحالة بألسنةٍ مختلفةٍ حوائج مؤتلفة. قال السعد: وقيَّد السؤال بالاجتماع في صعيد واحدٍ؛ لأنَّ تزاحم الأسئلة، وترادف الناس في السؤال مع كثرتهم، وكثرة مطالبهم؛ بما يضجر المسؤول منه، ويدهشه، وذلك يوجب حرمانهم، وتخييبهم؛ أي: تعسُّر إنجاح مطالبهم، وإسعاف مآربهم. وليس كذلك في حقه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٥٤) والترمذيُّ رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه نقول في إسناده ضعف وأكثره في صحيح مسلم رقم (٢٥٧٧).

(٢) رواه البخاري رقم (٥٩٩٩) ومسلم رقم (٢٧٥٤) في الفضائل من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

سبحانه، وتعالى. وفيه إشارة إلى كمال قدرته سبحانه وتعالى، وكمال ملكه، وأنَّ ملكه وخزائنه لا تنفد، ولا تنقص بالعطاء. ولو أعطى الأولين والآخرين من الجنِّ والإنس جميع ما سألوه في مقامٍ واحد. وفي ذلك حثُّ الخلق على سؤاله، وإنزال حوائجهم به. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إذا دعا أحدُكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت! ولكن ليعزم، وليعظم الرغبة، فإنَّ الله لا يتعاظمه شيء»[1]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدُ الله ملأى، لا يغيضها نفقةٌ سحاء الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربُّكم منذ خلق السموات والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يمينه»[2]. وقوله: «لا يغيضها» أي: ينقصها، وقال أبو سعيد الخدري: إذا دعوتم الله؛ فارفعوا في المسألة، فإنَّ ما عنده لا ينفده شيءٌ، وإذا دعوتم؛ فاعزموا، فإنَّ الله لا مستكره له.

وقوله: «لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر» المخيط، والخياط: ما يخاط به، وهي الإبرة، إذ الفعال، والمفعل، والمفعال من صيغ الآلات التي يفعل بها، كالمسعر، والحلاب، والميشار، وهو بكسر الميم، وإسكان الخاء، وفتح الياء. وقوله: «أُدخِل البحرَ» بصيغة المجهول، ونصب البحر على ثاني المفعول، وهذا التشبيه من باب تشبيه المفعول بالمحسوس للتفهيم، وقوله ذلك لتحقيق أنَّ ما عنده لا ينقص البتة، كما قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فإنَّ البحر إذا غُمِسَتْ فيه إبرة، ثم أُخْرِجَتْ لم تنقص من البحر بذلك شيئاً، وكذلك لو فرض: أنه شرب منه عصفور مثلاً، فإنه لا ينقص من البحر البتة، ولهذا ضرب الخضرُ لموسى عليهما السلام هذا المثل في نسبة علمهما إلى علم الله عزَّ وجل، وذلك لأنَّ البحر لا يزال تمدُّه مياه الدُّنيا، وأنهارها الجارية، فمهما أخذ منه لم ينقصه شيء؛ لأنه يمدُّه ما هو أزيد مما أخذ منه، وهكذا طعام الجنة وما فيها، فإنه لا ينقص، كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ ـ ٣٣] وقد تبيَّن في الحديث الذي خرَّجه الترمذي، وابن ماجه السبب الذي لأجله

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٣٣٨) من حديث أنس رضي الله عنه ومسلم رقم (٢٦٧٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٧٤١١). ومسلم رقم (٩٣٣). والترمذي رقم (٣٠٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا ينقص ما عند الله بالعطاء بقوله: «ذلك بأني جوادٌ، واجدٌ، ماجدٌ، أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ، وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردت إنما أقول له كن، فيكون»[1].

وقال بعضهم في ذلك:

لا تخضَعَـنَّ لمخلـوقٍ علـى طمـعٍ ... فـإنَّ ذاك مضـرٌّ منـك بـالـدِّيـن

واستـرزقِ الله ممـا فـي خـزائنـهِ ... فـإنَّمـا هـي بيـن الكـاف والنـون

لما بين الله جلَّ جلاله كمال قدرته، وتمام ملكه، وسعة نعمائه، وقوة نفوذه؛ أراد أن يبين لخلقه: أنه تعالى ذكرُه مع كونه موصوفاً بهذه الصفات الفائقة الحدِّ، والحصر، فلا يترك لعبدٍ من عباده عملاً من الأعمال قلَّ، أو كثر، صَغُرَ، أو عَظُمَ خيراً، أو شرّاً إلا أحصاه، وكتبه عليه، ثم يردُّ عليه جزاء ذلك، ويوفيه له على حسبه تاماً لا ينقص منه شيئاً.

قال الإمامُ العلاَّمةُ أبو العبَّاس تقي الدِّين أحمدُ بن تيمية في شرح هذه الجملة: فبين: أنَّه محسنٌ إلى عباده في الجزاء على أعمالهم الصَّالحة إحساناً يستحقُّ به الحمد؛ لأنَّه هو المنعمُ بالأمر بها، والإرشاد إليها، والإعانة عليها، ثم إحصائها، ثم توفية جزائها، فكلٌّ ذلك فضلٌ منه، وإحسانٌ؛ إذ كلُّ نعمةٍ منه فضل، وكلُّ نقمة منه عدل، وهو وإن كان قد كتب على نفسه الرحمة، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، كما تقدم بيانُه؛ فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلاً، لا فضلاً؛ لأنَّ ذلك إنما يكون لكون بعض الناس أحسنَ إلى البعض، واستحقَّ المعاوضة، وكان إحسانُه إليه بقدرة المحسن دون المحسن إليه، ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخصَّ أحدُهما بالتفضُّل على الآخر لتكافئهما، وهو قد بيَّن في الحديث: أنَّ العباد لم يبلغوا ضرَّه، فيضروه، ولن يبلغوا نفعه، فينفعوه، فامتنع حينئذٍ أن يكون لأحدٍ من جهة نفسه عليه حقٌّ، بل هو الذي أحقَّ الحقَّ على نفسه بكلماته، فهو المحسن بالإحسان، وبإحقاقه، وكتابته على نفسه، فهو في كتابة الرَّحمة على نفسه، وإحقاقه نصر عباده المؤمنين، ونحو ذلك محسنٌ إحساناً مع إحسان، فليتدبَّر اللبيبُ هذه التفاصيل التي يتعيَّن بها فصلُ الخطاب في هذه المواضع التي عَظُمَ فيها الاضطرابُ فمن بين موجبٍ على ربِّـه بالمنع أن يكون محسناً متفضلاً، ومن بين مسوٍّ بين عدله

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٥٤). والترمذي رقم (٢٤٩٧) وابن ماجه رقم (٤٢٥٧) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، وغالب فقراته في مسلم.

وإحسانه، وما تنزه عنه من الظلم والعدوان، وجاعل الجميع نوعاً واحداً، وكلُّ ذلك حَيْدٌ عن سَنَنِ الصِّراط المستقيم، والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السبيل.

وكما بيَّن أنَّه محسنٌ في الحسنات، متمٌّ إحسانه بإحصائها، والجزاء عليها؛ بيَّن أنَّه عادلٌ في الجزاء على السيئات، فقال: «ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» كما تقدم بيانه في مثل قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١] وعلى هذا الأصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التي فطر الناس عليها كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاريُّ عن شدَّاد بن أوس، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «سيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنت»[1]. ففي قوله: «أبوء لك بنعمتك عليَّ» اعتراف بنعمته عليه في الحسنات، وغيرها. وقوله: «وأبوء بذنبي» اعتراف منه بأنّه مذنبٌ، ظالمٌ لنفسه، وبهذا يصير العبد شكوراً لربِّه، مستغفراً لذنبه، يستوجب مزيدَ الخير، وغفرانَ الشرِّ من الشكورِ والغفورِ الذي يشكر اليسيرَ من العمل، ويغفر الكثيرَ من الزَّلل.

وقد ورد في إحصاء أعمال العباد وتوفيتهم إيّاها بالجزاء عليها آياتٌ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] وقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وقوله: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] إلى غير ذلك.

وقوله: «ثم أوفيكم إياها» الظاهر: أنَّ المراد توفيتها يوم القيامة، كما قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ويحتمل أنَّ المراد: يوفي عباده جزاء أعمالهم في الدنيا، والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] وقد رُويَ عن النبي ﷺ: أنَّه فسر ذلك بأن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٢ و١٢٤). والبخاري رقم (٦٣٠٦) في الدعوات و(٦٣٢٣) وفي الأدب المفرد رقم (٦١٧). والنَّسائي (٨/ ٢٧٩) و(٢٨٠) في الاستعاذة. والترمذي رقم (٣٣٩٣). والبغوي رقم (١٣٠٨). وابن حبان رقم (٩٣٢) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدُّنيا، وتدخر لهم حسناتهم في الآخرة، فيوفون أجورهم، وأمَّا الكافر: فإنَّه يُعجَّلُ له في الدنيا ثوابُ حسناته، وتدَّخر له سيئاتُه، فيعاقب بها في الآخرة، ويوفيه جزاءها من خيرٍ، أو شرٍّ، فالشرُّ يجازى به مثله من غير زيادة إلا أن يعفوَ الله عنه، والخيرُ تضاعفُ الحسنة عنه بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلم قدرها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] أفاده الحافظ ابن رجب.

وقوله: «فمن وجد خيراً فليحمد اللهَ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» أي: فمن وجد ما يثاب عليه من الخير فليحمدِ الله تعالى على توفيقه لطاعته، وليعلمْ أنَّه من فضل الله ورحمته، ومن وجد غير ذلك الخير ـ وهو الشر ـ أو ما لا ثواب عليه؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه ولذا ورد: «ليس يتحسَّر أهلُ الجنة يوم القيامة إلا على ساعةٍ مرَّتْ بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها»(1)، فمن وجد غير محض الخير، ولو لم يكنْ صريحَ الشرِّ؛ ينبغي أن يلومَ نفسه في مقام المراقبة، وحال المحاسبة، ولذا قال الشيخ البستي:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ ... ورِبْحُه غير محضِ الخير خُسْرانُ

فلا يلومنَّ إلا نفسه لبقائها على الظلمة الأصلية لها، فآثرت شهواتها، ومستلذاتِها على رضا خالقها، ورازقها، فكفرت بنعمه، ولم تذعنْ لحكمهِ، فاستحقَّتْ أن يعاملها ربُّها بمقتضى عدله، وأن يحرمَها من أيادي كرمه وفضله.

ففي الحديث إشارةٌ إلى أنَّ الخير كلَّه فضلٌ من الله على عبده من غير استحقاق، والشرَّ كله من عند ابن آدم من اتباع هوى نفسه، كما قال عز وجل: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] فالله سبحانه وتعالى إذا أراد توفيق عبدٍ، وهدايته أعانه، ووفقه لطاعته، وكان ذلك فضلاً منه ورحمة؛ وإذا أراد خذلان عبدٍ وكَّله إلى نفسه، وخلَّى بينه وبينها، فأغواه الشَّيطانُ لغفلته عن ذكر الله فاتبع هواه، وكان أمره فرطاً. وكان ذلك عدلاً منه، فإنَّ الحجةَ قائمةٌ على العبد بإنزال الكتب، وإرسال الرُّسل، فما بقي لأحدٍ من الناس على الله حجةٌ بعد الرسل. . . إلخ.

وقوله: «فمن وجد خيراً. . إلخ» يحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، ويحتمل أن يكون ذلك في الآخرة. أما الأول فيكون حينئذ مأموراً بالحمد لله على ما وجده من جزاء

---

(١) رواه ابن السُّنِّي رقم (٣) والطبراني في الكبير رقم (٢٠/ ٩٣) من حديث معاذ ابن جبل رضي الله عنه وهو حديث حسن.

الأعمال الصالحة الذي عجل له في الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] ويكون مأموراً بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التي وجد عاقبتها في الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١] فالمؤمن إذا أصابه في الدنيا بلاءٌ؛ رجع إلى نفسه باللَّوم، ودعاه ذلك إلى الرُّجوع إلى الله بالتوبة، والاستغفار. روى الإمامُ أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه قال: «إنَّ المؤمن إذا أصابه سَقَمٌ، ثم عافاه الله منه؛ كان كفارةً لما مضى من ذنوبه، وموعظةً له فيما يستقبل من عمره. وإنَّ المنافقَ إذا مرض، وعوفي؛ كان كالبعير عَقَلَه أهلُه، وأطلقوه، لا يدري بما عقلوه، ولا بما أطلقوه»[١].

وإن كان المراد الثاني كان إخباراً منه بأنَّ الذين يجدون الخير في الآخرة يحمدون الله على ذلك، وأنَّ مَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه حين لا ينفعه اللَّوم، فيكون الكلامُ لفظهُ لفظُ الأمر، ومعناه الخبر، كقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». والمعنى: أنَّ الكاذب عليه ﷺ يتبوأ مقعده من النار. وفي هذا الباب آياتٌ، وأحاديثُ كثيرة في هذا المعنى، وفيما ذكرناه كفايةٌ لمن ألقى السمع وهو شهيد. والله أعلم.

٤٩ ـ «إنِّي لأهُمُّ بأهْلِ الأرْضِ عَذاباً، فإذا نَظَرْتُ إلى عُمَّارِ بُيُوتي، والمُسْتَغفرينَ بالأسْحارِ؛ صَرَفْتُ عَذابي عنْهُم»[٢]. رواه البيهقي عن أنس.

ش ـ عمَّارُ البيوتُ تقدم الكلام عليه قبلُ، وهم المصَلُّون في المساجد، المحافظون على الصلوات في الجماعات. والأسحار: وقتُ السحر، وهو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار. والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى ليعزم بتعذيب المخالفين من أهل الأرض بسبب ما ارتكبوه من الآثام والمعاصي، فينظر إلى المصلِّين، وعمَّار

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٨٩) في الجنائز، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (٩٠٥١) وابن عدي في الكامل (٤/ ٦٠). وفي إسناده صالح بن بشير المرِّي ضعيف. من حديث أنس رضي الله عنه نقول وإسناده ضعيف.

بيوته، والمستغفرين وقت السَّحر فيحمله على العفو، فيصرف عذابَه عنهم إكراماً للمطيعين تفضلاً منه، وإحساناً.

٥٠ ـ «إنِّي لأستَحي مِنْ عَبدِي وأَمَتِي يَشيبَان في الإسلام، فتشيبُ لحْيةُ عَبدِي، ورأسُ أمَتي في الإسْلامِ، أعَذِّبهما في النَّار بعدَ ذلك»[١]. رواه أبو يعلى عنه.

ش ـ الشيبُ: ابيضاض في الشَّعر المسود. والمراد به هنا ـ والله أعلم ـ: بلوغُ سنِّ الكبر؛ لأن الإنسان قد يشيبُ وهو حدث السنِّ، وليس مراداً هنا. والأمةُ: المرأة.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى يستحي أن يعذِّبَ عبده، وأمته إذا شابا في الإسلام، فكيف لا يستحي العبد والأمة أن يعصيا الله وهما على هذه الحالة؟! ففيه توبيخٌ، واستنكارُ فعل مَنْ هذا حالُه. وذكر المدنيُّ في كتابه حديثاً آخر، ولفظه: «وعزَّتي وجلالي، وجودي، وفاقة خلقي، وارتفاعي، وعزّ مكاني لأستحيي من عبدي، وأمتي يشيبان في الإسلام» ثم بكى رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: «أبكي ممن يستحي الله منه، ولا يستحي من الله» أخرجه ابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الزُّهد. والرافعي عن أنس، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. والله أعلم.

٥١ ـ «إنِّي لَسْتُ على كلِّ كلامِ الحَكيم أُقْبِلُ، ولكنْ أُقبِلُ على همِّه، وهَواهُ فيما يُحبُّ اللهُ ويَرْضى، جَعلْتُ حِكْمتَه حَمْداً للهِ ووَقاراً وإن لمْ يتكلَّمْ»[٢]. رواه ابنُ النجَّار عن المهاجر بن حبيب.

ش ـ الحكيم: قال صاحب النهاية: فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء، ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل. وقيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة: عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات،

---

(١) رواه أبويعلى رقم (٢٧٦٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/٥) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه: نوح بن ذكوان، وغيره من الضعفاء. نقول: وفي إسناده أيضاً سويد بن سعيد ضعيف، وعنعنه الحسن البصري، فالحديث ضعيف.

(٢) ذكره المتقي الهندي جـ/٣/ ورقم (٧٢٤١) وقال: رواه ابن النجار عن المهاجر بن حبيب، وإسناده ضعيف، وهو مرسل.

ويتقنها: حكيم. انتهى. وقيل: الحكمة عبارة تفيد أدباً أو عظةً، أو تجري مجرى المثل. والهوى: مصدر هواه: أحبه، وشرعاً: ميل النفس إلى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع. والوقار ـ بفتح الواو ـ: الحلمُ، والرزانة، والعظمة. والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يُقبل على كلِّ كلام الحكيم؛ لأنَّ فيه ما يكون تبعاً لهواه وحظِّه، وما يكون تبعاً لمرضاة الله جلَّ ذكره وأمره فالله يقبل على كلامه؛ إذا كان همُّه وهواه فيما يحبه الله، ويرضاه. وزيادة على ذلك: فإنَّ الله تباركت أسماؤُه يجعل حكمته حمد الله، ويزينه بالوقار، والعظمة، والهيبة. وإنْ لم يتكلمْ بالحكمة، وهذا دليلٌ على أنَّ الإنسان مهما اتصف بالكمال، والعقل، والأدب، والحكمة، وغير ذلك من الصفات الحميدة لا تحليه، وتزينه، وتورثه عظمة، وحلماً، وعظة إلا إذا كان يميل إلى ما يحبُّه الله جلَّ اسمه؛ بأن يفعل المأمورات، ويجتنب المنهيات، ويتَّبع الرسل في كلِّ ما جاء من الأحكام، والآداب، والأخلاق، ولذلك ورد في الحديث عن الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبعاً لما جئت به»[1]. ولا شكَّ أنَّ المؤمن كامل الإيمان لا يكونُ هواه إلا تبعاً لما جاء به الدِّينُ الحنيف. ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أفضلَ الخلق لما خصوا بالمزايا والصفات الكاملة، أعلاها: الميل إلى ما جاءت به الشريعة السمحة؛ التي ليلُها كنهارها في الإضاءة، والوضوح، كان أحدهم يقاتل أباه، وابنه وهو في صف المؤمنين، وهما في حيِّز الكافرين المشركين، بذلوا ـ رضي الله عنهم ـ في طريقه مهجَهم، وأنفقوا أموالهم، فطوبى لهم! فمن كان الهوى ـ وهو الباطل ـ المطاع المحبوب الاتباع تابعاً لطرق الهدى من الملة البيضاء، والسنة الزهراء حتى تصير همومه المختلفة، وخواطره المتفرقة؛ التي تنبعث من هوى النفس، وميل الطبع هما واحداً، يتعلق بأمر ربه، واتباع شرعه؛ تعظيماً لحقه، وشفقةً على خلقه، كما قيل:

كانت لقلبي أهواءٌ مفرقةٌ ... فاستجمعتْ إذ رأتك العينُ أهوائي
وصار يحسُدني مَنْ كنتُ أحسدُهم ... وصرتُ مولى الورى إذ صرتُ مولائي
تركتُ للخلقِ دنياهم ودينَهم ... شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥). والبغوي في شرح النسة (١٠٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير نعيم بن حمَّاد ضعيف لكثرة خطئه، وقد اتهمه بعضهم، وذكر ابن رجب الحنبلي عللاً أخرى في شرح الأربعين النووية، فراجعه.

فلا يميل إلا بأمر الشَّرع، ولا يهوى إلا حكم الطَّبع، فهو المؤمنُ الكاملُ الوحيدُ الذي يقبل منه التوحيد. ومن أعرض عنه متَّبعاً لهواه، مبتغياً لرضاه؛ فهو الكافرُ الخاسرُ في دنياه، وعقباه، ومن اتَّبع أصول الشريعة دون فروعها؛ فهو الفاسقُ، ومن عكس؛ فهو المنافق، والله أسألُ هداية الأمم أجمع إلى اتِّباع الدِّين الإسلامي، والأخذِ بمبادئه والتحلِّي بمحاسنه!

قال الحافظ زينُ الدِّين بن رجب: فجميعُ المعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتِّباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وكذلك البدع: إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشَّرع، ولهذا يسمَّى أهلُها: أهلُ الأهواء، وكذلك المعاصي: إنما تقعُ من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه، كذلك حبُّ الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبَّة الله، ومحبَّة مَنْ يحبُّه الله من الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصدِّيقين، والشهداء، والصَّالحين عموماً، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان أن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وتحريم موالاة أعداء الله وما يكرهه الله عموماً. انتهى. والله أعلم.

٥٢ ـ «إنِّي والجنَّ والإنسَ في نَبَأٍ عظيم، أخلُقُ، ويُعْبَدُ غيْرِي، وأرْزُقُ، ويُشْكَرُ غيْري»[١]. رواه البيهقيُّ، والحاكم عن معاذ، والديلميُّ وابنُ عساكر عن أبي الدرداء.

ش ـ أصل الجنِّ ـ بفتح الأول ـ: ستر الشيء عن الحاسَّة. يقال: جَنَّه الليلُ، وأجنَّه، وجنَّ عليه، فجنَّه، وأجنَّه: جعل له ما يجنُّه، كقولك: قبرتُه، وأقبرتُه، وسقيته، وأسقيته، وجنَّ عليه كذا: ستر عليه. قال الراغب: والجِنُّ ـ بكسر أوله ـ يقال على وجهين؛ أحدهما: للروحانيين المستترة عن الحواس كلِّها بإزاء الإنس، فعلى هذا تدخلُ فيه الملائكة، والشياطين، فكلُّ ملائكة جن، وليس كلُّ جنٍّ ملائكة، وعلى هذا قال أبو صالح: الملائكةُ كلُّها جنٌّ. وقيل: بل الجنُّ بعضُ الروحانيين، وذلك أنَّ

---

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٤٥٦٣) والديلمي رقم (٤٥٠٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وإسناده منقطع؛ لأنَّ عبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد لم يدركا أبا الدرداء.

الروحانيين ثلاثة: أخيار: وهم الملائكة، وأشرار: وهم الشياطين، وأوساط: فيهم أخيار، وأشرار وهم الجن، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١] إلى قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤]. والإنس: البشر، أو خلاف الجنِّ والملك، وسمِّي الإنسان بذلك؛ لأنه خُلِق خلقُه لا قوام له إلا بأنس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدنيٌّ بالطبع حيث إنَّه لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقومَ بجميع أسبابه. وقيل: سُمّي بذلك؛ لأنَّه عُهِد إليه فنسي.

(والنبأ): خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يحصل به علمٌ، أو غلبة ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرَّى عن الكذب، كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبيِّ ﷺ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا، كقوله: أخبرته بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا، قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ ـ ٦٨] وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] والله أعلم. أفاده الراغب.

والمعنى: أنَّ الله جل جلاله مع خلقه من إنسٍ وجنٍّ في نبأٍ وخبرٍ عظيم، وعجبٍ عجاب، فالله يخلق الخلق من عبادٍ، وجمادٍ، وشجرٍ، وحيوانٍ ويقدّر لهم الآجال والأرزاق، ويعبدون غيره من صنمٍ، ووثنٍ، وحجرٍ، ونارٍ، وشمسٍ، وقمرٍ، وهوىً، وشيطانٍ، يسدي نعمه على خلقه، ويشكرون غيره، ولا ينظرون إلى نعمائه. إن هذا العمل لفعلٌ مستبعد عند العقلاء، ومنكرٌ فظيع عند أهل الذكاء، فهل يليق بعاقلٍ أنْ يمرح في نعماء مولاه ولا يعبده، وهل يستحسنُ مِمَّنْ عرف يمينه من شماله، وميَّز بينهما أن يرتفع في رزق الله جلَّ ثناؤه ولا يشكره، بل يشكر غيره، إنَّ هذا لبهتانٌ عظيم.

وقوله: «رواه البيهقي... إلخ» البيهقيُّ: هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الذي قيل في وصفه: ما من شافعي إلا وللشافعي فضلٌ عليه غير البيهقي؛ فإنَّ له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وبسط موجزه، وتأييد آرائه، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٥٨ هـ.

والحاكم: هو الإمام الحافظ المحيط بالسنة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن الضبيِّ الطهماني النيسابوري الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيّع، وهو من المؤلفين العظام، له المستدرك، وتاريخ نيسابور، والإكليل، والأمالي، وغير ذلك من نفائس الكتب، أخذ العلم عن ألفي شيخ توفي سنة ٤٠٥ هـ.

والديلميُّ: نسبة إلى ديلم، وهي بلادٌ معروفة، وهو الإمام الحافظ شهردار بن

شيرويه الهمذاني المتوفى سنة ٥٥٨ هـ قال الحافظ عبد الرؤوف المناوي في شرحه الجامع الصغير ـ مسند الفردوس المسمَّى بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ـ: والفردوس للإمام عماد الإسلام أبي شجاع الديلمي، ألفه محذوفَ الأسانيد، مرتباً على الحروف؛ ليسهل حفظه، وأعلم بإزائها بالحروف للمخرجين، ومسنده لولده سيد الحفاظ أبي منصور بن شيرويه خرج مسند كلِّ حديث تحته، وسماه: إبانة الشبه في معرفة كيفية الوقوف على ما في كتاب الفردوس من علامات الحروف. انتهى.

وابن عساكر: هو الإمام الحافظ الكبير فخر الأمَّة ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي، صاحب التصانيف المفيدة النافعة، كتاريخ دمشق، والأطراف، المتوفى سنة ٥٧١ هـ.

٥٣ ـ «أَنَا الرَّحمٰنُ خَلقْتُ الرَّحِمَ، وشَقَقْتُ لهَا اسْماً مِنْ اسْمي، فمَنْ وَصَلَها، وَصلْتُه، ومَنْ قَطعَها، قَطَعْتُه، ومَنْ ثَبَّتَها، ثَبَّته، إنَّ رحمتي سبقت غضبي». رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذيُّ، وابن حبَّان، والحاكم، والبيهقيُّ، عن ابن عوف[١]: والحاكم، والخرائطيُّ، والخطيب، عن أبي هريرة[٢].

ش ـ الرَّحم ـ بفتح الراء وكسر الحاء المهملة ـ: يطلق على الأقارب، وهم مَنْ بينه وبين الآخر نسبٌ سواءٌ كان يرثه أم لا، سواءٌ كان ذا محرم أم لا، وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجَّح؛ لأنَّ الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام، وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام؛ وليس كذلك.

ووصلُ الرَّحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النَّسب والأصهار،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٣). والحميدي رقم (٦٥) وأبو داود رقم (١٦٩٤). والترمذي رقم (١٩٠٧). والحاكم (٤/١٥٨). والبغوي في شرح السنة (٢٤٣٣)، وابن حبان رقم (٤٤٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٤٩٨)، والحاكم في المستدرك (٤/١٥٧). وصححه الحاكم؛ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والتعطُّفِ عليهم، والرفقِ بهم، والرعايةِ لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا، أو أساؤوا، وقطع الرحم ضدُّ ذلك كله، يقال: وصل رحمه، يصلها، وصلاً، وصلةً، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل بينه وبينهم من علاقة القرابة والصِّهر، ومعنى شققت لها اسماً من اسمي: أي: أخرجتُ، وأخذتُ لها اسماً من اسمي الرحمن، فلها به علقة.

وقوله: «ومن ثبتها ثبته» هو من التثبيت، وهو بمعنى وصلها، وفيه تكرار مع ما قبله، وفي نسخةٍ: «ومن بتها» بالباء الموحَّدة، من البتِّ، وهو القطع، وهي موافقة لما في كتاب الإتحافات السنية للمدني. والله أعلم.

ففي الحديث تعظيمُ أمر صِلة الرَّحم، والعطفُ عليهم، وتفقُّدُ أحوالهم، وكلُّ شخص بحسب ما يليق بحاله. قال القرطبي: الرحم التي توصل عامةٌ وخاصةٌ، فالعامة: رحم الدين. وتجبُ مواصلتها بالتوادد، والتناصح، والعدل، والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة. وأما الرحم الخاصة: فتزيد النفقة على القريب، وتفقد أحوالهم، والتغافل عن زلاتهم، وتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك. قال الإمام الحافظ ابن أبي جمرة[1]: تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضَّرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمرُّ إذا كان أهل الرَّحم أهل استقامة، فإنْ كانوا كفاراً، أو فجاراً؛ فمقاطعتُهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصرُّوا أنَّ ذلك بسبب تخلُّفهم عن الحقِّ، ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب، أو يعودوا إلى الطريق المثلى. والله أعلم.

وقد جاء في كثيرٍ من الأحاديث أنَّ صلة الأرحام من أفضل الأعمال، منها: ما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «أفضل الفضائل أن تصلَ مَنْ قطعك، وتعطي مَنْ حرمك، وتصفح عَمَّنْ شتمك»[2] وروى

---

(١) ابن أبي جمرة ـ هو عبد الله بن سعد بن أبي جمرة، من العلماء بالحديث من آثاره مختصر الجامع الصحيح للبخاري. وشرح بهجة النفوس في سفرين توفي رحمه الله سنة (٦٩٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٨٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٨٩) وقال: رواه الطبراني وفيه زبان بن فائد: ضعيف. أقول: وفي إسناده أيضاً ابن لهيعة ضعيف. من حديث =

الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة! ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل مَنْ قطعك، وتعطي مَنْ حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»[1].

وقول المصنف: رواه أحمد، والبخاريُّ؛ أي: رواه أحمد في المسند، والبخاريُّ في الأدب المفرد، وعزا هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح إلى أصحاب السنن.

وأحمد رحمه الله تعالى: هو الإمام الحافظ، الورع، الزاهد، المجتهد، رأس أهل السنة والجماعة، ومؤسس المذهب الحنبلي، من أجمعت الأمة على جلالته، وأمانته، وحفظه، وإتقانه، شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

وقوله: «البخاريُّ»: هو الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، وقائد علمه، من أجمعت الأئمة على توثيقه، وأمانته، وتبحره، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وأغلب ما يعزى إليه في هذا الكتاب هو إلى صحيحه وجامعه.

وأبو داود: هو الإمام الورع، المتقن، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب السنن، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

والترمذي: هو الحافظ، الزاهد، الورع، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، صاحب السنن والعلل، المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.

وابن حبان: هو الإمام الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي البستي، صاحب التصانيف العظيمة، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ.

والخرائطي: هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر السائري، المتوفى سنة ٣٣٧ هـ وكتابه هذا الذي روى فيه هذا الحديث اسمه: مساوىء الأخلاق، نصَّ على ذلك محمد المدني في كتابه.

والخطيب: هو الإمام، الحافظ، المصنف، المؤرخ، محدِّث الشام والعراق

= معاذ بن أنس الجهني.

(١) رواه أحمد في المسند (٤/١٤٨)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٢)، وسكت عليه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٨٨) وقال: رواه أحمد، والطبراني، وأحد إسنادي أحمد ثقات. من حديث عقبة بن عامر، نقول: وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المتوفى سنة ٣٦٤ هـ.

٥٤ ـ «أَنَا اللهُ، خَلَقْتُ العِباد بعِلْمي، فَمَنْ أردْتُ بِهِ خيْراً؛ مَنحْتُـه خُـلُقاً حَسَنـاً، ومَـنْ أَرَدتُ بـهِ سُـوءاً؛ مَـنَـحْته خُـلُقـاً سَيِّـئاً»[١]. رواه أبو الشيخ عن ابن عمر.

ش ـ الخُلق ـ بضمِّ الخاء المعجمة، وضمِّ اللام ـ: السَّجية، والعادة، والطبيعة، والدِّين، والمروءة، وجمعه: أخلاق. قال صاحب النهاية: وحقيقته: أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة، وأوصافها، ومعانيها، ولهما أوصافٌ حسنةٌ وقبيحةٌ. والثواب، والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولذا تكررت الأحاديثُ في مدح حسن الخلق في غير موضع، كقوله ﷺ: «أكثر ما يدخل الناسَ الجنة تقوى الله وحسنُ الخلق»[٢] وقوله: «أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً»[٣] وقوله: «إنَّ العبد ليدرك بحسن خُلُقه درجةَ الصَّائم، القائم»[٤] وقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٥] وأحاديث من هذا النوع كثيرة. وكذلك جاء في ذمِّ سوء الخلق أحاديثُ كثيرة، وفي حديث عائشة: «كان ﷺ خُلقه القرآن»[٦] أي: كان متمسكاً

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ/٣/ ورقم (٥٢٣٤) وقال: رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩١ و٣٩٢)، والترمذي (٢٠٠٤) في البر والصلة، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٤) وصححه، ووافقه الذهبي. وابن ماجه رقم (٤٢٤٦) في الزهد، وابن حبَّان رقم (٤٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٠)، وأبو داود رقم (٤٦٨٢) في السنة، والترمذي رقم (١١٦٢) في الرَّضاع، والبغوي في شرح السنة رقم (٣٤٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩٠ و٩٤)، وأبو داود رقم (٤٧٩٨) في الأدب، والحاكم (١/ ٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣) وصححه الحاكم، وقال في التلخيص: على شرط مسلم. وهو كما قالا.

(٦) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩١). ومسلم رقم (٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بآدابه، وأوامره، ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم، والمحاسن، والألطاف، وفي حديث عمر: من تخلَّق للناس بما يعلم الله أنَّه ليس من نفسه شانه الله. أي: تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه، مثل: تصنع، وتجمل: إذا أظهر الصنيع، والجميل.

وقد رُوي عن السَّلف في تفسير حسن الخُلُق أقوالٌ نسأل الله تعالى أن يكمِّل أخلاقنا به، رُوِي عن الحسن أنه قال: حسنُ الخلق: الكرمُ، والبذلة، والاحتمال. وعن الشَّعبيِّ[1] قال: حسن الخلق: البذلة. والعطيةُ. والبشرُ الحسن. وكان الشَّعبيُّ رضي الله عنه كذلك، وعن ابن المبارك قال: هو بسط الوجه، وبذلُ المعروف، وكفُّ الأذى، وسئل سلام بن أبي مطيع[2] عن حسن الخلق، فأنشد شعراً:

تـــراه إذا مـــا جئتـــه متهلـــلاً ... كـأنَّـك تعطيـه الـذي أنـتَ سـائلـهُ

ولـو لـم يكـن فـي كفّـه غيـرُ روحـه ... لجـــادَ بهـــا فليتَّـــق الله ســـائلُـــه

هـو البحـرُ مِـنْ أي النَّـواحـي أتيتـه ... فلُجَّتُـه المعـروفُ والجـودُ سـاحلُـه

وقال الإمام أحمد: حُسْنُ الخلق ألاَّ تغضب، ولا تحقد، وعنه: أنه قال: حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس، وقال إسحاق بن راهويه[3]: هو بسطُ الوجه،

---

(١) الشعبي ـ هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الإمام علامة العصر، أبو عمرو الهمداني ثمَّ الشعبي، مولده في إمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رأى علياً رضي الله عنه وصلَّى خلفه، حدث عن سعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة. قال ابن عيينة: علماء الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه. توفي رحمه الله سنة (١٠٣)هـ.

(٢) سلام بن أبي مطيع، وهو الإمام الثقة القدوة، أبو سعيد الخزاعي، مولاهم البصري، قال أحمد بن حنبل: ثقة، صاحب سنة، توفي رحمه الله وهو مقبل من مكة سنة (١٦٤) هـ.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن راهويه هو الإمام الكبير شيخ المشرق، سيِّد الحفَّاظ، أبو يعقوب، مولده في سنة إحدى وستين ومئة. سمع من ابن المبارك، وعبيدة بن حميد، وعبد الرحمن بن مهدي، حدث عن بقية بن الوليد، ويحيى بن آدم، وأحمد بن حنبل. وهما من أقرانه. ومحمد بن إسماعيل البخاري. ومسلم بن الحجاج في صحيحيهما، قال سعيد بن ذؤيب: ما أعلم=

وألا تغضب، ونحو ذلك، قال محمد بن نصر[1]: وقال بعض أهل العلم: حُسْنُ الخلق: كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة، والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزَّالين إلا تأديباً، وإقامة الحدِّ، وكفُّ الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير، منكر وأخذاً بمظلمة المظلوم من غير تعدٍّ.

وقوله: «منحته» أي: أعطيته، والمعنى أنَّ الله جلَّ جلاله يخبرنا: أنه تعالى خلق الخلق بعلمه، لا يعزُب عن علمه شيء ـ في السموات ولا في الأرض ـ فمن أراد به خيراً من الناس؛ منحه، وأعطاه خلقاً حسناً، فيستعمل خلقه الحسن في معاملاته بينه وبين إخوانه المخلوقين، فلا يوصل إليهم أذى، بل يسعى لمنفعتهم أينما وجدوا، وحيث كانوا، ومن أراد الله به سوءاً؛ منحه، وأعطاه خلقاً سيئاً، فيستعمله بينه وبين المخلوقات، فتصدر عنه المساوىء، والنقائص، والإضرار بالناس، فتجد غالب أفعاله، وأكثر عمله في غير منفعة وثمرة مفيدة. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا لطرق السَّداد، ويسهِّل لنا مناهج الخير والفلاح.

وقوله: «رواه أبو الشيخ» هو الإمام حافظ أصبهان، ومسند زمانه أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ـ بالحاء المهملة والياء التحتية ـ الأنصاري، صاحب المنصفات النافعة، ويعرف بأبي الشيخ، المتوفى سنة ٣٦٩ هـ، وهو غير ابن حبان ـ بالباء الموحدة.

٥٥ ـ «أنَـا اللهُ، لا إلهَ إلا أنَا، خَلقْتُ الشَّرَّ، وقدَّرتُه، فَويْلٌ لمَنْ خَلقْتُ لهُ الشّرَّ، وأجْـرَيْـتُ الشَّرَّ علـى يـديـه»[2]. رواه ابن النجار عن أبي أمامة.

= على وجه الأرض مثل إسحاق. توفي رحمه الله ليلة نصف شعبان سنة (٢٨٨) هـ.

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ، مولده في بغداد سنة (٢٠٢)هـ، ومسكنه في سمرقند سمع يحيى بن يحيى التميمي، وإسحاق بن راهويه. حدث عنه أبو العباس السراج، قال أبو بكر الصيرفي: لو لم يصنف إلا كتاب القسامة لكان من أفقه الناس، كيف وقد وصنَّف سواه؟ توفي رحمه الله سنة (٢٩٤) هـ.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ/ ١/ ٥٨٧) وقال: رواه ابن النجار عن أبي أمامة رضي الله عنه وذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٣٣٥) وقال: رواه ابن =

ش ـ الشرُّ: السوء، والفسادُ، والظُّلم، والجمع: شرور، ومقابله الخير. قال الراغب الأصفهاني: الشرُّ الذي يرغب عنه الكلُّ، كما أنَّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلُّ، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وقال العلامة أبو بكر بن قيم الجوزية: الشرُّ يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه، وليس له مسمَّى سوى ذلك، فالشرور هي الآلام، وأسبابها، فالمعاصي، والكفر، والشرك، وأنواع الظلم هي شرورٌ؛ وإن كان لصاحبها فيها نوع غرض، وَلَذَّةٍ، لكنَّها شرورٌ؛ لأنها أسبابُ الآلام، ومفضيةٌ إليها، كإفضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها، فترتُّبِ الألم عليها، كترتب الموت على تناول السُّموم القاتلة، وعلى الذبح والإحراق بالنار، والخنق بالحبل، وغير ذلك من الأسباب التي تصيبه مفضية إلى مسبباتها، ولا بدَّ ما لم يمنع السببية مانعٌ، أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشدُّ اقتضاءً لضده كما يعارض سبب المعاصي قوة الإيمان، وعظمة الحسنات الماضية، وكثرتها، فيزيد في كميتها، وكيفيتها على أسباب العذاب، فيدفع الأقوى للأضعف، وهذا شأن جميع الأسباب المتضادَّة، كأسباب الصحَّة، والمرض، وأسباب الضعف، والقوة.

والشرُّ يضاف إلى الله جل ذكره إيجاداً، وخلقاً، لا فعلاً، وصفةً. وإلى الخلق فعلاً، وصفةً، لا خلقاً وإيجاداً، والشرُّ مسند إلى المخلوق المفعول، لا إلى خلق الربِّ تعالى الذي هو فعله وتكوينه، فإنه لا شرَّ فيه بوجه ما، فإنَّ الشرَّ لا يدخل في شيء من صفاته، ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى، فإنَّ ذاته لها الكمالُ المطلقُ الذي لا نقصَ فيه بوجهٍ من الوجوه. وأوصافه كذلك لها الكمالُ المطلقُ، والجلال التامُّ، ولا عيب فيها، ولا نقص بوجه ما، وكذلك أفعالُه كلُّها خيراتٌ محضة، لا شرَّ فيها أصلاً، ولو فعل الشرَّ سبحانه لاشتَقَّ له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، ولعاد إليه منه حكم، تعالى وتقدس عن ذلك. وما يفعله من العدل بعباده، وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خيرٌ محضٌ؛ إذ هو محضُ العدل، والحكمة، وإنما يكون شرّاً بالنسبة إليهم، فالشرُّ وقع في تعلقه بهم، وقيامه بهم، لا في فعله القائم به تعالى.

ونحن لا ننكر أنَّ الشرَّ يكون في مفعولاته المنفصلة، فإنَّه خالق الخير والشرِّ، ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال؛ أحدهما: أنَّ ما هو شر، أو متضمنٌ

= شاهين في شرح السنة عن أبي أمامة رضي الله عنه «وإسناد ضعيف».

للشر، فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً له، ولا فعلاً من أفعاله. والثاني: أن كونه شراً هو أمرٌ نسبيٌّ إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الربِّ، وتكوينه به، وشرٌّ من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان، هو من أحدهما خيرٌ، وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى خلقاً وتكويناً ومشيئةً لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطلع مَنْ شاء من خلقه على ما شاء منها وأكثرُ الناس تضيقُ عقولُهم عن مبادىء معرفتها، فضلاً عن حقيقتها، فيكفيهم الإيمان المجمل بأنَّ الله سبحانه الغني الحميد. وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه، أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده، فيستحيل صدورُ الشر من الغني الحميد فعلاً، وإن كان هو الخالق للخير والشرّ، فقد عرفت أنَّ كونه شراً هو أمر إضافي، وهو في نفسه خيرٌ من جهة نسبته إلى خالقه، ومبدعه، فلا تغفلْ عن هذا الموضوع؛ فإنه يفتح لك باباً عظيماً من معرفة الربِّ، ومحبته، ويزيل عنك شبهات حارتْ فيها عقول أكثر الفضلاء. انتهى.

وانظر إلى كلام صاحب الشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه كيف نزه ربه ومولاه عن ذلك بقوله: «لبيك وسعديك والخير في يديك والشرُّ ليس إليك»(١) قال العلامة أبو السعادات الحافظ مجد الدين بن الأثير(٢) في هذا الحديث: وهذا الكلام إرشادٌ إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، وأن تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساويها، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته وإثباته لها، فإنَّ هذا في الدُّعاء مندوبٌ إليه، يقال: يا رب السَّماء والأرض، ولا يقال يا رب الكلاب والخنازير وإن كان هو ربُّها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] اهـ.

وقوله: «وقدرته» من التقدير، وهو الحكم من الله سبحانه وتعالى بأن يكون كذا، أو لا يكون كذا، والقَدر بفتح الدال وإسكانها لغتان مشهورتان، حكاهما ابن قتيبة عن

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٧١)، والترمذي رقم (٣٤١٧ و٣٤١٨)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أبو السعادات ـ هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الشافعي، ولد سنة (٥٤٤)هـ نشأ بالجزيرة، ولقن بها دروسه الأولى. من مصنفاته (جامع الأصول في أحاديث الرسول) ﷺ. و(النهاية في غريب الحديث والأثر) توفي رحمه الله سنة (٦٠٦)هـ رحمه الله.

الكسائي، وقالهما غيره، وهو اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرت الشيء، وقدرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد.

قال الإمام العلامة محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: **واعلم أن** مذهبَ أهلِ الحق إثبات القدر، ومعناه: أنَّ الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفاتٍ مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدَّرها سبحانه وتعالى. وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدِّرها، ولم يتقدم علمُه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفةُ العلم ـ إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها ـ وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجلَّ عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً، وسمِّيت هذه الفرقة قدريةً لإنكارهم القدر. قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحدٌ من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله والشرُّ من غيره، تعالى الله عن قولهم. والله أعلم.

واعلم: أنَّ العبدَ وإن كان في الواقع مُقَدَّرٌ عليه فعل المعصية، ولا بدَّ من وقوعه البتة إلا أنه لم يفعله ولم يقدم على فعله إنجازاً لذلك، وامتثالاً لما قدِّر عليه، بل فعل ذلك مختاراً، ظاهراً، ميالاً لما تهواه نفسه وشهواته، لذلك كان مسؤولاً عنه، معاقباً عليه. قال العلامة أبو بكر بن قيم في «فوائده»: ربَّ ذو إرادة أمر عبداً ذا إرادة، فإن وفَّقه، وأراد من نفسه أن يعينه، ويلهمه؛ فعل ما أمر به، وإن خذله، وخلاه وإرادته ونفسه من هذه الحيثية لا يختار إلا ما تهواه نفسه وطبعه، فهو من حيث هو إنسان لا يريد إلا ذلك، ولذلك ذمَّه الله تعالى في كتابه من هذه الحيثية، ولم يمدحه إلا بأمر زائدٍ على تلك الحيثية، وهو كونه مسلماً، ومؤمناً، وصابراً، ومحسناً، وشكوراً، وتقياً، وبراً، ونحو ذلك وهذا أمرٌ زائدٌ على مجرّد كونه إنساناً، وإرادته صالحة، ولكن لا يكفي مجرَّدُ صلاحيتها إن لم تؤيد بقدرٍ زائدٍ على ذلك، وهو التوفيق، كما أنه لا يكفي في الرؤية مجرد صلاحية العين للإدراك إن لم يحصل سببٌ آخر من النور المنفصل عنها.

وقوله: «فويل» قال الأصمعي[1]: ويل: قبح، وقد يستعمل عن التحسر، ومن

---

(١) الأصمعي: وهو الإمام العلامة الحافظ حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي البصري =

قال: ويل وادٍ في جهنم؛ فإنه لم يُردْ أنّ ويلاً في اللغة هو موضعٌ لهذا، وإنّما أراد: من قال الله تعالى ذلك فيه؛ فقد استحقَّ مقراً من النار، وثبت ذلك له.

وقوله: «وأجريتُ الشرَّ على يديه» أي: أظهرته على يديه.

وقوله: «رواه ق» القاف إشارة إلى البيهقيِّ، وقد تقدمت ترجمته قريباً. والله أعلم.

٥٦ ـ «أنَا اللهُ، لا إلهَ إلا أنَا، مالكُ الملكِ، ومَليكُ المُلوكِ، قُلوبُ المُلوكِ في يَدِي، وإنَّ العِبَادَ إذا أطاعُوني؛ حَوَّلتُ قُلوبَ مُلوكِهم عَليْهم بالرَّأفةِ، والرَّحمةِ، وإنَّ العِباد إذا عَصوني؛ حَوَّلتُ قلوبَهمْ عليهمْ بالسُّخْط والنِّقمةِ، فسامُوهمْ سُوءَ العَذاب، فلا تَشغَلوا أنفُسكم بالدعاء على المُلوكِ، ولكنِ اشْغَلوا أنْفسكم بالذِّكْر، والتَّقرُّب؛ أكْفِكُمْ ملوكَكم»[1]. رواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء.

ش ـ قوله: «مالك الملك» وفي نسخة المدنيِّ: «ملك الملك» وهو تحريف، قال العلامة شهاب الدِّين الآلوسي[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] الملك: بالضم ـ على ما ذكره بعض أئمة التحقيق نسبة بين من قام به ومن تعلَّق، وإن شئت قلت: صفةٌ قائمةٌ بذاته، متعلقةٌ بالغير تعلّق التصرف التام المقتضي استغناء المتصرف، وافتقار المتصرف فيه، ولهذا لم يصحَّ على الإطلاق إلا لله تعالى جدُّه، وهو أخصُّ من المِلك ـ بالكسر؛ لأنَّه تعلُّقٌ باستيلاءٍ مع ضبطٍ وتمكُّنٍ من التصرف في الموضوع اللغوي وبزيادة كونه حقّاً في الشرع من غير نظر إلى استغناءٍ، وافتقار، فمالك الملك: هو الملك الحقيقي المتصرف بما شاء، كيف شاء، إيجاداً، وإعداماً، إحياء وإماتة، وتعذيباً، وإثابة من غير مشارك، ولا ممانع، ولهذا لا يقال: مالك الملك إلا على ضرب من التجوُّز. وحمل الملك على هذا المعنى أوفق بمقام

= اللغوي الأخباري، قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ماعبَّر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي توفي سنة (٢٢٥)هـ.

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٩٦٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه. وهب بن راشد. وهو متروك. نقول: وفي إسناده أيضاً المقدام بن داود. قال النسائي: متروك.

(٢) الآلوسي هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي. شهاب الدين أبو الثناء، مفسر محدث: من المجددين توفي رحمه الله سنة (١٢٧٠)هـ.

المدح. انتهى. والمَلِك ـ بفتح الميم وكسر اللام وتخفف ـ: من تولَّى السلطنة. وجمعه: ملوك.

وقوله (حولت) بالحاء المهملة؛ أي: غيَّرتُ، وحركتُ، والسَّخط ـ بفتح السين وضمها ـ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة. والنِّقمة ـ بكسر النون ـ: العقوبة. والسوم: أصله الذهاب للطلب، ويستعمل الذهاب وحده تارة، ومنه السَّائمة، وللطلب أخرى، ومنه: السَّوم في البيع، ويقال: سامه: كلفه العمل الشاق، والسُّوء: مصدر ساء، يسوء ويراد به السَّيىء، ويستعمل في كل ما يقبح، كأعوذ بالله تعالى من سوء الخلق، وسوء العذاب: أفظعه، وأشدُّه بالنسبة إلى سائره.

والمعنى: أن الله تباركت أسماؤه، وتنزَّهتْ صفاتُه يخبرنا أنَّه مالك الملك، ومالك الملوك، ليس لأحدٍ تصرُّف في الحقيقة، وإنما المتصرف في الملك والملكوت هو الله وحده، فإذا سكنت الرعيةُ إلى ما جاءت به الأنبياء، وعملوا بقوانين الشريعة، وتمسَّكوا بمبادئها، وأظهروا العدل والمساواة، فرحم الكبيرُ الصغيرَ، ووقَّر الصغيرُ الكبيرَ، ووصلوا الأرحام، وأعانوا المظلومين على خصومهم، وضربوا على أيدي الظالمين بسياطٍ من حديد حتى يفيؤوا إلى الحقِّ، ويتوبوا، وينوبوا إلى الله جلَّ ذكره، فإذا فعلوا ذلك؛ حرَّكتُ قلوب ملوكهم عليهم، وهديتُها، ووفقتُها للعطف على الرَّعية، والرحمة بعبادي الصالحين المطيعين، فلا يرى الملك، أو السلطان له لذة إلا السَّهر على رعيته، والنظر في مصالحهم، ومنافعهم، والأمن على أرواحهم وأموالهم، ويراقب العدوَّ، ويستعدُّ له، ولا يغفلُ عنه، فهمُّه راحةُ الرَّعية، واطمئنانها، وإنَّ العباد إذا عصوا الله تعالى، وخالفوا سنن رسله وأنبيائه، وعبثوا بالأحكام، وأظهروا الفسوق، والفواحش، وتعاملوا بالربا، وفشا الزنى، وحقَّر صغيرُهم كبيرَهم، وترك علماؤهم الوعظ، والتذكير، وصار أكبرُ همِّهم جمع الأموال التي هي حطامُ الدنيا، وغفلوا عن مصيرهم، ومآلهم، حرَّك الله عليهم قلوبَ ملوكهم بالغضب عليهم، والتنكيل بهم، فلا يلذ لملكهم إلا ما يؤذيهم، ويضرُّ بمصالحهم ومنافعهم، كما أخبر الله تعالى في القرآن الحكيم بقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩] وإذا علموا عبادي ذلك ـ أي: أنَّ كلّ شيءٍ من حركةٍ، وسكون بيدي، وكلَّ ما يقع في ملكي فأنا المتصرف فيه، المنفردُ بخلقه، وإيجادِه، لا يشاركني أحدٌ فيه، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على

الملوك إذا فعلوا ذلك بكم من سيئات الأعمال، وقبائح الأقوال، والتنكيل بكم، وهضم حقوقكم، واستيلاء قويكم على ضعيفكم، والاستبداد بكم، وحبس حريتكم، وغصب أموالكم؛ لأنه لا ينفعكم الدُّعاء، ولا ينصركم ربُّ الأرض والسَّماء؛ لأنه لا فعل لملككم، وسلطانكم أو لا قدرة له على ذلك حقيقةً، بل أنا الله الذي أقدرته على ذلك، وسلطته عليكم بحسب أعمالكم السيئة، ومخالفتكم لأحكامي وخروجكم على أمنائي، وعدم امتثالكم قوانين شرعي، وأخذكم بسنن أنبيائي.

والذي ينفعكم، ويدفع عنكم ما أنتم فيه؛ هو الإنابةُ إليَّ، والتوبةُ مما اقترفتموه من الذنوب والمعاصي، وإخلاص نياتكم في أعمالكم، وردُّ المظالم إلى أهلها، وإطاعةُ أنبيائكم، وامتثالُ أوامر علمائكم أهلِ التَّقوى والصَّلاح، وتشييدُ دعائم شريعتكم بإظهارها، والعمل بأحكامها، وعدم شغل أنفسكم بما لا يعنيكم، بل اشغلوا أنفسكم بالذِّكر الكثير الوارد عن النبي ﷺ، الثابت بالأحاديث الصحيحة، دون أوراد المشايخ أرباب الطرق القاطعة. يعني: وتقرَّبوا إليَّ بالأعمال الصالحات؛ أكفكم ملوككم السُّوء، وأعصمكم من العدو، وأغدق عليكم الخيرات والأرزاق، وأوفقكم للمبرات، وأبارك لكم في الأولاد والأموال.

وإذا عرفت هذا تعلم أنَّ ما حصل للمسلمين من التقهقر، والانحطاط في جميع الحالات إنما هو بسبب ما وقع منهم من المخالفات، وتقليد الأوربيين في مساويهم من الشرور، والفسوق، والخلاعة، وحروجهم عن أحكام شريعتهم الغرَّاء، وعدم تأسِّيهم بسيِّد الأنبياء والأولياء، وإظهار محاسن دينهم القويم، وكلُّه حسنٌ لا سيِّء فيه على الإطلاق كما هو ظاهر في القرآن الحكيم وسنن مَنْ بالمؤمنين رؤوف رحيم، اللهم اهد أمراءَنا، وعلماءَنا، ووفقهم لما يرضيك يا ربَّ العالمين!

وقوله: «رواه الطبرانيُّ» هو الإمام الحافظ، الحجَّة، المتقن، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي، اللَّخمي، الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ.

وقوله: «في الأوسط» هو اسم كتاب له في الحديث يسمَّى المعجم الأوسط، وله المعجم الكبير، والصغير، والأخير طُبع في الهند سنة ١٣١١ هـ، وانظر الكلام على المعاجم في كتاب النموذج صفحة ٥٠٥.

٥٧ ـ «أنا العزيزُ، مَنْ أرادَ عِزَّ الدَّارينِ؛ فلْيُطعِ العزيزَ»[(١)]. رواه الخطيب البغداديُّ عن أنس.

ش ـ العزيز: مِنْ عزَّ الشيء، يعِزُّ بكسر العين ـ أي: لا مثيل له، ولا نظير، من عزَّ الطعام في البلد: إذا تعذَّر وجوده عند الطلب «أو من عزَّ يعُز ـ بضم العين ـ بمعنى الغالب الذي لا يُغلب، ويَقهر، ولا يُقهر، أو من عزَّ يعَزُّ ـ بفتح العين ـ: إذا اشتدَّ وقوي. أو يكون عزيز بمعنى المعز، فعيل بمعنى مفعل، كالأليم بمعنى المؤلم، والوجيع بمعنى الموجع، وعلى الأول فلفظ العزيز يرجع إلى التنزيه، والثاني، والثالث إلى صفة من صفات الذات، وهي: القدرة، والرابع إلى صفات الفعل. ومنه: العزَّةُ، وهي حالةٌ مانعةٌ للإنسان من أن يُغلَب. ومدح الله سبحانه وتعالى بالعزَّة تارة وذم بها تارة أخرى. فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصافات: ١٨٠] ومن الثاني قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] وبيانُ ذلك: أنَّ العزة التي هي لله جلَّ وعلا، ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين رضوان الله عليهم هي الدائمة الباقية؛ التي هي العزَّةُ الحقيقة. والعزَّة التي هي للكافرين، والمخالفين هي التعزز، وهو في الحقيقة ذلٌّ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «كلُّ عزٍّ ليس بالله فهو ذلٌّ».

قال الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى» شرح أسماء الله الحسنى: العزيز: هو الذي يقلُّ وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعبُ الوصولُ إليه، فما لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة فيه لم يطلق عليه اسم العزيز، فكم من شيء يقلُّ وجوده ولكن لا يحتاج إليه فلا يسمَّى عزيزاً، وقد يكون بحيث لا مثل له ويحتاج إليه جداً، ولكن يسهل الوصول إليه فلا يسمَّى عزيزاً، كالشمس، فإنه لا مثلَ لها، والانتفاعُ بها عظيمٌ جدّاً، ولكنها لا توصف بالعزَّة؛ فإنه لا يصعب الوصول إليها فأما إذا اجتمعت المعاني الثلاثة في شيءٍ فهو العزيز؛ ثمَّ في كلِّ واحدٍ من هذه المعاني الثلاثة كمالٌ

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة (١/ ٢٣) وفي إسناده سعيد بن هبيرة كان يحدِّث بالموضوعات عن الثقات، وذكره ابن عرَّاق في تنزيه الشريعة (١/ ١٣٨) وقال: لا يصح. وقال: في إحدى طريقيه داود بن عفان، وفي الأخرى سعيد بن هبيرة العامري. وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة ص (٤٨٨) وقال: رواه الخطيب عن أنس مرفوعاً، وفي إسناده داود بن عفان بن حبيب النيسابوري كان يضع الحديث.

ونقصان، فالكمالُ في قلةِ الوجود: أنَّه يرجع إلى واحدٍ؛ إذ لا أقلَّ من الواحد، ويكون بحيث يستحيل وجودُ مثله، وليس هذا إلا لله، فإنَّ الشمس وإن كانت واحدةً في الوجود ولكنها ليست واحدة في الإمكان؛ لأنه يمكن وجود مثلها. وأما كونه منتفعاً به، فالكمال فيه أن يكون جميع المنافع حاصلة منه، ولا يحصل من غيره، وما ذاك إلا لله سبحانه وتعالى، فإنه هو المبدىء لوجود جميع الممكنات، فإنَّه سبحانه هو الذي يحتاج إليه كلُّ شيء في ذاته، وصفاته، وبقائه. أما صعوبة الوصول إليه؛ فالكمال فيه هو ألا يكون لأحدٍ قدرةٌ عليه، وتكون قدرته على الكلِّ حاصلةً، والحق كذلك؛ لأنَّه لا سبيل للعقول إلى الإحاطة بكنه صمديته، ولا سبيل للأبصار إلى الإحاطة بعظيم جلاله، ولا سبيل لأحدٍ من الخلق إلى القيام بشكر آلائه ونعمائه، فثبت أنَّ كمال هذه الصفات حاصلةٌ لله سبحانه وتعالى لا لغيره، فوجب القطعُ بأنه سبحانه وتعالى هو العزيزُ المطلق. والله أعلم.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبر أنَّه العزيزُ الغالب، الذي لا يغلبُه أحدٌ، ولا يقهره شيءٌ، بل هو القاهر فوق عباده، يفعل ما يشاء، ومَنْ أراد من عباده عزَّ الحياةِ الدنيا والآخرة؛ فليطعه يكنْ عزيزاً قوياً غالباً، وذلك بأن يجتنبَ المنهيات، ويفعلَ المأمورات، ولا يقولَ إلا خيراً. اللهم وفقنا لذلك، واهدِ العصاة من عبيدك يا رب!

٥٨ ـ «أنَا أغْنى الشُّركاء عَنِ الشِّرْكِ، فمَنْ عمِلَ لي عمَلاً أشْركَ فيهِ غَيْري؛ فأنَا منْه بَرِيءٌ، وهو للذي أشْرَكَ»[١]. رواه مسلم، وابنُ ماجه عن أبي هريرة.

٥٩ ـ «أنَا أغْنى الشُّركاءِ عنِ الشِّرْكِ، مَنْ عملَ عمَلاً أشْركَ مَعِي فيهِ غيْرِي؛ ترَكْتُهُ وشِرْكَهُ». رواه مسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة.

ش ـ الغنى ـ بكسر الغين المعجمة مقصوراً ـ يقال على أضرب، أحدها: عدم الحاجات، والفاعل منه: هو الذي لا يحتاج إلى أحدٍ في شيءٍ، وكلُّ أحدٍ يحتاج إليه هو الغني المطلق، ولا يشارك الله فيه غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] والثاني: قلة الحاجات، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٠١) و(٤٣٥) ومسلم رقم (٢٩٨٥) في الزهد، وأبو داود الطيالسي رقم (٢٥٥٩)، وابن ماجه رقم (٤٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] وذلك هو المذكور في قوله عليه الصلاة والسلام: «الغنى غنى النفس» والثالث كثرة القينات بحسب ضروب الناس، كقوله جلَّ ذكره: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦] وعلى هذا قوله ﷺ لمعاذٍ لما أرسله إلى اليمن في شأن الصَّدقة، تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم[1]، ولفظ «أغنى»: أفعل تفضيل؛ أي: أكثر غنىً من غيره، وليس على بابه؛ إذ لا غنى في الحقيقة بل الكلُّ محتاجٌ إليه.

والشُّركاء: جمع شريك، ومن هذه المادة الشَّركة، والمشاركة، وهو: خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء، أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، ومشاركة فرس وفرس في الكمتة، والدُّهمة.

قال الراغب: وشِرْكُ الإنسان في الدين ضربان؛ أحدهما: الشِّركُ العظيم، وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والثاني: الشِّرْكُ الصغير، وهو مراعاة غيرِ الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء، والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وقوله: «بريء» اسم فاعل؛ أي: خالص، ومفارق، وسالم منه، يقال: برئت من الشيء، أبرأ، براءةً، وأنا منه بريء: إذا أزلته عن نفسك، وقطعت سبب ما بينك وبينه، قال ابن الأعرابي[2]: البريء: المتفصي من القبائح، المتنحي عن الباطل

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٣٢) والبخاري رقم (٤٣٤٧) ومسلم رقم (١٩). وأبو داود رقم (١٥٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) ابن الأعرابي: هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، الإمام، المحدِّث، والقدوة، الصدوق، الحافظ، شيخ الإسلام أبو سعيد بن الأعرابي الصوفي، نزيل مكة، شيخ الحرم، كان كبير الشأن بعيد الصيت عالي الإسناد، توفي رحمه الله بمكة سنة (٣٤٠)هـ.

والكذب، البعيد من التهم، النقي القلب من الشرك، والبريء: الصحيح الجسم، والعقل.

والمعنى والله أعلم: أن هذا الفعل الذي اتصف به العبد، وصدر منه، لا يرضى به الله تبارك وتعالى، بل يسخطه.

وقوله في الحديث الثاني: «تركته وشركه» الشركُ هنا بمعنى العمل، والواو عاطفة بمعنى مع؛ أي: أجعله وعمله مردوداً مِنْ حضرتي.

والمعنى: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخبرَ: أنه أغنى الشُّركاء عن الشرك؛ أي: لا يصحُّ أن يكون له شريك، فإذا كان بعضُ الشركاء غني عن الشركاء، فالله أغنى عن ذلك، وأبعد فإذا عمل العبد عملاً فواجبٌ عليه أن يُخلِصَ فيه لله جلَّ ذكره، ولا يشرك فيه غيره جلَّ، وعزَّ، فإذا أشرك العبد بعملِهِ. غير الله تعالى؛ فهو مردودٌ عليه ذلك العمل، والله تعالى بريء من عمله ذلك. وعملُ العبد الذي أشرك فيه غير الله فليطلب جزاءه من الشريك الذي أشركه مع الله تعالى في عمله، وأنى له ذلك!

ففيه حثُّ العباد أن يخلصوا في أعمالهم؛ ليكون العمل مقبولاً، ويثاب عليه، ويكون ذخراً له في يومٍ هو أحوج ما يكون إليه. وفيه أيضاً: بيان غنى الله تعالى، وأنه أغنى الأغنياء، بل جميعُ الأغنياء محتاجون إليه، فهو الغني المطلق، وغيره فقيرٌ إليه، فلا ينبغي للعبد أن يطلب، أو يعمل شيئاً إلا لله جلَّ اسمه، وتعالت صفاته، والله أعلم.

وقوله: رواه مسلم، هو الإمام الحافظ الحجَّة صاحبُ الصحيح ـ الذي هو أصحُّ دواوين الإسلام في الحديث بعد صحيح البخاريِّ ـ وانظر الكلام على صحيحه في كتاب ـ نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية ـ صفحة ٥٧٢ ـ أبو الحسين مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ.

وابن ماجه هوالحافظُ الكبير، والمؤلفُ القدير، الإمامُ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه الربعي، صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ، المتوفى لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومئتين.

٦٠ ـ «أنا ثالثُ الشَّريكيْنِ ما لمْ يَخنْ أحدُهما صاحِبهُ؛ فإذا خانَه؛ خرَجْتُ مِنْ بيْنهما»[١]. رواه أبو داود، والحاكم عن أبي هريرة.

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٣٨٣) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢) والبيهقي في السنن (٦/ ٧٨). والدارقطني في السنن (٣/ ٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

ش ـ الشَّركُة فيها أربعُ لغات: فتح الشين، وكسر الراء، وكسر الشين، وسكون الراء، وقد تحذف الهاء مع ذلك، وهي لغة: الاختلاط، وشرعاً: ثبوتُ الحقِّ في شيءٍ لاثنتين فأكثر على جهة الشيوع. وقد تحدث الشركة قهراً كالإرث، أو باختيارٍ كالشركاء، والخيانة معلومة.

قوله: (أنا ثالث الشريكين) أي: معهما بالحفظ والبركة، أحفظ أموالهما، وأدرُّ عليهما الرزق والخير في معاملتهما.

قال العلامةُ الطيبي[1] رحمه الله: الشركة عبارةٌ عن اختلاط أموال بعضهم ببعض، بحيث لا يتميز، وشركة الله تعالى إياهما على الاستعارة، كأنَّه تعالى جعل البركة، والفضل، والرِّبح بمنزلة المال المخلوط فسمَّى ذاته تعالى ثالثاً لهما، وجعل خيانة الشيطان، ومحقه البركة بمنزلة المخلوط، وجعله ثالثاً لهما. قوله: (خرجت من بينهما) ترشيح للاستعارة انتهى.

والحديث سكت عنه أبو داود. انظر حكم ما سكت عنه أبو داود في كتاب نموذج من الأعمال الخيرية ص٦١٥، قال الزركشي في تخريج أحاديث الرافعي: هذا الحديث صححه الحاكم، وأعلَّه ابن القطان بالجهل بحال سعيد بن حيان والد أبي حيان؛ فإنَّه لا يعرف له حال، ولا يعرف راوٍ عنه غير ابنه، وقال الحافظ ابن حجر: ذكره ابن حبان في الثقات، وذكر: أنه روى عنه أيضاً الحارثُ بن يزيد.

٦١ ـ «أنَا أكْرَمُ، وأعْظَمُ عَفْواً منْ أنْ أسْتُرَ على مُسْلم في الدُّنْيا، وأفضحُه بعْد أنْ سَترْتُه، ولا أزالُ أغْفِرُ لِعبْدي ما استَغْفرني[2]». رواه الحكيم عن الحسن مرسلاً، والعقيلي عن أنس.

---

(١) الطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي. من علماء الحديث والتفسير والبيان، توفي سنة (٧٤٣)هـ.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص (١٣٨) عن الحسن مرسلاً، وابن عساكر (١٠/ ٢١٤) عن أنس رضي الله عنه، وفي إسناده سويد بن عبد العزيز قال أحمد: متروك الحديث. فالحديث ضعيف.

ش ـ قوله (أكرم وأعظم) هما على صيغةِ أفعل التفضيل، وليس على بابها، والعفو: المحو، والإزالة. يقال: عفت الدِّيار: إذا درست، وذهبت آثارها، وفي العرف: ترك المكافأة عند المقدرة قولاً وفعلاً، وقيل: هو السكون عند الأحوال المحركة للانتقام، فعلى هذا: العفو في حقِّ الله تعالى عبارةٌ عن إزالةِ آثار الذنوب بالكلية فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، ولا يطالبه بها يوم القيامة، وينسيها من قلوبهم لئلا يخجلوا عند تذكيرها، ويثبت مكان كلِّ سيئة حسنة، والعفو أبلغ من المغفرة؛ لأنَّ الغفران يشعر بالستر، والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، والعفو من أخلاق الأنبياء، والعلماء، والأصفياء، وقد جاء في العفو آياتٌ منها: قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ٤٠] وفي الباب أحاديث كثيرة، وهو يجمع أشرف وأكرم الخصال، وأفضل شمائل الجلال، وأعلى مراتب الكمال، وركنٌ متين، وحصنٌ حصين، من استند إليه، واعتمد عليه استنارت له الظلم، وأَمِنَ من عثرات القدم، وعُصِمَ من مواقع الندم.

ومما يحكى عن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: أنَّه دعا غلاماً له؛ فلم يجبه، ودعاه ثانياً، فلم يجبه، وهكذا ثالثاً، فقام إليه، فرآه مضطجعاً، فقال: يا غلام! أما سمعت الصوت؟ فقال: بلى سمعت! قال: فما منعك من الإجابة؟ فقال ثقتي بحلمك، واتكالي على عفوك، فقال عليٌّ رضي الله عنه: أنت حرٌّ لوجه الله تعالى.

وقوله: «رواه الحكيم عن الحسن» الحكيم: هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن المشهور بالحكيم الترمذي، صاحب كتاب: «نوادر الأصول» المتوفى مقتولاً ببلخ في حدود العشرين والثلاثمئة، وعاش نحواً من تسعين سنة، وقال صاحب «كشف الظنون»: المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومئتين، وهو وهم منه؛ لأنَّ الحافظ شمس الدين الذهبي صرَّح في كتابه «تذكرة الحفاظ»: أنه قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومئتين، وذكر الحافظ ابن حجر في كتابه (لسان الميزان) أنه عاش إلى حدود العشرين والثلاثمئة؛ لأن ابن الأنباري ذكر أنه سمع منه سنة ثماني عشرة وثلاثمئة، وقيل: إنه قُتل خمس وتسعين ومئتين. والحسن هو: الإمام شيخ الإسلام، ورئيس الزهاد، ورأس التابعين أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، المتوفى سنة عشر ومئة، وقد ذكرت له ترجمةً واسعةً في كتابي (نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية) فطالعها تجدْ فيها ما يبهرك.

والعقيلي هو: الإمام الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، هو صاحب كتاب (الضعفاء الكبير) المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمئة.

٦٢ ـ «أنَا أهلُ أنْ أُتَّقى فلا يجْعلُ معي إلهٌ، فمَنِ اتَّقى أنْ يَجْعَلَ معيَ إلهاً؛ فأنَا أهلٌ أنْ أغْفِرَ لهُ»(١). رواه أحمد، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وابن ماجه، والبزار، وأبو يعلى، والحاكم عن أنس.

قوله: «أن أُتَّقى» والتقوى في اللغة كما قال السيِّد الشريف: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية. وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به من فعل أو ترك. والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر. وقيل: أن ينفي العبد ما سوى الله تعالى. وقيل: المحافظة على آداب الشريعة، وقيل: في مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى. وقيل: ترك حظوظ النفس، ومباينة النهى، وقيل: ألاَّ ترى في نفسك شيئاً سوى الله. وقيل: ألاَّ ترى نفسك خيراً من أحد. وقيل: ترك ما دون الله. والمتبع عندهم هو الذي ألقى متابعة الهوى، وقيل: الاقتداءُ بالنبيِّ ﷺ قولاً وفعلاً، وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتنباب معاصيه. وأفضل صفة يتصف بها الإنسان التقوى؛ لأنَّ بها نجاحه، ودخوله في كنف الرحمن، لا يحتجب منهم، ولا يستتر، وقد جاء تفسيرها وصفة أهلها عن السلف الصالح رضي الله عنهم، فنورد لك جملة صالحةً لعلي أكونُ أنا وأنت ممن يتقي الله في جهره وسرِّه، فأقول، وبالله التوفيق:

قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: المتَّقون الذي يحذرون من الله عقوبته في

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٤٣)، والدارمي (٢/ ٣٠٢)، وابن ماجه رقم (٤٢٩٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، والترمذي رقم (٣٣٢٨)، وابن أبي عاصم في السنن رقم (٩٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي إسناده سهيل بن أبي حزم القُطَعي ضعيف. وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن دينار. قال سمعت أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم يقولون فذكروه مرفوعاً نحوه، أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٦/ ٢٧٨ فهو به حسن.

ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال الحسن البصري التابعي الجليل: المتقون اتقوا ما حرَّم الله عليهم، وأدَّوا ما افترض الله عليهم، وقال طلق بن حبيب[1]: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب، وأن تترك معصية الله، على نورٍ من الله، تخافُ عقاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك خيراً، فهو خيرٌ إلى خير. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تمام التقوى أن يتَّقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعضَ ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً ما يكون حجاباً بينه وبني الحراك، فإنَّ الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] فلا تحقرنَّ شيئاً من الخير أن تفعله، ولا شيئاً من الشر أن تتقيه، وقال موسى بن أعين:[2] المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام، فسماهم الله متقين، وقال الثوري[3] رحمه الله: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا مالا يتقى، فهو سبحانه أهلٌ أن يتقى، ويخشى، ويهاب، ويجلَّ، ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه، ويطيعوه لما يستحقه من الإجلال، والإكرام، وصفات الكبرياء، والعظمة، وقوة البطش، وشدَّة البأس. اللهم إني أسألك أن توفقنا للتقوى، وتحيل بيننا وبين معاصيك، يا أرحم الراحمين!

---

(١) طلق بن حبيب: المصري زاهد كبير. من العلماء العاملين، حدَّث عن ابن عباس وابن الزبير، وجندب بن سفيان. روى عن منصور، والأعمش، وجماعة. كان طيب الصوت بالقرآن، براً بوالديه، قال أبو زرعة: طلق سمع من ابن عباس رضي الله عنهما. وهو ثقة مرجىء. مات قبل المئة.

(٢) موسى بن أعين: هو الإمام الحجة أبو سعيد الحراني. روى عن عطاء بن السائب. وليث وعبد الكريم الجزري. ومعمر، وخلق، وعن يحيى بن يحيى ، وثقه أبو حاتم وغيره، توفي سنة (١٧٧)هـ.

(٣) سفيان الثوري ـ هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة. هو شيخ الإسلام، الإمام الحافظ. سيِّد العلماء العاملين في زمانه، مصنف كتاب (الجامع) قال ابن معين وابن عيينة، ويحيى بن معين: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث. وقد ساد الناس بالعلم والورع توفي رحمه الله في شعبان سنة (١٦١) هـ.

وقد وصَّى الله جلَّ جلاله عباده بالتقوى في مواضع كثيرةٍ من الذِّكر الحكيم وحثَّهم، وأمرهم بها، منها قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وقال عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] فأضيفت تارة إلى الله سبحانه وتعالى، وتارةً أضيفت إلى عقاب الله، وإلى مكانه، كالنار، أو زمانه، كيوم القيامة.

وكذلك جاء في أحاديث كثيرة عن النَّبيّ ﷺ الوصية لأمته، منها: ما رواه الإمام أحمد بن حنبل من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي ذر: أنَّ رسول الله ﷺ قال له: أوصيك بتقوى الله في سرِّ أمرك وعلانيته..[1]، الحديث: وخرَّج الإمام حافظ المغرب يوسف أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد بإسنادٍ فيه نظر، عن أنس قال: «بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن فقال: «يا معاذ! اتق الله، وخالق الناس بخلق حسن... الحديث» وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ولما خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم النحر وصَّى الناس بتقوى الله، وبالسمع، والطاعة لأئمتهم، ولما وعظ الناس قالوا له: كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة[2]. وفي حديث أبي ذرٍّ الطويل الذي خرَّجه ابن حبان، وغيره: قلت: يا رسول الله أوصني! قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»[3]. وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٨١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٩٣) وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات من حديث أبي ذر رضي الله عنه. أقول: وفي إسناده ابن لهيعة لين الحديث، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف. والحديث بهذا السند ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦ و١٢٧) وأبو داود رقم (٤٦٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢ و٥٧). والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم (٤٤)، وابن حبان رقم (٥) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٣) رواه ابن حبان رقم (٣٦١). وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦ و١٦٧) وإسناده =

الخدري: قال: قلت: يا رسول الله أوصني! قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كلِّ شيء...»[1] الحديث، وروى الترمذيُّ عن يزيد بن سلمة: أنه سأل النبيَّ ﷺ قال: يا رسول الله! إني سمعتُ منك حديثاً كثيراً، فأخافُ أن ينسي أوله آخره، فحدثني بكلمة تكون جماعاً». قال: «اتق الله فيما تعلم»[2].

وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كان يوصي بعضُهم بعضاً بالتقوى، ومن جاء بعدهم من التابعين، فمن ذلك ما نقل عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة في الرهبة، وتجمعوا الإلحاف في المسألة، فإنَّ الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [النساء: ٩٠]، ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر؛ دعاه، فوصاه بوصيته، وأول ما قال له: اتق الله يا عمر! وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ابنه عبد الله: أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنه من اتقاه؛ وقاه ومن أقرضه؛ جزاه، ومن شكره؛ زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك.

واستعمل علي بن أبي طالب رجلاً على سريَّةٍ، فقال له: أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ، لابدَّ لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجلٍ: أوصيك بتقوى الله عزَّ وجلَّ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها؛ فإنَّ الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين. ولما ولِّي؛ خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال

= ضعيف. ولقوله ﷺ: (أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله) شاهد أخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٦٥١) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٤٠). فهو به حسن.

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٨٢). وأبو يعلى رقم (١٠٠٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٥) وقال: رواه أحمد. ورجاله ثقات، وفي إسناد أبي يعلى ليث بن أبي سليم مدلس. أقول: والحديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٨٤) في العلم. باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بمتصل، وهو عندي مرسل، ولم يدرك عندي ابن أشوع يزيد بن سلمة، ابن أشوع اسمه: سعيد بن أشوع. والحديث ضعيف.

أوصيكم بتقوى الله عز وجل، فإنَّ تقوى الله عز وجل خلف من كل شيءٍ، وليس من تقوى الله خلف.

وقال رجلٌ ليونس بن عبيد: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله والإحسان فإنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وقال له رجل ـ يريد الحج ـ: أوصني. فقال له: اتق الله، فمن اتَّقى الله؛ فلا وحشة عليه.

وقيل لرجل من التابعين عند موته: أوصنا. فقال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وكتب رجلٌ من السَّلف إلى أخٍ له: أوصيك بتقوى الله، فإنها من أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها. وكتب رجلٌ منهم إلى أخٍ له: أوصيك وأنفسنا بالتقوى، فإنها خيرُ زاد الآخرة والأولى، واجعلها إلى كلِّ خيرٍ سبيلك، ومن كلِّ شرٍّ مرَّ بك، فقد تكفَّل الله عزَّ وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الهدى، والتُّـقى، والعفاف، والغنى»[1] ، أفاد ذلك كله الحافظ ابن رجب في كتابه: «جامع العلوم والحكم».

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى حقيقٌ أن يتقيه العبادُ، فلا يجعلون له شريكاً؛ لأنه لا إله غيره، ولو أشرك العبد أحداً مع الله لفعل محالاً، وحقيق أن يطيعوه، ويعبدوه؛ لأنه أهل أن يغفرَ لهم ذنوبهم، ويقبل توبة من أناب إليه. روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] وقال: قال ربكم: أنا أهلٌ أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً؛ كان أهلاً أن أغفر له»[2] رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب، والنسائيُّ من حديث المعافىٰ بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعي به، وقال الترمذيُّ: حسنٌ غريب، وسهيل ليس بالقوي.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن هدبة بن خالد، عن سهيل به؛ وهكذا رواه أبو

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤١١ و٤١٦ و٤٣٧)، ومسلم رقم (٢٧٢١) في الذكر والدعاء، والترمذيُّ رقم (٣٤٨٩)، وابن ماجه رقم (٣٨٣٢)، وابن حبان رقم (٩٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في امسند (٣/ ٣٤٢). والترمذي (٣٣٣٥). وابن ماجه رقم (٤٢٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

يعلى، والبزار، والبغوي، وغيرهم من حديث سهيل القطيعي به، والله أعلم.

وقوله: والنسائي هو: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النَّسائي، القاضي، صاحب أحد السنن الأربعة المشهورة، المولود سنة خمس عشرة ومئتين، والمتوفى بفلسطين يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمئة.

والبزار هو: الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، والبزار صاحب المسند المعلل، المتوفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومئتين.

وأبو يعلى هو: الحافظ الثقة، محدِّث الجزيرة أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي صاحب المسند الكبير، المتوفى سنة سبع وثلاثمئة.

٦٣ ـ «أنَا خَلقْتُ الخَيْرَ، والشَّرَّ، فطوبىٰ لِمَنْ قدَّرْتُ علىٰ يَدِه الخَيْرَ! وَويْلٌ لِمَنْ قدّرتُ على يَدِه الشَّرَّ!»[١]. رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس.

ش ـ تقدم الحديث برقم (٥٥) بلفظ: «أنا الله لا إله إلا أنا خلقتُ الشرَّ وقدَّرته.. الخ» فانظر شرحه هناك، والطبراني سبقت ترجمته أيضاً.

٦٤ ـ «أنَا خيْرُ قَسيم لمَن أشرَك بي، مَنْ أشرَكَ بي شيئاً؛ فإنَّ عمَلهُ قليلَه وكثِيرَه لشريكهِ الذي أَشْرَك بهِ، وأنَا عنْه غنيٌّ»[٢]. رواه أحمد، والطيالسي، والطبراني في الكبير عن شداد بن أوس.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٣) ورقم (١٢٧٩٧) عن أحمد بن سلم العميري عن مالك بن يحيى بن عمرو بن مالك النُّكري عن أبيه عن جده عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف جداً مسلسل بالضعفاء. عمرو بن مالك قال الحافظ: صدوق له أوهام ـ يحيى ابن عمرو بن مالك قال الحافظ ضعيف ويقال إن حماد بن زيد كذبه ـ مالك ابن يحيى بن عمرو ضعيف جداً قال البخاري فيه نظر. والحديث ضعيف جداً.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٥). والطيالسي رقم (١١٢٠). وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٦٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢١) وقال رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وثقة أحمد وغيره، وضعفه غير واحد. نقول: في إسناده شهر بن حوشب قال الحافظ ابن حجر في التقريب كثير الإرسال والأوهام فالحديث إسناده ضعيف.

٦٥ ـ «أنَا خيْـرُ شريكٍ، فمَنْ أشْرَكَ معي شريكـاً، فَهُوَ للشَّريك، يا أيها النَّـاس! أخلصُوا أعمالكم لله؛ فإنَّ الله لا يَقْبَـلُ مِنَ الأعمالِ إلا ما خَلُصَ له، ولا تَقولوا: هذا لله وللرَّحِم، فإنها لرَحمـه، وليسَ لله منها شيء، ولا تقُولوا هذا لله ولوجُوهكم؛ فإنَّها لوجُوهكمْ، وليْسَ لله فيها شيءٌ»[١].

رواه البزار عن الضَّحاك.

ش ـ قوله في الحديث الأول: (قسيم) فعيل بمعنى فاعل، أي: مقاسم، والشِّركُ أنواع، كما بينه حديث الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «من صلى يرائي؛ فقد أشرك، فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي شيئاً فإن جدة عمله؛ قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، وأنا عنه غني»[٢].

والمعنى: أنَّ الله تبارك وتعالت صفاته يخبرنا: أنَّه لا يقبل عمل عامل منَّا مِنْ ذكر وأنثى إذا كان عمله مشوباً بشرك، ولم يكن خالصاً لله تعالى من جميع أنواع الشرك، كالكبر، والسمعة، وغير ذلك؛ فإنَّ العمل تارةً يكون لغير الله، كمن يعمل رياءً محضاً، بحيث لا يراد به سوى مرئيات المخلوقين لغرضٍ دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم. قال الله تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢] وقال الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ وكذلك وصف الله تبارك وتعالى الكفار بالرِّياء المحض في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة

---

(١) رواه البزار رقم (٣٥٦٧) والدارقطني في السنن (١/ ٥١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢١) وقال: رواه البزار عن شيخه إبراهيم بن مجشر. وثقه ابن حبان وغيره. وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. أقول: (إبراهيم بن مجشر البغدادي) قال أبو العباس السراج: سمعت الفضل بن سهل يتكلم فيه، ويكذِّبه. وقال ابن عقدة: فيه نظر. وقال الحاكم: سكتوا عليه. وقال ابن عدي: يسرق الحديث. وفي لسان الميزان: فالحديث ضعيف الإسناد. والضَّحاك بن قيس الفهري قال المنذري: مختلفٌ في صحبته وقال الحافظ في التقريب: صحابي صغير.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦). والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٩). وصححه. وسكت عليه الذهبي من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه نقول إسناده ضعيف.

والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة، والحجِّ، وغيرهما من الأعمال الظاهرة؛ التي يتعدَّى نفعها، فإنَّ الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشكُّ مسلمٌ أنه حابط، وأنَّ صاحبه يستحقُّ المقت من الله والعقوبة.

وتارةً يكون العمل لله، ويشاركه الرِّياء، فإن شاركه من أصله؛ فالنصوص الصحيحة تدلُّ على بطلانه أيضاً، وحبوطه، ومنها: حديث الكتاب. والله أعلم.

وقوله في الحديث الأول: «رواه الطيالسيُّ» هو الإمام الحافظ الثقة سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي، صاحب المسند المطبوع في الهند، المتوفى سنة ثلاث أو أربع ومئتين بالبصرة. انظر الكلام على مسنده في كتاب (نموذج من الأعمال الخيرية) ص٤٨٥.

٦٦ ـ «أنا ربُّكمْ، أنَا أهلٌ أنْ أتَّقى، فلا تجْعَلُوا مَعِيَ إلهاً، فمَنِ اتَّقى أنْ يَجْعلَ مَعيَ إلهاً؛ فَأنا أهْلٌ أنْ أغْفِرَ لهُ». رواه أحمد، والترمذيُّ عنه[1].

ش ـ تقدم ذكر الحديث برقم ٦٢ بتغيير بعض ألفاظه، فارجع إليه.

٦٧ ـ «أنَا عِنْدَ ظنِّ عَبْدي بي، فليَظُنَّ بي ما شاءَ»[2]. رواه مسلم، والحاكم عن واثلة. وابن أبي الدنيا، والحكيم عن أبي هريرة[3].

٦٨ ـ «أنَا عنْدَ ظنِّ عَبدِي بي، وأنَا معَهُ إذا ذكَرَني». رواه مسلم، والحاكم عن أنس.

٦٩ ـ «أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي وأنَا مَعهُ إذا دَعاني». رواه أحمد عنه[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩١)، وابن حبان رقم (٦٣٣ و٦٣٤) والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٠) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٥ و٤٤٥)، والبخاري رقم (٧٥٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥)، والبغوي في شرح السنة (١٢٢٥)، وابن حبان رقم (٦٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢١٠) و(٢٧٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣١٩) وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة. وفيه كلام من حديث أنسٍ رضي الله عنه، نقول: ويشهد له ما قبله.

٧٠ ـ «أَنَـا عنْـدَ ظنِّ عبْدِي بي، وَأنا معه حينَ يَـذْكُـرُني، فإنْ ذَكرَنـي في نَـفْسِه؛ ذَكرْتـهُ في نفْسـي، وإنْ ذَكـرَنـي في مـلأٍ؛ ذكرْتـهُ فـي مـلأٍ خـيْـرٍ منْــهُ»[1]. رواه البيهقي عن أبي هُريرة.

٧١ ـ «أنا عنْـدَ ظـنِّ عَبْـدِي بـي إنْ ظـنَّ خيْـراً؛ فخَـيْـرٌ، وإنْ ظنَّ شَـرّاً؛ فَـشَـرٌّ». رواه الطبراني[2] وابن حبان عن واثلة بن الأسقع.

٧٢ ـ «أنَـا عنْـدَ ظـنِّ عبْـدِي بي، فليَـظُـنَّ بـي مـا شـاءَ». رواه ابن أبي الدُّنيا، والحكيم عن أبي هريرة.

٧٣ ـ «أنا عنْـدَ ظـنِّ عبْدِي بي إنْ ظنَّ خَيْـراً فَـلَـهُ؛ وإنْ ظنَّ شـرّاً؛ فَلهُ». رواه أحمد، ومسلم، والطبراني، وابن النَّجار عن أبي هريرة[3]، ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم عن واثلة.

ش ـ الحديث الأول فيه الأمرُ بالظنِّ بالله سبحانه وتعالى مطلقاً؛ أي: في حال الذكر، أو الدعاء. والثاني مقيد بحال الذكر، وكذلك الرابع، والثالث بحال الدعاء، والحديث الخامس فيه تفصيل الظنِّ بحسبه إن كان خيراً؛ فيجزى بذلك، وإن كان شراً؛ فيجده كذلك.

والظنُّ يطلق على معانٍ، قال أبو عبد الله الدامغاني في كتابه «الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها»: الظنُّ على أربعة أوجهٍ، فوجه منها الظن بمعنى اليقين قوله تعالى في البقرة: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] وكقوله في ص: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] يعني: علم داود بما آتيناه. وقال في الحاقة: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٠] يقول: أيقنت. والوجه الثاني: الظنُّ بمعنى الشك قوله تعالى في الجاثية: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢] يعني: ما نشك إلا شكاً. والوجه الثالث: ظنَّ بمعنى حسب قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥١٦) و٥١٧)، والبخاريُّ رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥) و(٢١) في الذكر، والترمذي رقم (٣٦٠٣)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٩١)، وابن حبان رقم (٦٣٩) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

١٤] يعني: حسب ألاَّ يرجع، وقال في حم السجدة: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]. والوجه الرابع: الظن بمعنى التهمة قوله تعالى في الأحزاب: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] بمعنى التهمة، وقال: اتهموا أنَّ رسول الله ﷺ فيما أخبرهم أنَّ الله عز وجل يفتح عليك، وكقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] يعني: بمتهم، نظيره في الفتح: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢]. انتهى.

أقول: ويأتي بمعنى الاعتقاد، كقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩] أي: اعتقدوا، فالظنُّ هنا والله أعلم بمعنى: حسب، أو اعتقد.

قال الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري» في قوله ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظنِّ عبدي بي» أي: قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامله به. وقال الكرماني[1]: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرَّجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإنَّ العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظنِّ إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف؛ بأنه لا يختاره لنفسه، بل يعدل إلى ظنِّ وقوع الوعد، وهو جانب الرَّجاء، وهو كما قال أهل التحقيق: مقيد بالمحتضر، ويؤيد ذلك حديث: «لا يموتن أحدُكم إلا وهو يحسنُ الظنَّ بالله»[2] وهو عند مسلم من حديث جابر: وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال ثالثها الاعتدال. وقال ابن أبي جمرة: المراد بالظن هنا: العلم، وهو كقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨] وقال القرطبي في المفهم: قيل: معناه: ظنّ عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده، قال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[3]؟ قال:

---

(١) الكرماني: هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرماني، شارح البخاري المسمى (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)، توفي سنة (٧٧٦) هـ.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٧٧). وأبو داود رقم (٣١١٣) في الجنائز. من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٤) في الدعوات، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٣)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٦٢)، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الذهبي حديث مستقيم الإسناد تفرد به =

ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله، ويغفر له؛ لأنه وعد ذلك، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد، أو ظنَّ أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظنَّ، كما في بعض طرق الحديث المذكور «فليظن بي عبدي ما شاء» قال: وأما ظنُّ المغفرة مع الإصرار؛ فذلك محضُ الجهل، والغرَّة، وهو يجر إلى مذهب المرجئة. انتهى.

وقال الشوكاني في «تحفة الذاكرين»: فيه ترغيب من الله عزَّ وجل لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها، فمن ظنَّ به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته، وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى هكذا. وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى عند ظن عبده، فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه في جميع حالاته، ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ما ورد من الأدلة الدالة على سعةِ رحمة الله سبحانه، وتعالى.

وقوله: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» قال بعضُ أهل العلم: يستفاد منه: أنَّ الذِّكر الخفي أفضل من الذكر الجهري لتقديمه على الذكر الجهري في السياق. وتقدير المعنى: إنْ ذكرني في نفسه ذكرته بثوابٍ لا أطلعُ عليه أحداً، وإن ذكرني جهراً ذكرته بثوابٍ أطلع عليه الملأ الأعلى، وفيه احتمال، وللعلماء في أيهما أفضل خلافٌ ذكرته في شرحي على «الكلم الطيب» للإمام تقي الدين بن تيمية، فارجع إليه.

قال ابن بطال: هذا نصٌّ أنَّ الملائكةَ أفضلُ من بني آدم، وهو مذهب جمهور أهل العلم، وعلى ذلك شواهد من القرآن، مثل: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠] والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضلُ من بني آدم، وتعقب بأن المعروف عن جمهورِ أهل السنة: أن صالحي بني آدم أفضلُ من سائر الأجناس، والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة: الفلاسفة، ثم المعتزلة، وقليلٌ من أهل السنة من أهلِ التصوُّف، وبعضِ أهل الظاهر، فمنهم من فاضل بين الجنسين، فقالوا: حقيقة الملك أفضل من حقيقةِ الإنسان؛ لأنَّها نورانية، وخيرية، ولطيفة مع سعة العلم، والقوة، وصفاء الجوهر، وهذا لا يستلزم تفضيل كلِّ فرد على كلِّ فرد؛ لجواز أن يكون في بعض الأناسي ما في ذلك وزيادة، ومنهم من خصَّ الخلاف بصالحي البشر، والملائكة، ومنهم من خصَّه بالأنبياء، ثم منهم من فضَّل الملائكة على غير الأنبياء؛

= صالح المري، وهو أحد زهاد البصرة. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح متروك. نقول: إسناده ضعيف.

ومنهم من فضَّلهم على الأنبياء أيضاً إلا على نبينا محمَّد ﷺ.

ومن أدلة تفضيل النبيِّ على الملك: أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له حتى قال إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] ومنها قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] لما فيه من الإشارة إلى العناية به، ولم يثبت ذلك للملائكة، ومنها قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] فدخل في عمومه الملائكة، والمسخَّر له أفضل من المسخر، ولأنَّ طاعةَ الملائكة بأصل الخلقة، وطاعة البشر غالباً مع المجاهدة للنفس؛ لما طبعت عليه من الشَّهوة، والحرص، والهوى، والغضب، فكانت عبادتهم أشقَّ، وأيضاً فطاعةُ الملائكة بالأمر الوارد عليهم، وطاعة البشر بالنص تارةً، وبالاجتهاد تارةً، وبالاستنباط تارةً، فكانت أشقَّ، ولأنَّ الملائكة سلمت من وسوسة الشياطين، وإلقاء الشبهة، والإغواءِ الجائزة على البشر، ولأنَّ الملائكة تشاهد حقائق الملكوت، والبشر لا يعرفون ذلك إلا بالإعلام، فلا يسلم منهم من إدخال الشبهة من جهة تدبير الكواكب، وحركة الأفلاك إلا الثابت على دينه، ولا يتم ذلك إلا بمشقَّةٍ شديدةٍ، ومجاهداتٍ كثيرة.

وأما أدلة الآخرين فقد قيل: إنَّ حديث الباب أقوى ما استدل به لذلك للتصريح بقوله فيه: في ملأٍ خير منهم. والمراد بهم الملائكة، حتى قال بعض الغلاة في ذلك: وكم من ذاكرٍ الله في ملأٍ فيهم محمَّد ﷺ ذكرهم الله في ملأٍ خير منهم. وأجاب بعضُ أهل السنَّة بأنَّ الخير المذكور ليس نصّاً، ولا صريحاً في المراد، بل يتطرَّقه احتمالُ أن يكون المراد بالملأ الذي هم خير من الملأ الذاكر: الأنبياء، والشهداء، فإنَّهم أحياءٌ عند ربهم، فلم ينحصر ذلك في الملائكة.

وأجاب آخر، وهو أقوى من الأول بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً في الجانب الذي فيه ربُّ العزة خير من الجانب الذي ليس هو فيه بلا ارتياب، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع، وهذا الجواب ظهر لي، وظننت أنه مبتكر، ثم رأيته في كلام القاضي كمال الدين بن الزملكاني[1] في الجزء الذي جمعه في الرفيق

---

(١) ابن الزملكاني: هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني، فقيه انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. وتصدر للتدريس والإفتاء، توفي في بلبيس، ودفن بالقاهرة سنة (٧٢٧) هـ.

الأعلى، فقال: إن الله تعالى قابل ذكر العبد في نفسه بذكره له في نفسه، وقابل ذكر العبد في الملأ بذكره له في الملأ، فإنما صار الذكر في الملأ الثاني خيراً من الذكر في الأول؛ لأنَّ الله هو الذاكر فيهم، والملأ الذين يذكرون ـ والله فيهم ـ أفضل من الملأ الذين يذكرون وليس الله فيهم.

ومن أدلة المعتزلة تقديم الملائكة في الذكر في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٨] و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] و﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] وتعقب بأن مجرد التقديم في الذكر لا يستلزم التفضيل؛ لأنه لم ينحصر فيه، بل له أسباب أخرى، كالتقديم بالزمان في مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأحزاب: ٧] فقدَّم نوحاً على إبراهيم لتقدم زمان نوح مع أن إبراهيم أفضل، ومنها قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] وبالغ الزمخشري فادَّعى: أنَّ دلالتها لهذا المطلوب قطعية بالنسبة لعلم المعاني، فقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: ولا من هو أعلى قدراً من المسيح ـ وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش، كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل ـ قال: ولا يقتضي علم المعاني غير هذا من حيث أنَّ الكلام إنما سيق للردِّ على النصارى لغلوهم في المسيح، فقيل لهم: لن يترفع المسيح عن العبودية ولا من هو أرفع درجة منه. انتهى ملخصاً.

وأجيب بأن الترقي لا يستلزم التفضيل المتنازع فيه، وإنما هو بحسب المقام وذلك أنَّ كلاً من الملائكة والمسيح عُبِدَ من دون الله. فردَّ عليهم بأنَّ المسيح الذي تشاهدونه لم يتكبر عن عبادةِ الله، وكذلك من غاب عنكم من الملائكة لا يتكبَّر، والنفوسُ لِمَا غاب عنها أهيبُ ممن تشاهده، ولأنَّ الصفات التي عبدوا المسيح لأجلها من الزُّهد في الدُّنيا، والاطلاع على المغيبات، وإحياء الموتى بإذن الله موجودةٌ في الملائكة، فإن كانت توجبُ عبادته فهي موجبة لعبادتهم بطريق الأولى، وهم مع ذلك لا يستنكفون عن عبادة الله تعالى، ولا يلزم من هذا الترقي ثبوت الأفضلية المتنازع فيها.

وقال البيضاوي[1]: احتجَّ بهذا العطف مَنْ زعم أنَّ الملائكة أفضلُ من الأنبياء،

---

(١) البيضاوي: هو الإمام القاضي أبو الفتح، عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي، الفارسي، ثم البغدادي الحنفي، سمع أبا جعفر بن المسلمة. وأبا الغنائم بن المأمون. وطائفةً. قال السَّمعاني: شيخٌ صالحٌ =

وقال: هي مُساقة للردِّ على النَّصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية، وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجةً منه، حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه، وجوابه: أنَّ الآية سيقت للردِّ على عبدة المسيح، والملائكة؛ أريد بالعطف المبالغة باعتبار الكثرة دون التفضيل، كقول القائل: أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس، وعلى تقدير إرادة التفضيل فغايتُه تفضيل المقربين ممن حول العرش، بل من هو أعلى رتبة منهم على المسيح، وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً. وقال الطيبي: لا تتم لهم الدلالة إلا إن سلم أنَّ الآية سيقت للردِّ على النصارى فقط، فيصحُّ: لن يترفع المسيحُ عن العبودية، ولا من هو أرفع منه، والذي يدَّعي ذلك يحتاج إلى إثبات: أنَّ النصارى تعتقد تفضيل الملائكة على المسيح، وهم لا يعتقدون ذلك، بل يعتقدون فيه الإلهية، فلا يتمُّ استدلال من استدلَّ به. قال: وسياقه الآن من أسلوب التتميم والمبالغة، لا الترقي، وذلك أنَّه قدم قوله ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبۡحَٰنَهُۥٓ ﴾ [النساء: ١٧١] إلى قوله: ﴿ وَكِيلًا ﴾ فقرَّر الوحدانية، والمالكية، والقدرة التامة، ثم أتبعه بعدم الاستنكاف، فالتقدير لا يستحقُّ من اتصف بذلك أن يستكبر عليه الذي تتخذونه أيها النَّصارى إلهاً لاعتقادكم فيه الكمال، ولا الملائكة الذين اتخذها غيرُكم آلهةً لاعتقادهم فيهم الكمال (قلت): وقد ذكر ذلك البغوي ملخصاً، ولفظه: لم يقلْ ذلك رفعاً لمقامهم على مقام عيسى، بل ردّاً على الذين يدَّعون أنَّ الملائكة آلهةً فردَّ عليهم كما ردَّ على النصارى الذين يدَّعون التثليث.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٥٠] فنفى أن يكون ملكاً، فدلَّ على أنَّهم أفضل؛ وتعقب بأنه إنما نفى ذلك لكونهم طلبوا منه الخزائن، وعلم الغيب، وأن يكون بصفة الملك من ترك الأكل، والشرب، والجماع، وهو من نمط إنكارهم أن يرسل الله بشراً مثلهم، فنفى عنه أنه ملك، ولا يستلزم ذلك التفضيل.

ومنها: أنه سبحانه وتعالى لما وصف جبريل ومحمداً قال في جبريل: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة: ٤٠] وقال في حقِّ النبيِّ ﷺ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾ [التكوير: ٢٢] وبين الوصفين بونٌ بعيد، وتعقب بأن ذلك إنما سيق للردِّ على من زعم أنَّ الذي يأتيه شيطان، وكان وصف جبريل بذلك تعظيماً للنبي ﷺ فقد وصف النبيَّ ﷺ في غير هذا الموضع بمثل ما وصف به جبريل هنا، وأعظم منه. وقد أفرط الزمخشري في سوء

= متواضعٌ متحرٍّ في قضائه الخير. توفي رحمه الله (٥٣٧)هـ.

الأدب هنا، وقال كلاماً يستلزم تنقيص المقام المحمدي، وبالغ الأئمة في الردِّ عليه في ذلك وهو من زلاته الشنيعة.

وقوله في الحديث الأول: «رواه ابن أبي الدُّنيا» هو الإمام الجليل، والحافظ الشهير أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الشهير بابن أبي الدنيا، صاحب المصنفات الكثيرة، المتوفى سنة ٢٨١ هـ.

وقوله: «والحكيم» هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن بشير المؤذن الحكيم الترمذي صاحب التصانيف الكثيرة منها: (نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ﷺ) قدم نيسابور سنة خمس وثمانين ومئتين، وتوفي عن نحو ثمانين سنة.

وقوله في الحديث الرابع: «في ملأ» الملأ: تقدَّم تفسيره فأغنى عن إعادة الكلام عليه.

وقوله في الحديث الأخير: «فله» أي: مقتضى ظنه من خيرٍ أو شرٍّ، فالمعاملة تدور مع الظن. وروى الحاكم عن أنس بن مالك: «قال الله تعالى: أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني»[1] أي: دعوتني، فأسمع ما تقوله، فأجيبك. قال الحكيم الترمذي: هذا وما أشبهه من الأحاديث المتقدمة في ذكرٍ عن يقظةٍ، لا عن غفلةٍ؛ لأنَّ ذلك هو حقيقةُ الذكر، فيكون بحيث لا يبقى عليه مع ذكره في ذلك الوقت ذكر نفسه، ولا ذكر مخلوقٍ، فذلك الذكر هو الصافي؛ لأنه قلب واحد، فإذا اشتغل بشيءٍ ذهل عمَّا سواه. وهذا موجودٌ في المخلوق لو أنَّ رجلاً دخل على ملك في الدنيا لأخذه من هيبته ما لا يذكر في ذلك الوقت غيره، فكيف بملك الملوك؟!

وقوله: «ابن النجار» هو الإمام البارع مفيد العراق الرَّحالة محبُّ الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادي، صاحب المعجم، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.

وقوله: «وأبو نعيم» هو الإمام الحافظ الكبير محدِّثُ عصره، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصُّوفي صاحب «حلية الأولياء» توفي سنة ثلاثين وأربعمئة.

٧٤ ـ «أنَـا معَ عَبْدِي إذْ هُوَ ذَكَرَني، وتحرَّكَتْ بي شَفَتاهُ». رواه أبو داود،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٧)، وصححه. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا من حديث أنس رضي الله عنه.

والحاكم، وابن حبان عن أبي الدرداء[١]. والقضاعي، والحاكم، وابن حبان عن أنس وغيره وأحمد، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان عن أبي هريرة[٢].

ش ـ قوله: «أنا مع عبدي» المعيَّة الله أعلم بحقيقتها، نسلم لفظها، ونكل المعنى إلى الله جلَّ، وعلا، وهذا مذهب سلف الأمة. وقد تقدَّم الكلام على مثل ذلك، فارجع إليه، وقوله: «إذ»: ظرف زمان. وشفتاه: تثنية شفة بفتح أوله، وأصلها شفهة، وهي معلومة. والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله سبحانه وتعالى مع عبده وقت ذكره خالقه وبارئه وتحرَّكت شفتا العبد بذكره، وهو يدلُّ على أنَّ الذكر الجهري أرجح من الذكر الخفي، وقد تقدَّم الكلام على ذلك قريباً.

وقوله: «والقضاعي» هو المحدِّثُ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي نسبةً إلى قضاعة شعب من معد بن عدنان. ويقال: هو مِنْ حِمْيَر، وهو الأكثر، والأصح. كان قاضي مصر ومحدثها، توفي سنة أربع وخمسين وأربعمئة. وباقي التراجم تقدَّم شرحها.

٧٥ ـ «أَنْتَقِمُ مِمَّنْ أَبْغُضُ بِمَنْ أَبْغُضُ، ثم أُصَيِّرُ كلاً إلى النَّار»[٣]. رواه الطبراني في الأوسط عن جابر.

ش ـ الانتقام: افتعال، والمنتقم هو المبالغ في العقوبة لمن يشاء، وهو مفتعل، من: نَقَم، يَنْقِم: إذا بلغت به الكراهة حدَّ السخط. ومن أسمائه الحسنى جلَّ جلاله: المنتقم، قال في «لوامع البينات»، المنتقم: مشتق من الانتقام، ولا يسمى التعذيب بالانتقام إلا بشرائط ثلاثة: الأول: أن تبلغ الكراهة إلى حدِّ السُّخط. الثاني: أن تحصل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٦)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٤٠)، والبخاري معلقاً بصيغة الجزم باب (٤٣) في التوحيد، وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) في الأدب. والبغوي في شرح السنة (١٢٤٢). والحاكم (١/ ٤٩٦) وصححه، وافقه الذهبي. وابن حبان رقم (٨١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٣٣٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن بكر البالسي ضعيف. من حديث جابر رضي الله عنه نقول: وإسناده ضعيف.

تلك العقوبة بعد مدَّة. الثالث: أن يقضي ذلك التعذيب نوعاً من التشفي، وهذا القيد لا يحصل إلا في حقِّ الخالق، أمَّا في حقِّ الخلق. فهو محال.

واعلم أنَّ الانتقام أشدُّ من المعاجلة بالعقوبة، فإنَّ المذنب إذا عوجل بالعقوبة لم يتمكَّن في المعصية، فلم يستوجب غاية النَّكال في العقوبة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] وأيضاً قد سمى الله تعالى تكرار إيجاب الكفَّارة في تكرار المحرم أخذ الصيد انتقاماً قال: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: ٩٥] وهو قريب من قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء: ١٦٠] الآية. أما حظُّ العبد منه: فقال الغزالي: انتقام العبد إنما يكون محموداً إذا انتقم من الأعداء، وأعدى عدوِّه نفسُه التي بين جنبيه، فلا جرم يجبُ عليه أن ينتقمَ منها.

والبغضُ: تقدَّم الكلام عليه، فأغنى عن إعادته، وقوله: «أنتقمُ ممن أبغض» يعني: أنَّ الله سبحانه وتعالى يعاقبُ من يبغضه بارتكاب المعاصي، وسوء الأعمال بمن يبغض من خلقه كذلك؛ أي: أنَّ الله تبارك اسمه يولي الظالمين بعضهم بعضاً، وهكذا نطقت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بذلك، والشاهد يؤيد الواقع، فإنَّ غالب الأمم الإسلامية في عصرنا الحاضر يتولاها الظالمون، وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. نسأل الله السلامة من الحرب الحاضرة التي وقعت في شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف صلاة وتحية، بين الألمان، وبولندة، ودخلت معها الروس بزعم أنَّها تحامي عن الأقلية الروسية الموجودة فيها، ولربما تشترك فيها باقي الأمم الغربية والشرقية، ولا ينفع المسلمين في هذه الظروف إلا تحاببهم، وتوادُّهم، ومعاونة بعضهم بعضاً، وعلى الأغنياء أن يواسوا الفقراء؛ والأقوياء يساعدوا الضعفاء. ورجوعهم إلى الله عز وجل بالتوبة، والإنابة، والإخلاص في الأعمال، والإقلاع عن المعاصي، والمفاسد، والتباعد عن الشقاق، والفتن، والتحفز للأخذ بيد المظلوم من الظالم الغاشم المستبد، فلعلَّ ذلك يكفل لنا النجاح إن شاء الله تعالى، ويسلمنا.

٧٦ ـ «انْطلقُوا يا ملائِكتي إلى عبْدِي، فَصُبُّوا عَليْهِ الْبلاءَ صَبّاً! فيَصبُّون عَليْهِ البَلاءَ، فيَحْمَدُ اللهَ، فَيرجِعُونَ، فيقُولونَ: يا ربَّنا صَببْنَا عليهِ البَلاء كما أمرْتَنا! فيَقولُ: ارْجِعُوا فإنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صوْتَه»[١].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (٧٦٩٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة.

ش ـ الصبُّ: السَّكبُ، وصبُّ الماء: إراقته من أعلى، والبلاء، والابتلاء: تقدَّم تفسيرهما، فارجع إليه. والمراد بالصبِّ هنا: العرض، والإلقاء؛ أي: اعرضوا، وألقوا يا ملائكتي على عبدي فلان البلاء ليختبرَ، ويمتحنَ؛ ليظهر خيره، أو شره لغيره، وقد سمَّى الله تعالى التكاليف الشرعية بلاءً؛ لأنَّ التكاليف كلها مشاقٌّ على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاءً، ولأنها اختباراتٌ، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١] والقرآن والسنة مملوءان بذلك، واختبار الله تعالى للعباد تارةً يكون بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضارِّ ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاءً، فالمنحة مقتضية للشكر، والمحنة مقتضية للصَّبر، قال عمر بن الخطاب: بلينا بالضَّرَّاء فصبرنا، وبلينا بالسَّراء فلم نصبر. قال الراغب الأصفهاني: إذا قيل: ابتلي فلان كذا، وأبلاه، فذلك يتضمَّن أمرين، أحدهما: تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته ورداءته، وربما قصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما، فإذا قيل في الله تعالى: بلا كذا. أو أبلاه؛ فليس المراد منه إلا ظهور جودته، ورداءته دون التعرف لحاله، والوقوف على ما يجهل من أمره؛ إذ كان الله علاَّم الغيوب، وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ولا شك أنَّ إضافة العبد إليه عز وجل هنا لتعظيمه وتشريفه؛ إذ بيَّن أن العبد المصبوب عليه البلاء حمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، فكان قابلاً للبلاء، متعرضاً له بدون أن يُظهِر إساءته، أو كراهيته له، بل يتَّسع صدرُه له، وهو حامدٌ شاكر، مظهرٌ الثناء على الله، والرضا به، ومعافاة غيره عن الابتلاء بمثل ذلك ممن ليس كذلك، فعلى المؤمن العاقل أن يتلقَّى البلاء، والمصائب بكلِّ حواسِّه بصدرٍ رحب، وقلبٍ مطمئنٍ بالإيمان، ومفعمٍ بالرضا، والصبر، والاحتساب، فيزول ذلك عنه قريباً بدون أن يمسَّه أذى. فنسأل الله أن يوفقنا للصَّبر عند الصدمة الأولى، ويختم لنا بالسعادة الأبدية! وقد جاء في الصبر على الابتلاء آياتٌ كثيرة، وإنَّ لمن صبر ثواباً عظيماً لا يقدَّر قدره، وكذلك الأحاديثُ الصحيحة جاءت في الحث على الصبر إذا ابتلي، وأنَّ له ثواباً عظيماً. والله أعلم.

= (٢/ ٢٩٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي إسناده عفير بن معدان ضعيف. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، نقول: وإسناده ضعيف.

٧٧ ـ «أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[١]. رواه أحمد، والشيخان عن أبي هريرة.

ش ـ قوله: «أَنفِقْ» الأولى بفتح الهمزة، وسكون النون، وكسر الفاء: أمر بالإنفاق، وقوله: «أُنفِقْ عليك» بضم الهمزة، وسكون النون: جواب الأمر؛ والإنفاق: إخراج المال من اليد، ومنه: نفق البيع؛ أي: خرج من يد البائع إلى المشتري، ونفقت الدابة: خرجت روحها، ونفق الزاد: فني، والإنفاق قد يكون في المال، وفي غيره. وقد يكون واجباً، وتطوعاً، والكلُّ مطلوب.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى أمر عبده أن ينفقَ في المصالح الخيرية، والمشاريع الحيوية، مما أنعم الله عليه، وجعله حاكماً عليه، وتحت يده من نقدٍ، أو عَرَضِ تجارةٍ، أو غير ذلك مما يحوزه الإنسان، ويملكه؛ لأنَّ المال كلَّه من الله سبحانه وتعالى، رزقه عبده ليصرفه في منافع المسلمين إذا زاد عن كفايته، وكفاية من يلزمه نفقته شرعاً أخذاً من أدلة أخرى معلومةٍ مقيدةٍ بذلك، ولا ريب أنَّ الإنفاق على الأهل والأقارب غير اللازمة نفقتهم أولى وأفضل من النفقة على غيرهم، والأفضلُ والأحرى صرفُ المال على الفقراء والمساكين المتمسِّكين بشعائر دينهم من صلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، وغير ذلك من فرائض الإسلام، وأركانه، وواجباته، ولأنَّ تقديمهم بذلك لذلك أردعُ لغير المتمسكين، وأرغبُ لهم في التمسُّك لذلك، ويراعى في ذلك ما كان نفعه أعم، وفائدته أشمل، وثمرته أعظم، وقوله: «أنفق عليك» أي: أعوضه لك، وأعطيك خلفه، بل أكثر أضعافاً مضاعفة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] ولم يقيده بمقدار. نسأل الله الهداية إلى الشرع الشريف، والعمل بأحكامه.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يومٍ يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقولُ أحدهما: اللهمَّ أعط منفقاً خلفاً! ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً!»[٢].

٧٨ ـ «أَيُّما عبْدٍ مِنْ عبادِي يَخرُج مجاهِداً في سبيلي ابتِغاءَ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٦٤)، والبخاريُّ رقم (٧٤٩٦)، ومسلم رقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (١٤٤٢) في الزكاة ومسلم رقم (١٠١٠) في الزكاة من حديث أبي هريرة.

مرْضــاتي؛ ضَمنْتُ لهُ أنْ أُرْجعَهُ ـ إن رَجعْتُه ـ بمَا أصابَ مِنْ أجْرٍ، أو غَنيمةٍ، وإنْ قَبضْتُه أنْ أغْفِرَ لهُ، وأرْحَمَهُ، وأُدْخلَهُ الجنَّة»[1]. رواه أحمد، والترمذيُّ، والطبرانيُّ عن ابن عمر.

ش ـ الجهاد تكلمنا عليه في تعليقنا على (مختصر شعب الإيمان) صفحة ٧٥ فارجع إليه؛ تجدْ ما يسرُّك. وقوله: «في سبيلي» السبيل: الطريق الذي فيه سهولة، وجمعه: سبل. والمراد به هنا: الطريق الذي عبَّده المولى جلَّ، وعلا، وشرعه لعباده، وسهَّله، وأحكمه، لا طريق غيره مما يخالفه.

وقوله: «ابتغاء مرضاتي» الابتغاء: طلب الشيء، فتارةً يكون لله، وتارةً لغيره، فما كان لله سبحانه وتعالى أثيبَ عليه صاحبُه. وقيل: وما كان لغيره جلَّ، وعزَّ؛ أحبط، وعوقب، أو لا ثواب فيه. والغنيمة: ما أصيب من أموال أهل الحرب.

والحديث عزاه المنذري إلى النَّسائي أيضاً، وروى مالك، والبخاريُّ، والنسائيُّ: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيله، وتصديق بكلماته بأن يدخله الجنة، أو يردّه إلى مسكنه، مع ما نال: من أجرٍ، أو غنيمة»[2].

والمعنى: أنَّ الله تقدست أسماؤه يخبرنا أنَّ مَنْ خرج من عباده مجاهداً في سبيله، قاصداً بذلك مرضاة الله عز وجل ورضاه، لا أمراً آخر، يضمن له إن رجع وعاش أن يرجعَه إلى وطنه بما؛ أي: بالذي أصاب من أجرٍ أو غنيمةٍ، وإن لم يرجعْ بأن قبضه الله تعالى وتوفاه شهيداً في ميدان القتال، أو حتف أنفه، أن يغفرَ له جلَّ ذكره ذنوبه ـ إن كانت له ذنوب ـ ويرحمه، ويدخله جنته؛ لجوده بنفسه، وبذله إياها في رضا الذي خلقه، وهذا غايةُ ما يرجوه العبدُ، ففيه الحثُّ على الجهاد بأقسامه كلِّها، وأن تكون نيّته خالصةً لإعلاء كلمة الله جلَّ ذكرُه، وانتشار الإسلام، وهدم الكفر وأهله. والله أعلم.

٧٩ ـ «أيُّما مُؤمن عَطسَ ثلاثَ عَطَساتٍ مُتواليات؛ إلا كانَ الإيمانُ ثابتاً

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/١١٧) ورقم (٥٩٧٧). والنسائي (٦/١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٢) رواه مالك هي الموطأ ٢/٤٣٣ و٤٤٤)، والبخاريُّ رقم (٣١٢٣). ومسلم رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في قَلْبه»(١) . رواه الديلميُّ عن أنس: أنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ: قال: «أخبرني جبريلُ عليه السلام عن الله: أيُّما» إلى آخره.

ش ـ العطاس ـ بضم العين المهملة ـ معروفٌ. ومتوالياتٌ: متتابعات، والمعنى: إذا عطس الإنسانُ ثلاث عطسات متتابعات، لا يفصلُ بينها فاصلٌ، فحمد الله؛ فإنَّ إيمانه يثبتُ في قلبه، ولا يتزلزل.

والحديثُ رواه الديلمي في مسند الفردوس، وهو مملوء من الأحاديث الضعيفة، والواهية.

وتقدَّم ذكر ترجمة الديلمي في نهاية شرح حديث رقم (٥٢) فارجع إليه.

٨٠ ـ «إنِّي أنَا اللهُ لا إلهَ إلا أنا، سَبقتْ رحْمتي غضبي، فَمَنْ شهِدَ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً عَبدُه ورَسولهُ؛ فَلَهُ الجنَّةُ»(٢) . رواه الديلميُّ عن ابن عباس أنه قال: أوَّلُ شيءٍ خَطَّه اللهُ في الكتاب الأوَّلِ. . إلى آخره.

ش ـ الرَّحمةُ في الأصل: رقةٌ في القلب تقتضي الإحسان، والعطف، والحنان على المرحوم، فتحركه إلى قضاء حاجته، والتلطف به، وقد يستعمل تارةً في الرِّقة المجرَّدة، وتارةً في الإحسان المجرَّد عن الرِّقة، نحو: رحم الله فلاناً. فإذا وصف به الباري تباركت أسماؤه، وتنزهت صفاته، فلا يراد به إلا الإحسان المجرَّد دون الرقة، وعلى هذا: فإنَّ الرَّحمة من الله تعالى: إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقَّةٌ، وتعطف، فالله سبحانه وتعالى ركز في طبائع الناس الرقة، وتفرَّد بالإحسان؛ ورحمةُ الله سبحانه في الدنيا عامةٌ للمؤمنين والكافرين، وفي الآخرة مختصةٌ بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] والغضب: تكلمت عليه في شرح الحديث (٢٧) فارجع إليه. والمعنى: أنَّ الله سبحانه أخبر أنه الإله المنفرد بالألوهية، وقد سبقت رحمتُه، وإحسانُه، ولطفُه غضبه وانتقامه ممن أساء لنفسه، وخالف مولاه، واتبع شيطانه، وهواه. وأنَّ مَنْ شهد لله جل ذكره بالوحدانية المطلقة، ولرسوله محمد ﷺ بالرسالة والعبودية له الجنةُ، يدخله الله من أيِّ بابٍ شاء.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ/٩/ ورقم (٢٥٨٠) وقال: رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وإسناده ضعيف.

وهذا مقيَّدٌ بمن واظب على المأمورات، واجتنب المنهيات، كما يؤخذ من أدلةٍ أخرى، لا تخفى على المطّلع.

وسند الحديث ـ والله أعلم ـ كسابقه.

٨١ ـ «الرَّحِمُ شُجْنةٌ مِنِّي، فمَنْ وَصلهَا؛ وصَلْتُه، ومَن قَطعَها؛ قَطعْتُه»(١)

رواه الطبراني، وأبو يعلى عن عامر بن ربيعة.

ش ـ الرَّحم: تقدَّم الكلامُ عليه، فلا حاجة إلى الإعادة. وقوله: «شُجْنَةٌ» بكسر أوله وضمِّه، وسكون ثانيه هي في الأصل: عروقُ الشجر المشتبكة، والمراد بها هنا: القرابة المشتبكة كاشتباك العروق. شبَّهه بذلك مجازاً، واتساعاً، وباقي الكلام على الحديث تقدَّم غير مرَّةٍ، فارجع إليه.

٨٢ ـ «الحَسنةُ بعَشْرِ أمْثالِها، أوْ أزْيَدُ، والسَّيِّئةُ واحدةٌ، أوْ أغْفِرُها، وَلوْ لَقيَني بقُرابِ الأرْضِ خَطايَا؛ لمْ يُشْرِك بِي شَيئاً؛ لَقيتُه بقُرابها مَغْفِرةً»(٢).

رواه مسلم. وأبو نعيم عن أبي ذرٍّ.

ش ـ تقدَّم الكلام على بعض معانيه. وقراب بضم القاف، وحُكِي كسرها: مصدر قاربَ، يقارب؛ أي: بما يقارب ملأها. والمعنى: أنَّ الله تبارك وتعالى يخبرنا بأن الحسنة الواحدة إذا فعلها العبد لا تقلُّ عن ثواب عشرة أمثالها إلى مالا نهاية قدراً وكمية. وإذا فعل السَّيِّئةَ الواحدة لا يزيد عليها عقابها عن حسنة مثلها، هذا إذا حاسبه الله عليها، وعاقبه. وإذا شاء عزَّ وجلَّ غفرها له، ولو أنَّ العبد لقي الله تعالى ذكره بما يقارب ملء الأرض خطايا، وذنوباً، ولم يشرك الله تعالى فيها شيء؛ لقيه مولاه وباريه بما يقرب ملأها مغفرةً. وهو حثٌّ على الإنابة إليه تعالى، وعدم القنوط من رحمته،

---

(١) رواه أبو يعلى رقم (٧١٩٨). والبزار رقم (١٨٨٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٠) وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه، والبزار، وفيه عاصم بن عبيد الله ضعفه الجمهور. وقال العجلي: لا بأس به، نقول: وفي إسنادهما أيضاً شريك القاضي ضعيف، فالحديث ضعيف.

(٢) رواه بلفظ المؤلف أحمد في المسند (٥/١٠٨). والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده حسن، ورواه مسلم رقم (٢٦٨٧)، وابن ماجه رقم (٣٨٢١) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه بأطول منه.

والإخلاص في العبادة لله وحده بدون تشريك في الأعمال، والأفعال، والعقائد، فلا يشرك مع الله غيره من نفسٍ، وهوىً، وشيطان، وشيخ طريقة، ومربٍّ، ووليٍّ صاحب قبة، وغير ذلك مما يدخل فيها. نسأل الله السلامة في ديننا من أن نشرك أحداً مع الله تعالى في جميع أحوالنا، وأطوارنا. والله أعلم.

٨٣ ـ «الحسَنةُ عشْرٌ، وأزْيَدُ، والسَّيّئةُ واحدةٌ، وأمحُوها، والصَّوْمُ لِي، وأنا أجْزِي بِهِ. الصَّومُ جُنَّة مِنْ عَذابِ الله كمِجَنِّ السّلاحِ منَ السَّيْف»[1]. رواه **البغويُّ عن رجل.**

ش ـ الصَّوم معناه في اللغة: مطلقُ الإمساك، وفي الشّرع: إمساكٌ مخصوصٌ، بأن يكفَّ فمه، ودبره عن إيصال شيء إلى الداخل، وفرجه عن الوصال من طلوع الفجر إلى أذان المغرب. وقوله: «جنة» بضم الجيم، وتشديد النون المفتوحة: ما يجنُّك؛ أي: يسترك، ويقيك. والمجَنُّ ـ بكسر الميم، وفتح الجيم، وتشديد النون ـ: الترس. والمعنى: أنَّ الصوم لله جلَّ ذكره؛ لأنه لا أحد يطلع عليه إلا الله؛ لأنه عملٌ مستور؛ لذلك أضافه إلى نفسه، ولما كان كذلك: فالله جلَّ ذكره يجزي به بنفسه، وإن كانت باقي الأعمال كذلك إلا أنَّ الله سبحانه يعتني به زيادةً عن غيره من الأعمال بدون أن يطلع أحداً على ثوابه، فإنَّ فيه تهذيب النفس، وتشبيهها بالملائكة، وهو أعظمُ رياضة بدنية ومعنوية للإنسان، ألا فليكثر العاقلُ منه مع شروطه! والصومُ وقاية للنفس، تحفظها من الوقوع في المكاره، كما أنَّ الترس يتَّقي به المحاربُ سلاحَ خصمه، كالسيف وغيره، فانظر كيف يبيِّن لنا الشَّارع المنافعَ التي تنقذنا من الآفات، وكيف نتقي المعاصي والمخالفات إذا هجمت علينا، وقائدها إبليس الرجيم، والنفس الأمَّارة بالسوء، والهوى المتَّبع. نسأل الله أن يلهمنا ما يدفع الشيطان وجنوده بكثرة التعبُّدِ، والانكبابِ على الأعمال الصالحة، والمشاريع الخيرية.

٨٤ ـ «الحسَنةُ بعشْرٍ، والسَّيِّئة بواحدةٍ، أو أغفِرها، ولوْ لقِيني بقُرابِ الأرضِ خطيئةً. ومنْ همَّ بحسنةٍ فَلمْ يعْملْها؛ كتِبتْ لهُ حسَنة، ومَنْ همَّ بسيّئةٍ فلمْ يعملْها؛ لم يُكْتبْ عَليْهِ شيءٌ، ومنْ تَقرَّب مني شِبْراً؛ تَقرَّبت منه ذِراعاً، ومَن تقرَّب مِنِّي ذِراعاً؛ تقرَّبتُ مِنهُ باعاً»[2]. **رواه الطبراني عن أبي ذرٍّ.**

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج٨ رقم (٢٦٦٢٣) وقال: رواه البغوي عن رجل، نقول: وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/١٥٣ و١٦٩). ومسلم رقم (٢٦٨٧) والطيالسي =

٨٥ ـ «الصَّومُ جُنّـةٌ منَ النَّار، ولِيَ الصَّومُ، وأنا أَجْزِي بـهِ، يَدعُ شهوَته، وطَعامَه، وشرَابـهُ منْ أجْلي، لخَلُوفُ فم الصَّـائم أطْيبُ عنـدَ اللهِ منْ ريـحِ المِسكِ»[١]. رواه البغويُّ، والطبرانيُّ، وعبدان عن بشير بن الخصاصية.

٨٦ ـ «الصَّومُ جُنَّـةٌ يَسْتجـنُّ بها عبْـدِي منَ النَّـارِ»[٢]. رواه الطبرانيُّ في الكبير، والبيهقـيُّ عن أبي هريـرة.

٨٧ ـ «الصِّيامُ جُنّـةٌ يَسْتَجِـنُّ بها العبْـدُ مِنَ النَّـار، والصَّـومُ لي، وأنـا أجْـزي بـهِ، يدعُ طَعامهُ، وشرابَه منْ أجْلي. والَّذي نَفسي بيدِه لخَلوفُ فَـمِ الصّائم أطيبُ عنْـدَ الله مِنْ ريحِ المسْكِ!»[٣]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن بشير بن الخصاصية، وأبي هريرة.

٨٨ ـ «الصِّيامُ جُنَّـةٌ يَسْتجِنُّ بها العَبْـدُ منَ النَّـار، وهُوَ لي، وَأنا أجْزي بهِ»[٤]. رواه أحمد، والبيهقيُّ عن جابر.

٨٩ ـ «الصِّيامُ لـي، وأنا أجْـزِي بـهِ»[٥] رواه البزَّار عن أبي هريرة.

= رقم (٤٦٤) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٣٥) من حديث بشير بن الخصاصية رضي الله عنه، وفي إسناده جُرَيُّ بن كليب، وثقه قتادة. وضعفه غيره. ويشهد له ما بعده.

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٣٥٦٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٣٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) وقال: حديث أبي هريرة في الصحيح بنحو هذا ورواه الطبراني في الكبير. وجُريُّ بن كليب: وثقه قتادة. وضعفه غيره. ويشهد له ما قبله.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٩٦). والبيهقي في الشعب رقم (٣٥٧٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٠) وقال: رواه أحمد. وإسناده حسن.

(٥) رواه البزار رقم (٩٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٨٢) وقال: هو في الصحيح باختصار. رواه البزار. ورجاله موثقون. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نقول: وهو حديث صحيح.

ش ـ الحديث الأول: تقدَّم الكلام على بعض ألفاظه قريباً، فلا حاجة للإعادة. وقوله: «ومن هَمَّ» تقدَّم الكلام على الهَمِّ، فأغنى عن إعادته. كذلك قوله: «ومن تقرَّب مني شبراً. . . إلخ» سبق ذكره. وقوله في الحديث الثاني: «لخلوفُ» الخلوف؛ بفتح الخاء المعجمة، وضم اللام: تغيُّر رائحة الفم من الصوم.

وقوله في الحديث الثاني: «رواه البغوي» هو الإمام الحافظ محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب المصنفات العظيمة، منها: شرح السنة، والمصابيح. توفي سنة ست عشرة وخمسمئة.

٩٠ ـ «العِزُّ إزاري، والكِبْرياءُ رِدائي، فمَنْ نازَعَني منهما شَيْئاً؛ عَذَّبْتُه». رواه مسلم عن أبي سعيد[١]. وسمويه عنه، وعن أبي هريرة معناه، والطبرانيُّ في الأوسط، والصغير عن عليٍّ[٢].

٩١ ـ «الْكِبْرِياءُ رِدائي، فمَنْ نازَعَني رِدائي؛ قَصَمْتُه». رواه الحاكم عن أبي هريرة[٣].

٩٢ ـ «الكِبْرياءُ رِدائِي، والعَظَمةُ إزاري، فمَنْ نازَعني واحِداً منْهُما؛ قَذفْتُه في النَّار»[٤]. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة.

ش ـ العِزُّ بكسر العين المهملة ضد الذُّلِّ ـ والعِزَّة: القوة، وهي حالةٌ مانعة للإنسان من أن يُغْلَب. والإزار: الثوب الذي يتزر به. والكبرياء: العظمة، والملك. والرداء:

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ر رقم (٥٥٢). ومسلم رقم (٢٦٢٠) في البر والصلة من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٢) رواه الطبراني في الصغير رقم (٣٣١). والأوسط رقم (٣٣٨٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٩٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد: ضعفه أبو زرعة، وغيره. أقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/٦٩) وصححه، ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/٢٤٨ و٤١٤). وأبو داود رقم (٤١٧٤). وابن ماجه رقم (٤١٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

الثَّوبُ الذي يرتدى به من الحرِّ والبرد. والقصم: كسر الشيء، وإبانته. والقذف: الرمي بقوَّة. وضرب الإزار والرداء مثلاً في انفراده جلَّ ذكره بصفة العظمة، والكبرياء، والعز، والقوة؛ أي: ليست كسائر الصفات التي قد يتَّصف بها الخلق مجازاً، كالرحمة، والكرم، وغيرهما، شبه ما ذكر بالإزار، والرداء؛ لأن المتَّصفَ بهما يشملانه كما يشمل الرداءُ الإنسان، ولأنه لا يشاركه في إزاره، وردائه أحد، فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشركه في هذه الصفات أحدٌ. والمعنى: أنَّ الله عز وجل يخبرنا، ويعلمنا: أنَّ العز، والقوة، والكبرياء، والعظمة هي مختصةٌ بالله تعالى، لا يشاركه في هذه الصفات أحدٌ من خلقه، ولا يليق، لا جنٌّ، ولا أنسٌ، ولا ملكٌ، ولا سلطانٌ، ولا فقيرٌ، ولا غنيٌّ، ولا صعلوكٌ، كاختصاص أحدكم بردائه وإزاره، فإنهما يشملانه دون غيره، وهذا ضرب مثل تقريبي إلى عقول البشر حسب عاداتهم وعرفهم ليفهموا، ويعقلوا، فمن نازع المولى جلَّ علاه في شيء من هذه الصفات المختصة به جلَّ وعزَّ؛ قذفه في ناره ـ وهو قادر على ذلك بدون مانع مطلقاً ـ وعذَّبه بها، وقصمه.

وفيه: الزَّجرُ عن ادِّعاء العزة، والكبرياء، والعظمة، والقوة؛ لأنها لا يوصف بها في الحقيقة على الإطلاق غير الخالق، البارىء، العالم، الواجد من العدم، وهي دائمةٌ باقيةٌ لله سبحانه وتعالى. (فإن قيل): إنَّ كثيراً من الخلق مؤمناً كان أو كافراً عنده العزَّةُ، والقوَّةُ، ولا سيما الكفار في عصرنا الحاضر، فالجواب: أنَّ هذه القوةَ، والعزَّةَ هي سحابةُ صيف، لا تستمرُّ، وهي في الحقيقة ذلٌّ لهم؛ لأنَّهم يعملون أعمال البهائم، والمتوحشين، والجمادات في النوع الإنساني، وما حرب بولندة، وأخذها، واغتصابها من يد أهلها ببعيد، فنسأل الله عزَّة النفس، والقوَّة المثمرة التي تحملنا على المدافعة عن حقوقنا المقدَّسة، ونصر المظلوم، والأخذ على يد الظالم بحديد.

٩٣ ـ «المُتحابُّونَ في جَلالِي لهُمْ منابرُ مِنْ نورٍ، يغْبُطهُم النَّبيُّونَ، والشُّهداء»[١]. رواه الترمذيُّ عن معاذ.

٩٤ ـ «المُتَحابُّون لجَلالي في ظِلِّ عرْشي يوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي»[٢]. رواه

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٩٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح، وهو كما قال: من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٢٨/٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/١٠) وقال: رواه أحمد، والطبراني وإسنادهما جيِّد. من حديث =

أحمد، والطبراني في الكبير عن العرباض بن سارية.

ش ـ المتحابُّون: المتوادُّون، والتحابُبُ: التوادد، وتحابوا: أحبَّ بعضُهم بعضاً. والجلال: التناهي في عظم القدر، وخصَّ بوصف الله سبحانه وتعالى بقوله: «ذو الجلال والإكرام» ولم يستعمل في غيره. والمنابر: جمع منبر، معروفٌ. وقوله: «يغبطهم» من الغبطة بكسر أوله وسكون ثانيه. يقال: غبطتُ الرَّجل، أغبطه، غبطاً: إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله، وأن يدوم عليه ما هو فيه، فالغبط حسٌّ خاصٌ مقبول. والنبيون: جمع نبي، وهو بشرٌ أوحي إليه بشرعٍ يعمل به، فإذا أمر بتبليغه فيكون رسولاً أيضاً. والشهداء: جمع شهيد، وهو في الأصل مَنْ قُتِل مجاهداً في سبيل الله، ثم اتسع فيه، فأطلق على من سمَّاه النَّبيُّ ﷺ: من المبطون، والغريق، والحريق، وغير ذلك. والظلُّ: الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أيّ شيءٍ كان. وقيل: هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشمس، وما كان بعده فهو الفيء. والعرش في الأصل شيء مسقف، وعرش المَلِك: سريره. ويطلق أيضاً على معانٍ أخر منها: عرش البئر: طيُّها بالخشب، وعرش السماء، والملك، والسلطان، والعز، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفةُ عرش الرحمن، وإحاطته. والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ المتحابِّين في جلال الله؛ أي: المخلصين في المحبَّة لله، لا لحظٍّ دنيويٍّ، ولا أخروي.

والمتحابُّون في الله على ثلاثة أنواع، الأول: إما أن يكون الشخصان تحابَّا في الله جلَّ علاه مع رجاء حطام في هذه الدار معنوياً كان، أو حسيّاً، فهذا طالبُ حاجةٍ، وهمَّتُه في دنياه، فليس له إلا حاجته قُضِيَتْ، أو لم تُقْضَ، كما قال ﷺ: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه إلى دنيا يصيبها، أو امرأةٍ يتزوَّجُها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» والثاني: أن تكون صحبتُه لله مع رجاء حظٍّ أخرويٍّ حسّاً كان، أو معنى، فهذا أيضاً طالبُ حاجةٍ، لكن نفسه أرفعُ من الأول، وهو الأكثرُ عند المنتسبين للخير، فله حاجتُه قُضِيتْ، أو لم تُقْضَ. والثالث: الذي تكون صحبتُه لله ليس إلاَّ، فهذا الذي يصدُق عليه اسمُ المتحابين في الله على حقيقة اللفظ. وإذا كان كذلك لا يغيره من أخيه شيء يصدرُ له منه. وإذا كان على غير هذا الوجه قلّما يثبتُ عند الامتحان، فإذا كانت نيَّةُ أحدهما لله، ونيَّة الآخر لغير ذلك، فلكلِّ امرىءٍ ما نوى. فإذا كان ذلك كذلك؛ فينصبُ لهم يوم القيامة منابرُ من نور، يقفون عليها، فينظر إليهم أهل الموقف، فيغبطهم على مقامهم هذا الأنبياءُ، والشهداءُ.

= العرباض بن سارية رضي الله عنه، وإسناده حسن.

ويكونوا في ظلِّ عرش الربِّ تبارك، وتعالى يوم لا ظلَّ يقي الإنسانَ من السُّوء إلا ظلَّ المولى جلَّ جلاله، فهذا مما نؤمن به، ونصدِّق بالأخبار الواردة فيه، والكيفية لا مجال للعقل فيها.

فإن قيل: إنَّ الظلال كلَّها لله سبحانه وتعالى ملك في الدنيا والآخرة، فما الحكمة في الإخبار بهذه الصيغة هنا؟ فالجواب: أنَّ ظلال الدُّنيا وإن كانت له جلَّ جلاله فمنها ما قد جعلها عزَّ وجلَّ ملكاً للعبيد، تملَّكوها بحسب ما شرع لهم ذلك، لا يتصرف فيها أحد إلا برضاهم حكم منه لذلك، مثل ظلال الحدائق الممتلكة، وظلالُ الله عز وجل لم يجعلْ لأحدٍ عليها ملكاً، فمن احتاج إلى شيءٍ منها أخذها دون عتب له على ذلك، مثل الظلال التي في القفر، أو التي خرج أصحابُها عنها لله عز وجل، وسبَّلوها له. وظلالُ الآخرة ما فيها مباحٌ بل كلها قد تملكت بالأعمال. والله أعلم.

٩٥ ـ «النَّظْرةُ سَهمٌ مِنْ سهامِ إبْليسَ، منْ تَركها مِنْ مَخافَتي؛ أبْدَلْتُه إيماناً يَجدُ حَلاوتَهُ في قلبه»[١]. رواه الطبرانيُّ والحاكم عن ابن مسعود.

ش ـ النَّظرة ـ بفتح أوله، وسكون ثانيه من النظر للمرأة ـ والنَّظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء، ورؤيته، وقد يراد به التأمُّل، والفحصُ، وقد يرادُ به المعرفة الحاصلةُ بعد الفحص، وهو الرَّوِيَّةُ. يقال: نظرت فلم تنظر؛ أي: لم تتأملْ، ولم تتروَّ، والسَّهمُ واحد النبل، وهو مركب النصل، أو ما يرمى به، وما يضرب به من القداح ونحوه. والجمع: أسهم، وسهام. زاد الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» في هذا الحديث «سهمٌ مسموم... إلخ» وقال في آخره: رواه الطبرانيُّ، والحاكم من حديث حذيفة، وقال: صحيح الإسناد: وقال الحافظ: خرَّجاه من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطيّ، وهو واهٍ. انتهى.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٣٦٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٣) وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف أقول: وقال أحمد ليس شيء منكر الحديث، وقال أبو حاتم منكر الحديث. والحديث ضعيف. ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٣) وصححه وقال الذهبي في التلخيص إسحاق بن عيد القرشي واهٍ. وعبد الرحمن الواسطي ضعفوه. والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٢٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

والمعنى: أنَّ الله تباركت أسماؤه، وتنزَّهتْ صفاتُه يخبرنا: أنَّ النظرة. الواحدةَ من الإنسان إلى المرأة الأجنبية، أو الصبي الأمرد للتلذُّذِ والاستمتاع، أو إلى أموال الناس شرهاً، وبغضاً، وحسداً سهمٌ مسمومٌ من سهام إبليس اللعين، يسلط على العبد، فيصيبُ به قلب المؤمن، فيصليه نار المعصية، والمخالفة، ويبعده عن الله جلَّ ذكره، فمن جاهد نفسه، وترك هذه النظرة مخافة الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ الله سيبدله إيماناً، ويقيناً، يجدُ حلاوته في قلبه، فليختر الإنسانُ بين مطاوعته نفسه، وإعطائها حظها، فيتعرض لسموم إبليس وجنوده، وبين أن يكفَّ نفسه، وهواه، فلا ينظر إلى ما تقدَّم ذكره، فيستجلب رضا الرحمن، ويتعرض لثوابه، واللذة القلبية الإيمانية التي حلَّتْ في قلبه إعراضاً عن المعصية، وعدم التفاتٍ إلى ما ترغب فيه النفس.

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب تحثُّ الإنسان في أن يغضَّ طرفه عن النَّظر إلى ما لا يحل، فمن ذلك: ما رُوِي عن أبي أمامة، عن النبيِّ ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأةٍ ثم يغضُّ بصره إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها في قلبه»[1] رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: «ينظر إلى امرأة أول رمقة» والبيهقيُّ، وقال: إنما أراد إن صح ـ والله أعلم ـ أن يقعَ بصرُه عليها من غير قَصْدٍ، فيصرف بصره عنها تورُّعاً، وعن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال له: «يا علي! إنَّ لك كنزاً في الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»[2] رواه الإمام أحمد. وقوله: «ذو قرنيها» أي: ذو قرني هذه الأمة، وذاك لأنه كان له شجتان في قرني رأسه، إحداهما من ابن ملجم لعنه الله، والأخرى من عمرو بن ودّ. والله أعلم.

٩٦ ـ «بسم الله الرحمنِ الرَّحيم: إنّ مَنِ اسْتَسْلَمَ لقَضائي، ورضيَ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٤). والطبراني في الكبير رقم (٧٨٤٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٦٣) وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني متروك أقول: وفي إسناده أيضاً: عبيد الله بن زَحْر ضعيف، فالحديث ضعيف.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا من حديث علي رضي الله عنه، ورواه أحمد في المسند (٥/ ٣٥٣). وأبو داود رقم (٢١٤٩). والترمذي وقم (٢٧٧٨) من حديث بريدة رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

بحُكمي، وصبَرَ على بلائي؛ بعَثْته يومَ القِيامة مع الصِّديقينَ»[1]. رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّه قالَ: إنَّ أوَّلَ شيءٍ كتَبه الله في اللَّوْحِ المَحْفوظِ: بسمِ الله. . إلى آخره».

ش ـ الاستسلام: الإذعان، والانقياد، والقضاء ـ كما قال الراغب ـ: فصل الأمر قولاً كان ذلك، أو فعلاً، وكلُّ واحدٍ منهما على وجهين: إلهيٌّ، وبشريٌّ، فمن القول الإلهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر بذلك. وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم؛ أي: أعلمناهم، وأوحينا إليهم وحياً جزماً. وعلى هذا ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر: ٦٦] ومن الفعل الإلهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ [غافر: ٢٠] وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] إشارة إلى إيجاده الإبداعي، والفراغ منه، ومن القول البشري: نحو: قضى الحاكم بكذا؛ فإنَّ حكم الحاكم يكون بالقول. ومن الفعل البشري: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] و﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال صاحب النهاية: أصل القضاء القطع، والفصل، يقال: قضى، يقضي، قضاءً، فهو قاضٍ: أي: حكمَ، وفصلَ، وقضاء الشيء: إحكامُه، وإمضاؤه، والفراغُ منه، فيكون بمعنى الخلق. وقال الأزهريُّ: القضاء في اللغة على وجوهٍ، مرجعها إلى انقطاع الشيء، وتمامه، وكلُّ ما أحكم عمله، أو أتمَّ، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي، والحكم بالشيء: أن تقضي بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيرك، أو لم تلزمه. والصبر والبلاء تقدَّم تعريفهما. والقيامة عبارةٌ عن قيام الساعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: ١٢] ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] والقيامة: أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعةً واحدةً، أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعةً، وقوله: «الصديقين» جمع صديق، وهو مَنْ كثر منه الصدق، وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قطُّ، وقيل: بل لمن لا يتأتّى منه الكذِبُ لتعوُّده الصِّدقَ. وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده، وحقَّقَ صدقَه بفعله.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ /٣/ ورقم (٨٦٥٩) وقال: رواه ابن النجار من حديث علي رضي الله عنه. وفي إسناده موسى بن طريف الأسدي، وهو زائغ ضعيف. والحديث ضعيف.

والمعنى: أنَّ من استسلم، وانقاد، وأذعن لقضاء الله جلَّ ذكره، ورضي بحكمه، وصبر على ما ابتلاه الله به من البلايا، والمصائب، ولم يقل ما يغضب الباري تعالى، بل قابل ذلك بالحمد، والشكر؛ بعثه الله يوم القيامة يوم العرض على ربِّ الأرباب يوم يعض الكافر على يديه ويقول: يا ليتني كنت تراباً، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] يوم حشر الأشباح مع الأرواح، يوم المحاسبة والمجازاة؛ مع الصِّدِّيقين الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا ما أمروا به حقّاً، واتبعوا سنن المصطفى ﷺ، وصدَّقوا بما جاء به الشَّرع المنيف دين الإسلام. اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين!

٩٧ ـ «تَعْجِزُ يابنَ آدَم أنْ تُصلِّي أوَّلَ النَّهارِ أرْبعَ رَكَعاتٍ؛ أكْفِكَ آخرَ يوْمِك»[(١)]. رواه البغوي عن أبي مرَّة الطائفي.

ش ـ العَجْز ـ بفتح العين المهملة، وسكون الجيم ـ نقيضُ الحزم، يقال: عَجَز عن الأمر يَعْجِزُ ـ بكسر الجيم ـ وعجز عجزاً فيهما. والعجز الضعف وصار في التعاريف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضدُّ القدرة. والمراد بالصَّلاة أول النَّهار صلاةُ النَّفل، وقيل: صلاة الفجر وسنته، وهو بعيد.

وفيه الحثُّ على الصلاة النافلة قبل الظهر، فإنَّها تكفي الإنسان دفع ما يعرض له باقي اليوم مما يضرُّ الإنسان ويؤذيه آخر يومه ذلك، وقد تقدَّم الحديثُ في أوَّل الكتاب.

٩٨ ـ «توسَّعْتُ على عِبادِي بثَلاثِ خصالٍ: بعثْتُ الدَّابَّةَ على القَمْحِ والشَّعيرِ، ولولا ذلك لَكَنزَهمَا النَّاسُ، وتَغيير الجَسدِ بعْدَ المَوْتِ، ولولاَ ذلكَ لمَا دَفنَ حَميمٌ حَميمَه، وسَلَبْتُ حُزْنَ الحَزينِ، وإلا ما كانَ يَسْلو»[(٢)]. رواه ابنُ عساكر عن زيد بن أرقم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٨٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٦) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح من حديث أبي مرَّة الطائفي رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه ابن عساكر (٢٧/ ٢٥٨) والديلمي رقم (٨١٠٠). وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٩٣) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

ش ـ التوسيعُ: خلاف التضييق، والخصالُ: جمع خصلة؛ أي: حالة، والبعثُ، والابتعاث: بمعنى الإرسال، والدابة كل ما يدبُّ على الأرض من الحيوان. والمراد به هنا: السُّوس، وهو الدود الذي يأكل الحبَّ، والخشب، الواحدة: سوسة، فإذا وقع السُّوس في الحبِّ، فلا يكاد يخلص منه، والقمح، والشعير: معروفان. والكنز ـ في الأصل ـ المال المدفون تحت الأرض، والمراد به هنا: الجمع، والادخار، والتغيير والتبديل من حالة إلى أخرى. والحميم: القريب الذي يهتمُّ لأمرك، والسَّلب: نزع الشيء من الغير على القهر، والحزن ـ بضم الحاء المهملة، وسكون الزاي، وبفتحها ـ: ضد السرور، والسلو: الصبر، يقال: سليت عن كذا، وسلوت عنه، وتسليت: إذا زالت عنك محبته.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تبارك، وتعالى أخبر أنَّه توسَّع على عباده بخصال ثلاثة، ولم يضيق عليهم ـ كرماً منه، ورحمةً بهم ـ الخصلة الأولى: أنَّ الله جلَّ وعلا بعث وأرسل الدابة ـ التي تسمَّى السوس ـ على القمح والشعير وسلطها عليهما رحمةً بالعباد، ورأفةً بهم؛ لأنهما قوت العباد الضروري لهم ولو لم يفعل ذلك بل حفظهما كباقي أنواع الأصناف الأخر لاجتهد النَّاس في كنزهما، وادِّخارهما، والحرص على إخفائهما عن أعين الناس، إمَّا لشدَّة حاجة الناس إليهما، فيبيعهما المدخر بثمنٍ متفاحشٍ جدّاً، أو ليأتي يوم تصيب الزرع آفةٌ سماوية، أو أرضيةٌ، فيقل القمح والشعير، فلا يجدهما الإنسان ولو بثمن متفاحش، فيخرجهما المدَّخرُ، ويقتات هو وعياله ودوابه منهما، فلا يحتاج حينئذٍ، وفي كلٍّ منهما مشقةٌ، وحرجٌ، وتضييقٌ على الناس، فسهَّل الله للعباد، وأرسل هذه الدودة، وسلطها عليهما لئلا يدَّخر أحدٌ منهما شيئاً سنين، فيضيق الناس، ويحرجون فسبحانه من إله ما أكرمه، وأحلمه، وألطفه، وأرأفه بعباده!

الخصلة الثانية: تغيير الجسد بعد الموت، وتبديلُه من حالة مرضية مقبولة إلى حالة نتنٍ، وقذرٍ تعافه النفوس، ولا تتمكنُ من الإقبال إليه، والاستمتاع به، كما كان قبل الموت، فيتبدّل إلى جيفةٍ تنفرُ منها الطباع، وتشمئز منها النفوس، ويتمنون زوالها من بين أيديهم، وإبعادها عنهم، ولو كان الجسدُ جسدَ أحبِّ الناس إليهم، وأرضاه عندهم، وأقربه لديهم، وذلك رفقٌ بالناس، ورحمةٌ بهم، وتوسعةٌ، ولولا ذلك لما دفن صديقٌ قريبٌ صديقه القريب، وشحَّ بدفنه، وجعله معه يتردَّدُ إليه، ويتمتَّع بجسده الفاني، ولربما تغالى في حبه، وتعظيمه، والثناء عليه، فيحفظه من أن تمتدَّ إليه يدٌ بسوءٍ، فيموت الآخر، وهكذا، فتضيق الدنيا على أهلها، فيكون الحرج، والمشقَّة،

فرفع المولى ذلك عن عباده، ووسَّع عليهم بأن غيَّر الجسد، فيزهد الناسُ فيه، فيدفن، ويقبر، ويذهب، فتأكله الأرض والدود. فسبحانك يا ربّ ما أرأفك بعبادك، وأرحمك!

والخصلة الثالثة: أنَّ الله ـ جلَّ ذكره ـ إذا حزن عبدُه بسبب فقد ولدٍ له، أو قريبٍ، أو أصابه بلاءٌ، أو ذهب ماله بسبب ما، أو غير ذلك؛ يسلبُ، ويذهبُ من صاحب الحزن حزنَه، وينسيه ذلك رحمةً بنا، وتوسعةً على خلقه، وإن لم يفعل الله ذلك به، وتركه ونفسه؛ لأصبح وأمسى حزيناً لا يفكِّرُ في شيءٍ ما، وكذلك غيره، فتتعطل مصالحُ الناس، وتشلُّ حركتُهم، وتضييق معايشُهم، ويحصل الخللُ، والتوازنُ. فسبحانك من إله تعبد لذاتك! اللهمَّ إني أسألك أن توفقني، وإخواني إلى شكرك، والاستسلام لقضائك، وحكمك، والانقياد لأوامرك!

٩٩ ـ «ثلاثٌ مَنْ حافَظَ عليْهِنَّ؛ كَانَ وَلِيِّي حقّاً، ومَنْ ضَيَّعهُنَّ؛ كانَ عَدُوِّي حقّاً: الصَّلاةُ، والصَّومُ، والغُسْلُ مِنَ الجَنابةِ»[1]. رواه البيهقيُّ عن الحسن مرسلاً، وابنُ النَّجار عن أنس.

ش ـ الوليُّ: ضدُّ العدوِّ. وهو فعيل إمَّا بمعنى مفعول، وهو مَنْ يتولى الله أمرَه، وحفظَه على التوالي، فلا يكله إلى نفسه طرفة عين، قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦] وإمَّا بمعنى فاعل، وهو مَنْ يتولى عبادة الله، وطاعته، ويتوالى عليه من غير تخلُّل بمعصية، وكلا الوصفين شرطٌ في الولاية، كما ذكره القشيري[2]، والمراد به هنا: من حافظ على ثلاث: الصلاة، والصوم، والغسل من الجنابة. والعدوُّ: ضدُّ الوليِّ. والصَّلاة، والصِّيام: تقدَّم الكلام عليهما قبلُ. والغسل ـ بضم الغين المعجمة ـ: إراقةُ الماء على

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٨٩٦١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٩٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه عدي بن الفضل ضعيف! من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) القشيري: هو الإمام الزَّاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، المفسر، صاحب الرسالة. ولد سنة (٣٧٥)هـ قال القاضي ابن خلِّكان: كان أبو القاسم علامةً في الفقه والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب. توفي رحمه الله سنة ٤٦٥هـ.

جميع البدن، ودلكه، وتعميمه مع النِّيَّة، والجنابةُ: أمر معنوي يقوم بالإنسان بسبب الجماع، أو نزول المني منه، وهي في الأصل: البعد؛ لأنَّ الجنب ـ الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني ـ نهي أن يقربَ مواضع الصَّلاة ما لم يتطهر. وقوله «مرسلاً»: يعني: أنَّ الحديث روي مرسلاً. والمرسلُ: ما سقط منه الصحابي؛ لأنَّ الحسن البصريَّ رضي الله عنه تابعيٌّ، ولا يصحُّ الاحتجاجُ بالحديث المرسل، ورواه ابنُ النَّجار عن أنسٍ، فهو مرفوعٌ من طريقه، والله أعلم، والمحافظة على هذه الأشياء: المواظبةُ، والاستمرارُ عليها.

والمعنى: أنَّ الله جل ذكره يخبرنا أنَّ ثلاثَ أمورٍ مَنْ حافظ عليهن، أي: من أتى بهنَّ، واستمرَّ عليهن بدون تركهن مرةً واحدةً؛ كان وليَّ الله حقّاً، وتولَّى اللهُ أمورَه، وكان ناصراً له، فيكلؤه بعنايته، ويوفِّقه للأعمال الصالحة، فلا يأتي إلا بخير؛ الأمر الأول: الصلاة؛ بأن يأتي بها مستجمعة الأركان، والشرائط، والمندوبات، في أول أوقاتها المحددة لها شرعاً ـ وهي أفضلُ الأعمال بعد الشهادتين، وأول ما يحاسب به العبدُ يوم القيامة ـ كما ورد الحديث بذلك عن أنس.

والثاني: الصَّومُ؛ بأن يمسك عن الأكل، والشُّرب، والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويمسك نفسه عن الفحش، وما يستقبح من الأعمال، والألفاظ المؤذية بحيث إذا آذاه أحدٌ، أو شتمه، أو سابّه، أو قاتله؛ فلا يردُّ عليه، بل يقول له: إني صائم، إني صائم، كما ورد في الحديث القدسيِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنَّه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفثْ، ولا يصخبْ، فإن سابّه أحدٌ، أو قاتله؛ فليقل: إنِّي صائمٌ، إنِّي صائم»[1] رواه البخاريُّ، واللفظ له، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وابن ماجه.

الثالث: الغسلُ من الجنابة؛ بأن يصبَّ الماء على بدنه، ويعمَّ جميع أعضائه إذا جامع امرأته، أو احتلم في منامه، أو إذا نظر فأمنى مع المحافظة على ذلك، وينوي بقلبه ذلك.

فمن ترك أحدٌ هذه الثلاثة عامداً متعمِّداً؛ فقد برئت منه ذمَّةُ الإسلام، وخرج من

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (١٩٠٤). ومسلم رقم (١١٥١). والنسائي (٤/ ١٦٣ و١٦٤) من حديث أبي هريرة.

ربقة الإيمان، وأصبح كافراً؛ بحيث إذا مات لا يصلَّى عليه، ولا يدفن في قبور المسلمين، وأرى أنَّ ناساً كثيرين ممن ينتسب إلى العلم في عصرنا الحاضر يتهاونون بإحدى هذه الأمور، ورأيتُ أحد الناس ممن لنا به صلة واطِّلاعٌ يترك الصلاة عامداً متعمداً، والصوم في شهر رمضان، ويحمل زوجته على الفطر فتارةً تأبى عليه ذلك، وتقوى، وتغلبه، فلا تطاوعه، وتظلُّ صائمةً، وتارةً يسيطر عليها، ويغلبها فتفطر، ولا يغتسلُ من الجنابة بشهادة زوجته بذلك، فإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون.

فاللهم اهد قومي فإنَّهم ارتكبوا كلَّ معصيةٍ من المعاصي التي كانت الأمم تؤاخذ بواحدةٍ منها، وتؤخذ أخذ عزيز مقتدر، فما أرحمك بأمة محمد ﷺ، وعدم أخذك إياهم بجريمتهم، كما كنت تفعل بالأمم المتقدمة إكراماً لرسولك ونبيك!

١٠٠ ـ «ثَلاثَةٌ أنَا خصْمهمْ يومَ القِيامةِ: رجلٌ أعطى بِي ثمَّ غدرَ، ورَجلٌ باعَ حرّاً، ثمَّ أكلَ ثمَنُه، ورَجلٌ اسْتأجَرَ حُرّاً فاسْتَوفى منهُ، ولم يُعْطِهِ أجْرَه»[١]. رواه أحمد. والبخاريُّ عن أبي هريرة.

ش ـ الخصمُ: مصدر خصمته ـ أي: نازعته ـ خصماً، يقال: خاصمته، وخصمته، مخاصمةً، وخصاماً، ثم سمِّي المخاصم خصماً، واستعمل للواحد، والجمع، وربما ثني، وقال الهروي: الواحد بكسر أوله، وقال الفرّاء: الأول قولُ الفصحاء، ويجوز في الاثنين: خصمان، والثلاثة: خصوم، وأصل المخاصمة أن يتعلَّق كلُّ واحدٍ بخصم الآخر؛ أي: جانبه، وأن يجذبَ كلُّ واحدٍ خصم الجوالق من جانب. والغدرُ: الإخلال بالشيء، وتركه، والغدر يقال لترك العهد ونقضه، ومنه قيل: فلانٌ غادرٌ، جمعه: غدرة، وغدَّار: كثير الغدر. والحرُّ خلاف العبد. وقال الخطابي: اعتبادُ الحرِّ يقع بأمرين: أن يعتقه، ثم يكتمُ ذلك، أو يجحد، والثاني: أن يستخدمه كرهاً بعد العتق. والأول أشدُّهما. وقال الحافظ ابن حجر: وحديث الباب ـ أعني: هذا، أشدُّ؛ لأنَّ فيه مع كتم العتق، أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع، وأكل الثمن، فمن ثمَّ كان الوعيدُ عليه أشدَّ.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه يخبرنا أنَّ ثلاثةً من العباد يكون خصمهم يوم القيامة بسبب ما ارتكبوه من الآثام الفظيعة، والظلم المتناهي؛ الأول: رجلٌ، وعبدٌ من عباده أعطى

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/٣٥٨). والبخاريُّ رقم (٢٢٢٧). وابن ماجه رقم (٢٤٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

به ثمَّ غدر؛ أي: أعطى يمينه به؛ أي: عاهد عهداً، وحلف بالله على ذلك، ثم نقضه.
ولا شكَّ أنَّ الغدر من أكبر الصفاتِ المذمومة، والمفاسد العظيمة، وليس من أخلاق المؤمن الغدر، بل الوفاءُ بالعهد، وإمضاؤه؛ لأنَّ في نقضه إخلالاً بنظام الحياة العامَّة، والقوانين الدستورية، ويفسدُ على المرء تدبيره لمصلحته نفسه وغيره، وإضراراً بمن عاهده، ثمَّ نقض عهده، فلذلك جاء في القرآن الحكيم الحثُّ على إمضاء العهود، والوفاء بها، والتزامها، وعدم نقضها أيّاً كانت، ولو مع قوم غير مسلمين؛ بشرط أن لا يخلُّوا بشروطها بالإتيان بما ينافيها مما يضرُّ بصالح المعاهد، ويضعفه، ويحلُّ عزائمه، ويقوِّي أعداءه عليه. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] وروى البخاريُّ، ومسلم عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الغادر يرفع له لواءٌ يوم القيامة يقال: هذه غدرةُ فلان بن فلان»(١) وما أصعب هذا التشهير بالغادر على رؤوس الأشهاد يوم القيامة! حيثُ العالمُ كله مجتمعٌ، ويرون حالته، وما هو عليه من التشنيع، والخزي، والتوبيخ، والتعذيب.
ولا ريب أنَّ هذه الحالة هي أفظعُ حالةٍ يراها الخلق؛ لأنَّ الغدر أكبرُ جريمةٍ تُرتكَبُ، وصاحبه مهانٌ، ذليلٌ، حقيرٌ، تستنفر منه الطِّباع الحسَّاسةُ، وتستقبحُه العقولُ السليمة الراقية.

وأصبح في عصرنا الحاضر الغدر منتشراً، فلا تخلو عائلةٌ منه، فإنَّ قَيِّمَ العائلة يعطي زوجته، وأولاده، أو أخته، أو أحد أقاربه العهود، والمواثيق، والأيمان الغليظة أنه سيعطي فلاناً كذا، وفلانةً كذا، ويكتب لفلانٍ كذا، ويحبي فلاناً كذا، ثم يصبح ثاني الأيام، أو بعد أيامٍ، أو أشهرٍ، وينقض العهد، ويعبث بالأيمان، والمواثيق، ولا يعبأ بما هدَّده الشارعُ به، وأمره بالنزاهة، والوفاء به، وكذا تجدُ الغدر في القرى، والأرياف، سواءٌ كانت قريبةً إلى المدن العامرة منتشراً، وكذلك في المدن الكبيرة، والصغيرة، وكلما ارتقت أهل المدينة في المدنيَّة، والترفه، والتأنق الحديث كلما ازدادَ الغدرُ، وتنوَّعَ، واختير له أساليب جديدة مموهة، وآلات اصطناعية مشوهة، حتى صار

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/١٦ و٢٩ و٤٨). والبخاريُّ رقم (٣١٨٨) في الجزية والموادعة و(٦١٧٧) في الأدب. ومسلم رقم (١٧٣٥). والترمذي رقم (١٥٨١) وابن حبان رقم (٧٣٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

عادةً يألفها الكبراءُ، والعظماءُ، والقوّاد، والرؤساءُ، والملوكُ، والوزراء، فأمسى الإنسانُ ولا يثق بشخصٍ مطلقاً، وضاعت الذِّمَمُ، والشخصياتُ، وأصبح الوفاءُ بالعهود والأيمان في احتضارٍ، وقريباً سيشيَّعُ.

اللهم ارحم عبادك، وأرشدهم إلى الأخلاق المرضية، وحببهم في الأعمال الصالحة، والأفعال المجيدة، وألهمهم الرأفة، والرحمة، والشفقة بإخوانهم ليأمنوا شرَّهم!

واعلم أنَّ سبب الحرب التي قامت الآن في شهر رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة وألف الهجرية نقض العهود الملتزمة، والعبثُ بالقوانين الوضعية الدولية، وغصب بلاد الضعفاء، والاستيلاء على أموالهم، واستعبادهم، والقضاء على استقلالهم، وما أخذ بلاد الحبشة وألبانيا وبولاندة ببعيد، فأسأل الله حسن العاقبة!

الثاني: رجلٌ من عباده باع حرّاً، وأكل ثمنه بأن اعتبده محرراً؛ إمّا أن يعتقَه، ثمَّ يكتم ذلك، أو يجحده، وإمَّا أن يستخدمَه كُرهاً بعد العتق، ويبيعه. قال ابنُ حزم: إنَّ الحرَّ كان يباع في الدَّيْنِ حتى نزلت: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] واستقرَّ الإجماعُ على المنع، وخصَّ الأكل بالذكر؛ لأنه أعظمُ مقصود، هذا الزَّجر العظيمُ لمن استعبد رجلاً واحداً فما بالك فيمن استعبد ممالكَ، وعباداً، واغتصب حقوقهم واستولى على أموالهم وتجارتهم، وقضى على استقلالهم؟!

الثالث: رجلٌ استأجر أجيراً، وعاملاً بأجرٍ مخصوصٍ، وعمل كذلك، فاستوفى منه عمله، ولم يعْطه أجره، وهذا يصدق بأن استخدمه، وأعطاه أقلَّ مما يستحقُّ، أو منعه أجره، ولم يعطه شيئاً منه، وهذا أيضاً من باب التعبُّد، والاستخدام بغير أجرة، ولأنَّه استوفى منفعته بغير عوض، فهو ظالمٌ له، وقد ورد الترغيبُ بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقُه. رواه ابن ماجه، والطبرانيُّ وغيرهما.

(فإن قيل): هؤلاء كلُّهم ظلمةٌ، والله سبحانه وتعالى خصمٌ لجميع الظالمين، فما وجه التَّصريح بهذا الحديث؛ بأنَّ الله خصمٌ لهم؟ والجواب: والله عزَّ، وجلَّ وإنْ كان كذلك إلا أنَّه أراد التَّشديدَ على هؤلاء بالتَّصريحِ لفظاعةِ أمر ذلك في هذه الأشياء، واستقباحه. والله أعلم.

١٠١ ـ «ثِنْتانِ لمْ يكُنْ لكَ واحدَةٌ مِنْهما: جَعلْتُ لكَ نَصيباً حينَ أَخَذْتُ

بِكَظمِكَ؛ لأَطَهِّرَك، وأزكِّيكَ. وصَلاةُ عِبادِي عَلَيْكَ بعْدَ انْـقِضاءِ أَجَلِكَ»[1].

رواه عبدُ بن حميد عن ابن عمر.

ش ـ الكظم ـ بالتحريك ـ هو مخرج النَّفَس من الخلق وانقطاعه، والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى منح عباده خصلتين ليس لأحدٍ خلقه تأثيرٌ فيهما. إحداهما: جعلَ اللهُ للعبد نصيباً من ماله حين تخرج روحه، وينقطع نَفَسُه لتطهير العبد به، وانتفاعه بعد موته، وتزكيته نفسه، والثانية: جعل صلاة العباد على الميت بعد انقضاء أجله زكاةً له، وطهراً أيضاً ينتفع بها يوم الحساب والجزاء. فانظر ما أكرم المولى وأرأفه بعباده! وما أسوأ العبد المرتكب الذنوب! وما أهمله لأوامر ربه وخالقه! أليس الأجدر به أن يكون ملتزماً لأحكام شرعه، وسنن نبيه ﷺ، فلا يأتي إلا ما شرع، وأبيح له، ويتجنب المكروه والمبغوض، والممقوت لباريه ومولاه؟ اللهمَّ اهدنا سبيل الصواب ووفقنا لما تحبُّه وترضاه يا أرحم الراحمين!

١٠٢ ـ «حَقَّـتْ محَبَّـتي لِلْمُتحابِّينَ فيَّ، وَحقَّتْ محَبَّـتي لِلمُتَواصلينَ فيَّ، وحقَّتْ محبَّتي لِلْمُتَناصِحينَ فِيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي لِلمُتَـزَاوِرِينَ فيَّ، وحَقَّتْ محبَّتي لِلْمُتباذِلينَ فيَّ. المُتَحابونَ فِـيَّ على مَنابر منْ نورٍ، يَغْبُـطهمْ بمكانِهمْ النَّبِيُّـونَ، والصِّدِّيقـونَ، والشُّـهَـداء»[2]. رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم، والقضاعي عن عبادة بن الصامت.

ش ـ حقَّت: وجبت. والمحبَّة: إرادة ما تراه، أو تظنُّه خيراً، أو: تعظيم في القلب يمنعُ الانقياد لغير محبوبه. وقد عرفها القوم وأهل التحقيق وعبروا عنها بعباراتٍ كثيرةٍ كلُّ واحدٍ نطق بحسب ذوقه، وانفسح بمقدار شوقه، وهي من الأمور الوجدانية الذوقية؛ التي إنما تعلم بآثارها، وعلاماتها، فكلُّ مَنْ أدرك بعضَ علاماتها عبَّر بحسب ما أدركه، وهي وراء ذلك كله.

---

(١) رواه عبد بن حميد رقم (٧٧١) في المنتخب وابن ماجه رقم (٢٧١٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. ورواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٨١٠١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/٢٣٩)، وابن حبان رقم (٥٧٧). والترمذي رقم (٢٣٩٠) في الزهد، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

والمتحابُّون: تقدَّم الكلام عليه، والمتواصلون: جمع متواصل، وهو من كان بينك وبينه مواصلة، ووصلة، والوصل: ضد الهجران، يقال: وصلت الشيء بغيره، وصلاً، فاتصل به، ووصلته، وصلاً، وصلة: ضد هجرته. والمتناصحون: جمع متناصح، يقال: انتصح فلانٌ: قبل النصيحة، وانتصحني فإني لك ناصح، وتنصَّح تشبه بالنُّصاح واستنصحه: عده نصيحاً. والنَّصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها، وأصل النُّصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته، ونصحت له. والمتزاورون: جمع متزاور. وتزاور القوم: زار بعضهم بعضاً. واستزاره: سأله أن يزوره. والمتباذلون: جمع متباذل، بذل الشيء: أعطاه، وجاد به عن طيب نفس، أي: الذين يجود أحدُهم بمالٍ، أو غيره لأخيه في الله، والآخر كذلك. وقوله: «يغبطهم» تقدَّم الكلامُ عليه. وقوله: «النبيون، والصديقون، والشهداء» قد ذُكِرَ قريباً، فارجع إليه، فلا حاجة إلى الإعادة، وتراجمُ رواة الحديث تقدَّم الكلامُ عليها كلُّ راوٍ في محله. والله أعلم.

والمعنى: أنَّ الله تبارك اسمه، وتعاظمت صفاتُه أخبرنا: أنَّ محبته قد وجبت لأنواع خمسة؛ الأول: المتحابُّون في الله عزَّ وجلَّ، يعني: أنَّ أحدهم أحبَّ الآخر لوجه الله جلَّ، وعلا، لا لعلةٍ دنيويةٍ، ولا منفعةٍ عظيمة أخروية، والمحبة تنقسم بحسب ثمرتها وآثارها إلى قسمين: مشتركة، وخاصة.

فالمشتركة ثلاثة أنواع؛ أحدهما: **محبةٌ طبيعية مشتركةٌ**، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، وغير ذلك. وهذه لا تستلزم التعظيم. والنوع الثاني: **محبة رحمةٍ وإشفاقٍ**، كمحبة الوالد لولده الطفل، ونحوها، وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم. والنوع الثالث: **محبة أُنْسٍ، وإلفٍ**، وهي محبة المشتركين في صناعةٍ، أو علمٍ، أو مرافقةٍ، أو تجارةٍ، أو سفرٍ بعضهم بعضاً، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضاً، فهذه الأنواع الثلاثة هي المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله سبحانه وتعالى، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحلواء، والعسل، وكان أحبَّ الشراب إليه الحلوُ البارد، وكان أحبَّ اللحم إليه الذراعُ. وكان يحبُّ نساءه، وكان يحبُّ أصحابه، وأحبُّهم إليه الصِّدِّيقُ.

وأمَّا المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده، ومتى أحبَّ العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله: فهي محبة العبودية المستلزمة للذلِّ، والخضوع، والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلُّقها بغير الله أصلاً، وهي التي سوَّى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن

دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثاني: المتواصلون في الله عزَّ وجل، أي: وصل بعضُهم بعضاً، ولم ينقطعْ عن أخيه في الله، ولم يهجره، وهذا يصدُق بأن أحسن إليه، ومنحه صلته، وبرَّه، واستمرَّ على مواصلته قاصداً بذلك وجه الله سبحانه وتعالى. أو: وصله بمودته، ومحبته، والتقرب إليه بمحاسن كلامه، وطوائف أحاديثه، واستمرَّ على ذلك، ولم يهجرْه، ويقطعْه، ويقصد في ذلك كلِّه وجهَ الله، ورضاه.

الثالث: المتناصحون في الله جلَّ جلاله؛ بأن ينصح أحدُهم الآخر في شخصه، وماله، وولده، وأهله، وأقاربه، ويتحرَّى ذلك بفعلٍ، أو قولٍ فيه صلاحُ صاحبِه. والنصيحةُ من أهم أمور الدِّين، وأعظمه، وبها يقوَّم اعوجاجُ الخلق، وتصلح حالُهم؛ لأنَّ المؤمنَ للمؤمن كالمرآة، يرى عيوبه، ويكشفها، فعليه أن ينصحَه، ويبذلَ جهده في نصيحته وإن كانت ثقيلة على المنصوح أحياناً. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] وهي واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ لكلِّ مسلمٍ. قال النَّبيُّ ﷺ: «الدينُ النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصحية. قلنا: لمن يا رسول الله؟! قال: للهِ عزَّ وجلَّ، ولكتابه، ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[١] رواه مسلم. وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[٢] وقال النَّبيُّ ﷺ: «حقُّ المؤمن على المؤمن ستٌّ، فذكر منها: وإذا استنصحك فانصح له»[٣] وأفضلُ النَّصيحة ما كانت سرّاً، وقصد بها وجه الله.

النوع الرابع: المتزاورون في الله عزَّ، وجلَّ؛ أي: الذين يزورون الناس، والناس يزورونهم في بيوتهم، أو في مجتمعاتهم المشروعة، أو مكان عملهم سواءٌ كان قريباً،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/١٠٢)، ومسلم رقم (٥٥) في الإيمان، والنسائي (٧/١٥٦) والبغوي رقم (٣٥١٤)، وابن حبان رقم (٤٥٧٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٣٥٦). والبخاريُّ رقم (٥٧ و٥٢٤). ومسلم رقم (٥٦) والترمذي رقم (١٩٢٥). وابن حبان رقم (٤٥٤٥) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (٢١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أو بعيداً، ذا رحم، أو صاحب، وصديق، ولا يقصدون بذلك إلا التقرُّب إلى الله جل ذكره، والزلفى إليه.

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضل الزيارة، وما للزائر من الخير العظيم: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ رجلاً زار أخاً له في قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنِّي أحببته في الله. قال: فإنِّي رسولُ الله إليك؛ بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه»[1] والمدرجة بفتح الميم والراء: الطريق، وأرصده: أعد له ملكاً يقعد له على الطريق يترقبه. وقوله: «تربُّها» أي: تقوم بها، وتسعى في صلاحها.

وروى البزار وأبو يعلى بإسنادٍ جيدٍ عن أنسٍ رضي الله عنه؛ عن النبيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ عبدٍ أتى أخاه يزوره في الله إلا ناداه من السماء: أنْ طِبْتَ، وطابتْ لك الجنَّةُ، وإلا قال اللهُ في ملكوت عرشه: عبدي زار فيَّ وعليَّ قِراه، فلم يرض له بثوابٍ دون الجنَّة»[2] فهؤلاء وجبتْ لهم محبَّةُ الله عزَّ وجل، والمحبُّ مع مَنْ أحبَّ يوم القيامة. نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يهدينا طريقهم!

النوع الخامس: المتباذلون في الله؛ أي: مَنْ بذل ماله، وجاهه، وما يقدر عليه، وأعطاه، وسمح به لأخيه المؤمن المستحق عن طيب نفسٍ ابتغاء مرضاة الله، ولم يقصدْ بذلك سوى وجه الله تبارك وتعالى. قال الباجي: أي: الذين يبذلون أنفسهم في مرضاته من الإنفاق على جهاده عدوِّه، وغير ذلك مما أمروا به. والله أعلم.

والحديث رواه أيضاً مالك في الموطأ مطولاً.

١٠٣ ـ «حقَّتْ محبَّتي لِلْمتَحابِّينَ فيَّ، أُظلُّهُمْ في ظِلِّ العَرْشِ يوم القيامةِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٢ و٤٠٨)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٣٠)، ومسلم رقم (٢٥٦٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٣٤٦٥) وابن حبان رقم (٥٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبويعلى رقم (٤١٤٠). والبزار رقم (١٩١٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٧٣) وقال: رواه البزار وأبو يعلى ورجال (أبي يعلى) رجال الصحيح غير ميمون بن عجلون وهو ثقة. من حديث أنس رضي الله عنه. ويشهد له ما قبله.

يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي»[1] . رواه ابن أبي الدُّنيا عن عبادة بن الصَّامت .

١٠٤ ـ «حقَّتْ محبَّتي للّذينَ يَتصادَقُونَ من أجْلي، وحقَّتْ محبَّتي للذينَ يَتَناصرون مِنْ أجْلي، وَلا مِنْ مُؤمنٍ وَلا مُؤمِنة يُقَدِّم للهِ ثلاثَة أوْلادٍ مِنْ صُلْبهِ لمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إلا أدْخَله الله الجنَّةً بفَضْلِ رَحْمتهِ إيَّاهم»[2] . رواه الطبرانيُّ في الأوسط، والصغير عن عمرو بن عنبسة .

ش ـ الحديث الأول: تقدَّم الكلام عليه غير مرَّة، فلا حاجة للتكرار، وقوله في الحديث الثاني: «حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي» فحقت: وجبت. المحبةُ: تقدَّم الكلام عليها قريباً، والذين تصادقوا، أي: صادق بعضُهم بعضاً لله، لا لأمرٍ دنيويٍّ، ولا لغرض أخرويٍّ. والصِّدق ضدُّ الكذب. يقال: صدق في الحديث، يصدق ـ بالضم ـ صدقاً. وصدَّقه الحديث، وتصادقا في الحديث، وفي المودَّة. والمصدِّق: الذي يصدقك في حديثك. والصَّداقة، والمصادقة: المخالَّة. والمتناصرون: الذين ينصر بعضُهم بعضاً، ويتناصروا يقال: تناصر القوم: نصر بعضهم بعضاً، واستنصره على عدوه: سأله أن ينصره عليه. والنَّصر: العون؛ والصُّلب: الظهر. والحِنْث: الإثم، والذنب.

والمعنى: أن الله جلَّ ثناؤه أخبر: أنَّ محبته وجبت للمتحابيِّن فيه، ويظلُّهم، ويقيهم مِنْ هول يوم القيامة، وشدَّةِ حره، وعذابه في ظل العرش يوم لا ظلَّ يقي الناس من شدَّةِ ذلك اليوم إلا ظلُّه، وقد تقدَّم الكلامُ على المحبَّة تفصيلاً غير مرَّة، فارجع إليه. ووجبت محبة الله أيضاً لمن تصادق معِ أخيه لله، ومن أجله، جلَّ جلاله، ووجبت محبته تعالى للمتناصرين من أجله. وإنَّ المؤمنَ، أو المؤمنةَ إذا قدَّم لله ثلاثةَ أولادٍ مِنْ صلبه، أي: أولاد حقيقة لهم، لا أنَّهم ربوهم صغاراً، وجعلوهم أبناءَ لهم حسب التربية. وهل يدخل في ذلك أولاد الأولاد؟ فيه خلاف. ويخرج بهذا القيد أولادُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو حديث صحيح، ويشهد له ما بعده.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٣٨٦)، ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٩٠٨٠). والصغير رقم (١٠٩٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٧٩) وقال: رواه الطبراني في الثلاثة وأحمد بنحوه ورجال أحمد ثقات. نقول: وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

البنات قولاً واحداً. وهؤلاء الأولاد صغار، لم يبلغوا مبلغ الرجال، ويجري عليهم القلم، فيكتب عليهم الحِنْثَ، والإثم، والذنب، إلا أدخلهم الله جلَّ ذكره الجنة بفضل رحمته إياهم، لا بفضل صبرهم وشكرهم؛ لأنَّ الذي وفقهم للصَّبر، والشكر هو الله سبحانه وتعالى، والله عدْلٌ، ذو رحمةٍ واسعةٍ، وكرمٍ متناه. وقد ورد في حديث آخر: أنَّ مَنْ فقد له ولدان أيضاً له الجنة. وروى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه: «إنَّ النساءَ قلن للنَّبيِّ ﷺ: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، فقال: أيُّما امرأة مات لها ثلاثةٌ من الولد؛ كانوا لها حجاباً من النار. قالت امرأة: واثنان؟ قال: واثنان»[1] وفي روايةٍ للنَّسائي: إن رسول الله ﷺ قال: «من احتسب ثلاثةً مِنْ صلبه دخل الجنة. فقامت امرأةٌ، فقالت: أو اثنان؟ فقال: أو اثنان. قالت المرأة: يا ليتني قلتُ: واحداً»[2] والله أعلم.

١٠٥ ـ «حَسَنَـةُ ابن آدَمَ عَشْرٌ، وأَزِيدُهُ، والسَّيئة واحدةٌ وأَغْفِرُها»[3]. رواه أبو نعيم عن أبي ذر.

١٠٦ ـ «خَلَقْتُ الخيْرَ والشرَّ، فطُوبى لِمَنْ خلَقْتُه لِلخَيْرِ، وأجْرَيْتُ الخيْرَ على يديـهِ، ووَيْـلٌ لِمنْ خَـلقْتُـه للشَّـرِّ، وأجْرَيْـتُ الشرَّ على يدَيْه»[4]. رواه ابن شاهين عن أبي أمامة.

١٠٧ ـ «خَلَقْتُ بِضْعَ عشْرَة وثلاثَمئةِ خُلُقٍ، مَنْ جاءَ بخُلُقٍ منْها معَ شهادةِ أن لا إلـهِ إلا الله؛ دَخلَ الجنَّـــة»[5]. رواه الطبراني في الأوسط عن أنس.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٤). والبخاريُّ رقم (١٠٠) في العلم. ومسلم رقم (٢٦٣٤). والبغوي رقم (١٥٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في السنن رقم (١٨٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٤٨) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٤) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٣٤٥) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: أخرجه ابن شاهين في شرح السنة من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط رقم (١٠٩٧). وفي إسناده أحمد بن عبد الرحمن =

١٠٨ ـ «سَبقَتْ رحمتي غَضَبي»[1]. رواه مسلم عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم الكلام على الحديث الأول غير مرَّةٍ، وقوله: «أو أزيد» على صيغة المتكلم، ويصح أن يكون على صيغة التفضيل إلا أن قوله بعد «وأغفرها» يبعده. والحديث الثاني: ذكرنا شرحه، فارجع إليه، والحديث الثالث: تقدَّم ذكر مثله، وتكلمت على الخلق، وما جاء في مدحه، والحديث الرابع: تقدَّم الكلام على مثله، فارجع إليه، وقوله في الحديث الثالث: «بضع عشرة» البضع ـ بكسر الباء الموحدة، وقيل: بفتحها، وسكون الضاد المعجمة ـ: ما بين الثلاث إلى التسع.

وروى الحكيم الترمذيُّ في كتابه «سلوة العارفين وبستان الموحِّدين» عن عبد الله بن راشد قال: حدثني مولاي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله مئةً وسبعةَ عشرَ خلقاً، من أتى بواحدةٍ منهن دخل الجنة»[2]. وعن مروان يقول: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لله تعالى مئةً وسبعةَ عشرَ خلقاً، من جاء بخلقٍ منها دخل الجنة بغير حساب» فقلنا: بيِّنها لنا! قال: كظم الغيظ، والعفوُ عند المقدرة، والصِّلةُ عند القطيعة، والحلمُ عند السَّفه، والوقارُ عند الطيش، ووفاء الحقِّ عند الجحود. والإطعامُ عند الجوع، والعطيةُ عند المنع، والإصلاحُ عند الفساد، والتجاوزُ عن المسيء، والعطفُ على الظالم، وقبولُ المعذرة، والإنابةُ للحقِّ، والتجافي عن دار الغرور، وتركُ التمادي في الباطل. ألا وليس في أخلاق الله شيءٌ أحبُّ إليه من الجود، والكرم، فإذا أراد الله بعبد خيراً وفقه لأخلاقه، فتخلقَ بها، وإذا أراد الله بعبدٍ شراً خلَّى بينه وبين أخلاق إبليس، وإنَّ من أخلاق إبليس أن يغضبَ فلا يرضى، وأن يسمعَ فيحقد، وشراهيةَ النفس، وهنتها، وأخذَ ما ليس لها، ونزفها إلى اللهو والباطل.

= ابن يزيد: قال أبو عروبة ليس بمؤتمن على دينه. وأبو الدهماء البصري قال ابن حبان: كان ممَّن يروي المقلوبات. وأبو ظلال القسْملي ضعيف. من حديث أنس رضي الله عنه نقول: وإسناده ضعيفٌ جداً.

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار رقم (٣٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٦). وقال: رواه أبو يعلى في المسند الكبير، وفيه عبد الله بن راشد، وهو ضعيف. من حديث عثمان رضي الله عنه نقول: وإسناده ضعيف.

قال أبو عبد الله: فالأخلاقُ موضوعةٌ في الطبع ومعقلها في الصدر، والأخلاقُ منها ما هو جبلِّيٌّ تفضَّل الله بها على عبيده على قدر منازلهم عنده، فمنح أنبياءه منها، فمنهم من أعطاه منها خمساً، ومنهم من أعطاه منها عشراً، أو عشرين، وأكثر من ذلك، وأقلَّ، فمن زاده منها؛ ظهر حسن معاملته ربه، وحسن معاملته خلقه على قدر تلك الأخلاق، ومن نقصه منها، ظهر عليه ذلك؛ ولهذا ورد في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ: «إنما بُعِثْتُ لأتممَ مكارم الأخلاق» فأخبرنا بقوله هذا: أنَّ الرسل قد مضت، ولم تتمِّمْ هذه الأخلاق، كأنه بقيت عليهم من هذا العدد بقية، فأمر أن يتممها، فأعلمنا في قوله هذا: أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل فيه، ثم هو مبعوث لإتمام ما بقي منها ليقدم على الله جل ذكره بجميع أخلاقه التي ذكرها، فلا يجوز لنا أن نتوهَّم عليه أنه بعث لأمرٍ، فقدم على ربِّه وهو غير متمِّمٍ له. ومنها ما يكون بطرق الكسب والتعود، وتكلف النفس، وبعثها على ذلك حتى تعتاد نفسه ذلك، ومن كان هذا حاله كان تخلقه طهارةً لصدره وقلبه من دنس الخلق السَّيىء الذي هو ضدُّ هذا الخلق، فإذا تطهَّر من سيىء الأخلاق لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهدٍ، وكدٍّ شكر الله له ذلك، وأدخله الجنة برحمته وعفوه.

١٠٩ ـ «شَتَمني ابنُ آدمَ، ومَا يَنْبغي لهُ أن يَشْتُمَني! وكذَّبني، وما يَنبغي له أنْ يُكذِّبني! أما شَتمُه إيَّاي: فقَوْلهُ: إنَّ لِي وَلداً، وأنَا اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ، لمْ ألِدْ، ولمْ أولَدْ، ولمْ يكُن لِي كُفُواً أحَد. وأمَّا تَكْذيبُه إيَّاي: فقَوْله: ليْسَ يُعيدُني كما بَدَأني، وليْسَ أوَّلُ الخَلْقِ بأهْوَن عليَّ مِنْ إعادتِه»[1]. رواه أحمد، والنسائي، والبخاريُّ عن أبي هريرة.

ش ـ الشَّتم: السَّبُّ، وهو الوصف بما يقتضي النقص، والاسم: الشتيمة. والتشاتم: التسابُّ. والمشاتمة: المسابة. والصَّمد: السَّيِّد الذي يصمد إليه في الأمر. وقيل: الصَّمد؛ الذي ليس بأجوف، وما ليس بأجوف شيئان؛ أحدهما: لكونه أدون من الإنسان كالجمادات، والثاني: أعلى منه، وهو الباري، والملائكة، وإذا أردت تفسيراً واسعاً في ذلك فعليك بتفسير سورة الإخلاص للإمام ابن تيمية، فإنَّك تجد ما يسرُّك. والإعادة: بدء الشيء، وإرجاعه ثانياً. والمعيد: الذي يعيد الخلق بعد

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٧) ورقم (٨٢٢٠). والبخاري رقم (٤٩٧٥). وابن حبان رقم (٨٤٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة. وأهون: أسهل، يقال: هان الأمر على فلانٍ: سَهُلَ.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرنا: أنَّ ابن آدم يشتمه، ويتنقَّصه، بقولٍ لا يليق به، وما ينبغي له أن يشتمه ويتنقصه؛ لأنه خالقه، وباريه، وموجده من العدم بقوله: «كن»، وتولَّى خلقه في الرحم من مني إلى نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، ثم ينفخ فيه الروح إلى أن يخرج من بطن أمه، ثم يضع في قلب والديه الرأفة، والرحمة، والحنان، فيقبلان على تربيته، والمحافظة عليه إلى أن يفطم، وبعد ذلك ينتقل من طورٍ إلى طور، ومن حالٍ إلى حال، وكلُّ ذلك يراعيه، ويكلؤه، ويقدر له رزقاً، وسعادةً، ويسهل له الطرق، ويضمن له العيش، ويكلفه بأمورٍ سهلةٍ يطيقها كلُّ إنسان، حتى إذا ما واظب عليها، وأتى بها تامَّةً مرضيةً كان له ثوابها، وأجزي على عملها، ورفعت منزلته في الدنيا، ويوم القيامة يدخله الجنة، وينعم عليه بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومع هذا فإنَّ ابن آدم ينسى هذا كلَّه، ويقابل مولاه بالشَّتم، والسبِّ، والتكذيب بقوله: لله ولد، وبقوله: ليس يعيدني كما بدأني أول مرَّة، والمراد بابن آدم: بعض بني آدم، وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان، والدَّهرية، ومن ادَّعى أنَّ لله ولداً من العرب أيضاً، ومن اليهود، والنصارى. قال قتادة: إنَّ مشركي العرب قالوا: الملائكة بناتُ الله، وقالت اليهود: عزيزٌ ابن الله وقالت النصارى: المسيحُ ابن الله، فأكذبهم الله سبحانه، وبيَّن أنه منزَّهٌ عن ذلك، وأنه الواحد الأحد الصمدُ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنَّه جلَّ ذكره يعيده كما خلقه وبدأه أول مرَّة، وليس الخلق ابتداء بأهون عليه من الإعادة، بل بالنظر للعادة الجارية المعلومة للعباد أنَّ الإعادة أسهل وأهون من البداءة، وإيجاد الشيء ابتداءً، وعليه: فلا يحقُّ، ولا يصحُّ أن يستبعد بعضُ بني آدم ذلك، بل يستقرُّ به، ويستملحه، ويقربه بدون دليل؛ لأن البداءة هي البعيدة عن العقل، والمستغربة، وهذا بالنسبة للمخلوق؛ وأمَّا بالنسبة للخالق: فليست إحدى الحالتين بأسهل وأهون عليه من الأخرى، بل يقول للشيء: كن، فيكون، فسورة الإخلاص أعظمُ سورة تُنَزِّهُ الله جلَّ وعلا، وتثبتُ عقائد التوحيد، وتهدمُ عقائد الشرك بجميع أنواعه، لذلك أفردها بعض الأئمة بتأليفٍ خاصٍ بها، كشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، وطبعناه، والحمد لله. فيخبرنا الله تعالى أنه الواحد؛ أي: وحدة حقيقية غير قابلة للتعدُّد والكثرة في ذاته، ولا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في ملكه، فهو غير مركَّبٍ من أصلين، كما زعمت الثانوية، ولا من ثلاثة أصول، أو أقانيم، كما يزعم المثلثون من قدماء وثنيي

الهند وغيرهم، وتبعهم على ذلك النَّصارى على خلاف أصل دين موسى، وعيسى، ومن قبلهما من النبيين عليهم الصلاة والتسليم، وأنه الصمد القادر على قضاء كلِّ ما يحتاج إليه عباده من الحاجات. وكفايتهم جميع ما يعجزون عنه من المهمات بما يسخره لهم من الأسباب، وما يهديهم من سننه فيها.

قال صديقنا المرحوم الأستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار: فلو كان مبتدعةُ عبادة القبور وأسرى الخرافات يفقهون معنى هذه الكلمة، ويؤمنون بها إيماناً إذعانياً صحيحاً يملك قلوبهم لما صمد أحدٌ منهم إلى قبر أحدٍ من الصَّالحين، ولا إلى رجلٍ حيٍّ من المعتقدين، ولا إلى دجَّالٍ يدَّعي استخدام الجان، وتسخير الشياطين ليقضي له ما عجز عنه من منافعه ومصالحه، أو من دفع الأذى عن نفسه، وأهله، وولده؛ فإنَّ هؤلاء الأحياء الدَّجالين كالموتى من الصالحين عاجزون كلُّهم عما يظنه الجاهلون فيهم من التصرف في عالم الغيب والشهادة، وقد يغترُّون ببعض ما يجهلون حقيقته من شعوذةٍ، وحيلٍ، أو مصادفاتٍ يوجد أمثالها عند أمثالهم من جميع أهل الملل، ولكن هذا الغرور لا سلطان له على الموحدين المؤمنين بوحدانية الله تعالى.

وقوله: «لم ألد ولم أولد»، أي: لم يصدرْ عنه ولدٌ، ولم يصدر هو جلَّ وعلا عن شيءٍ؛ لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً. والوالدية والمولودية متلازمان؛ إذ المعهود أنَّ ما يلد يولد، ومالا، فلا. والاعتراف بهذا هو الاعتراف بذاك؛ لأنَّه ليس بمخلوقٍ له مزاجٌ وجنسٌ نشأ عن غيره، ونشأ غيره عنه، فتكون الربوبية، والألوهية أسرةً، وعشيرةً كسائر الأحياء الحادثة التي يتوقف وجودُ بعضِها على بعضٍ، بل هو أحدٌ لا شيء قبله ولده، ولا شيء مثله ولد منه، فيحل محلُّه، بل هو أزليٌّ، سرمديٌّ، منزَّهٌ عن مشابهة كل ما في العالم من الأجناس المتسلسلة من الأفراد البسيطة والمركبة. والله غنيٌّ عن الوالدية والمولودية، وهما نقصٌ في حقه، يستلزمان الحاجة، وينافيان الربوبية، والألوهية.

فإن قيل: لم قدَّمَ ذكر نفي الولد مع أن الوالد مقدَّم؟ وجوابه: أن قدم للاهتمام لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين: إن الملائكة بنات الله. واليهودُ: عزيرُ ابن الله. والنصارى: المسيحُ ابن الله، ولم يدَّع أحدٌ: أن له والداً، فلهذا السبب بدأ بالأهمِّ، فقال: لم ألد ولم أولد. وقوله: «ولم يكن له كفواً أحد» أي: لم يكافئني أحدٌ، ولم يماثلني، ويشاكلني من صاحبة وغيرها، والكفء: النظير المكافىء. والله أعلم.

١١٠ ـ «صِلُوا أرْحامُكمْ؛ فإنَّهُ أبْقى لكمْ في الحَياة الدُّنيا، وخَيْرٌ لكمْ في آخِرَتِكمْ»[١] . رواه عبد بن حميد عن ابن عباس.

١١١ ـ «عبْدي! إذا ذكرْتَني خالياً؛ ذَكرْتُكَ خالياً، وإذا ذكرْتَني في مَلأٍ ذكرْتُكَ في مَلأٍ خيْرٍ منْهم، وأكبرَ»[٢] . رواه البيهقي عن ابن عباس.

١١٢ ـ «عَبدي! ما عَبَدْتني، ورَجوْتَني؛ فإنّي غافرٌ لكَ على ما كانَ فيكَ. ويَا عَبْدي! إنْ لَقيتَني بقُراب الأرضِ خطيئةً ما لمْ تُشْركْ بي لَقيتُكَ بقُرابها مغفرةً»[٣] . رواه أحمد عن أبي ذرٍّ.

ش ـ الحديث الأول: تقدَّم الكلام فيه على صلة الأرحام، وزاد في هذا الحديث قوله: «فإنَّه أبقى لكم في الحياة. . .إلخ» ولا شكَّ أنَّ الإحسان إلى الأهل والأقارب يجعل للإنسان المحسن ذكرى وحياة في الدُّنيا، فيبقى ذكره، وإحسانه خالداً في حال حياته، وبعد مماته يذكر بخير، وهو خير أيضاً له في الآخرة؛ لأنَّ له أجراً مخصوصاً يثاب عليه، ودرجات مخصوصة أيضاً يفوز بها يوم التفاخر بالأعمال، فأحسنُ ذكرى تبقى للإنسان من وصل رحمه، وأحسن إليه، واستفقده في السراء والضراء، وأعانه بما يقدر عليه، وكلُّ إنسان بحسبه وطاقته، لا يكلِّف الله نفساً إلا وسعها. والحديث

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب له رقم (٥٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني، قال الحافظ في التقريب: ضعيف وَصَل مراسيل.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٥٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٢٣٤٦). والصغير رقم (٨٢٠). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٥) وقال: رواه الطبراني في الثلاثة. وفيه إبراهيم بن إسحاق الضبي. وقيس بن الربيع، وكلاهما مختلف فيه. وبقية رجاله رجال الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولم نجده من حديث أبي ذر كما أشار المؤلف، وللحديث شواهد يعتضد بها.

الثاني: تقدَّم الكلام عليه غير مرَّةٍ فراجعه، وكذلك الحديث الثالث، فلا حاجة للإعادة.

وقوله: «عبد بن حميد» هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكِسِّي مصنف المسند الكبير، والتفسير، وغير ذلك. واسمه: عبد الحميد، فخفف، رحل في طلب العلم، وتلقَّى من فحول علماء الحديث، وروى عنه خلقٌ كثير، وكان من الأئمة الثقات، وعلَّق له البخاري في دلائل النبوة من صحيحه. توفي سنة تسع وأربعين ومئتين. والله أعلم.

١١٣ ـ «عَبْدي المُؤمنُ أحبُّ إليَّ مِنْ بعْض ملائكَتي»[١]. رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة.

ش ـ المؤمن: من آمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر قولاً وفعلاً، واعتقاداً. والإيمان: التصديق، والإذعان مع طمأنينةٍ وتحقيق بما تقدَّم، وأحبُّ: أفعل تفضيل؛ أي: أكثر حباً من غيره، والملائكةُ: جمع ملك وهي أجسام نورانية، لطيفة، مبرأة من كدورات نفسانية، وظلمات حيوانية، مقتدرة على تشكلات مختلفة، معصومون عن المخالفة، منهم وسائط بين الله وبين أنبيائه المبعوثين إلى الخليقة. ومنهم الموكَّلُ بحمل العرش، ومنهم الموكلُ بالصُّور، ومنهم الموكلُ بالموت، ومنهم الراكعُ يسبِّح الله وينزهه، ومنهم الساجدُ كذلك، ولكلٍّ مقام معلوم، ومرامٌ مقسوم، لا يأكلون، ولا يشربون، نعم غذاؤهم التسبيح، والتهليل، والتكبير، وإلى غير ذلك من أنواع العبادة، وفي حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجنّ من مارجٍ من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[٢].

والمعنى: أن الله تبارك وتعالى يخبر أنَّ عبده المؤمن؛ الذي آمن بالله، وأذعنَ، وانقادَ لما جاءت به الشريعةُ الإسلامية، وعمل بأحكام دينه، وأخلص العمل لله في سرِّه، وجهره، لا مطلق العبد المؤمن بدليل إضافته إليه عز وجل إضافة تشريف وإعظام. فلا يصحُّ أن يضاف العبد إلى الله تعالى إلا إذا كان مستجمعاً صفات الكمال،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٦٣٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٥) وفيه أبو المهزِّم، وهو متروك.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦/ ١٥٣ و١٦٨) ومسلم رقم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومتجنباً صفات النقصان، أحبُّ إليه وأشدُّ حباً له من بعض ملائكته. وهذا يدلُّ على أن بعض الآدميين أفضلُ من بعض الملائكة، وهو القول الراجح. وقد تقدَّم الكلام على أفضلية الملائكة مطلقاً، وأقوال العلماء في ذلك في شرح الحديث رقم (٧٠) فارجع إليه والله أعلم.

١١٤ ـ «على العاقلِ أنْ يكونَ لهُ ثلاثُ ساعاتٍ: ساعةٌ يُنَاجي فيها ربَّهُ، وساعةٌ يُحَاسِبُ فيها نفْسَه، وساعةٌ يَخْلو فيها بمطْعَمِه ومَشْرَبِه»[١]. **رواه ابن حبَّان عن أبي ذرٍّ.**

ش ـ العاقل: من اتَّصف بالعقل، وهو غريزةٌ يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب، وهو مناط التكليف، وبه يدرك الإنسان ما ينفعُه، ويضرُّه، ويميِّزُ به بين الغثِّ والسمين، ويعقلُ صاحبَه عن التورُّط في المهالك؛ أي: يحبسُه، ويمنعُه في الوقوع فيما لا خير فيه، وبه يتميَّز الإنسان عن سائر الحيوان، وكلَّما كمل عقلُ الإنسان ازداد الإنسان كمالاً، ورفعةً، ووجاهةً بين الناس:

إذا تمَّ عقلُ المرءِ تمَّتْ أمورُه ... وتمَّتْ أمانيه، وتمَّ بناؤُه

والمادِّيُّون يعدون العقلَ نتيجة الشعور الموجود في الإنسان، والروحَ نتيجة التركيب الإنساني على مثال روح الحيوان، ولكن أرقى من روح الحيوان لقبول الإنسان الرقي دون الحيوان، ولما اكتُشِفَ علمُ التنويم المغناطيسي، وفنُّ استحضار الأرواح أثبتا أنَّ للإنسان روحاً متمتعةً بخصائص عالية، يحجبها هذا الجسد عن الظهور.

واختلف الناس في محلِّ العقل هل هو في القلب، أو في الدماغ؟ قال إمام الحرمين: فذهب أصحابنا من المتكلمين: أنَّه في القلب، وبه قال جمهور المتكلِّمين، وهو قول الفلاسفة. وقالت الأطباء: هو في الدماغ، وهو محكي عن أبي حنيفة. احتج أصحابنا بقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وبقوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسدُ كله، وإذا فسدت فَسَد الجسدَ كله، ألا وهي القلب»[٢] فجعل ﷺ صلاحَ الجسد وفسادَه تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٣٦١)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٦٦ و١٦٨) في حديث طويل، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه البخاري رقم (٥٢). ومسلم رقم (١٥٩٩). وابن حبان رقم (٧٢١) من=

الجسد. واحتجَّ القائلون بالدِّماغ بأنه إذا فسد الدِّماغ فسد العقل. والجواب: أنَّ الله تعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ، مع أن العقل ليس فيه، ولا امتناع في هذا.

وهو قسمان: غريزي ومكتسب. فالغريزي ـ أي: الجبليّ، والطبيعي ـ هو العقل الحقيقي، وله حدٌّ يتعلق به التكليف، لا يجاوزه إلى زيادة، ولا يقصر عنه إلى نقصان. والمكتسب هو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة، وصحة السياسة، وإصابة الفكرة، وليس لهذا حدٌّ ومنتهى يقف عنده؛ لأنَّه ينمي، ويزيد إن استعمل، وينقص إن أهمل، وهو لا ينفكُّ عن العقل الغريزي؛ لأنَّه نتيجةٌ منه، وقد ينفكُّ العقل الغريزيُّ عن العقل المكتسب لعدم استعماله، أو لاتباعه الهوى، فيكون صاحبُه مسلوبَ الفضائل، موفورَ الرذائل، كالأحمق الذي لا تجدُ له فضيلةً، والأحمق الذي قلما يخلو مِنْ رذيلة.

والسَّاعات: جمع ساعة، وهو الوقت مِنْ ليلٍ، أو نهار. والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قلَّ. والمناجاة: المسارة. يقال: نجوته نجواً؛ أي: ساررته، وكذا ناجيته. وانتجى القوم، وتناجوا: تسارُّوا؛ وانتجاه: خصه بمناجاته، والاسم: النجوى.

وقوله: «رواه ابن حبان» تقدمت ترجمته.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا: أنَّ على العاقل المتَّصف بالصفات المميِّزة له عن الحيوان أن يجعلَ له في يومه وليلته ثلاث ساعاتٍ، وأوقات، ساعةً منها يجعلها للمناجاة؛ بأن يناجي ربه، ويتكلَّم بكلام خفيٍّ وسرٍّ عن الناس؛ لأنَّ هذه الحالة أقربُ إلى قبول المطالب، والدعوات، وأبعد عن الرِّياء، والسمعة؛ بأن يسأل الله جلَّ ذكرُه التوفيقَ للطاعات، وتسهيل الطرق الصعبة، وإبعاده عن المعاصي والرذائل، وحفظه من المصائب، والبلايا، وأن يختم له بسعادة الدَّارين، وأن يصلحَ حاله، وحال إخوانه المؤمنين، وأن يرفع البأس، والظلم، والاستبداد، والمطامع من أعدائه المستبدِّين بالضعيف، والغاصبينَ حقَّه، وأن يغلَّ أيدي وألسنة المذبذبين الذين يظهرون الإسلام والإيمان وحبَّ أهلهما؛ وهم في الحقيقة جواسيس للأجانب بأجرٍ تافه، يستبدلون عرض هذه الدنيا بالنعيم الأبدي، والخير السَّرمدي، والأجر العظيم الذي لا ينقطع، فهم أسوأ الناس في الدنيا الزائلة، ولهم يوم القيامة الخزيُ، والعارُ، وأشدُّ العذاب.

= حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وساعةً يخلو فيها بنفسه، ويحاسبها على ما عملته من خيرٍ وشرٍّ في ذلك اليوم، فإذا اقترفت ذنباً؛ فيندم عليه، ويستغفر الله سبحانه وتعالى، ويتوب إلى الله جلَّ ذكره، ويرجع إليه، ويعزم ألاَّ يعود إلى مثله أبداً، ويخاطب نفسه، ويوبخها، وإذا لم تعمل سيئةً، بل كان عملها دائراً بين الأعمال الخيرية، والخواطر الإصلاحية؛ فيحمد الله تعالى على أن وفقه إلى ذلك، ويرجو منه استدامة التوفيق، والإعانة على البرِّ والتقوى. ويحثُّ نفسه على زيادة العمل، ويُرغِّبها، ويُشوِّقها بأنَّ كثرة العمل البارِّ يستوجبُ زيادة الثواب، ويرفع منزلة العبد إلى أن يكون مع النبيين، والشهداء، والصالحين. فعليك بالمداومة على ذلك، والزيادة منه. وساعةً يخلو الإنسان فيها بمطعمه، ومشربه؛ أي: بما يقويه على الأعمال الصالحة من مطعمٍ، ومشربٍ، وملبسٍ، وينوي بذلك التقوِّي بهذه الأشياء على طاعة الله تبارك وتعالى، والقيام بأداء الواجبات والمندوبات، فتكون هذه الأشياء المباحة مشروعةً، ومسنونةً، فيثابُ عليها، ويجزى بها، ولا شكَّ أنَّ المطعمَ، والمشربَ، والملبسَ من الأمور الضرورية للإنسان؛ التي تُصان بها حياتُه، وجسمُه، وتحفظها من الانحلال، والتَّغيُّر، والضعف، وهذا بالنسبة لما يقومها ويبقيها من القوت الضروري، والمشرب، والملبس كذلك، وما زاد عن القوت الضروري؛ فيكون مباحاً ما لم يؤدِّ إلى ضررٍ بالجسم، أو العقل، فيكون ممنوعاً منه شرعاً، وطبّاً. وأضيف المطعمُ والمشربُ إليه إشارةً إلى أنَّ المطعم، والمشرب، والملبس الذي يختصُّ بالشخص مما يملكه بإذنٍ شرعيٍّ، ويكون حلالاً؛ أي: لا يطعم إلا مما أباحه الشَّرع، وجوَّزه، وكذلك المشربُ، والملبسُ، وهذه هي الحياةُ الطيبة، وصاحبها دائماً في نعيم، وراحةِ فكرٍ، وصحةِ جسمٍ، فنسأل الله أن يوفقنا لأن نغلبَ أنفسنا، ونصيِّرها مركباً تطيعنا في كلِّ أمرٍ، ونحظى بالصحة، والهناء في الدّنيا، والسرورِ، والثوابِ، والجزاءِ في دار الآخرة!

١١٥ ـ «قَسمْتُ الصَّلاة بَيْني وبيْنَ عبْدِي نِصْفيْنِ، ولعبْدي ما سألَ، فإذا قالَ العَبْدُ: الحمْدُ للهِ ربِّ العالَمين؛ قال اللهُ: حَمَدني عبْدِي، فإذا قالَ: الرَّحمنِ الرَّحيم؛ قالَ الله: أثْنى عليَّ عبْدي، فإذا قال العَبْدُ: مالكِ يومِ الدِّينِ؛ قال: مجَّدَني عبْدِي، وإذا قال: إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاك نَسْتعينُ؛ قال: هذا بيْني وبين عبْدِي، ولعَبْدي ما سأل، فإذا قال: اهْدنا الصراط. . . إلى آخرِه،

قـالَ: هـذا لعَبْـدي ولعَـبْدِي مـا سـألَ»[1]. رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وابن حبَّان، وابن ماجه، عن أبي هريرة.

ش ـ القَسْمُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه: مصدر قسم الشيء، فانقسم؛ أي: إفراز النصيب، والقِسْم ـ بكسر أوله وسكون ثانيه ـ الحظُّ، والنصيب من الخير، فيقال: هذا قِسْمي، والجمع أقسام، وقسمةُ الميراث، والغنيمة: تفريقهما على أربابهما. والصَّلاة: هي العبادة المخصوصة المشتملة على التكبير والتسبيح والقراءة، وأصلها: الدعاء، وهي من العبادات التي لم تنفكَّ شريعةٌ منها، وإن اختلفت صورُها بحسب شرع فشرع، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] والمراد بها هنا: قراءة الفاتحة؛ لاشتمالها عليها من إطلاق الكلِّ وإرادة الجزء، كما يدلُّ عليه تمامُ الحديث، والحديث الذي في أول الكتاب جاء مصرحاً بذلك، وقد تقدَّم ذكره، وذكرنا ما يتعلَّق به إجمالاً، ونذكر الآن ما يتمِّمُ ذلك.

والمعنى: أنَّ الله تباركت أسماؤه، وتنزَّهت صفاتُه أخبرنا: أنَّ الفاتحة التي اشتملت عليها الصلاةُ، وقسمها بينه عزَّ وجل وبين عبده نصفين، فيصحَّ أن تكون القسمة من جهة المعنى دون اللفظ؛ لأنَّ نصف الدُّعاء يزيد على نصف الثناء، ونصفها الأول تحميدٌ لله تعالى ذكره، وتمجيدٌ له، وثناءٌ عليه. ونصفها الثاني سؤالٌ، وتضرُّعٌ، وافتقارٌ، ويحتمل أن تكون باعتبار اللفظ؛ لأنها سبع آياتٍ بدليل حديث أول الكتاب، قال الله تعالى: «ابنَ آدم أنزلت عليك سبع آيات: ثلاثٌ لي، وثلاثٌ لك، وواحدةٌ بيني وبينك. . . الحديث» فثلاثٌ منها ثناء، وثلاثٌ دعاء، والآية المتوسطة نصفُها ثناءٌ، ونصفُها دعاء، فنصفُها لله عزَّ وجلَّ خاصٌّ به، وهي الثلاث الآيات الأول، ونصفُها للعبد خاصٌّ به، وهو من ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إلى آخر السورة. وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] بين الله عزَّ وجلَّ وبين عبده. قال أستاذنا الجليلُ الشيخُ محمود محمد خطَّاب السُّبكي[2] رحمه الله تعالى في

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٩٥) في الصلاة، والموطأ (١/ ٨٤)، وأبو داود رقم (٨١٩ و٨٢٠). والترمذي رقم (٢٩٥٤ و٢٩٥٥). والنسائي (٢/ ١٣٥) و(١٣٦) في الافتتاح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السُّبكي ـ أبو محمد فقيه مالكي، أزهري، له كتب منها: (إرشاد الخلق إلى دين الحق) و(تحفة الأبصار والبصائر) توفي رحمة الله (١٣٥٢)هـ.

شرحه على سنن أبي داود: وإضافة العبد إلى ربه؛ لتحققه بصفات العبودية، وقيامه بحقِّ الربوبيّة، وشهوده لآثارهما وأسرارهما في صلاته التي هي معراجُ الأرواح، وروح الأشباح، وغرس تجليات الأسرار، التي يتحلَّى بها الأحرار عن الأغيار. ولما كان وصفُ العبودية غايةَ الكمال؛ إذ به ينصرف الإنسان من الخلق إلى الحقِّ؛ وصف الله تعالى به نبينا محمداً ﷺ في مقام الكرامة، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] وقوله في الحديث: «ولعبدي ما سأل» أي: أنَّ الله عزَّ وجلَّ وعد عبده إذا سأله شيئاً أن يعطيه، ويمنحه إياه، ويجيب دعاءه بشرط أن يكون مشروعاً، غير مشتمل على ما يمنع شرعاً، وعقلاً. وقوله: «إذا قال العبد: الحمدُ لله ربِّ العالمين» بيانٌ للصلاة التي قسمها عزَّ وجلَّ بينه وبين عبده، وبيانٌ لمعنى القسمة لها، فذكر ﷺ ما يقول الله تعالى عند قراءة العبد كلَّ آيةٍ منها، واعلم العبدَ: أنه يسمعُ قراءته، وحمده، وثناءه عليه، وتمجيده إيَّاه، ودعاءه، ورغبته سماعاً يليق بعظمته وجلاله، فكلُّ حمدٍ، وثناءٍ يصدر عن نعمةٍ ما فهو له تعالى؛ لأنه مصدرُ كلِّ نعمةٍ في الكون تستوجب الحمد، ومنها نعمة الخلق، والإيجاد، والتربية، والتنمية، وهو الرحمن، كثيرُ الرحمة، وغزيرها التي وسعتْ كلَّ شيء، ورحيمٌ بعباده، يعفو، ويصفح، يكرمُ، ويحلمُ، وهو المالك ليوم الدِّين، له السُّلطان المطلق، والسِّيادة التي لا نزاعَ فيها حقيقة لا ادعاءً، والعالمُ كلُّه يكون فيه خاضعاً لعظمته ظاهراً وباطناً، يرجو رحمته، ويخاف عذابه ذلك اليوم يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم العرض على ربِّ الأرباب، يوم تظهرُ فيه الأعمال، ويقول كلُّ شخصٍ: نفسي! نفسي! يوم لا يملك الإنسان شيئاً، بل الأمر كلُّه يومئذٍ لله. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩] أخرج ابن جرير، والحاكم، وصححه عن ابن مسعود وناسٍ من الصحابة: أنَّهم فسَّروا يوم الدِّين بيوم الحساب، وكذا رواه ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم عن ابن عباس، وأخرج عبدُ الرزاق، وعبدُ بن حميد. وابنُ جرير عن قتادة قال: يومُ الدِّين يومَ يدينُ الله العبادَ بأعمالهم. وهو الذي يعبد وبه يستعان؛ أي: لا يعبد غيره، ولا يستعان استعانةً حقيقة إلا به، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل، فاجتثَّ الله بقوله ذلك جذورَ الشِّركِ والوثنية التي كانت فاشيةً في جميع الأمم الغابرة، وهي اتخاذ أولياء من دون الله، تُعتقَدُ لهم السلطةُ الغيبية، ويُدعَوْنَ لذلك من دون الله: ويستعانُ بهم على قضاء الحوائج في الدنيا، ويتقرب بها إلى الله زلفى. وجميع ما في القرآن من آيات التوحيد، ومقارعة المشركين، هو تفصيلٌ لهذا الإجمال. وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:

٦] الهداية: الإرشادُ، أو التوفيقُ، أو الإلهامُ، أو الدلالة. والصراط: الطريق. والمستقيم: الواضح الذي لا اعوجاج فيه ـ وهو دينُ الإسلام ـ ممن أنعم الله عليه من النبيِّين والصِّدِّيقين، والشهداء، والصَّالحين، غير طريق المغضوب عليهم، ولا الضَّالين، أي: غير المنعم عليهم، وهما فريقان: فريقٌ ضلَّ عن صراط الله، وفريقٌ جحد، وعاند من يدعو إليه، فكان محفوفاً بالغضب الإلهي، والخزي في هذه الحياة الدُّنيا، وهما: اليهودُ والنَّصارى. اللهم اهد الخلق لأقوم الطرق، وأوضحها، وأسهلها، وهو دينُ الإسلام الذي ليله كنهاره، لا يضلُّ عنه إلا هالك. وفي هذا القدر كفاية. والله أعلم.

١١٦ ـ «عِبَادٌ لي يَلْبَسون لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأن، وقُلوبُهم أمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، وألسِنتُهُمْ أحْلى منَ العَسَلِ، يَخْتِلُون النَّاس بدينِهِمْ، أبي يَغترُّون، أمْ عليَّ يجْترِئون؟ فَبِي أقسمْتُ: لأَلْبسنَّهم فتْنةً تَذرُ الحليمَ فيهمْ حَيْرانَ»[1].

رواه ابن عساكر عن عائشة.

ش ـ المسوك ـ جمع مَسْك بفتح أوله، وسكون ثانيه ـ: الجلودُ، جمع جلد. والضأن: ذوات الصُّوف من الغنم، الواحدة: ضائنة، والذكر ضائن، وهو ضد الماعز. والقلوب: جمع قلب، وهو الفؤاد، وسمِّي قلباً لكثرة تقلبه. ويعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصُّ به الروح، والعلم، والشجاعة، وغير ذلك. والصَّبر ـ بفتح الصاد وكسر الباء الموحدة في الأشهر وسكونها للتخفيف لغة قليلة ـ: الدواء المرُّ المعروف، ويختلون: يطلبون طلب خداع ومراوغة، يقال: ختله، ويختله: إذا خدعه، وراوغه. وختل الذئب الصيد: إذا تخفى له. والدِّين: يقال للطاعة، والجزاء، واستعير للشريعة. ويغترُّون: يخدعون، يقال: اغترَّ الرِّجال، واغترَّ بالشيء: خُدِعَ به. ويجترئون يقدمون بجرأة؛ أي: شجاعة. والجريء ـ بالمد ـ: المقدام، وجرأه عليه تجرئةً، فاجترأ، واجترأ على القول: أسرع بالهجوم عليه من غير توقف، والاسم: الجرأة، والقَسَم ـ بفتح أوله وثانيه ـ: اليمين. وأقسم: حلف. واللبس: الخلط، والتشبُّه، والتشكيك. والفتنة: الابتلاء، والامتحان، والاختبار. وتذر: تدع. والحليم: العالم العاقل. والحلم: الأناة، والتثبت في الأمور. والحيران: الذي لا يدري وجه الصواب. ورجلٌ حائر بائر: إذا لم يتَّجه لشيء.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١٠/ ٢٩٠٥٥) وقال: رواه ابن عساكر من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف.

وقوله: «رواه ابن عساكر» تقدَّمت ترجمته. وضعف الحديث لا يخفى. والله أعلم.

والمعنى: أنَّ من عباد الله جلَّ ذكرُه عباداً يظهرون للناس، ويلبسون جلود الشياه، وهو كناية عن إظهار اللين في كلامهم، وحنانهم، وحسن أخلاقهم، وهم في الحقيقة ذئابٌ، قلوبُهم التي يعقلون بها أمرُّ من الصَّبِر. وألسنتُهم بين الناس أحلى من العسل، تشتهي أن تسمع منهم، وتجالسهم، ولا تفارقهم، يختلون الناس بدينهم، ويخدعونهم، ويطلبون بذلك عمل الدُّنيا بالآخرة، ويراوغونهم كما يراوغ الذئبُ الصَّيدَ إذا تخفَّى له، وهذا غرورٌ منهم بالله عزَّ وجلَّ، واغترارٌ به، وجرأةٌ عليه جلَّ ذكره؛ لأنَّ الخلق خلقه، والعباد عبيده، فكيف يقدمون على هذه الأعمال، ولا يبالون بأنَّ لهذه الخلائق ربّاً، وإلهاً، وخالقاً يحفظهم من أمثال هؤلاء المحتالين الذئاب، فيخبرُ الله بأنَّه أقسم، وحلف ليلبسنهم، ويخلطن عليهم، ويوقعهم في الشكوك جزاءَ فعلهم ذلك، فتنةً، وابتلاء، وامتحاناً تذر، وتترك العاقل العالم المتثبت في الأمور متحيراً، لا يقدر على دفعها، فكيف بغير الحليم؟! ويصدق هذا على من يتظاهر بالدِّين، والتَّقوى، ويلين للناس في الكلام، والأخلاق، ويتساهل في أحكام الدِّين، فترغب فيه العوامُّ ويقبلون عليه، ويصيرون من حزبه، فتجلبُ له الأموال، ويحظى بالرئاسة والوجاهة وكثرة الأتباع، وهو في الحقيقة جهولٌ غشَّاشٌ؛ لأنَّ ما يدعو إليه ظاهراً إنما هو لغرض دنيوي، ومن حطام الدُّنيا، لذلك تجد قلوبهم غير موافقةٍ لعملهم؛ لأنَّ ألسنتهم في الأقوال، والدعاوي أحلى من العسل، وقلوبهم، وأفئدتهم خاليةٌ من الإخلاص، والورع، والنيَّةِ الصَّالحة، فهي أمرُّ من الصَّبرِ، فنسأل الله أن يهديَهم لأقوم الطُّرق، وأحسنها، ويصدق أيضاً على من يدَّعي الولاية، والخلافة من عوام الجهال، ويدعون الناس إلى الانضمام لشيعتهم، ويحسِّنون لهم كثيراً من البدع والخرافات، ويضللون طريق الهدى عليهم بألسنة أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبِر المعروف، يخدعونهم بلين أقوالهم لينجذبوا إليهم، ويصيروا عبيداً لهم، يأتمرون بأمرهم، وينتهون بنهيهم، فهؤلاء أيضاً يغترُّون بالله عزَّ، وجلَّ، ويجترئون عليه، فلهم فتنةٌ يلبس الله عليهم فيها، تترك الحليم العاقل العالم حيران، لا يدري ما يفعل، فما بالك بغيره؟! والله أعلم.

١١٧ ـ «عَلامَةُ مَعْرِفَتي في قُلوبِ عِبَادِي حُسْنُ موْقعِ قَدَري ألا

أُشْتـكى، وألا أُسْتَبْطَـأ، وأنْ أُسْتَحْيـا»[1]. رواه الدَّيلميُّ عن أبي هريرة.

ش ـ العلامة: السِّمةُ، جمعها: عَلاَم، وعلامات. والعلامة أيضاً: الفصل بين الأرضين، وشيءٌ منصوب في الطريق يُهتدى به، والمعرفة، والعرفان: إدراك الشيء بتفكُّر، وتدبُّرٍ لأثره، وهو أخصُّ من العلم. ويضادُّه: الإنكار. والقَدَر ـ بفتحاتٍ، وقد يسكن داله ـ مصدر: قدر، يقدر، وهو ما قضاه الله تعالى، وحكم به من الأمور، وقوله: «ألاَّ أشتكى» أي: لا يشكو العبدُ من الله تعالى وحكمه. وألاَّ أستبطأ: أي يستبطيء العبدُ مولاه بأن دعاه، وانتظر الإجابة، وقال: إنَّ الله جلَّ ذكره استبطأ إجابتي وأخَّرها مثلاً، يقال: بطؤ، وتباطأ، واستبطأ، وأبطأ، فبطؤ: إذا تخصَّص بالبطء وتباطأ: تحرَّى، وتكلَّف ذلك، واستبطأ طلبه، وأبطأ: صار ذا بطء، ويقال: بطاه وأبطأه، وقوله: «وألاَّ أستحيا» يجوز أن يكون من الاستحياء: طلب الحياء، وأن يكون من الاستحياء: الاستبقاء، ولعلَّ الأول أقربُ إلى ألفاظ الحديث.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره أخبر أنَّ علامة معرفته جلَّ، وعزَّ في قلوب عباده حسنُ موقع قَدَرِه، وحكمه، وقضائه عندهم، حيث إنَّ أحدهم إذا أصابهم شيء من بلايا الدُّنيا، وامتحاناتها، واختباراتها يصبر، ويصمد لها، ولا يشكو الله سبحانه وتعالى إلى غيره، ولا يشتكي أيضاً إذا مسَّه أذىً في جسده، وماله، وأولاده، وأقاربه، بل يرضى بقضاء الله سبحانه، وحكمه، ولا يقول إلا خيراً، ويحمد الله جلَّ ذكره، ويصبر لحكمه، وقضائه، ففعل هذا يدلُّ: أنَّه عرف الله، وآمن بقضائه، وقدره.

وقدر الله يجب الإيمان به كلِّه، خيره وشره، حلوه ومرِّه، نفعه وضرّه. ومذهب أهل الحقِّ إثباتُ القدر، والإيمانُ به كلِّه. وقد جاء من النصوص القطعيات في القرآن العزيز والسنن الصحيحة المشهورات في إثباته ما لا يحصى من الدلالات، وذهبت القدرية إلى إنكاره، وأنَّ الأمرَ أنفٌ ـ أي: مستأنف، لم يسبقْ به علم الله ـ تعالى اللهُ عن قولهم الباطل علوّاً كبيراً، وقد جاء في الحديث تسميتُهم: مجوسُ هذه الأمة؛ لكونهم جعلوا الأفعال للفاعلين، فزعموا: أنَّ الله تعالى يخلقُ الخير، وأن العبد يخلق الشرَّ، جلَّ الله عن قولهم الباطل.

وكذلك إذا طلب من الله شيئاً؛ فلا يلحُّ في الطلب، ولا يستأخره، ويستبطئه،

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٥٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

ويقول: إنَّ الله تعالى أَخَّر طلبي، ولم يجعل لي، ولربما ظنَّ أنَّ تأخير الله في طلبه وإجابته عدمُ قدرته عليه، واستطاعته، فيقع في الهلاك. نسأل الله العافية.

وألا يستحي أحدُنا من الله جل ذكره، فيقدم على المعاصي، ولا يبالي؛ لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي، وإن لم يكن تقيةً، وأنَّ الحياء من الله فوق ذلك. روى الترمذيُّ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حقَّ الحياء. قال: قلنا يا نبيَّ الله! إنا لنستحي والحمد لله! قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت، والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء»[1] وروى ابنُ ماجه بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يُهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً؛ نزعت منه الأمانةُ، فإذا نزعت منه الأمانة؛ لم تلقه إلا خائناً مخوناً؛ فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً؛ نزعت منه الرحمة، فإذا نزعت منه الرحمة؛ لم تلقه إلا رجيماً ملعَّناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً؛ نزعت منه ربقة الإسلام»[2] والربقة بكسر الراء وفتحها: واحدة الربق، وهي عرا في حبل تشدُّ به إليهم، وتستعار لغيره. وروى البخاري، ومسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» وفي رواية لمسلم: «الحياء خيرٌ كلُّه»[3] وروى الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين عن ابن عمر رضي الله

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٦٠). والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٣). وصححه. ووافقه الذهبي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفي سنده الصَّباح بن محمد بن أبي حازم العجلي الأحمسي الكوفي ضعيف، وللحديث شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه الطبراني فهو به حسن.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٥٤) في الفتن. باب ذهاب الأمانة. من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه البخاريُّ رقم (٦١١٧) في الأدب، ومسلم رقم (٩٧) في الحياء، وأبو داود رقم (٤٧٩٦) في الأدب من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدُهما؛ رفع الآخر»[1].

هذا أحد احتمالين في قوله: «وأن لا أستحيا» وهو الأقرب، ويحتمل أن يكون من الاستحياء: الاستبقاء؛ أي: يعتقدَ الشَّخص، أو يظنَّ: أنَّ الله سبحانه وتعالى غير باقٍ؛ لأنَّ إجابته تأخَّرت، أو طال مرضُه، وأزمن، وهو يدعو الله أن يشفيه من ذلك، ويذهب ما به من البلاء، وفي القلب من الحديث شيء. والله أعلم.

١١٨ ـ «عَبْدِي! أَنَا عِنْدَ ظَنِّكَ بي، وأَنَا مَعك إذا دَعَوْتَني»[2]. رواه الحاكم عن أنس.

ش ـ الحديث تقدَّم ذكره، وشرحه، فارجع إليه.

١١٩ ـ «قالَ اللهُ للنَّفسِ: اخْرُجي، قالتْ: لا أَخْرُجَ إلا وأَنَا كارهةٌ. قال: اخْرُجي وإنْ كرِهْتِ»[3]. رواه البزَّار، والديلمي عن أبي هريرة.

ش ـ النَّفْس ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ الروح يقال: خرجتْ نفسُه. والنَّفْسُ: الدم، يقال: سالت نفسُه. والنَّفْسُ: الجسد. ونَفْسُ الشيء: عينه، والمراد به هنا: الروح، والرُّوح للحيوان مذكر، وجمعه: أرواح. قال ابن الأنباري، وابن الأعرابي: الرُّوح، والنَّفس واحدٌ، غير أنَّ العرب تذكِّر الروح، وتؤنِّثُ النفس. وقال الأزهري أيضاً: الرُّوح مذكر. وقال صاحب المحكم، والجوهري: الرُّوح يذكَّرُ، ويؤنث. وكأنَّ التأنيث على معنى النفس؛ قال بعضُهم: الرُّوح: النَّفس، فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة. وقالت الحكماء: الرُّوح: هو الدَّم، ولهذا تنقطع الحياة بنزفه، وصلاحُ البدن، وفسادُه بصلاح هذا الرُّوح وفسادُه.

ومذهب أهل السنة: أنَّ الرُّوح هو النفس الناطقة، المستعدَّة للبيان، وفهم

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٢) وصححه، ووافقه الذهبيُّ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٧). وصححه ووافقه الذهبي من حديث أنس رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه البزار رقم (٧٨٣). والبخاري في الأدب رقم (٢١٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٥) وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نقول: وهو حديث صحيح.

الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد، وأنَّه جوهرٌ لا عرض، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. والمراد: هذه الأرواح.

والكره، والكراهية: المشقَّة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، أو ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين؛ أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع، والثاني: ما يعاف من حيث العقل، والشرع، ولهذا يصحُّ أن يقول الإنسانُ في الشيءِ الواحد: إني أريده، وأكرهه. بمعنى: أريده من حيث الطَّبع، وأكرهه من حيث العقل، أو الشرع، أو: أريده من حيث العقل، أو الشَّرع، وأكرهه من حيث الطَّبع.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يقول للنفس ـ أي: الروح التي بين جنبي العبد وما به حياته ـ: اخرجي من جسد عبدي، فقد انقضى أجلُه، وانصرم عمرُه، وانتهت مدةً اتصالك به، وحلولك فيه، وتعلقك به. تقول: لا أخرج من جسدي الذي حللتُ فيه، وعلقت به وأنا راضية مرضيَّة؛ فإنَّه يصعب عليَّ مفارقتُه، وتركُه، ولي بصحبته مدة طويلة، قلَّت، أو كثرت ـ لا أنَّها تمتنع، وتأبى على الله، وتعصي أمره جلَّ وعزَّ، بل يعزُّ عليها الخروجُ، وتركُ الجسد منفرداً وحيداً بدونها ـ بل إذا أردت خروجي فأخرج كارهةً لذلك، غير راضية بذلك، فيقول لها المولى جل ذكره: اخرجي وإن كرهت. فتخرج كارهةً. والرُّوح لها بالبدن تعلقاتٌ كثيرةٌ تتغاير أحكامها.

قال العلامةُ شمسُ الدِّين أبو عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية في كتابه الروح: إنَّ الروح لها بالبدن خمسةُ أنواع من التعلُّق متغايرة الأحكام؛ أحدُها: تعلُّقها في بطن الأم جنيناً. الثاني: تعلُّقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. والثالث: تعلُّقها به في حال النَّوم، فلها به تعلُّقٌ مِنْ وجهٍ، ومفارقةٌ من وجه. الرابع: تعلُّقها به في البرزخ، فإنَّها وإن فارقته، وتجرَّدت عنه فإنَّها لم تفارقه فراقاً كلِّيّاً، بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة. الخامس: تعلُّقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلُّقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلُّق إليه؛ إذ هو تعلُّقٌ لا يقبل البدن معه موتاً، ولا نوماً، ولا فساداً، وأما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ١٤١] فإمساكه سبحانه التي قضى عليها الموت لا ينافي ردَّها إلى جسدها الميت في وقتٍ ما ردّاً عارضاً لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا، وإذا كان النائم روحه في جسده ـ وهو حيٌّ ـ وحياته غير حياة المستيقظ؛ فإنَّ النوم شقيقُ الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحيِّ وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه، كحال النائم المتوسطة بين الحيِّ والميت. فتأمَّل هذا يُزِحْ عنك

إشكالاتٍ كثيرة. انتهى. وإذا أردت ما يتعلق بمباحث الروح أوسع من هذا فعليك بهذا الكتاب تجدْ ما يشرحُ صدرك. والله أعلم.

١٢٠ ـ «كَذَّبني ابنُ آدم، ولمْ يكُنْ لـهُ ذلكَ، وشَتَمني، ولمْ يكُنْ لهُ ذلكَ، فأمَّا تكْذيبُـه إيَّـايَ: فَزعمَ أنِّـي لا أقْـدرُ أن أُعيـدَهُ كما كـانَ. وأمَّـا شَتْمُـهُ إيَّـايَ: فقَـوْلُه: لِي ولـدٌ، فسُبْحـانِي أنْ أتَّخـذَ صاحـبةً، ولا وَلداً»[1]. رواه البخاريُّ عن ابن عباس.

١٢١ ـ «كذَّبني عَـبْدي، ولَم يكُنْ لهُ أن يُكذِّبني»[2] رواه ابنُ خزيمة عن أنس.

١٢٢ ـ «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصِّيامَ، فإنَّه لِي وأنا أجْزِي بهِ، والصِّيامُ جُنةٌ، وإذا كانَ يوْم صوم أحدِكم؛ فلا يرفُثْ، ولا يَصخبْ، وإنْ سابَّهُ أحدٌ، أو قاتَله؛ فلْيقُلْ: إنِّي امرُؤٌ صائم، والَّذي نفْسُ محمدٍ بيدِه لخُلُوفُ فَم الصَّائم أطْيَبُ عند اللهِ من ريحِ المسكِ! وللصَّائم فرْحَتان يفرحهما؛ إذا أفْطَر فَرِحَ بفِطْرِه، وإذا لقي ربَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ»[3]. رواه الشيخان، والنسائيُّ، وابنُ حبَّان عن أبي هريرة.

١٢٣ ـ «كـلُّ عمَـلِ ابـنِ آدَم هـوَ لـه إلا الصَّـوْمَ هو لي، وأنَـا أجْـزي بـهِ، وللصَّـائم فرحتَـانِ: فـرْحَـةٌ حينَ يُـفْطِرُ، وَفـرْحـةٌ حينَ يَـلْقـى ربَّـه، ولخُـلُوفُ فَـمِ الصَّـائم أطْيـبُ عنْـدَ الله مِـنْ ريـح المسْـكِ». رواه الطبرانـيُّ فـي الكبيـر عـَن ابـن مسعـود. والطبـرانـيُّ، وابـن النَجـار عـن ابـن مسعـود[4]،

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٤٤٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم نجده في صحيح أبي خزيمة كما أشار المؤلف. ولم نجده من حديث أنس فيما بين أيدينا من المصادر، وهو حديث صحيح بمعنى الذي قبله.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/٢٧٣)، والبخاريُّ رقم (١٩٠٤) في الصوم، ومسلم رقم (١١٥١) والنَّسائيُّ (٤/١٦٣ و١٦٤). وابن حبَّان رقم (٣٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٠٧٨ و١٠١٩٨) بلفظ المؤلف وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٧٩) وقال: رواه أحمد، والطبراني في =

وابن عساكر عن عبد الله بن الحارث بن نوفل.

ش ـ الحديث الأول: تقدَّم ذكره برقم ١٠٩ بألفاظٍ قريبةٍ من هذا، وأشبعنا الكلام عليه، وزاد عنا لفظ «صاحبة» الصاحبةُ، والصاحب: الملازم، إنساناً كان، أو حيواناً، أو مكاناً، أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن ـ وهو الأصل والأكثر ـ أو بالعناية، والهمَّة، وعلى هذا قول الشاعر:

لئن غِبْتَ عن عيني لما غِبْتَ عن قلبي

ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمتُه.

الحديث الثاني: قريب من الحديث الأول، وذكره له لاختلاف الرواةُ له، والحديث الثالث: تقدَّم ذكره، وزاد هنا في هذه الرواية ألفاظٌ نتعرض لشرحها إن شاء الله تعالى، فنقول: قوله: «فلا يرفث» أي: فلا يقل قول فحش، أو لا يجامع، وقال الأزهري: الرفث: كلمةٌ جامعة لكلِّ ما يريده الرَّجل من المرأة. وقال كثير من العلماء: إنَّ المراد به في هذا الحديث: الفحش، ورديء الكلام. وقوله: «ولا يصخب» أي: لا يرفع صوته في الخصام، ويضطرب بهذيان. يقال: رجل صخب، وصاخبةٌ، وصخَّابٌ، وصخبان؛ أي: كثير اللغط، والجلبة. والمراد بالنهى عن ذلك: تأكيده حالة الصوم، وإلا فغير الصائم منهي عن ذلك أيضاً. وقوله: «فليقل: إنِّي امرؤٌ صائم» يحتمل القول اللسانيَّ؛ ليندفع عنه الخصمُ، أو النفسيِّ؛ بأن يتفكَّر في نفسه أنه صائم، لا يجوز له الغضبُ، أو السبُّ، أو هما معاً، فيكون أكمل، وقوله: «والذي نفس محمدٍ بيده» قسم من النبيِّ ﷺ للتأكيد، وتحقيق الحكم. والخلوف ـ بضم الخاء وفتحها، وحكى الخطابيُّ الضمَّ وغلَّط من فتح، وتبعه على ذلك كثيرٌ من العلماء، وبالغ النووي في شرح المهذب، فقال: لا يجوز فتح الخاء، وهو مجاز عن القبول، والرضا به. وقوله: «للصائم فرحتان. . . إلخ» قال القرطبي: معناه: فرح بزوال جوعه وعطشه، حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعيٌّ، وهو السابق للفهم. وقيل: إنَّ فرحه بفطره إنما هو من حيث إنَّه تمامُ صومه، وخاتمة عبادته، وتخفيفٌ من ربه، ومعونةٌ على مستقبل صومه. قال الحافظ ابن حجر: قلت: ولا مانع من الحمل على ما هو أعمُّ ممَّا ذكر، ففرحُ كلِّ أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحاً، وهو

= الكبير، وأسانيد الطبراني بعض طرقها رجالها رجال الصحيح. ورواه أحمد في المسند رقم (٤٢٥٦). وفي إسناده ابن مسلم الهجري ضعيف. وعمرو بن مجمّع ضعيف، نقول: ويشهد له ما قبله.

الطبيعي؛ ومنهم من يكون مستحباً، وهو من يكون سببه شيءٌ مما ذكره. وإذا لقي ربَّه فرح بصومه؛ أي: بجزائه، وثوابه. وقيل: الفرح الذي عند لقاء ربه إمَّا السرور بربه، أو ثواب ربه على الاحتمالين، والثاني أظهر؛ إذ لا ينحصر الأول في الصوم، بل يفرح حينئذٍ بقبول صومه، وترتب الجزاء الوافر عليه، وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في النَّهي عن الأعمال، والأقوال غير المستحسنة في الصيام. منها: ما رواه البخاريُّ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «من لم يدعْ قول الزور والعمل به؛ فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه، وشرابه»[1] وعند ابن ماجه: «من لم يدعْ قول الزور، والجهلَ، والعمل به» وروى ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل، والشُّرب، إنَّما الصيامُ من اللغو، والرفث، فإنْ سابَّك أحدٌ أو جهل عليك؛ فقل: إنِّي صائم، إني صائم»[2] وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ربَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع. وربَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلا السَّهر»[3] والحديث الرابع: كالثالث، والله أعلم.

١٢٤ - «لأنْتَقِمَنَّ منَ الظَّالمِ في عاجلِه وآجلِه، ولأنْتَقمنَّ ممَّنْ رَأى مظلوماً، فَقَدر أنْ يَنْصُرَهَ، فَلَمْ يَنْصُرْهُ». رواه أبو الشيخ عن ابن عباس[4] والطبراني عن أبي الدرداء.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٥٢ و٤٥٣)، والبخاريُّ رقم (١٩٠٣)، وأبو داود رقم (٢٣٦٢) في الصوم، والترمذيُّ رقم (٧٠٧)، وابن ماجه رقم (١٦٨٩)، وابن خزيمة رقم (١٩٩٥). وابن حبان رقم (٣٤٨٠).

(٢) رواه ابن خزيمة رقم (١٩٩٦)، وابن حبان رقم (٣٤٧٩)، والبيهقي في السنن رقم (٤/ ٤٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٦٩٠) بلفظ المؤلف، ورواه ابن خزيمة رقم (١٩٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٣١)، وصححه ووافقه الذهبي. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٣٦)، والكبير رقم (١٠٦٥٢) وفي إسناده أحمد بن محمد بن يحيى له مناكير. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

ش ـ الانتقام: تقدَّم تفسيره في شرح الحديث رقم (٧٥) والظلم أيضاً تقدَّم، فارجع إليهما. والعاجل: الحاضر، والعَجَلُ والعجلة: ضِدُّ البطء، وعاجله بذنبه؛ إذا أخذه به، ولم يمهله، والآجل: ضِدُّ العاجل.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر لينتقمنَّ من الظالم، ويعاقبنَّه في عاجله، أي: في الدنيا، وآجله؛ أي: في الآخرة؛ لأنَّ الظالم أضرَّ بنفسه، فأوردها المهالك. والظلم جاءت جميعُ الشرائع باستقباحه، والتنفيرِ منه، واستفظاعِه، وجاء في القرآن الحكيم آياتٌ كثيرةٌ تندِّدُ بالظالم، وتتوعَّدُه بالعذاب الأليم في الدُّنيا، والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] وقال تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨] وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [غافر: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] وقال عز وجل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وكذلك وردت أحاديث في ذلك، منها: الحديث القدسيُّ الذي تقدَّم ذكرُه: «إنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته محرَّماً بينكم، فلا تظالموا. . . . الحديث» وذكرنا شرحه هناك مستوفى، فارجع إليه، ومنها: ما رواه مسلم، وغيره عن جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإن الشحَّ أهلك مَنْ كان قبلكم، حملهم على أنْ سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم»[1] وروى البخاريُّ، ومسلم، والترمذيُّ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2] [هود: ١٠٢]» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «اتَّق دعوة المظلوم،

= (٧/ ٢٦٧) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير والأوسط، وفيه من لم أعرفهم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، نقول: وإسناده ضعيف.

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٧٨) في البرِّ والصلة. باب تحريم الظلم. من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٤٦٨٦) في التفسير، ومسلم رقم (٢٥٨٣) في البرِّ والصلة، والترمذي رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه رقم (٤٠١٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

فإنَّها ليس بينها وبين الله حجاب»[1] رواه البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود، والنَّسائيُّ في حديث، والترمذيُّ مختصراً هكذا، واللفظ له، ومطولاً كالجماعة.

وكذلك توعَّد الله في هذا الحديث بالانتقام، والعذابِ مَنْ قدر على نصر المظلوم، وتباطأ عنه، ولم ينصره. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قالوا: يا رسولَ الله! هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال: تأخذ فوق يديه»[2] رواه البخاريُّ، ومسلم، والترمذيُّ. وروى أبو داود عن جابرٍ، وأبي طلحة رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ مسلمٍ يخذل امرأً مسلماً في موضعٍ تنتهك فيه حرمته وينتقصُ فيه من عرضه إلا خذله الله في موطنٍ يحبُّ فيه نصرته. وما من امرئٍ ينصرُ مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطنٍ يحبُّ فيه نصرته»[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا ـ يشير إلى صدره ـ بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يحتقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمه، وعرضه، وماله»[4] رواه مسلم.

وحديث الباب ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه أبو الشيخ أيضاً، فيه رواية أحمد بن محمد بن يحيى، وفيه نظر عن أبيه. وجدُّ المهدي هو: محمد بن عبد الله بن عباس، وروايته عن ابن عباس مرسلة. والله أعلم.

١٢٥ ـ «لَسْتُ بِناظرٍ في حقِّ عبْدي حتَّى ينْظُرَ عَبْدي في حقِّي»[5]

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (١٤٥٨) في الزكاة، ومسلم رقم (١٩) و(٣١) في الإيمان، وأبو داود رقم (١٥٨٤) في الزكاة. والترمذي رقم (٦٢٥)، وابن ماجه رقم (١٧٨٣)، وابن حبان رقم (١٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد المسند (٣/ ٢٠١)، والبخاريُّ رقم (٢٤٤٣ و٢٤٤٤)، والترمذي رقم (٢٢٥٥) وابن حبان رقم (٥١٦٧) من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٠). وأبو داود رقم (٤٨٨٤) في الأدب من حديث جابر وأبي طلحة رضي الله عنهم. وإسناده ضعيف.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤). والبغوي في شرح السنة رقم (٣٥٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٩٢٢). وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠٤) والديلميُّ في مسند الفردوس (٥/ ٨١٣٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

رواه الطبرانيُّ في الكبير عن ابن عباس.

ش ـ معنى ألفاظه ظاهرة، والمعنى: أنَّ الله تبارك وتعالى أخبرنا أنَّه لا ينظر في حقِّ عبده، ومصالحه حتى ينظرَ العبدُ في حقِّ مولاه جلَّ وعزَّ، وحقُّ الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين؛ الأول: يتعلق بالأعمال، والأفعال الظاهرة من صلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، وزكاةٍ، واجتنابِ الكبائر، والتباعدِ من الصغائر، ومعاونة العباد، والإحسان إليهم، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة الغرَّاء.

والقسم الثاني: يتعلَّق بالاعتقاد، والأعمال الباطنة، كاعتقاد أنَّ الله واحدٌ، أحدٌ، فردٌ، صمدٌ، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وأنَّ الله أرسل رسلاً وأنبياء لإرشاد الخلق، وتبيين طرق الحقِّ، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فيذعنُ العبد لهم، وينقاد، ويؤمن بما جاؤوا به إجمالاً، وتفصيلاً، ويؤمنُ بالكتب المنزلة على الرسل جميعاً، وأنَّها من عند الله جلَّ، وعزَّ إجمالاً وتفصيلاً، ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى، وحكمه، وقضائه.

وحقُّ العبد: أن يتولَّى الله رعايةَ عبده، وحفظه، وستره، ويضمن له الرزق، ويوفقه لصالح الأعمال، ويحببه إلى خلقه، ويسهل له الأمور، ويكثر له الحسنات، ويمحو عنه السيئات، ويعفو عن مساويه، ويرفع منزلته دنيا وأخرى، ويدخله الجنة، وينعم عليه بأشياء كثيرة مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فمتى قام العبدُ بحقوق الله جلَّ ذكره، وتعالت أسماؤه؛ تجلَّى الله جلَّ، وعلا على عبده، وأسدل عليه نعمه، وبرَّه، وإحسانه، ووفقه لما يرضى، ويحبُّ، فعلى الإنسان ألا يغفل عن الأعمال الصالحة، ويضيع وقته في قيل وقال، وإذا شتم هذا، وظلم ذاك، وجار، فإنه يأتي يوم القيامة وهو صفر اليدين من الحسنات، فيلقى عذاب ربه، وحتف نفسه.

اللهم إني أسألك أن توفقنا إلى صالح الأعمال، وتجنبنا مساويها؛ إنَّك على ما تشاء قدير!

= (١/ ٥١) وقال: رواه الطبراني في الكبير. وفي إسناده سلام الطويل متروك الحديث. ولم أر من وثقة. نقول: في إسناده سلام الطويل متروك. وزيد العَمِّي ضعيف. وعصمة بن سليمان ترجم له الحافظ في اللسان ونقل عن البيهقي قوله فيه: لا يحتجُّ به. فالإسناد ضعيف جداً.

١٢٦ ـ «لَقدْ خَلقْتُ خَلْقاً أَلْسنتُهم أحْلى من العَسَل، وقُلُوبهم أمَرُّ مِنَ الصَّبْر، فَبِي حَلفْتُ لأتيحَنَّهمْ فتْنةً تَدعُ الحليمَ منهمْ حيْرانَ، فَبِيْ يَغْترُّونَ، أمْ عليَّ يَجْترِئونَ؟»[1]. رواه الترمذيُّ عن ابن عمر.

١٢٧ ـ «لوْ أنَّ عَبدي اسْتَقْبلَني بِقُرابِ الأرض ذُنُوباً، لا يُشْركُ بِي شَيْئاً؛ اسْتقْبَلْتُه بقُرابها مَغْفِرةً»[2]. رواه الطبرانيُّ عن أبي الدرداء.

ش ـ الحديث الأول: تقدَّم ذكرُ مثله مع تغييرٍ في بعض ألفاظه. وقوله: «لأتيحنهم»: لأقدرنَّ، وأنزلنَّ بهم فتنة. يقال: أتاح الله لفلانٍ كذا: أي قدره له، وأنزله به. وتاح له الشيء. وباقي الشرح تقدَّم، والحديث الثاني: تقدَّم برقم (١١٢) فارجع إليه. والله أعلم.

١٢٨ ـ «لوْ أنَّ عِبادي أطاعُوني؛ لأسْقَيْتُهم المَطرَ باللَّيلِ، ولأطْلَعْتُ عَليهمُ الشَّمسَ بالنَّهارِ، ولمَّا أسْمَعتُهمْ صوْتَ الرَّعْدِ»[3]. رواه أحمدُ، والبزَّارُ، والحاكمُ عن أبي هريرة.

ش ـ السقي، والسقيا: أن يعطيه ما يشرب. والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغُ من السَّقي؛ لأنَّ الإسقاء هو أن تجعل له ما سقي منه، ويشرب. قاله الراغب في مفرداته. والمطر: الماء المنكسب، وماء السَّحاب، وجمعه: أمطار، والرَّعد صوت السَّحاب، وروي: أنه ملك يسوق السَّحاب. وقيل: رعدت السماء، وبرقت، وأرعدت، وأبرقت. ويكنى بها عن التهدُّد.

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٢٤٠٦ و٢٤٠٧) في الزهد من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٥) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نقول وهو حديث حسن بشواهده.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٩) ورقم (٨٧٠٨)، وأبو داود الطيالسي رقم (٢٥٨٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: صدقة ضعفوه. والبزار رقم (٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، نقول: وإسناده ضعيف.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ، وعلا يخبرنا: أنَّ عباده لو أطاعوه ليسقينَّهم المطر بالليل، فينتفع بها الزَّرعُ، والبهائمُ، والآدميُّون، فلا يحصل لهم عطلة في نهارهم لمعاشهم، بل يصبح كلٌّ يزاول عمله، ولا تشلُّ حركة القوافل في البراري، والقفار وحركة المشي، والسعي في المدن، والقرى تسهيلاً للعباد، ورأفة بهم، وليطلعنَّ الشمسَ على العباد في النَّهار؛ لتجف الأراضي التي أصابتها المياه، والطرقَ التي يسلكُها العباد، وتذهب المكروبات التي تدنو من الثَّمر، والشجر، وتلصق بها، ولما سمَّعَ عبادَه صوتَ الرَّعد خوفاً من أن يصيبهم رعبٌ، أو أذى من صوته.

فيا عباد الله! أطيعوا ربكم في جميع أعمالكم، وقوا أنفسكم من الله، وارحموا الضعيفَ، والمسكينَ، ووقِّروا علماءكم، وشيوخكم، وكبراءكم، وعاونوا المحتاج، وعابر السبيل إن كنتم تنتظرون المادةَ، والماءَ؛ فإنَّ الله جلَّ ذكره وعدكم بالخير الكثير، والنِّعم التي لا تُحصى، ولا تُعَدُّ إذا أنتم أطعتموه في سرِّكم، وجهركم، وأظهرتم شعائر الدِّين، ونشرتم سنةَ الرَّسول ﷺ في كلِّ قطرٍ، وبلدٍ، وقريةٍ، وبيتٍ، ومحفلٍ، ومجتمعٍ. فاللهم إني أسألك أن تهدينا لطاعتك، وطاعة رسولك ﷺ!

١٢٩ ـ «لمْ يَلْتحفِ العبادُ بلحافٍ أبلَغَ عندي منْ قِلَّةِ الطُّعْم»[(١)]. رواه **الدَّيلمي عن ابن عباس.**

ش ـ التحف بالثوب: تغطَّى به، واللحاف: ما يلتحف به. وكلُّ شيءٍ تغطيت به فقد التحفت به، وجمعه: لحف، والملحفة ـ بكسر أوله ـ: هي الملاءة التي تلتحفُ بها المرأة؛ والطعم ـ بالضم ـ: الأكل، وبالفتح: ما يؤدِّيه ذوقُ الشيء من حلاوةٍ، ومرارةٍ، وغيرهما، وله حاصل.

والمعنى: أنَّ الله تبارك اسمه أخبرنا: أنَّ العباد لم يلتحفوا، ويتغطَّوا بلحافٍ، وغطاءٍ يقيهم شدَّة البرد، ويدفع عنهم الأذى، ويحفظ صحتهم، ويقيها من الآلام والأمراض، والعلل أبلغ، وأحفظ، وأشدّ وقايةً عند الله من قلة الطعام، فإنَّ في قلَّة الطعام راحة للجسم، والعقل، وحفظهما من الأسقام، وقد جاء القرآنُ بذمِّ الشَّبع والإسراف في تناول الطعام والشراب، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وبيَّن الشرع أنَّ شرَّ وعاءٍ ملأه ابنُ آدم بطنه، وأنه يكفيه ثلثٌ للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ لنفسه إذا كان لا محالة فاعلاً. روى الترمذيُّ،

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٦٥) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

وابنُ ماجه، وابنُ حبَّان في صحيحه من حديث المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة فاعلاً فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلث لنَفَسِه»[1].

وإنَّما كان ملء البطنِ شراً لما فيه من المفاسد الظاهرة، دينية، ودنيوية، فالشِّبع يورث البلادة، ويعوق الذِّهن عن التفكير الصحيح، وهو أيضاً مدعاةٌ الكسل، والنوم، فمن أكل كثيراً نام كثيراً، ومن نام كثيراً ضيَّع وقته، وقتله، وهو رأس ماله في الحياة العملية، فيخسر كثيراً من مصالحه الدينية، والدنيوية.

ومن وصايا لقمان لابنه: يا بنيُّ! إذا امتلأت المعدة؛ نامت الفكرةُ، وخرست الحكمةُ وقعدت الأعضاء عن العبادة. هذا حال الشبع.

وأما حال الإقلال من الطعام والشراب: فالقلب يصفو، والقريحة تتقد، والبصيرة تنفذ، والشهوة مغلوبة، والنفس مقهورة على أمرها، وقد أرشدنا صاحبُ الرِّسالة عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى المقدار المناسب في الطعام، وهو ما يقيم الحياة، ويحفظ الصحَّةَ، ويمكن الإنسان من القيام بواجبه الشخصي، والمشترك، وإن كان لابدَّ مكثراً منه يجعل ثلثي المعدة للطعام والشراب، ويترك ثلثها الباقي خالياً حتى يتمكَّن من النفس بسهولة؛ وذلك أنَّ البطن إذا امتلأت ضغطت على الحجاب الحاجز، فضغطت على الرئتين، فضاقت مجاري التنفس الذي هو ضروريٌّ لإصلاح الدَّم الفاسد، وتحويله إلى دم صالح تقوم به حياةُ الإنسان، وتحفظ صحته، ولذلك جاء الترغيب في الصوم، وأن الله يجزي به بنفسه؛ لأنَّ أكبر مهذبٍ للإنسان هو الصومُ؛ لتقليل الطعام فيه، والله أعلم.

١٣٠ - «ليْسَ كلُّ مُصَلٍّ يُصلِّي. إنّما أتَـقبَّـلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَواضَع لِعظمتي، وكفَّ شَهواتِه عن مَحارِمي، ولمْ يُصرَّ على مَعْصيَتي، وآوَى الغَريب، كلُّ ذلك. وعِزَّتي وجلالي إنَّ نُورَ وَجْهِهِ لأضْوأ عنْدي مِنْ نُور الشّمس! على أنْ أجْعلَ الجهالةَ لهُ عِلْماً، والظُّلْمَةَ نُوراً، يَدْعُوني فألبِّيه، ويَسْألني فأعْطيهِ، ويقْسِمُ عليَّ فأبرُّهُ، أكْلؤهُ بقُوَّتي، وأسْتحْفِظه مَلائكتي،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٢)، والترمذي رقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه رقم (٣٣٤٩)، وابن حبَّان رقم (٥٢٣٦)، والحاكم (٤/ ١٢١ و٣٣١) وصححه؛ ووافقه الذهبي من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه. وهو كما قالا.

مَثلهُ عنْدي كمثَل الفِرْدَوْس لا يتَسنَّى ثمَرُها، ولا يتغيَّرُ حالُها»[1]. **رواه الدَّيلمي عن حارثة بن وهب.**

ش ـ التواضع: التذلُّل، والخشوع، يقال: تواضع لله: خشع، وذلَّ، والعظمة بفتحتين: الكبرياء. والكفُّ: الترك، والمنع. والشهوات: جمع شهوة، وأصلها: نزوع النفس إلى ما تريده. وذلك في الدُّنيا ضربان: صادقة، وكاذبة، فالصادقة: ما يختل البدن مِنْ دونه، كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختل مِنْ دونه. وقد يسمَّى المشتهى: شهوة، وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء: شهوة. والمحارمُ: تطلق على المعاصي، وعلى المنهيات، وعلى ترك المأمورات. والإصرار: التزام الشيء، والمداومة عليه. وأكثر ما يستعمل في الشرِّ والذنوب. وآوى إلى كذا: انضم إليه. وآواه ـ بالمد ـ: رقَّ له، ورحمه، وضمَّه إليه، وأنزله عنده. والغريب: الوحيد الذي لا أهل له، والبعيد عن الوطن، والأقارب، والأنصار. وبرَّ في قسمه، وأبرَّ: صدق، وأبر الله حجه: قبله. وأكلؤه: أحرسه، والكلاءة: الحراسة. والفردوس: الحديقة، والبستان، يذكَّر، ويؤنَّثُ، عربية، واشتقاقها من الفردسة، وقيل: لغة رومية، نقلت إلى العربية، والجمع فراديس.

والمعنى: أخبر الله تبارك وتعالى أن ليس كلُّ مصلٍّ إذا صلى له ثواب صلاته، وتُقْبل، بل لها شروطٌ، وأركانٌ، وسننٌ، ومستحباتٌ، وهيئات. هذا كلُّه ظاهراً. ولها شروطٌ باطناً، منها: التواضع لله، والخشوع، وكف نفسه من الوقوع في شهواتها، والنظر إلى المحارم، فمن أتى بها كلها؛ قبلت صلاته، وجوزي عليها، وظهرت علامة ذلك عليه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولا شكَّ أنَّ الصلاة التي تنهى عن ذلك هي الصلاةُ المقبولةُ ظاهراً، وباطناً، فلذلك كلُّ شخصٍ تجده يصلِّي، ويكثر الصَّلاة، وهو مرتكبٌ الذنوب، والآثام؛ فإنَّه لم يأت بها كما أُمِر، فإنَّه وإن أحسن الظاهر؛ فإنَّه لم يحسن الباطن، وقد مدح الله في كتابه الحكيم الخاشعين في الصلاة، قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢] قال ابن لهيعة: عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] يعني: متواضعين، لا يعرف مَنْ عن يمينه، ولا مَنْ عن شماله، ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل.

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤٤٦٩) من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

وخرَّج الإمام أحمد، والنَّسائيُّ، والترمذيُّ من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصلاة مثنى مثنى، تشهَّد في كلِّ ركعتين، وتخشع، وتضرع، وتمسكن، وتقنع يديك ـ يقول ترفعهما إلى ربك عزَّ وجلَّ ـ وتقول: يا ربّ! يا ربّ! يا ربّ! فمن لم يفعل ذلك؛ فهي خداج»[1] الخداج: النقصان، ومعناه هنا: أنه ناقصٌ من الأجر والفضيلة، وكذلك الإصرارُ، والاستمرارُ على المعاصي، والتزامها؛ فإنّه يسبب رفض الصَّلاة، وعدم قبولها. ويؤي الغريب، ويحسن إليه، كلُّ ذلك يفعله العبدُ لله عزَّ وجل. ثم أقسم المولى جلَّ وعزَّ بعزته وجلاله: أنَّ من كان موصوفاً بهذه الصفات الحميدة يكون نورُ وجههِ أضوأ عنده من نور الشمس، ويجعل له الجهالة ـ إذا كان جاهلاً ـ علماً، أو إذا كان عالماً يزده علماً، ويجعل له الظلمة نوراً، فلا يرى ظلمةً أمامه لا ليلاً ولا نهاراً، فمن كان متصفاً بذلك يدعو الله جل وعز، فيجاب دعاؤه، ويلبى، ويسأل، فيعطى، ويقسم على الله جلَّ علاه، فيبر قسمه، ويصدق يمينه، وزيادة على ذلك فإن الله عز وجل يكلؤه، ويحرسه بقوته، وحوله، ويستحفظه ملائكته، ويكون مَثَلُه عند الله كمثل جنةِ الفردوس، لا يتغير حالها، ولا يتلف ثمرها، أي: أن الله سبحانه وتعالى يجعله مقبولاً لكلِّ أحدٍ قلباً، وقالباً، من أين أتيته؛ وجدته نافعاً ذا فائدة دينيةٍ، ودنيوية. اللهمَّ وفقنا لذلك يا رب!

والحديث ذكره الحافظ المنذري بألفاظٍ قريبة من هذا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطلْ على خلقي، ولم يبتْ مصرّاً على معصيتي، وقطع النَّهار في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، وذلك نورُه كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنَّة»[2] رواه البزَّار من رواية عبد الله بن واقد الحرَّاني، وبقية رواته ثقات.

١٣١ ـ «لولا أنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لعبْدي المُؤْمنِ مِنَ العُجْبِ ما خلَّيْتُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/١٦٧)، والترمذيُّ رقم (٣٨٥) في الصلاة، باب ما جاء في التخشع في الصلاة من حديث الفضل بن عباس. وإسناده ضعيف ورواه أحمد في المسند (٤/١٦٧)، وأبو داود رقم (١٢٩٦)، وابن ماجه رقم (١٣٢٥) من حديث المطلب بن ربيعة. رضي الله عنه. وإسناده ضعيف أيضاً.

(٢) تقدم تخريجه.

بيْـنَ عبْدي المُؤمنَ وبَـيْنَ الذَّنْبِ»[1] . رواه أبو الشيخ عن كليب الجهني.

ش ـ الذَّنب: يستعمل في كلٍّ فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمَّى الذنب: تبعةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته، وجمع الذَّنب: ذنوب، والعُجْب ـ بضم الغين المهملة وسكون الجيم ـ: يقال: فلان أُعجِبَ بنفسه وبرأيه ـ على ما لم يسم فاعله ـ فهو مُعْجَب بفتح الجيم، والاسم: العُجب بضم العين: الزَّهْو، والكِبْرُ، وإنكارُ ما يرد على الإنسان. ويظن بنفسه ما ليس عند غيره، فيرى رأيه صواباً، ورأي غيره خطأ، وخلاه: تركه، وخاليته: تاركته.

وأبو الشيخ: تقدَّمت ترجمته، وكليب الجهني هو صحابيٌّ.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا: أنَّ الذنب للعبد المؤمن خير له من العُجْب، ولولا ذلك لما خلَّى الله جلَّ ذكره بين عبده المؤمن وبين الذَّنب، بأن كفَّه، وأمسكه، وحفظَه عن اقتراف ذنبٍ ما؛ لأنَّ العبد إذا أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً، يشعر بأنه عمل عملاً سيئاً، وخالف سيِّدَه، وأغضب خالقه، واقترف ما يستحقُّ الذمَّ، واللَّومَ عليه مِنْ مولاه، فيتراجعُ، ويصغرُ في نفسه، وينقبضُ، ويرى نفسَهُ مخطئةً، فيعالج طرق الرِّضا، ويطرق باب الصلح، ويتذلَّلُ، ويتواضع لمولاه؛ ليقبلَ، ولا يؤاخذ بذنبه، ويعفو عن ذلك، ويسامح فمن هذا ما رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا؛ لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم»[2] وأما إذا لم يقترف ذنباً، ولم يقدم على معصية، وداوم على البرِّ والتقوى، فينظر إلى غيره ممن غرق في بحار المعاصي، أو أتى مخالفةً، أو ارتكب محظوراً؛ فإنه يرى نفسه خاليةً من كلِّ ذلك، فيدخله العُجْبُ، فلا يلجأ إلى بارئه، ويستفتح بابه، ويسأله، ويتواضع له، ويتذلل، فلا تظهر عظمة الربِّ وجلاله، ويخفى سرُّ الألوهية.

روى البزَّار عن أنسٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: أنه قال: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العُجْبُ، العُجْبُ»[3] لأنَّ صاحب الذنب لا يأمن من مكر

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمَّال جـ/٣/ رقم (٧٦٧٢) وقال: رواه أبو الشيخ من حديث كليب الجهني. رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٤٩) في التوبة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه البزار رقم (٣٦٦٦)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٤٧)، =

الله وعذابه كما قدَّمنا آنفاً، ولا يرى له مِنَّةً، وحقّاً عند الله تعالى، بل يكون دائماً في خوفٍ، ووجلٍ من ذنبه، راجياً عفو مولاه؛ لأنَّه يعرف عصيانه، فيرجو له التوبة، والمعْجَبُ مغرورٌ بعلمه، وعمله، فتوبته بعيدةٌ، فهو من قبيل ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فالعُجْبُ يصرفُ وجهَ العبد عن الله، والذنب يصرفه إليه؛ لأنَّ العُجْبَ ينتج الاستكبار، والذنب ينتج الاضطرار، ويؤدي إلى الافتقار. وخير أوصاف العبد: افتقاره، واضطراره إلى ربّه، وعلى هذا يظهر لك سرُّ الحديث، وما اشتمل عليه من الكنوز، والله أعلم

١٣٢ ـ «ما تَقرَّبَ إليَّ العَبْدُ بمِثْلِ أداءِ فَرائِضي، وإنَّهُ لَيتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحبَّه، فإذا أَحْببْتهُ؛ كنتُ رِجْلَه الَّتي يَمْشي بها، ويَدَه التي يَبْطِشُ بها، ولِسانَه الَّذي يَنْطِقُ بهِ، وقَلْبَه الَّذي يَعْقِلُ بهِ، إنْ سَألَني أعْطَيْتُه، وإنْ دَعانِي أَجَبْتُه»[١]. رواه ابنُ السُّنيِّ عن ميمونة.

ش ـ التقرب: طلب القربة، وأخذ المثوبة. والفرائض: جمع فريضة، بمعنى مفروضة، وأصل الفرض: القطع، وفي الشرع: ما أوجبه الله تعالى، وألزمه عباده، وهو أعم من أن يكون فرضَ عينٍ، أو كفاية، والنوافلُ: جمع نافلة: الزيادة، والتنفُّل: التطوع. والحبُّ: تقدَّم الكلام عليه غير مرَّة. والبطش: الأخذ بعنف. والقلب: تقدَّم الكلام عليه.

والمعنى: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبر أنَّ العبد لم يتقربْ إلى الله، ويتطلَّب القربة من رحمته، والمثوبة من عنايته به بوسيلة عمل إليه جلَّ ذكره من الذي فرضه عليه، وألزمه به، وقدَّره، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرَّمات؛ لأنَّ ذلك كلَّه من فرائض

= وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٩) وقال: رواه البزار. وإسناده جيد. نقول: في إسناده سلاَّم بن أبي الصهباء، قال البخاري: منكر الحديث. وضعفه يحيى، وحسَّن حديثه أحمد. وقال البزار: وهو مشهور روى عنه عفان، والمتقدمون، نقول: وللحديث شواهد يحسَّن بها إن شاء الله.

(١) رواه أبو يعلى رقم (٧٠٨٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٠) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه يوسف بن خالد السَّمتي، وهو كذاب. نقول: ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري رقم (٦٥٠٢).

الله التي افترضها على عباده. قال الحافظ زين الدين بن رجب[1]: وأداءُ الفرائض أفضلُ الأعمال، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورعُ عما حرم الله، وصدقُ النية فيما عند الله. وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: أفضلُ العبادات أداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك أنَّ الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقرِّبهم عنده، ويوجبَ لهم رضوانه، ورحمته. وأعظمُ فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاةُ، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾ [العلق: ١٩] وقال النبيُّ ﷺ: «أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجد»[2] وقال: «إذا كان أحدكم يصلّي؛ فإنما يناجي ربَّه، وربه بينه وبين القبلة» وقال: «إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت»[3] ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته سواء كانت رعيته عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده كما قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[4] وروى الترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدري عن النبيِّ ﷺ قال: إنَّ أحبَّ العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه

---

(١) الحافظ زين الدين بن رجب: هو الإمام الحافظ العلامة، زين الدين: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامي البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب ولد في بغداد سنة (٧٣٦)هـ، له تصانيف كثيرة، منها «شرح علل الترمذي» ومجموعة رسائل يتضمن كلٌّ منها شرح حديث واحد طبع منها: «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: بعثت بالسَّيف بين يدي الساعة». وشرح حديث (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم)، (واختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى) توفي رحمه الله سنة (٧٩٥)هـ.

(٢) رواه مسلم رقم (٤٨٢) في الصلاة وأبو داود رقم (٨٧٥) في الصلاة. والنَّسائي (٢/ ٢٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٢)، وأبو داود رقم (٩٠٩) في الصلاة، والنَّسائيُّ (٣/ ٨) في السَّهو، والحاكم (١/ ٢٩٦) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: (لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت؛ انصرف عنه) وهو حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري رقم (٥١٨٨) في النكاح. ومسلم رقم (١٨١٩). والترمذي رقم (١٧٠٥). من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

مجلساً إمامٌ عادل»[1] هذه درجة أولى للعبد المؤمن، فإذا قام بأداء الفرائض؛ سقط عنه الطَّلب، وخلص مِنْ رِبْقَةِ التكليف.

والدرجةُ الثانية هي أرقى من الأولى، وأرفع، وحالُ صاحبها أعلى، وهو من أتى بالفرائض، وقام بها تماماً، وزاد عليها ـ تقرباً إلى الله جلَّ، وعزَّ ـ النوافلَ والطاعات الزائدة عن الفرائض والواجبات، واجتهد فيها، وانكفَّ عن دقائق المكروهات، وهذه درجة السابقين المقربين، ومن أعظم ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى مولاه من النوافل كثرةُ تلاوة القرآن، وسماعه بتفكرٍ، وتدبُّرٍ، وتفهُّم. روى الترمذيُّ عن أبي أمامة مرفوعاً: «ما تقرب العبد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه»[2] يعني: القرآن، ومن ذلك كثرة ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلبُ، واللسان. روى البزَّار في مسنده عن معاذ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بأفضل الأعمال، وأقربها إلى الله تعالى. قال: «أن تموت ولسانُك رَطْبٌ من ذكر الله تعالى»[3] ومتى أكثر العبدُ من فعل الطاعات، والبعد عن المخالفات؛ أوجب ذلك حبَّ الله، فيحبه الله، ومتى أحبَّه الله؛ رزقه محبته، وطاعته، والاشتغال بذكره، وخدمته، فيصير الشَّخصُ لا يرى إلا الله، ولا يسمع إلا بالله، ولا يمشي إلا لله، ولا ينطق إلا بالله، ولا ينظر إلا بالله، ولا يبطش إلا بالله... إلخ. قال الحافظ ابن رجب: المراد من هذا الكلام ـ أي قوله تعالى: «كنت رجله التي يمشي بها» إلخ ـ: أنَّ من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض، ثمَّ بالنوافل قرَّبه إليه، فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه؛ حتى يصير في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة كما قيل:

---

(1) رواه الترمذي رقم (١٣٢٩) في الأحكام. باب ما جاء في الإمام العادل، وإسناده ضعيف.

(2) رواه أحمد في المسند (٥/٢٦٨). والترمذي رقم (٢٩١٣) وقال الترمذيُّ: حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وبكر بن خُنَيْس تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر عمره نقول: وإسناده ضعيف.

(3) رواه البزار رقم (٣٠٥٩)، وابن حبَّان في صحيحه (٨١٨). وابن السُّني رقم (٢) والطبراني في الكبير (٢٠/١٠٦ و١٠٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧٤) وقال: رواه البزار وإسناده حسن. من حديث معاذ رضي الله عنه، نقول: وهو حديث حسن، وله شواهد.

ساكنٌ في القلبِ يَعْمُره لستُ أنساه فأذكره
غابَ عَنْ سمعي وَعَنْ بَصرِي فسُوَيْدُ القلبِ يُبصِرُه

قال الفضيل بن عياض[1]: إنَّ الله تعالى يقول: «كذب من ادَّعى محبتي، ونام عني. أليس كل محبٍّ يحبُّ خلوة محبوبه؟ ها أنا مطَّلعٌ على أحبابي، وقد مثلوني بين أعينهم، وخاطبوني على المشاهدة، وكلموني بحضور، غداً أقرُّ أعينهم في جناتي» ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه، وإذا وصل العبد إلى هذه المنزلة اقتضى أنه إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإذا دعاه بشيءٍ أجاب دعاءه، فيصير مجابَ الدَّعوة لكرامته على الله تعالى، وقد كان كثيرٌ من السَّلف الصالح من الصحابة وغيرهم مجابَ الدعوة، ولولا الإطالة لسردت لك جملةً صالحةً من ذلك. والله أعلم.

١٣٣ ـ «ما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدي المُؤْمنُ بمِثْل الزُّهْدِ في الدُّنْيا، وَلا تَعبَّدَني بمثْلِ أداءِ ما افْتَرَضْتُه»[2]. رواه القضاعي عن ابن عباس.

ش ـ زهد في الشيء: تركه، وأعرض عنه؛ فهو زاهد، والجمع زُهَّاد. والدنيا: عبارة عن الأعيان الثابتة، وهي: الأرض، وما عليها من المواليد الثلاثة، وهي: الجمادات، والنباتات، والحيوانات، مما للإنسان فيها حظٌّ، ولذَّةٌ مالية، أو جاهية، وله في صلاحها شغل لحظِّه، أو لحظِّ غيره، فيندرج فيه الحرف، والصناعات. وقد تقدَّم معنى التقريب إلى الله عز وجل في الحديث المتقدِّم، وقد ذكرنا: أنَّ الله جلَّ ذكره يتَّصف بالتقرُّب، وأتينا هناك بما يشفي الصدر.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يخبرنا بأن العبد المؤمن ما تقرب إليه جلَّ،

---

(١) الفضيل بن عياض هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي الإمام العلامة ـ يكنى: أبا الفضل سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، له تصانيف كثيرة منها: (كمال المعلم في شرح صحيح مسلم) و(الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ). أبدع فيه كلَّ الإبداع. ولد في سبتة في شهر شعبان سنة (٤٩٦)هـ وتوفي رحمه الله بمراكش سنة (٥٤٤) هـ رحمه الله.

(٢) رواه القضاعي رقم (١٤٥٨) من حديث ابن عباس. وفي إسناده جُوَيْبر متروك، وفيه انقطاع بين ابن عباس، والضحاك. والحديث ضعيف.

وعزَّ بعملٍ مثل الزُّهد في الدنيا، ولا تعبد الله تعالى بمثل أداء الفرائض. أما الزُّهد في الدنيا فقد جاء القرآن بالحثِّ عليه، وتحبيبه إلى خلقه، ومدحه، والتنفير من ضدِّه، وذم الرغبة في الدنيا. قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧] وقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] والقرآن مليء بذلك.

ومن الأحاديث: ما رواه ابن ماجه وغيره عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! دلَّني على عملٍ إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[(١)] وهو حديثٌ حسنٌ، رواه بأسانيد حسنة، كما قال النووي رحمه الله. وروى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه مرَّ بالسوق والناس مكتنفوه، فمرَّ بجديٍ أسكّ ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، فقال: أيكم يحب أنَّ هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيءٍ! وما نصنع به؟! قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً لما رغبنا فيه؛ لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟! فقال: والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[(٢)]. وقوله: أسك؛ أي: مصطلم الأذنين، مقطوعهما.

وخرَّج الترمذي من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤١٠٢) والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٤٣) والحاكم (٤/ ٣١٣)، والطبراني في الكبير رقم (٥٩٧٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه. وفي إسناده خالد بن عمرو، قال أحمد وابن معين: أحاديثه موضوعة. وقال البخاري وأبو زرعة: منكر الحديث. وضعفه أبو داود والنَّسائي. وقول الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ردَّه الإمام الذهبي بقوله: خالد بن عمرو القرشي وضَّاع. نقول: وقد حسن الحديث النووي والعراقي بشواهده.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٥٧) في الزهد والرقائق، وأبو داود رقم (١٨٦) في الطهارة من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذيُّ رقم (٢٣٢١). وابن ماجه رقم (٢٤١٠) من حديث سهل بن =

وقد أكثر الناس الكلام في الزهد، وكلٌّ أشار إلى ذوقه، ونطق عن حاله وشاهده، وقد سئل الرسول ﷺ عن الزهد فأجاب: خرَّج الترمذي، وابنُ ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حليس، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرٍّ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألاّ تكون بما في يدك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغبَ فيها لو أنها بقيت لك»[1] قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن واقد منكر الحديث، والصحيح وقفه كما رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد.

وقال سفيان الثوري: الزُّهد في الدنيا: قصر العمل ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء. وقال ابن الجلاء[2]: الزُّهد: هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، فتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض عنها. وقال الجنيد[3]: الزهد: خلو القلب عما خلت منه اليد. وقال الإمام أحمد: الزهد في الدنيا: قصر الأمل. وعنه رواية أخرى: أنه عدم فرحه بإقبالها، وحزنه على إدبارها، فإنه سئل عن الرَّجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً؟ فقال: نعم على شريطة ألا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: الزُّهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع:

= سعد رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٤١) في الزهد. وابن ماجه رقم (٤١٠٠). وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. نقول: في إسناده عمرو بن واقد منكر الحديث، والحديث ضعيف جداً.

(٢) ابن الجلاء: شيخ الشام، أبو عبد الله أحمد بن يحيى، وقيل: محمد بن يحيى، صحب والده، وذا النون المصري وحكى عنه. قال ابن الجلاء: كان أبي يعظ، فيقع كلامه في القلوب فسمِّي: جلاء القلوب. توفي سنة (١٣٦) هـ.

(٣) الجنيد: هو شيخ الصوفية، الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري الخراز، حدث عنه جعفر الخلدي وغيره. قال ابن المناوي: سمع الكثير، وشاهد الصالحين، وأهل المعرفة، ورزق الذكاء، وصواب الجواب، لم يُرَ في زمانه مثله في عفة وعزوفٍ عن الدنيا. توفي رحمه الله سنة (٢٩٧) هـ.

ترك ما تخاف ضرره في الآخرة. قال تلميذه العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية في كتابه: «مدارك السالكين»: هذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد، والورع، وأجمعها. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: الزهد على ثلاثة أوجه: تركُ الحرام، وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الكلام، وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين. ومتعلق الزهد ستة أشياء، لا يستحقُّ العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها، وهي المالُ، والصورُ، والرياسةُ، والناسُ، والنفسُ، وكلُّ ما دون الله عز وجل، وليس المراد رفضها من الملك، بل المراد رفضها من القلب، فقد كان نبيا الله: سليمان، وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء مالهما. وكان نبينا محمد رسول الله ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق وله تسعُ نسوة. وكان عليُّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان من الزهاد مع ما لهم من الأموال، وكان الحسنُ بن عليٍّ رضي الله عنهما من الزُّهاد مع أنه كان من أكثر الأمَّة محبةً للنساء، ونكاحاً لهنَّ وأغناها. وكان عبدُ الله بن المبارك من الأئمة الزُّهاد مع مالٍ كثير، وكذلك الليث بن سعد[1]، وسفيان من أئمة الزُّهاد، وكان له رأس مالٍ يقول: لولا هو لتمندل بنا هؤلاء.

قال الحافظ زينُ الدِّين بن رجب: واعلم: أنَّ الذمَّ الوارد في الكتاب والسنة للدُّنيا ليس هو راجعاً إلى زمانها الذي هو: الليل، والنهار المتعاقبان إلى يوم القيامة، فإنَّ الله تعالى جعلهما خلفةً لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكوراً. ويروى عن عيسى عليه السلام: أنه قال: «إنَّ هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما» وكان يقول عليه الصلاة والسلام: اعملوا، الليلُ لما خلق له، والنَّهارُ لما خلق له. وقال مجاهد[2]: ما من يومٍ إلا يقول: ابن آدم! قد دخلتُ عليك اليوم، ولن أرجعَ إليك بعد اليوم، فانظر ماذا تعملُ فيَّ، فإذا انقضى طوى، ثم يختم عليه، فلا يفض حتى يكون

---

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن: الإمام الحافظ شيخ الإسلام. وعالم الديار المصرية. أبو الحارث الفهمي. مولى خالد بن ثابت بن ظاعن، سمع عطاء ابن أبي رباح. وابن أبي مليكة. توفي رحمه الله (١٧٥) هـ.

(٢) مجاهد بن جَبْر: الإمامُ شيخْ القراء، والمفسرين. أبو الحجاج المكِّي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب. وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. وعن أبي هريرة. وعائشة. وسعد بن أبي وقاص. توفي رحمه الله وهو ساجد سنة (١٠٢) هـ.

هو الله الذي يفضه يوم القيامة، ولا الليل إلا تكون كذلك، وقد أنشد بعض السلف:

إنَّمـا الدُّنيـا إلى الجنَّـةِ والنَّـارِ طريـق   والليالي مَتْجَرُ الإنسانِ والأيـامُ سُوق

وليس الذمُّ راجعاً إلى مكان الدُّنيا الذي هو الأرض؛ التي جعلها الله لبني آدم مهاداً ومسكناً، ولا إلى ما أودع الله من الجبال، والبحار، والأنهار، والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الزرع، والشَّجر، ولا إلى ما بثَّ فيها من الحيوانات، وغير ذلك، فإنَّ ذلك كله من نعم الله على عباده لما لهم فيه من المنافع، ولهم فيه من الاعتبار، والاستدلال على وحدانية صانعه، وقدرته، وعظمته؛ وإنما الذمُّ راجعٌ إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأنَّ غالبها واقعٌ على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضرُّ عاقبته، أو لا تنفع، كما قال عز وجل: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ [الحديد: ٢٠].

(فائدة) اختلف الناس في الزُّهد هل هو ممكن في هذه الأزمنة، أم لا؟ فقال بعضهم: الزهد لا يكون إلا في الحلال، ولا حلال في الدنيا، فلا زهد. وقال بعضهم: بل الحلال موجود فيها، وفيها الحرام كثيراً، وعلى تقدير ألاَّ يكون فيها الحلالُ فهذا أدعى إلى الزُّهد فيها، وتناول ما يتناوله المضطر منها، كتناوله للميتة، والدم، ولحم الخنزير. وفي ذلك كفاية. والله أعلم.

١٣٤ ـ «ما غَضِبْتُ على أحدٍ غَضَبي على عبْـدٍ أتى مَعْصِيةً، فَتعاظَمها في جَنْبِ عَفْوِي، فلوْ كنْتُ مُعجِّلاً العقُوبَـة، أوْ كانت العَجلةُ مِنْ شَأني لعجَّلْتُها للْقانطينَ منْ رَحْمتي، ولوْ لم أرْحمْ عبادي إلا مِنْ خَوْفهمْ مِنَ الوُقوفِ بيَـنَ يـدَيَّ لشَكرْتُ ذلكَ لهُم، وجَعلْتُ ثَوابَهم مِنْـهُ الأمْنَ لِمَا خـافُوا»[١]. رواه الرافعيُّ عن ناجية بن محمد بن المنتجع عن جدِّه.

ش ـ الغضبُ تقدم الكلام عليه في شرح الحديث (٢٧) والقانطين جمع قانط: اليائس، والقنوط: اليأس من الخير، يقال: قنَط يقنِط بفتح الماضي وكسر المضارع ـ قنوطاً. وقنِط يقنَط ـ بكسر الماضي وفتح المضارع ـ والشكر: تصوُّر النعمة

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ/٤/ ر قم (١٠٤١٨) وقال: رواه الديلمي، وهو في «المنتخب» عن المنتجع. والحديث ضعيف لجهالة حال ناجية بن محمد المنتجع، ولعله لا تثبت لجده هذا صحبة.

وإظهارها، ويضادُّه الكفرُ، وهو نسيانُ النعمة، وسترها، والثوابُ: المجازاة. يقال: أثابه يثيبه، إثابةً، والاسم: الثواب. ويكون في الخير والشرِّ إلاَّ أنَّه بالخير أخصُّ، وأكثرُ استعمالاً. والأمن: طمأنينة النفس، وزوالُ الخوف، وباقي ألفاظ الحديث منها ما تقدَّم الكلامُ عليه، ومنها ما هو ظاهر.

والمعنى: أنَّ الله تبارك، وتعالى يخبرنا على لسان نبيِّهِ المصطفى ﷺ: أنَّه ما غضب على أحدٍ من عباده غضبه على عبدٍ أتى معصيةً من المعاصي صغيرةً، أو كبيرةً، فتعاظمها في جنب عفو الباري تعالى، وقنط من رحمته. فلو كان الله سبحانه معجلاً العقوبة لأحدٍ من الناس، أو كانت العجلةُ من شأنه عزَّ وجلَّ؛ لعجَّل العقوبة للقانطين من رحمة الله.

ففيه حثٌّ على المبادرة إلى الله تعالى بعد فعل الذنب، واقتراف المعصية، بالإنابة إليه، واعتقاد الرَّجاء، والعفو، واستبعاد القنوط، واليأس من رحمة الله وعفوه.

وقد جاء القرآن الحكيم ببيان أنَّ باب الله مفتوحٌ للعصاة، والمذنبين، والمقصرين على أنفسهم مهما بلغت ذنوبهم سوى الشرك، وحضّ المذنبين على الإنابة والرجوع إلى الله، وعدم القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٤] وقال تعالى: ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٥ ـ ٥٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

وقد تقدَّم أحاديثُ في هذا الكتاب منها: ما رواه أحمد عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: «عبدي! ما عبدتني ورجوتني فإني غافرٌ لك على ما كان فيك، ويا عبدي! إن لقيتني بقُراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بي لقيتك بقُرابها مغفرةً»(١) وروى الترمذيُّ ـ وقال: حديث حسن ـ عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك ما كان منك، ولا أبالي. يابن آدم! لو بلغت ذنوبك عَنانَ السماء، ثم استغفرتني غفرت لك.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/١٤٧). من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

يابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقُرابها مغفرةً»[١]. وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لو أخطأتم حتى تبلغَ خطاياكم السَّماء، ثم تُبتم لتاب عليكم»[٢]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه، فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله، فكمَّل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، من يحولُ بينه وبين التوبة؟ انطلِقْ إلى أرض كذا، وكذا، فإنَّ بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرضُ سوء. فانطلقَ حتى إذا نَصَفَ الطريقُ أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمة، وملائكةُ العذاب، فقالت ملائكة الرَّحمة: جاءَ تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قطُّ، فأتاه ملك في صورة آدميٍّ، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى؛ فهو له، فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة». وفي رواية: «فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقرَّبي؛ وقال: قيسوا بينهما. فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له»[٣]. وفي روايةٍ قال قتادة قال الحسن: «ذكر لنا أنه لما أتاه ملكُ الموتِ نأى بصدره نحوها». رواه البخاريُّ، ومسلم، وابنُ ماجه بنحوه.

وقوله: «ولو لم أرحمْ عبادي إلا مِنْ خوفهم. . . إلخ» أي: أنَّ الله سبحانه يخبرنا: أنه لو لمْ يرحمْ عباده إلا مِنْ خوفهم من الوقوف بين يديه؛ لشكر ذلك لهم، وجعل ثوابهم ذلك الأمن لما خافوا.

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٣٥٣٤) في الدعوات باب رقم (١٠٦) وقال الترمذي حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أقول: وفي إسناده كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان. وللحديث شواهد يتقوى به. فهو بها حسن.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢٤٨). وذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ١٢) وقال العراقي في تخريجه: إسناده حسن وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٠ و٧٢)، والبخاري رقم (٣٤٧٠)، ومسلم رقم (٢٧٦٦). وابن ماجه رقم (٢٦٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ففيه الترغيب في التوبة، والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، ولا سيما الخائفين من الله تعالى الذين أذنبوا، وخافوا من الوقوف بين يدي الله جلَّ ذكره يوم الموقف الأكبر، اليوم الذي تظهر فيه عوراتُ الناس، ويَشْرُفُ المطيع، ويذلُّ فيه العاصي غير التائب من الذَّنب. روى الترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، والبيهقيُّ عن أنس رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «يقول الله عز وجل: أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام»[1].

وقوله: «رواه الرافعي» هو العالم الفقيه عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي، القزويني، الشافعي، كان من أئمة الشافعية أصحاب التآليف القيمة منها: المحرر في فقه الشافعية، والتدوين في أخبار قزوين، ولعله روى الحديث فيه، وفتح العزيز ـ وشرعنا بطبعه، وتمَّ منه مع المجموعة شرح المهذب ١٢ جزءاً ونسأل الله الإتمام ـ كان له مجلس بقزوين في التفسير، والحديث، وتوفي فيها سنة ثلاث وعشرين وستمئة والله أعلم.

١٣٥ ـ «ما يزالُ عبْدي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أحبّهُ، فأكُونُ سمْعَه الَّذي يسْمَعُ به، وبَصرَه الَّذي يُبْصرُ بِهِ، ولسَانَه الَّذي يَنْطِقُ به، وقَلْبَه الَّذي يَعْقلُ به، فإذا دَعاني أَجبْتُه، وإذا سَألني أعْطَيْتُه، وإن اسْتَنْصرني نَصرْتهُ، وأَحَبُّ ما تَعبَّدني عَبْدي به النُّصْحَ لي»[2]. رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة.

ش ـ تقدَّم شرح الحديث غير مرَّة بألفاظٍ متقاربة من هذا مع زيادة، ونقص فيها، فلا حاجة للإعادة، وهنا زيادة فيه لفظ: «النصح لي» فلا بأس من الكلام عليه بما يناسبه، فنقول:

النصح في اللغة: الخلوص. يقال: نصحته، ونصحت له، والنُّصح: تحرِّي فعل،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٩٧) في صفة جهنم. والبيهقي في الشعب رقم (٧٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٨٣٣) و(٧٨٨٠) وفي الأولى عبيد الله بن زحر. ضعيف. وفي الثانية عثمان بن أبي العاتكة. ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٤٨) وقال: رواه الطبراني، وفي الفريقين علي بن زيد ضعيف. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. نقول إسناده ضعيف. ولبعض فقراته شواهد.

أو قول فيه صلاح صاحبه، وهو من قولهم: نصحت لهم الودَّ؛ أي: أخلصته. وناصح العسل: خالصه. أو من قولهم: نصحت الجلد: خطته. والناصح: الخياط. والنصاح: الخيط. والنَّصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبَّر هذا المعنى بكلمة واحدةٍ تجمعُ معناه غيرها.

وقد جاء القرآن يحكي نصح الأنبياء لقومهم، قال حكايةً عن صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ وقال تعالى حكاية عن نبيِّ الله شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩٣] وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١] يعني: أنَّ من تخلف عن الجهاد لعذرٍ؛ فلا حرج عليه بشرط أن يكون ناصحاً لله ورسوله في تخلفه، فإنَّ المنافقين كانوا يظهرون الأعذار كاذبين، غير ناصحين لله ورسوله، وقال تعالى حكاية عن نبيِّ الله نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٢] وقال تعالى حكايةً عن نبيِّ الله هود عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨] وقال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [يوسف: ١١].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصيحة ـ ثلاثاً ـ قلنا: لمن يا رسول الله؟! قال: لله عزَّ وجلَّ، ولكتابه، ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(١) وروى الإمام أحمد من حديث أبي أمامة عن النَّبيِّ ﷺ قال: قال الله عزَّ وجلَّ: «أحب ما تعبدني به عبدي النُّصح لي»(٢) وهو قطعة من حديث الكتاب، وقد ورد في أحاديث كثيرة النصح للمسلمين عموماً، وفي بعضها النصح لولاة الأمور، وفي بعضها نصح ولاة الأمور لرعاياهم، وفي بعضها النُّصح لله وحده جلَّ عزه، كما في حديث الكتاب، وفي الصحيحين عن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٠٢)، ومسلم رقم (٥٥) في الإيمان، وأبو داود رقم (٤٩٤٤) والنَّسائي (٧/ ١٥٦ و١٥٧) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

جرير بن عبد الله قال: بايعت النبيَّ ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، والنصح لكلِّ مسلم[1]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا مَنْ ولَّاه الله أمركم»[2]وقد تقدَّم ذكر الآيات الدَّالة على نصيحة الأنبياء لأممهم.

والنُّصح لله هو: أن يقوم العبد بأداء واجباته على أكمل وجوهها ـ وهو: أن يعبد الله كأنَّه يراه ـ فلا يكمل النُّصح لله بدون ذلك، ومن النصيحة صحةُ الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاصُ النية في عبادته، ووصفُه بصفات الكمال والجلال، واعتقادُ ما جاء به القرآن والسنة الصحيحة من الصفات بدون تأويلٍ، ولا تشبيهٍ، وتنزيهُه عما يضادّها، ويخالفها، وتجنبُ معاصيه، والقيامُ بطاعته ومحابه بوصف الإخلاص، والحبُّ فيه، والبغضُ فيه، وجهادُ من كفر به تعالى، وكراهيةُ أهل البدع والأهواء وما ضاهى ذلك، والحثُّ عليه.

ولما ذكر النُّصح والنصيحة هنا، وبينا النُّصح لله جل وعز، فلا بأس من إيراد جملةٍ تتعلق بنصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام، ونصيحة خلقه إتماماً للفائدة فأقول:

النصيحة لرسول الله ﷺ: الإيمانُ به، وبما جاء به، وتوقيرُه، وتبجيلُه، والتمسُّك بطاعته، وإحياءُ سننه، وانتشار علومه، ونشرها، ومعاداةُ من عاداه، وموالاةُ من والاه ووالاها، والتخلُّقُ بأخلاقه، والتأدُّبُ بآدابه، ومحبَّةُ آله وأصحابه، ونحو ذلك.

والنَّصيحةُ لأئمة المسلمين: معاونتُهم على الحقِّ، وطاعتُهم فيه، وتذكيرُهم به، وتنبيهُهُمْ في رفقٍ ولطف، ومجانبةُ الوثوب عليهم، والدُّعاء لهم بالتوفيق، وحثُّ الأغيار على ذلك.

والنصيحةُ لعامة المسلمين: إرشادُهم إلى مصالحهم، وتعليمُهم أمور دينهم

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٥)، والبخاريّ رقم (٥٧) في الإيمان و(٥٢٤) في مواقيت الصلاة ومسلم رقم (٥٦)، والترمذي رقم (١٩٢٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٧ و٣٦٠)، ومسلم رقم (١٧١٥)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٤٤٢)، وابن حبان رقم (٣٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ودنياهم، وسترُ عوراتهم، وسدُّ خلاتهم، ونصرتُهم على أعدائهم، والذبُّ عنهم، ومجانبةُ الغشِّ والحسد لهم، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكرهُ لهم ما يكرهُ لنفسه. والله أعلم.

١٣٦ ـ «مُرُوا بالمعْرُوفِ، وانهَوْا عنِ المُنْكرِ مِنْ قَبْلِ أنْ تَدْعونِي فَلا أجِيْبُ لَكُمْ، وتَسألوني فلا أعْطِيكُم، وتَستَنْصرُوني فلا أنْصُركمْ»[1]. رواه الديلمي عن عائشة.

ش ـ يقال: أمره بكذا: طلب فعله منه. والاسم: الأمر، واحد الأوامر. والمعروف: هو اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى النَّاس، وكلّ ما ندبَ إليه الشرع. والنهيُ: ضد الأمر، ونهاه عن كذا، ينهاه، نهياً، وانتهى عنه، وتناهى؛ أي: كفَّ، وتناهوا عن المنكر: نهى بعضُهم بعضاً. والمنكر: كلُّ فعلٍ تحكم العقول الصحيحةُ بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقولُ، فتحكم بقبحه الشريعةُ، وهو ضدُّ المعروف.

والمعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ: الله عزَّ، وجلَّ أَمَرَنا أنْ نأمرَ بالمعروف، وننهى عن المنكر؛ لئلا يأتي يومٌ، فتفشو فيه المعاصي، والمنكرات، ولا آمرَ، ولا ناهي، وتتسلط علينا الآفات، والبلايا، والمصائب بترك ذلك، فندعو الله جل ذكره فلا يجيب لنا دعاءً، ونسأله كشف ذلك، فلا نعطى، ونستنصر بالله جلَّ وعزَّ مِنْ عدوِّنا، وما حلَّ بنا، فلا ينصرنا، ولا يلتفت إلينا.

وقد جاء الحثُّ بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتنفير من ترك ذلك، وتهديد مَنْ تركه في آياتٍ كثيرة من القرآن الحكيم، وأحاديث تبلغ حدَّ التواتر، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨] وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٩/٦). وابن حبَّان رقم (٢٩٠) والديلمي رقم (٥٥٥٥) وابن ماجه رقم (٤٠٠٤) مختصراً، والبزار رقم (٣٣٠٥)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٧) وقال: رواه أحمد والبزار. وفيه عاصم ابن عمر أحد المجاهيل. من حديث عائشة رضي الله عنها نقول إسناده ضعيف وهو حديث حسن بشواهده.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال تعالى حكاية عن لقمان: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى في وصفهم أيضاً: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾الآية [التوبة: ١١٢].

ومن الأحاديث النَّبوية ما رواه مسلم، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، والنَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخدري، ولفظه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فغيَّره بيده؛ فقد برىء، ومَنْ لم يستطع أن يغيِّره بيده، فغيره بلسانه؛ فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه، فغيره بقلبه؛ فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان»[1]. وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما من نبيٍّ بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه؛ فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه؛ فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل»[2]. والحواري هو الناصر للرجل، والمختصُّ به، والمعين، والمصافي. وروى الترمذي ـ وقال حديثٌ حسنٌ غريب ـ عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمُرنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعوه فلا يستجيب لكم»[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٠)، ومسلم رقم (٤٩ و٧٩) في الإيمان، وأبو داود رقم (١١٤٠ و٤٣٤٠) في الملاحم، وابن ماجه رقم (١٢٧٥)، وابن حبان رقم (٣٠٦ و٣٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٠) في الإيمان. باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

(٣) رواه الترمذيُّ رقم (٢١٧٠) في الفتن. وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي الراوي عن حذيفة لم يوثقه غير ابن حبَّان. وللحديث =

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما مِنْ رجلٍ يكون في قومٍ يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيروا عليه، ولا يغيرون إلا أصابهم الله منهم بعقابٍ قبل أن يموتوا»[1] رواه أبو داود عن أبي إسحاق قال: أظنه عن ابن جرير عن جرير، ولم يسمِّ ابنه. ورواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والأصبهاني، وغيرهم عن أبي إسحاق عن عبد الله بن جرير عن أبيه، وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب، والبيهقي في الزهد الكبير، وغيره عن دُرَّةَ بنت أبي لهب رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله! من خير الناس؟ قال: «أتقاهم للربِّ عزَّ وجلَّ، وأوصلُهم للرَّحم، وآمرُهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر»[2]. وروى الأصبهاني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس! مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم. إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفعُ رزقاً، ولا يقرِّب أجلاً، وإنَّ الأحبار من اليهود، والرُّهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عموا بالبلاء»[3] وروى الإمام أحمد، والترمذيُّ ـ واللفظ له، وابنُ حبان في صحيحه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ليس منَّا مَنْ لم يرحمْ صغيرنا، ويوقرْ كبيرنا، ويأمرْ بالمعروف وينهَ عن المنكر»[4].

والأمر بالمعروف، والنهيُ عن المنكر من أعظم وظائف الشَّرع المحمَّدي، وهو وظيفةُ الأنبياء والرسل، ومن بعدهم العلماءُ قادة الأمة، ومعلموها، أهل الفراسة، والذكاء، وفيهما تتفاضل الأممُ، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

= شواهد، يتقوىٰ بها، فهو بها حسن.

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٣٩) في الملاحم. وابن ماجه رقم (٤٠٠٩) في الفتن. من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٥٧ و٢٥٨) من حديث دُرَّة بنت أبي لهب رضي الله عنها. وإسناده حسن.

(٣) رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب رقم (٢٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥٧). وابن حبان رقم (٤٥٨). والبزار رقم (١٩٥٦). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فوصف أمة محمد ﷺ بأنها خيرُ أمَّة أخرجت للناس، وعلَّل ذلك بأنها تأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله جلَّ وعزَّ، فإنَّها خيرُ أمة لأجل ذلك، ولا شكَّ أنَّ الأمم الغابرة كانوا يتساهلون في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويسكتون على مَنْ فعل ذلك، ولذلك شنَّع عليهم الباري تعالى في القرآن الحكيم في غير آية، وقد تقدَّم ذكر بعضها أول الشرح، ولا شكَّ أن هذين الوصفين من أهم الأمور التي تحفظ الأمة من التدهور، والسقوط، وتنتشر فيها المعاصي، ويكثر الفساد، والفسَّاق، وتذهبُ ثروةُ البلاد، وتنحطُّ الأخلاقُ، وانظر إلى حال الأمَّة الإسلامية في بدء ظهورها، وبعد أن تكوَّنتْ، وانتظمتْ، وأصبحتْ أمَّةً، ودولةً يخاف قوتها وبطشها جميعُ الأمم المعاصرة لها، كالروم، والفرس اللتين كانتا أعظمَ الأمم في عصرهما، فاجتثت الدولةُ الإسلامية أصولهما، وقهرتهما، وذلَّتهما في أقربِ وقتٍ، وأقلِّ زمنٍ، وذلك بسبب التآلف، والتحابب بين المسلمين، واتِّحاد كلمتهم وصفوفهم، وانتشار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في الجميع، لا فرق بين عالمٍ، وجاهلٍ، بين كبيرٍ، وصغيرٍ، بين عظيمٍ، وحقيرٍ، لذلك نجحتِ الأمَّةُ الإسلاميةُ، وتقهقرت الأممُ الأخرى؛ لسلب المزايا منها التي وجدت في الشريعة الإسلامية، ولم تزل، كذلك حتَّى قلَّ الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وهاب العلماءُ نصيحة ملوكهم، وإرشادَ أمرائهم، ففشت المعاصي، وعمَّ الفساد، وتسلَّط العدوُّ، ووقع الغلاءُ، والقحطُ، وكثرتِ المصائب، والبلايا، وندعو الله فلا يستجيب لنا، ونستنصره على عدونا، فلا ينصرنا، ونسأله فلا نعطىٰ، وأَكْرَه العلماءَ على عدم النَّصيحة لملوكهم وأمرائهم استبدادُ رؤساءِ بني أمية، ومن سار على طريقهم ممَّنْ بعدهم، وقد كان أولَ أميرٍ منهم أظهر هذه الفتنة والبدعة الشنعاء جهرةً عبدُ الملك بن مروان؛ إذ قال على المنبر: من قال لي اتَّق الله ضربتُ عنقه. وقال صديقنا الأستاذ المرحوم الشيخ رشيد رضا[1]: فقد كانت شجرةُ

---

(١) رشيد رضا ـ هو محمد بن رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا. البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام أنشا مدرسة (الدعوة والإرشاد) رحل إلى الهند. والحجاز وأوربا. وعاد. توفي فجأة في سيارة، بينما كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة، ودفن بالقاهرة سنة (١٣٥٤) هـ.

بني مروان الخبيثة هي التي سنَّتْ في هذه الأمة سُنَّة الاستبداد، فما زال يعظمُ، ويتفاقمُ حتى سلب الأمة أفضل مزاياها في دينها ودنياها بعد الإيمان. انتهى.

وقد أصبحنا في زمنِ القابض على دينه كالقابض على الجمر، فانظر إلى حصول الفساد في جميع الأقطار الإسلامية، من فشو الربا، والزنى، والقمار بأنواعه بترخيص من الحكومات المحلية، وإباحة ذلك رسمياً، والكذب، واللواط، والسرقات وقطع الأشجار، وحرق الزروع، وإفساد ما بين المرأة وزوجها، وما بين الوالد وولده، وما بين الأخ وأخيه، وما بين الصاحب وصاحبه، والغيبة، والنميمة، وتبرج النساء، وخلع عذار الحياء. ووجودهن في حمامات البحر مختلطين بالرجال الأجانب الفجرة الفسقة، والاجتماع بدور الملاهي، والسينما، والنوادي، وغير ذلك مما يوجب غضب الله تعالى وسخطه، فنسأل الله السلامة، وتغيير الحال إلى أصلح، وإرجاع العباد إلى مجد سلفهم، وما كانوا عليه من الحميَّة، والشهامة، والتَّقوى، والمهابة، وغير ذلك من صفات المؤمنين الذين قال الله تعالى في حقهم ما قال في غير آية. ولا تكون الأمة خير الأمم إلا إذا كانت متصفةً بهذه الأصول الثلاثة: الإيمان بالله تعالى قلباً وقالباً، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وإذا فقدت هذه الأصول، أو بعضها؛ لا تكون كذلك. ولا تحفظ، ولا تدوم إلا بإقامة هذه الأصول الثلاثة، ولذلك اشترط على هذه الأمة أن يكون مِنْ غرضها في الدفاع عن نفسها، وحفظ وجودها الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، كأنها لولا ذلك لا تكون مستحقةً للبقاء في الأرض، وأُكِّدَ الأمرُ بهذه الفريضة في آيات سورة آل عمران بما لا يعرف له نظير في كتابٍ من الكتب السابقة، ولم تقم به أمَّةٌ من الأمم على هذا الوجه.

إنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يحتاجان إلى تحمُّل مكاره، وصبرٍ على أذى في سبيلهما، فمن قام بذلك فلا يسخط، ولا يملّ، ولا يغضب، بل يواصل ذلك بصدرٍ رحب، وأخلاقٍ حميدةٍ، ولسانٍ طَلْقٍ، وقلب مفعم بالإيمان، والصدقِ، والإخلاصِ، ويلين للناس جانبه؛ حتى يتمكَّنَ من إزالة المنكر بطرقٍ مفيدةٍ، وسبلٍ سهلةٍ، ويكون أسلوبه ذا فنون وأنواع؛ ليقنع صاحب المنكر، ويستولي على قلبه ولبه، ويستعمل له الأدلة الوافية كلٌّ بحسبه، وينزلُ الناس منازلهم.

قال الحافظ ابن رجب: اعلم: أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر تارةً يحملُ عليه رجاءُ ثواب الله، وتارةً خوفُ العقاب في تركه، وتارةً الغضبُ لله على انتهاك محارمه، وتارةً النصيحةُ للمؤمنين، والرحمةُ لهم، ورجاءُ إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، وتارةً يحمل عليه إجلالُ الله،

وإعظامُه، ومحبَّتُه، وأنه أهلٌ أن يطاعَ، ويذكرَ، فلا يُنسى، ويشكرَ، فلا يكفرَ، وأنه يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال، كما قال بعضُ السَّلف: وددتُ أنَّ الخلق كلَّهم أطاعوا الله، وأن لحمي قُرِضَ بالمقاريض.

وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز[1] يقول لأبيه: وَدِدْتُ أنِّي غَلَتْ بي وبكَ القدور في الله تعالى. ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كلُّ ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه، كما قال ذلك النبيُّ ﷺ لمَّا ضربه قومه، فجعل يمسحُ الدَّمَ عن وجهه، ويقول: «ربِّ اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» وبكلِّ حال فتبين الرفق في الإنكار. قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلى من كان فيه ثلاثُ خصال: رفيق بما يأمر، رفيقٌ بما ينهى، عدلٌ بما يأمر، عدلٌ بما ينهى، عالمٌ بما يأمر، عالمٌ بما ينهى. وقال أحمد: الناس محتاجون إلى مداراةٍ ورفق، الأمرُ بالمعروف بلا غلظةٍ إلا رجل معلن بالفسق، فلا حرمة له. قال: وكان أصحاب ابنُ مسعود إذا مرُّوا بقومٍ يرون منهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله! مهلاً رحمكم الله! وقال أحمد: يأمر بالرفق، والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أن ينتصر لنفسه. وقد ذكر الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب» حديث الكتاب عن عائشة رضي الله عنهما، عن النَّبي ﷺ قال: «يا أيها الناس! إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم»[2] رواه ابنُ ماجه، وابنُ حبَّان في صحيحه.

١٣٧ ـ «مَنْ آذى لِي وليّاً؛ فَقد اسْتَحلَّ مُحارَبتي، وما تقرَّب إليَّ عبْدي بمثْلِ أداءِ الفرائضِ، وما يَزالُ عبْدي يتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببْتُه؛ كنْتُ عينَه التي يُبصرُ بها، وأذنَه التي يسمعُ بها، ورجلَه التي يَمشي بها، وفؤادَه الذي يَعقلُ به، ولسانَه الذي يتكلَّم به، إنْ سألني أعطيْتُه، وإنْ

---

(١) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز. أمير أموي عاش ملازماً أباه، مات قبيل وفاته، وكان من أحب الناس إليه قال ابن عبد الحكم: أعان الله عمر بن عبد العزيز بثلاثة أحدهم ابنه عبد الملك، توفي رحمه الله سنة (١٠١)هـ.

(٢) رواه ابن حبان رقم (٢٩٠)، وابن ماجه رقم (٤٠٠٤) في الفتن من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف. وهو حديث حسن بشواهده.

دعاني أجبْتُه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنَا فاعله تردُّدي عن وفاته؛ لأنَّه يكْرَه الموتَ، وأكرَهُ مَسَاءتَه»[1] . رواه أحمدُ، والحكيمُ، وأبو يعلى، والطبرانيُّ، وأبو نعيم، وابنُ عساكر عن عائشة.

ش ـ الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضَّرر؛ إما بنفسه، أو جسمه، أو تبعاته، دنيوياً كان، أو أخروياً يقال: آذيته أؤذيه، إيذاءً وأذيةً وأذىً، وأُذِيَ الرجلُ أذىً: وصل إليه المكروه، والولي: تقدم الكلام عليه في شرح الحديث رقم (٩٩). واستحلَّ الشيء: عدَّه حلالاً، وباقي ألفاظ الحديث تقدَّم الكلامُ عليه غَيْرَ مرةٍ، فلا حاجة للإعادة.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ، وعزَّ يخبرنا: أنَّ من آذى وليّاً مِنْ أولياء الله بأيِّ نوعٍ من أنواع الأذى؛ فقد استحلَّ محاربةَ الله، وتعرَّض لها، وعدَّها حلالاً، والمراد بالوليِّ هنا كما قال النووي رحمه الله تعالى: المؤمن. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: المراد بولي الله: العالمُ بالله، المواظبُ على طاعته، المخلصُ في عبادته. وهو أوجه بدليل ما ذكر من ألفاظ الحديث بعده، ووصف اللهُ أولياءَه في كتابه الحكيم، قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] فكيف يليق بعاقلٍ أن يتعرَّض لمحاربة الله جلَّ ذكرُه؟! واقترافُ المعاصي محاربةٌ لله تعالى. قال الحسن: ابن آدم! هل لك بمحاربة الله من طاقة؛ فإنَّ من عصى الله؛ فقد حاربه، وكلَّما كان الذنبُ أقبحَ؛ كانت المحاربة لله أشدَّ، ولهذا سمَّى الله تعالى أكلة الربا، وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله؛ لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه، فإنه تعالى يتولَّى نصرة أوليائه، ويحبُّهم، ويؤيدهم، فمن عاداهم؛ فقد عادى الله تعالى، وحاربه، وتعرض لهلاك نفسه. وخرَّج الترمذيُّ وغيرُه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الله الله في أصحابي! لا تتخذونهم غرضاً، فمن آذاهم؛ فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله؛ يوشك أن يأخذه»[2].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/٢٥٦)، وابن أبي الدنيا في الأولياء (٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الترمذيُّ رقم (٣٨٦٢) في المناقب، والبغوي في شرح السنة رقم =

ولما ذكر الله تعالى من آذى أولياءه فقد استحل محاربته؛ وصف أولياءه الذين يحرم إيذاؤهم، وتجب موالاتهم، والتحبب إليهم، فذكر ما يقرِّب إليه تعالى. . . إلخ. ثم ذكر حال العبد والموت النازل به، وكراهته لذلك، فقال: «وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعله. . . إلخ» قال الحافظ ابن حجر في الفتح نقلاً عن أئمة الحديث في إشكال هذا الحديث. قال الخطابي: التردُّد في حق الله غير جائز، والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له تأويلان؛ أحدُهما: أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داءٍ يصيبه، وفاقة تنزل به، فيدعو الله، فيشفيه منها، ويدفع عنه مكروهها، فيكون ذلك من فعله كتردُّدِ مَنْ يريد أمراً، ثم يبدو له فيه، فيتركه، ويعرض عنه ولا بدَّ له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله؛ لأنَّ الله قد كتب الفناء على خلقه، واستأثر بالبقاء لنفسه. (والثاني): أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيءٍ أنا فاعله كتردُّدي إياهم في نفس المؤمن، كما رُوي في قصة موسى، وما كان من لطمه عينَ مَلَكِ الموت، وتردده إليه مرةً بعد أخرى. قال: وحقيقة المعنى على الوجهين: عطف الله على العبد. ولطفُه به، وشفقتُه عليه، وقال الكلاباذي ـ ما حاصله ـ: أنَّه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات؛ أي: عن الترديد بالتردُّد، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعفٍ، ونصبٍ إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت، فيقبض على ذلك. قال: وقد يُحدِث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده، والشوق إليه، والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلاً عن إزالة الكراهة عنه، فأخبر: أنه يكره الموت ويسوءه، ويكره الله مساءته، فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال، فيأتيه الموتُ وهو له مؤثر، وإليه مشتاق. قال: وقد ورد تفعَّل بمعنى فعل، مثل تفكَّر وفكر، وتدبَّر ودبر، وتهدَّد وهدد والله أعلم.

وعن بعضهم: يحتمل أن يكون تركيب الولي يحتمل أن يعيش خمسين سنة، وعمره الذي كتب له سبعون، فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية، فيجيبه عشرين أخرى مثلاً، فعبَّر عن قدر التركيب، وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردُّد، وعبَّر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردُّد للملائكة الذين يقبضون الروح، وأضاف الحق ذلك لنفسه، لأنَّ تردُّدهم عن أمره قال: وهذا التردُّد ينشأ عن إظهار الكراهة. (فإن قيل) إذا أُمِرَ الملكُ بالقبض؛ كيف يقع منه التردد؟ فالجواب: أنَّه يتردَّد فيما لم يجدْ له فيه

= (٣٨٦٠)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٩٩٢)، وابن حبان رقم (٧٢٥٦) من حديث عبد الله بنِ مَعقِل رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

الوقت، كأن يقال: لا تقبض روحه إذا رضي. ثم ذكر جواباً ثالثاً، وهو: احتمال أن يكون معنى التردُّد: اللطف به، كأن الملك يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن، وعظم المنفعة به لأهل الدنيا؛ احترمه، فلم يبسط يده إليه، فإذا ذكر أمر ربه؛ لم يجد بداً من امتثاله، وجواباً رابعاً، وهو: أن يكون هذا خطاباً لنا بما نعقل، والربُّ منزه عن حقيقته، بل هو من جنس قوله: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً» فكما أنَّ أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً، فتمنعه المحبَّةُ، وتبعثه الشفقةُ، فيتردَّد بينهما، ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردَّد، بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه، فأريد تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردُّد، وجوَّز الكرماني احتمالاً آخر، وهو: أنَّ المراد: أنه يقبض روح المؤمن بالتأتي والتدريج، بخلاف سائر الأمور، فإنَّها تحصل بمجرد قوله: «كن» سريعاً دفعة، وقال في قوله تعالى: «فإنه يكره الموت وأنا أكره مساءته» أسند البيهقيُّ في الزهد عن الجنيد سيد الطائفة، قال: الكراهة هنا لما يلقى المؤمنُ من الموت وصعوبته وكربه، وليس المعنى: أني أكره له الموت؛ لأنَّ الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته. انتهى. وعبَّر بعضهم عن هذا بأن الموت حتمٌ مقضيٌّ، وهو مفارقة الروح للجسد، ولا تحصل غالباً إلا بألمٍ عظيم جدّاً، كما جاء عن عمرو بن العاص: أن ابنه سأله ـ وهو يموت ـ عن حقيقة الموت، فقال: والله لكأنَّ جنبي في تخت، ولكأنِّي أتنفس من خرم إبرة، وكأنَّ غصن الشَّوك يُجَرُّ به من قامتي إلى هامتي، وعن كعبٍ أنَّ عمر سأله عن الموت، فوصفه له بنحو هذا، فلما كان الموت بهذا الوصف، والله يكره أذى المؤمن، على ذلك الكراهة. ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة؛ لأنها تؤدِّي إلى أرذل العمر، وتنكس الخلق، والردِّ إلى أسفل سافلين.

وجوَّز الكرماني[1] أن يكون المراد: أكره كرهه الموت، فلا أسرع بقبض روحه، فأكون كالمتردد، قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء في هذا الحديث عظم قدر الولي لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق توكله. انتهى. قال الحافظ ابن رجب: وأما الأنبياء فلا يقبضون حتى يخبروا. قال الحسن: لما كرهت الأنبياء الموت؛ هوَّن الله عليهم بلقائه لما أحبوه من تحفة وكرامة، حتى إن نفس أحدهم تنزع من بين جنبيه، وهو يحبُّ ذلك لما قد مثل له، وقالت عائشة: ما أغبط أحداً يهون الله عليه الموت بعد الذي رأيت من شدَّة موت

(١) تقدم التعريف به.

رسول الله ﷺ[1] قالت: وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت» قالت: وجعل يقول: «لا إله إلا الله، إنَّ للموت سكرات»[2]! وجاء في حديثٍ مرسل: أنه ﷺ كان يقول: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب، والقصب، والأنامل؛ اللهم فأعني على الموت وهونه علي!». وقد كان بعضُ السَّلف يستحبُّ أن يجهد عند الموت، كما قال عمر بن عبد العزيز: ما أحبُّ أن تهون عليَّ سكراتُ الموت، إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن. وقال النخعي[3]: كانوا يستحبُّون أن يجهدوا عند الموت، وكان بعضهم يخشى من تشديد الموت أن يُفتن، وإذا أراد الله أن يهوِّن على العبد الموت هوَّنه عليه. في الصحيحين عن النبيِّ ﷺ قال: «إن المؤمن إذا حضره الموت بشِّر برضوانٍ من الله، وكرامةٍ، فليس شيءٌ أحبَّ إليه مما أمامه، وأحبَّ لقاء الله، فأحبَّ الله لقاءه»[4]، قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له: إن ربك يقرئك السلام. وقال محمد بن كعب[5]: يقول له ملك الموت: السَّلام عليك يا وليَّ الله! الله يقرئك السلام، ثم قال:

---

(١) رواه الترمذي رقم (٩٨٩) في الجنائز والنَّسائي رقم (٩٨٠) في الجنائز من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده حسن.

(٢) رواه الترمذي رقم (٩٧٨)، وابن ماجه رقم (١٦٢٣) في الجنائز من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف.

(٣) النخعي: هو المحدث العالم، أبو علي الحسن بن علي محمد بن مصعب النخعي البغدادي. سمع سويد بن سعيد وطائفة. وعنه الطستي. وأبو بكر بن خلاد، والطبراني، وخلق.

(٤) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٢١)، والدارمي رقم (٢/ ٧٠٨)، والبخاريُّ (٥٠٢) في الرقاق، ومسلم رقم (٢٦٨٣) والترمذي رقم (١٠٦٦) في الجنائز. من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٥) محمد بن كعب القرظي: الإمام العلامة الصادق أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله القرظي المدني. من حلفاء الأوس وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة. سكن الكوفة ثم المدينة، حدث عن أبي هريرة، ومعاوية، وابن عباس وطائفة. وهو يرسل كثيراً، وكان من أوعية العلم. توفي رحمه الله سنة (١٠٨)هـ. قال العجلي: ثقة، مكي، تابعي، رجلٌ صالح، عالمٌ بالقرآن.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ وقال زيد بن أسلم[1]: تأتي الملائكة للمؤمن إذا احتضر، وتقول له: لا تخف مما أنت قادمٌ عليه، فيذهب الله خوفه ولا تحزن على الدنيا، وأهلها، وأبشر بالجنة! فيموت، وقد جاءته البشرى، وخرَّج البزار من حديث عبد الله بن عمر عن النَّبيِّ ﷺ: «إن الله أضن بموت عبده المؤمن من أحدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه»[2] وقال زيد بن أسلم: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله عباداً هم أهل المعافاة في الدنيا والآخرة» وقال ثابت البناني[3]: إنَّ لله عباداً يضنُّ بهم في الدنيا على القتل والأوجاع، يطيل الله أعمارهم، ويحسن أرزاقهم، ويميتهم على فرشهم، ويطبعهم بطبائع الشهداء. وخرَّجه ابن أبي الدنيا، والطبرانيُّ مرفوعاً من وجوهٍ ضعيفة.

وفي بعض ألفاظها: أنَّ ضنائن من خلقه، يأبى بهم عن البلاء، يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويدخلهم في الجنة في عافية.

قال ابن مسعود وغيره: إنَّ موت الفجأة تخفيفٌ عن المؤمن.

وقال أبو ثعلبة الخشني: إني لأرجو ألا يخنقني كما أراكم تخنقون عند الموت. وكان ليلةً في داره فسمعوه ينادي يا عبد الرحمن! وكان عبد الرحمن قد قتل مع

---

(١) زيد بن أسلم: الإمام الحجة، القدوة: أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه. حدث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، حدَّث عنه مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي وكان له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ. توفي رحمه الله سنة (١٣٦)هـ.

(٢) رواه البزار قم (٤٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٣) وقال: رواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي. ضعفه أحمد، وأكثر الناس، ورجحه بعضهم على ابن لهيعة. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

(٣) ثابت البناني: هو ثابت بن أسلم البناني: الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني. وبنان هم بنو سعد بن لؤي بن غالب، ولد في خلافة معاوية، وحدث عن عبد الله بن معقل المدني، وعن عبد الله الزبير، وكان من أئمة العلم. حدث عنه عطاء بن أبي رباح، وقتادة، ومعمر. توفي رحمه الله سنة (١٨٦)هـ.

رسول الله ﷺ، ثم أتى مسجد بيته، فصلى، فقبض وهو ساجد. وقبض جماعة من السَّلف في الصلاة وهم سجود.

وكان بعضهم يوماً قاعداً مع أصحابه فقال: لبيك، ثمَّ خرَّ ميتاً.

وكان بعضُهم جالساً مع أصحابه، فسمعوا صوتاً يقول: يا فلان أجب، والله آخر ساعتك من الدنيا! فوثب، فقال: هذا والله منادي الموت، فودَّع أصحابه، وسلَّم عليهم، ثم انطلق نحو الصوت، وهو يقول: سلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، ثم انقطع عنهم الصوت، فتتبعوا أثره، فوجدوه ميتاً.

وكان بعضهم جالساً يكتب في مصحف، فوضع القلم من يده، وقال: إن كان موتكم هذا فوالله إنه لموتٌ طيب، ثم سقط ميتاً.

وكان آخرُ جالساً يكتبُ الحديثَ، فوضعَ القلم مِنْ يده، ورفعَ يديه يدعو اللهَ، فمات. رحمه الله تعالى. انتهى. والله أعلم.

١٣٨ ـ «مَنْ أهانَ لي وليّاً فقد بارَزْتُه بالمُحاربَة، وما تردَّدْتُ في شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي في قَبْضِ نفْسِ عبْدِي المُؤْمن، يكْرَهُ المَوْتَ، وأكْرَهُ مُساءتُه، ولا بُدَّ لهُ منْه»[1]. رواه البخاريُّ عن أبي هريرة.

ش ـ هذا الحديث مختصرٌ، ورواه البخاريُّ أيضاً عن أبي هريرةَ مطولاً بألفاظٍ قريبة من ألفاظ الحديث السَّابق، وأعاد المصنِّفُ ذكره هنا؛ لأنَّ لفظه السابق: «مَنْ آذى» وهذا: «مَنْ أهان لي» ينبه على أن الإيذاء سواء كان مشتملاً على إهانةٍ أم لا يعدُّ محاربةً لله تعالى، وثانياً: أنَّ الرواة له مختلفة. والله أعلم.

١٣٩ ـ «مَنْ تَركَ الخمْرَ وهُوَ يَقْدِرُ عليه، لأسْقينَّه منْهُ في حظيرةِ القُدْس، ومَنْ تركَ الحَريرَ وهو يَقْدرُ عليهِ؛ لأكْسُونَّه إيَّاه في حظيرةِ القُدْس»[2]. رواه البزَّار عن أنس.

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو بلفظ (من عادى لي ولياً فقد بادرني بالمحاربة).

(٢) رواه البزار رقم (٢٩٣٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧٦) وقال: رواه البزار، وفيه شعيب بن بيان، قال الذهبي صدوق. وضعفه الجوزجاني، والعقيلي. نقول: والحديث حسن.

ش ـ الخمر مؤنثةٌ في اللغة الفصيحة المشهورة، وأصل الخمر: ستر الشيء، وتغطيته، وسمِّيتْ خمراً لكونها خامرةٌ لمقرِّ العقل. قال الواحديُّ[1]: الخمر عند أهل اللغة سميت خمراً لسترها العقل. قال الليث: اختمار الخمر إدراكها، وغليانها، ومخمرها: متخذها، وخمرت الدابة، أخمرها: سقيتها الخمر. قال الكسائي[2]: يقال: اختمرت خمراً، ولا يقال: أخمرتها. وأصل هذا الحرف التغطية، وقيل: سميت خمراً؛ لأنَّها تغطِّي حتى تدرك. وحظيرة القُدْس: الجنة، وهي في الأصل: الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم، والإبل، يقيها البرد، والريح. ويطلق أيضاً على الشريعة، وكلاهما صحيح، فالشريعة: حظيرة، منها يستفاد القُدْس، أي: الطهارة. والتقديس: التطهير، ومنه: بيت المقدس، والحريرُ: معروف.

والمعنى: أن من ترك شربَ الخمر، بأن لم يشربه ابتداءً أو تركه بعد أن شربه مدَّةً وهو يقدر على شربه؛ ليسقينَّه المولى جلَّ ذكرُه من خمر الجنة في حظيرة القدس ـ أي: في الجنة ـ التي قال الله تعالى في وصفها في كتابه المبين: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧] أي: يطاف على أهل الجنة بكأسٍ فيه خمرٌ يجري كما تجري العيون على وجه الأرض، وهذه الكأس بيضاءُ، صافيةُ اللونِ، ترى من الظاهر، ذاتُ لذَّةٍ، وأشدُّ بياضاً من اللبن، ـ وليس كخمر الدنيا، يغتال العقول، ويذهب بها ـ ولا يسكرون بعد شربها، فلا يصيبهم منها مرضٌ، ولا صداعٌ، وتغيب، بل يملكون حواسَّهم، وشعورَهم، ويجدون لذَّةً لو عرضت على أهل الدنيا لماتوا من شدَّة لذتها واستطابتها. اللهم لا تحرمنا منها!

والخمر جاء الشرع بتحريمها، واستنكارها، وبيان مضارِّها، واستفظاعها، والتهديد لمن شربها ووعيده. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ

---

(١) الواحدي: الإمام العلامة. أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب (التفسير) وإمام علماء التأويل من أولاد التجار. وأصله من ساوة، توفي بنيسابور (٤٦٨)هـ.

(٢) الكسائي: الإمام شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة ـ ابن عبد الله بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي الملقب بالكسائي، تلا على ابن أبي ليلى عَرْضاً، وعلى حمزة، وحدث عن جعفر الصادق والأعمش، وسليمان بن الأرقم، له عدة تصانيف، منها: (معاني القرآن). وكتاب في القراءات ومختصر في النحو. سار مع الرشيد، فمات بالريِّ سنة (١٨٩)هـ.

﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] وقال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية. أخبر سبحانه بأنَّ الخمر، والميسر فيهما إثمٌ كبيرٌ؛ لأنَّ مضرَّتهما كبيرةٌ، ولا إثم إلا فيما كان ضاراً، فإثم شارب الخمر ينشأ من فساد عقله، وإضعاف القوَّة العاقلة، فيصدر عنه ما يصدرُ عن فساد العقل من المخاصمة، والمشاءمة، وقول الفحش، والزُّور، وإفشاء السرِّ، لا سيما في السياسة الدولية؛ فإنَّ كثيراً من الأسرار الحربية تؤخذ بطريق السكر، وله حوادث كثيرة متكرِّرة، وتعطيل الصلوات، وسائر ما يجب عليه، ومخالطة الفسَّاق، والفجَّار، وغشيان بيوت الدعارة، والملاهي، وضياع الأموال، وغير ذلك مما فسادُه ظاهر لكلِّ عاقل. هذه مضاره الخلقية، والمالية، وأما مضاره الصحية: إفساد، وفقد شهوة الطعام، وتغيير الخلق، فالسكارى تسرع إليهم النشوة، فتجحظ أعينهم، وتمتقع سحنتهم، وتعظم بطونهم. ومرضُ الكبد، والكلى، وداء السل الذي يفتك في البلاد الأوربية فتكاً ذريعاً على عناية أهلها بقوانين الصحة، ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه. وقد قيل: إنَّ نحو نصف الوفيات في بعض بلاد أوربا بداء السل.

قال الأستاذ المرحوم السيد رشيد رضا: ولم يكن هذا الداءُ معروفاً، أو منتشراً في مثل هذه البلاد ـ مصر ـ قبل شيوع السكر فيها، فهو من الأدواء التي حملها إليها الأوربيون، وقد كثر كثرة فاحشةً في مصر على أن جوَّها لا يساعد على انتشاره. وقال أحد أطباء ألمانيا: اقفلوا لي نصف الحانات أضمنْ لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات، والبيمارستانات، والتكايا، والسُّجون، وقد قال بعض الأطباء: إنَّ المسكرَ لا يتحوَّلُ إلى دمٍ كما تتحولُ سائرُ الأغذية بعد الهضم، بل يبقى على حاله، فيزاحم الدَّم في مجاريه، فتسرع حركة الدَّم، وتختل موازنة الجسم، وتتعطل وظائف الأعضاء، أو تضعف، وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل. فمن تأثيره في اللسان إضعافُ حاسة الذوق، وفي الحلق الالتهاب، وفي المعدة ترشيحُ العصارة الفاعلة في الهضم حتى يغلظ نسيجها، وتضعف حركتها، وقد يحدث فيها احتقاناً، والتهاباً، وفي الأمعاء التقرح، وفي الكبد تمديده، وتوليد الشَّحم الذي يضعف عمله، وكل هذا يتعلق بما يسمُّونه: الجهاز الهضمي، ومن تأثيره في الدم: أنَّه بممازجته له يعيق دورته، وقد يوقفها أحياناً فيموت السكور فجأةً. ويضعف مرونة الشرايين، فتتمدد، وتغلظ، حتى

تفسد أحياناً، فيفسد الدَّم، ولو في بعض الأعضاء، فتكون الغنغرينا التي تقضي بقطع العضو الذي تظهر فيه؛ لئلا يسري الفساد إلى الجسد كله، فيكون هالكاً. ومن تأثيره في جهاز التنفُّس: إضعافُ مرونة الحنجرة، وتهييج شعب التنفس، وأهونُ ضرر ذلك بحةُ الصَّوت، والسُّعال، وأعظمها تدرُّن الرئة؛ أي: السِّلُّ الفاتك بالشبان، والقاطع لجميع لذات الإنسان.

وأما تأثيره في المجموع العصبي: فهو الذي يولد الجنون، ويهلك النسل، فولد السكور لا يكون نجيباً، وولد ولده يكون شرَّاً من ولده، وأضعف بدناً وعقلاً، وقد يؤدي تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النَّسل بالمرَّة؛ لا سيَّما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء، كما هو الغالب، وأطباء الأفرنج، وعلماؤهم مجمعون على أنَّ ضرر الخمر أكبرُ من نفعها، وقد أُلِّفتْ جمعيات في أوربا، وأمريكا، ومصر للسعي في إبطال المسكرات، فهم يتعاهدون على عدم الشرب، وعلى الدَّعوة إلى ذلك، والسعي لدى الحكومات بالتشديد على بائع الخمور. فالأيام، والأجيال كلما تقدمت، وارتقت تؤيد قول القرآن بأنَّ إثم الخمر والميسر أكبرُ من نفعهما؛ فإنَّ أطباء هذا العصر يصفون من مضرات الخمر ما لم يكن معروفاً عند الأطباء المتقدِّمين، وهو ما أطلقه الله تعالى لعباده ليبحثوا فيه، ويتبينوا صدقه بأنفسهم؛ لتكون عقولُهم مؤديةً لكتابه بوجوب اجتنابه.

وأما إثم الميسر؛ أي: إثم متعاطيه: فما ينشأ عن ذلك من الفقر، وذهاب المال في غير طائل، والعداوة، وإيحاش الصدور، وضياع مستقبل نفسه إذا لم يكن صاحب عائلة، أو ضياعه، وضياع مستقبل عائلته، فإذا كان مستخدماً في مصالح الحكومة، أو الشركات الأجنبية، أو الأهالي؛ فإنه بسبب الميسر يتطلَّع إلى ما في يده من مال الغير، أو ما في يدي غيره من المال، فتحدثه نفسه باغتيال ذلك، ويحسّن له الشيطان ذلك، ويوقع في قلبه، بأنه لو مدَّ يده إلى أموال الغير التي تحت يده، وبدَّدها في القمار لربما يربح في أقرب وقتٍ مالاً كثيراً، فيردُّ ما اغتاله من أموال الناس، ولا يطَّلع عليه أحد، فيتجاسرُ ويأخذ شيئاً فشيئاً إلى أن ينكشف أمرُه، ويؤخذَ على يده، ويفتضحَ، وتذهبَ منه وظيفته، ويحكمَ عليه بالحبس، ويعدَّ من المجرمين، ويقتلَ مستقبله قتلاً مؤبداً؛ حيث يموت موتاً معنوياً، فلا يرفعُ بعد ذلك رأساً، وتمسي عائلته فقراء، يتطلبون العيش فلا يجدونه. وهذا كثيرٌ في زماننا، تنشره الجرائد على صفحاتها، وتتكرَّر حوادثه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومن مضارِّه: إفساد التربية بتعويد النفس على الكسل، وانتظار الرزق من الطرق الوهمية، وإضعاف القوة العقلية بترك الأعمال

المفيدة في طريق الكسب، وإهمال المقامرين الزراعة، والصناعة، والتجارة؛ التي هي أركانُ العمران. وأما منافع الخمر على ادعاء ذلك: فربحُ التجارة، وما يصدر عنها من الطرب، والنشاط، وقوة القلب، وثبات الجنان، وإصلاح المعدة، وقوة الباءة، وقد أشار أحدُ شعراء العرب إلى شيء من ذلك قال:

وإذا شربتُ فإنني ربُّ الخورنق والسَّدير
وإذا صحوتُ فإنني ربُّ الشويهة والبعير

وقال آخر:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

وقال بعض الشعراء وأشار إلى ما فيها من المفاسد والمصالح:

رأيتُ الخمر صالحةً وفيها خصالٌ تفسد الرَّجل الحليما
فلا واللهِ أشربُها صحيحاً ولا أشفى بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما

ومنافع الميسر ـ على زعم أنه فيه منافع ـ: مصير الشيء إلى الإنسان بغير تعبٍ ولا نصبٍ، وسرورُ الرابح، وأريحيتُه عند أن يصير له منها سهمٌ صالح، وغير ذلك.

وقد جاء في السنة النبوية تشديدٌ عظيمٌ في شرب الخمر، وبيعها، وشرائها، وعصرها، وحملها، وأكل ثمنها، وترغيبٌ عظيم في ترك ذلك، والتوبة منه.

أخرج الشيخان، وغيرُهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ السَّارق حين يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمر حين يشربُ وهو مؤمن» زاد مسلم في روايةٍ له. وأبو داود آخره: «ولكن التوبةُ معروضةٌ بعد» وفي روايةٍ للنَّسائي قال: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ وهو مؤمن، ـ وذكر رابعة فنسيتها ـ فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه»[1] وروى أبو داود: «لعن الله الخمرَ، وشاربَها، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٦)، والبخاريُّ رقم (٦٨١٠) في الحدود. ومسلم رقم (٥٧) و(١٠٤)، وأبو داود رقم (٤٦٨٩)، والنسائي (٨/ ٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه» ورواه ابن ماجه وزاد: «وآكلُ ثمنها»[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله حرَّم الخمر، وثمنها، وحرَّم الميتة، وثمنها، وحرَّم الخنزير وثمنه»[2] رواه أبو داود، وغيره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريلُ، فقال: يا محمد! إنَّ الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومسقاها»[3] رواه أحمد بإسنادٍ صحيح، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وروى ابن ماجه عن خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إياك والخمر، فإنَّها تفرع الخطايا، كما أن شجرها يفرع الشَّجر»[4]. قال الحافظ المنذري: وليس في إسناده من ترك. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مسكرٍ خمرٌ، وكلُّ مسكرٍ حرامٌ، ومَنْ شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها؛ لم يشربْها في الآخرة»[5] رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنسائيُّ، والبيهقيُّ، ولفظه في إحدى رواياته قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شرب الخمر في الدُّنيا، ولم يتبْ؛ لم يشربْها في الآخرة، وإن دخل الجنة» وفي روايةٍ لمسلم قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثمَّ لم يتبْ منها حُرِمها في الآخرة قال الخطابيُّ، ثم البغويُّ في شرح السنة: وفي قوله: «حرمها في الآخرة» وعيدٌ بأنه لا يدخل الجنة؛ لأنَّ شراب أهل الجنة خمرٌ إلا أنهم لا يصدَّعون عنها، ولا ينزفون، ومن دخل الجنة لا يحرم شرابها. انتهى. وعن أبي موسى رضي الله عنه:

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٦٧٤) في الأشربة، وابن ماجه رقم (٣٣٨٠) في الأشربة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٨٥) في الإجارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٣) رواه أحمد في المسند (١/٣١٦) رقم (٢٨٩٧)، وعبد بن حميد رقم (٦٨٦)، وابن حبان رقم (٥٣٥٦)، والحاكم (٤/ ١٤٥) وصححه ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٣٣٧٢). وفي إسناده منير بن الزبير الشامي الأزدي ضعيف من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

(٥) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩ و٢١)، والبخاريُّ رقم (٥٥٧٥)، ومسلم رقم (٢٠٠٣) وأبو داود رقم (٣٦٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة: مدمنُ الخمر، وقاطعُ الرَّحم، ومصدقٌ بالسِّحر، ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جلَّ وعلا من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهلَ النار ريحُ فروجهم»[1]، رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه. وفي رواية لابن حبان: قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مدمنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ، ولا قاطعُ رحم»[2] وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الخمر؛ فإنَّها مفتاح كلِّ شرٍّ»[3] رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، وعن جابرٍ رضي الله عنه: «أنَّ رجلاً قدم من جيشان ـ وجيشان من اليمن ـ فسأل رسولَ الله ﷺ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذُّرة، يقال له: المذر، فقال رسولُ الله ﷺ: أو مسكرٌ هو؟ قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: كلُّ مسكرٍ حرام، وإنَّ عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيَه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟! قال: عَرَقُ أهل النَّار، أو عصارةُ أهل النار»[4] رواه مسلمٌ، والنسائيُّ. وفي الباب أحاديثُ كثيرة تركتها خشية التطويل.

واختلف العلماء في حدِّ الخمر، وحقيقته الشرعية، فقال سفيانُ الثوري، وأبو حنيفةَ، وأهل الرأي: الخمر ما اعتصر من العنب، والنخلة، فيغلي بطبعه دون

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٩٩)، والحاكم (٤/ ١٤٦)، وابن حبان رقم (٥٣٤٦) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٧٤) وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني، وأحمد. ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، نقول: وفي إسناده أبو حريز، وَاسمه عبد الله ابن الحسين الأزدي مختلف فيه؛ ضعفه أحمد، ويحيى بن سعيد، والنسائي، وابن معين. وقال أبو داود: وسعيد بن أبي مريم: ليس حديثه بشيء، فالحديث إسناده ضعيف.

(٢) رواه ابن حبان رقم (٦١٣٧)، وأبو يعلى رقم (٧٢٤٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٠٠٣) في الأشربة، والنسائي (٨/ ٣٢٧) في الأشربة من حديث جابر رضي الله عنه.

عمل النار، وما سوى ذلك ليس بخمر، وقال مالك، والشافعيُّ، وأحمد، وأهل الأثر من المحدِّثين رضي الله عنهم: إنَّ الخمر كلُّ شراب مسكرٍ، فسواء كان عصيراً، أو نقيعاً، مطبوخاً كان، أو نيئاً. واللغة تشهد لهذا. قال الزجاج: القياس أنَّ ما عمل عمل الخمر يقال له: خمر، وأن يكون في التحريم بمنزلتها. قاله الواحدي، ونقله عنه الإمام النوويُّ في تهذيب الأسماء واللغات المطبوع في إدارتنا، وهو من الكتب المفيدة المحققة.

وأمَّا الحريرُ: فقد ورد بتحريمه أحاديثُ صحاحٌ، وحسانٌ كثيرة، منها: ما رواه البخاريُّ، ومسلم، والترمذيُّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير؛ فإنَّه مَنْ لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[١]، والنسائيُّ، وزاد: وقال ابن الزبير: من لبسه في الدنيا لم يدخل الجنَّة. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وروى البخاريُّ عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: نهانا رسولُ الله ﷺ أن نشربَ في آنية الذَّهب، والفضَّة، وأن نأكلَ فيهما، وعن لبس الحرير، والديباج، وأن نجلسَ عليه[٢]. والديباج بكسر الدال، وقد تفتح: الثياب المتخذة من الإبريسم سَداها ولحمتها منه، وذكره له بعد الحرير من باب ذكر الخاص بعد العام، وعن أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبسْ حريراً، ولا ذهباً»[٣] رواه أحمد، ورواته ثقات، وعن خليفة بن كعب قال: سمعت ابن الزبير يخطبُ، ويقول: لا تُلبِسوا نساءكم الحرير؛ فإنِّي سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير؛ فإنَّه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، والنسائيُّ، وزاد في روايةٍ: ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وحديث الكتاب ذكره المنذريُّ في كتاب «الترغيب والترهيب» وقال: رواه البزار بإسنادٍ حسن.

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٥٤٢٦) في اللباس، ومسلم رقم (٢٠٦٩) في اللباس، والنسائيُّ (٨/ ٢٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٥٨٣٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٤٧) وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وإسناده حسن.

أمَّا حكم لبس الحرير: فقال العلاَّمةُ ابنُ دقيق العيد في شرحه «عمدة الأحكام»: الحديث يتناول مطلق الحرير، وهو محمولٌ عند الجمهور على الخالص منه في حقِّ الرجال، وهو عندهم نهي تحريم، وأما الممتزج بغيره: فللفقهاء فيه اختلافٌ كثيرٌ، فمنهم من يعتبر الغلبة في الوزن، ومنهم من يعتبر الظهور في الرؤية، واختلفوا في العتابي من هذا، ومن يقول بالتحريم لعله يستدلُّ بالحديث، ويقول: إنه يدلُّ على تحريم مسمَّى الحرير، فما خرج منه بالإجماع حلٌّ، ويبقى ما عداه على التحريم. انتهى. والحديث الذي أشار إليه ابنُ دقيق العيد هو ما رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، والإمام أحمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» وإذا أردت أن تتوسع في ذلك فانظر تعليقنا على «أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» تجد ما يسرك.

١٤٠ ـ «مَنْ عادى لي وليّاً؛ فقدْ آذنْتُه بالحرْب، وما تَقرَّبَ إليَّ عبْدي بشيءٍ أَحَبَّ ممَّا افْترَضْتُه عليْه، ولا يَزالُ عَبْدِي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أحِبَّه، فإذا أحْببْتُهُ؛ كنْتُ سمْعَهُ الذي يَسْمعُ به، وبَصرَه الذي يُبصِرُ بِهِ، ويَدَه التي يبْطِشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإنْ سألَني لأعْطِيَنَّه، وإنِ اسْتعاذَ بِي لأعيذنَّه، وما تردَّدتُ في شيءٍ أنا فاعله ترَدُّدي عن قبْضِ نفْسِ المُؤمنِ، يكْرَه الموْتَ، وأنا أكْرَه مُساءتَه»[1]. رواه البخاريُّ عن أبي هريرة.

الحديث تكرر ذكره غير مرة إما لزيادة بعض ألفاظٍ، أو اختلافٍ في اللفظ، أو في السند، وهنا فيه: «وإن استعاذ بي لأعيذنَّه» بدل قوله: «وإن دعاني أجبته» يقال: عذت به، أعوذ، عوذاً، وعياذاً، ومعاذاً: أي لجأت إليه. والمعاذ: المصدر، والمكان، والزمان، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلُّق به. والله أعلم.

١٤١ ـ «مَنْ عادَى لي ولياً فقَدْ ناصَبنِي بالمُحاربة، ومَا ترَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعله كتردُّدي عنْ موْتِ المُؤمنِ يكْره المَوتَ، وأنا أكْرهُ مُساءتَه، وربَّما سألني وليِّي المُؤمنُ الغنى فأصْرِفُه مِنَ الغِنى إلى الفَقر، ولوْ صرَفْتُه إلى الغِنى

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٦٥٠٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤) والبيهقي في الزهد (٦٩٠) والسنن (٣/ ٣٤٦) و(١٠/ ٢١٩)، والبغوي في شرح السنة (١٢٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو صحيح بطرقه وشواهده.

لكانَ شرّاً لهُ، وربَّما سألني وليِّي المُؤمن الفَقْرَ فأصْرِفُه إلى الغِنى، ولوْ صرَفْتُه إلى الفَقْرِ لكانَ شرَّاً له. إنَّ الله قال: وعزَّتي، وجَلالي، وعُلوِّي، وبَهائي، وارْتفاعِ مكانِي لا يُؤْثِر عَبْدٌ هواي على هوى نَفسه إلا أثْبتُّ أجلهُ عنْدَ بصرِهِ، وضَمَّنْتُ السَّماء، والأرضَ رِزْقَهُ، وكنْتُ لهُ مِنْ ورَاءِ تجارةِ كلِّ تاجرٍ»[1]. **رواه الطبرانيُّ في الكبير عن ابن عباس.**

ش ـ تقدَّم ذكر الحديث غير مرة بألفاظ قريبة من هذا إلا أنَّ ما هنا فيه زيادة ألفاظ لم تذكر قبل، فلا مانع من التعرُّض لشرحها وبيانها، فأقول: قوله «ناصبني بالمحاربة» النَّصَبُ: التعب. وأنصبني كذا؛ أي: أتعبني، وأزعجني. قال الشاعر:

* تأوبني همٌّ مع الليلِ منصب *

ويقال: ناصبه الحرب والعداوة، ونصب له، والمعنى هنا والله أعلم: اجتهد العبد في المحاربة على مثال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الانشراح: ٧] أي: اجتهد في الدعاء. والغنى ـ بكسر الغين المعجمة والقصر: اليسار، تقول منه: غني بالكسر غنىً، فهو غنيٌّ، وتغنى أيضاً، أي: استغنى، وتغانوا: استغنى بعضهم عن بعض، والفقر: قلة المال، وضيق اليد. ويؤثر: يفضل. وباقي ألفاظ الحديث منها ما تقدَّم تفسيره، ومنها ما هو ظاهر، ووقع في كتاب «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمي في هذا الحديث (عند نصره) بالنون بدل (عند بصره) بالباء الموحدة، ولعلَّه تصحيف.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: من عادى لله ولياً من أوليائه الصَّالحين ـ الذي تقدم وصفه سابقاً ـ فقد ناصب الله، واجتهد، وأعتق نفسه، وتهيَّأ لمحاربة الله جلَّ ذكره ـ ومن يقدر أو يجسر على ذلك إلا هالك؟! ـ وما تردَّد الله عن شيءٍ هو فاعله كتردُّده عن موت المؤمن، يكره الموت الذي من شأنه ذلك لما يعتري المؤمن من الشدائد والأهوال، والله سبحانه وتعالى يكره مساءة عبده المؤمن، وربما سأل الله الوليُّ المؤمن الغنى في بعض الأوقات، وهو لا يدري ما الأحسن له؛ هل الغنى أم الفقر؟ والله تعالى يعلم ما يناسب حال العبد، فلا يجيب طلبه، بل يعطيه ما يوافق حاله، ويصرف عنه ما لا يوافقه، وينفعه، ولو صرفه إلى طلبه الذي هو الغنى مثلاً، ويكون شراً له في ماله

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الكبير (١٢٧١٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٠) وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم نقول: وضعفه الحافظ في الفتح (١١/ ٣٤٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وولده لكان شراً له، وربما سأل اللهَ الوليُّ المؤمن الفقر، وهو لا يناسب حاله فلا يجيب طلبه، ويصرفه إلى الغنى، وهو مما يناسب حاله بالنسبة لعلم الله تعالى، ولو صرفه إلى الفقر ـ وهو كذلك ـ لكان شرّاً له والله جلَّ اسمه لا يرضى له ذلك، ثم أخبر المصطفى ﷺ: أنَّ الله أقسم، وقال: وعزتي، وجلالي، وعلوي على خلقي، وبهائي، وارتفاع مكاني ـ نؤمن بذلك ونعتقده، ولا نؤوِّل ولا نصرُّ، بل نقول: الله سبحانه وتعالى أخبر بذلك، ووصف نفسه بذلك بدون تشبيه، وتنزه المولى عن المثل، والشبه، والصفات التي لا تليق به. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذا مذهب السَّلف الصالح وعليه أئمة الهدى، وأرباب الفتوى، وهم أعلم بما تضمن كلام الباري تعالى، وأسلم عقيدةً ومذهباً، لا يؤثر ويفضل هو المولى جلَّ علاه وأمره ونهيه على هوى نفسه إلا أثبت أجله المقدَّر له أزلاً عند بصره ليراه حين يريد، فيعرف متى دنوه، وانتهائه، فيجتهد لاكتساب الطاعات، وتكثير الحسنات، فإنه قادمٌ على يومٍ يحتاج فيه إلى كثرة العمل الصالح، ولا يقدم على معصية، ويتجنَّب المضارَّ، فلا ينهمك بالشهوات، ويتباعد عن المنهيات؛ لأنه لا يسوِّفُ إلا إذا غاب عنه أجلُه، وخفي عليه وقتُه؛ فإنَّه يطمعُ أن يعيش كثيراً، فيؤثر هوى نفسه وشيطانه على هوى مولاه، فيغشى اللذات الدنيوية بتساهل، فيأتي يومه المقدر له بغتةً، وهو لا يشعر، فلا يجد وقتاً للتوبة والإنابة، فمن آثر، وفضَّل هوى مولاه على هوى نفسه يضَمن الربُّ جلَّ، وعزَّ السماء والأرض رزقه؛ أي: يكلفهما ضمان رزقه من أن السماء تمطر، والأرض تخرج الأقوات. قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الجاثية: ٥] وقال تعالى: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٤] وزيادة من ذلك الخير العظيم والنعم الجسيمة فإن الله عزَّ جلاله يكون له من وراء تجارة كل تاجر، أي: ينمي له تجارته، ويبارك له فيها، ويحفظها له من كل ما يطرأ عليها مما يذهبها، ويشينها، ويمحقها. فسبحانه من إله ما أرحمه، وأرأفه، وأكلأه، وأحرسه، وأمنعه لعبده المطيع! أفلا يطيع العبد العاصي ربه، وينيب إليه، فيتمتع بذلك كله، ويحظى بنعيمٍ مؤبد، وثوابٍ عظيم، ومالٍ لا ينفد، ولا يبيد؟! اللهمَّ وفقنا لطاعتك، وجنبنا معاصيك، ومخالفتك!

والحديث: رواه الطبرانيُّ في معجمه الكبير، كما قال المصنِّفُ، ودرجته غير معلومة، وفي القلب منه شيء. والله أعلم.

١٤٢ ـ «مَنْ عادَى لِي وليّاً؛ فَقَدْ آذَنْتُه بالحَرْبِ»[١]. رواه البخاريُّ عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم الكلام عليه غير مرَّة، وأعاده هنا لوجود لفظة: «آذنته بالحرب» ولاختلاف الراوي، وآذنته: بهمزة ممدودة أي: أعلمته بأنه محاربٌ لي. والله إذا حارب العبد أهلكه. قاله النووي. ويؤيده ما وقع في بعض الروايات: «فقد بارزني بالحرب» أو بالمحاربة، وقال بعضُ العلماء: أي: أعلمته بأني محاربٌ له؛ أي: معاملٌ له معاملة المحارب، وهو أبلغ، ففي الحديث: تسلية الأصفياء عن معاداة الأعداء، وتحذيرٌ للأعداء عن إيذاء الأولياء، وترك حرمتهم، وتنبيهٌ على تعظيم شأنهم، وحفظ قلوبهم، ودفع كربتهم؛ لما في مفهومه، حيث جاء في معاداة الولي عظيمُ الوعيد، ويكون في موالاته جسيمُ القرب، والتأييد، كما قيل:

وكـمْ لله إشـرافُ البـرايـا لهـم قـدرٌ عظيـم بـالكـرامـة
فَمَـنْ والاهـم حقّـاً وصـدقـاً كـرامتُـه الشفـاعـةُ فـي القيـامـة

١٤٣ ـ «مَنْ تَواضَع لِي هكذا ـ وجَعلَ النَّبيُّ ﷺ بَطْنَ كفِّهِ إلى الأرضِ ـ رفَعْتُه هكذا ـ وجَعلَ بَطْنَ كفِّهِ إلى السَّماءِ ـ»[٢]. رواه أحمد، والبزَّار، وأبو يعلى، والطبرانيُّ في الأوسط عن عمر.

ش ـ التَّواضعُ: التخاشع، والتذلل، وهذه صفة المؤمنين حقّاً، وهي من أكمل الصفات، وأدلِّها على حسن أخلاق المتَّصف بها، وهي منزلةٌ من منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] واختلفت عباراتُ القوم في حقيقته، سئل الفُضَيل بن عياض رحمه الله تعالى عن التَّواضع؟ فقال: يخضع للحقِّ، وينقاد له، ويقبله ممن قاله. وقيل: ألاَّ ترى لنفسك قيمةً؛ فمن رأى لنفسه قيمةً؛ فليس له في التواضع نصيب، وهذا مذهبُ الفُضَيل وغيره. وقال الجُنيد رئيسُ الطريقة رحمه الله: هو خفضُ الجناح، ولينُ الجانب. وقال أبو يزيد البسطامي[٣] رحمه الله: هو ألاَّ يرى

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٤) والبزار رقم (٣٥٨٠). وأبو يعلى رقم (١٨٧). وإسناده صحيح.
(٣) أبو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي أحدُ الزُّهاد، أخو الزاهدَيْن: آدم، وعلي، وكان جَدُّهم شروسان مجوسياً، فأسلم. له =

لنفسه مقاماً، ولا حالاً، ولا يرى في الخلق شرّاً منه. وقال ابن عطاء[1] رحمه الله: هو قَبولُ الحقِّ ممَّن كان، والعزُّ في التواضع، فمن طلبه في الكِبْر فهو كتطلب الماء من النار. وهذا مبالغةٌ من ابن عطاء رحمه الله كالفضل في التواضع، فصيَّره ذلة. وعرَّفه العلاَّمة الهرويُّ[2] في (منازل السائرين) بقوله: التواضع: أن يتواضعَ العبدُ لصولة الحقّ. قال العلاَّمة شمسُ الدِّين بن قيِّم الجوزية في شرحه: يعني: أن يتلقَّى سلطان الحقِّ بالخضوع له، والذلِّ، والانقياد، والدخول تحت رقه؛ بحيث يكون الحقُّ متصرفاً فيه تصرُّف المالك في مملوكه، فبهذا يحصلُ للعبد خُلُقُ التواضع، ولهذا فسَّر النَّبيُّ ﷺ الكِبْر بِضِدِّه، فقال: (الكبر: بطرُ الحقِّ، وغمصُ الناس)[3]. فبطر الحقِّ: ردُّه، وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل، وغمص الناس: احتقارُهم، وازدراؤُهم. انتهى. وقسمه إلى ثلاث درجات؛ الأولى: التواضع للدِّين، وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً، ولا يتَّهم للدين دليلاً، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً. والدرجة الثانية: أن ترضى بما رضي الحقُّ به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً وألا تردَّ على عدوِّك حقاً، وتقبل من المعتذر معاذيره. والدرجة الثالثة: أن تتَّضِع للحق، فتنزل عن رأيك، وعوائدك في الخدمة، ورؤية حقك في الصحبة، وعن رسمك في المشاهدة.

وقد وردت آياتٌ كثيرةٌ في مدح التَّواضع، وذمِّ الكِبْر، منها: قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ

= كلامٌ نافعٌ. قال: ما وجدت شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته. وينسب إليه شطحات، توفي سنة (٢٦١)هـ.

(١) ابن عطاء: هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري، صوفي، صاحب الحكم العطائية. توفي سنة (٧٠٩)هـ.

(٢) الهروي: هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي: أبو إسماعيل شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، من ذرية أبي أيوب الأنصاري، كان بارعاً في اللغة، مظهراً للسنة، داعياً إليها، امتحن وأوذي وسمع يقول عرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مَذْهبك. لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت. من كتبه: ذم الكلام، منازل السائرين. توفي رحمه الله سنة (٣٩٦)هـ.

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ٤١٢ و٤١٦) ومسلم رقم (٩١)، وأبو داود رقم (٤٠٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف: ٤٠ ـ ٤١].

ومن الأحاديث: ما رواه مسلمٌ في صحيحه، والترمذيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[1] وروى الطبرانيُّ بلفظٍ قال عمر بن الخطاب على المنبر: أيُّها الناس! تواضعوا، فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تواضع لله رفعه الله». وقال: انتعش نعشك، فهو في أعين الناس عظيم، وفي نفسه صغير، ومن تكبَّر قصمه الله. وقال: اخسأ فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير»[2]. وروى الطبرانيُّ أيضاً في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تواضع لأخيه المسلم رفعه الله، ومن ارتفع عليه وضعه الله»[3]. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: ما من آدميٍّ إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع؛ قيل للملك: ارفع حكمته. وإذا تكبَّر قيل للملك: ضع حكمته»[4] رواه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٥ و٣٨٦) ومسلم رقم (٢٥٨٨)، وابن خزيمة رقم (٢٤٣٨)، والبغويُّ في شرح السنة ر قم (١٦٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبرانيُّ في الأوسط رقم (٨٣٠٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٢) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط. وفيه: سعيد بن سلام العطار. وهو كذاب. من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبرانيُّ في الأوسط (٧٧١١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد العظيم بن حبيب، وهو ضعيف، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، نقول وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩٣٩)، وابن الجوزي في العلل المتناهية رقم (١٣٥٨) وقال: هذا حديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ، ومدار طريقيه على علي بن زيد. قال أحمد، ويحيى: ليس بشيء، وقال حماد بن زيد: كان =

الطبرانيُّ، والبزَّار بنحوه من حديث أبي هريرة[١] وإسنادُهما حسنٌ، هكذا قال الحافظ المنذريُّ (الحكمة) بفتح الحاء المهملة والكاف: هي ما تجعل في رأس الدَّابة، كاللجام، ونحوه. وحديث الكتاب ذكره الحافظ المنذريُّ في كتاب الترغيب والترهيب وقال: رواه أحمد، والبزَّار، ورواتهما محتجٌّ بهم في الصحيح.

كان إمام المتَّقين رسولُ ربِّ العالمين كثير التواضع، ليِّن الجانب، بعيداً من الكِبْرِ. قال الحافظ شمسُ الدِّين بن قيِّم الجوزية في «مدارك السالكين»: وكان النبيُّ ﷺ يمرُّ على الصبيان، فيسلِّمُ عليهم[٢]، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٣]، وكان إذا أكل لعق أصابعه الثلاثة[٤]، وكان يكون في بيته في خدمة أهله[٥] ولم يكن ينتقم لنفسه قط[٦]، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة

= يقلب الأحاديث من حديث ابن عباس رضي الله عنه. نقول: وللحديث شواهد لعلَّه يحسن بها.

(١) رواه البزَّار رقم (٣٥٨٢)، والعقيلي في الضعفاء (٤٢٧)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٣٣٠) وفي إسناده علي بن زيد. ضعيف. والمنهال بن خليفة قال ابن معين: ضعيف. وقال الدولابي: ليس بقوي. وقال النسائي: ليس بالقوي. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. ولعلَّه يشهد له ما قبله.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٦٢٤٧)، ومسلم رقم (٢١٦٨)، والترمذيُّ رقم (٢٦٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: (عن أنس بن مالك أنه، مرَّ على الصبيان فسلَّم عليهم. وقال: كان النبيُّ ﷺ يفعله، وروى ابن حبان رقم (٤٥٩) عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يزور الأنصار، ويسلِّم على صبيانهم ويمسحُ على رؤوسهم.

(٣) رواه البخاري رثم (٦٠٧٢) في الأدب. باب الكبر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٠٣٤)، وأبو داود رقم (٣٨٤٥) في الأطعمة من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاريُّ رقم (٦٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) رواه البخاريُّ رقم (٦١٢٦). ومسلم رقم (٢٣٢٧)، وأبو داود رقم (٤٧٨٥) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: (ما خيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين =

لأهله[1]، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، وكان هيِّن المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً، متواضعاً من غير ذلَّة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكلِّ مسلم، خافضَ الجناح للمؤمنين، ليِّنَ الجانب لهم، وقال: «ألا أخبركم بمن يَحْرُم على النار، أو تَحْرُم عليه النَّار؟ تَحْرُم على كلِّ قريب هيِّنٍ ليِّنٍ سَهْل»[2] رواه الترمذيُّ وقال: حسن. وقال: «لو دعيت إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبت، ولو أُهْدِي إلي ذراعٌ أو كراعٌ لقبلت»[3] رواه البخاريُّ، وكان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة على حمارٍ مختوم بحبلٍ من ليفٍ عليه إكاف من ليف[4]. والله أعلم.

١٤٤ ـ «مَنْ ذَكَرني حينَ يَغْضَبُ؛ ذكَرْتُه حينَ أَغْضَبُ، وَلا أمحقُهُ فيمَنْ أمحَق»[5]. رواه الدَّيلميُّ عن أنس.

ش ـ الغضب تقدَّم تفسيره غير مرَّة، والباري تعالى يتَّصف به كما يليق به، ليس كمثله شيءٌ، وليس كما نعرفه، ونعهده في الحادث جلَّ الله عن ذلك، والمحق ـ بفتح الميم وسكون الحاء المهملة ـ: النقص، والمحو، والإبطال. يقال: محقه: إذا نقصه، وأذهب بركته، ومنه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:

= قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم).

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذيُّ رقم (٢٤٩٠) في صفة القيامة. وحسَّنه الترمذيُّ، وهو كما قال. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ رقم (٥١٧٨) في النكاح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذيُّ رقم (١٠١٧)، وابن ماجه رقم (٤١٧٨)، والطيالسيُّ رقم (٢٤٢٥) والبغويُّ رقم (٣٦٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٧٦) من حديث أنسٍ رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

٢٧٦] وقال تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا: أنَّ من ذكره من عباده في حالة غضبه؛ ذكره الله تعالى حين يغضب، ولا يمحقه المولى فيمن يمحق حينئذٍ، ففيه ترغيبٌ في ذكر الله تعالى، ولو حال الغضب؛ لأنَّ ذكر الله تعالى شفاءٌ مِنْ كلِّ داءٍ، ولا شكَّ أنَّ حال الغضب قلَّ أن يملك الإنسانُ نفسَه؛ فإنَّه يريد أن يفتكَ بخصمه، ويهلكه، أو يذهب ما يراه، فالله سبحانه وتعالى إذا ذكر الإنسانَ في حال الغضب لا يهلكه، ولا يذهب ويمحو من غضب عليه أن يذهب بركة حاله، أو ولده، بل يعفو عن ذلك. فعلى الإنسان إذا اشتد به الغضب أن يذكر الله، ويصلِّي على النَّبيِّ ﷺ، أو يتوضأ. وفيه تنفير عن الغضب، والتباعد عنه، وعدم الانتقام وقت الغضب. روى البخاريُّ، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشَّديدُ الذي يملك نفسه عند الغضب»[1]. رواه ابنُ حبان في صحيحه مختصراً: «ليس الشديد من غلبَ الناس، إنما الشديد من غلب نفسه»[2] وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٦٩] قال: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله، وخضع لهم عدوُّهم[3]. ذكره البخاريُّ تعليقاً. وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه؛ دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء»[4] رواه أبو داود، والترمذيُّ، وحسنه، وابن ماجه، كلُّهم من طريق أبي مرحوم. وروى أبو داود عن أبي وائل القاص قال: دخلنا على عروة بن محمد السَّعدي، فكلَّمه رجلٌ، فأغضبه، فقام، فتوضَّأ، فقال: حدثني أبي عن جدّي عطية

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٦١١٤)، ومسلم رقم (٢٦٠٩)، والبغوي (٣٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن حبَّان رقم (٧١٧)، والطيالسي رقم (٢٥٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٣٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٣) رواه البخاري تعليقاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ سورة السجدة (فصِّلت) قبل حديث رقم (٤٨١٦) وقال الحافظ في الفتح: وقد وصله الطبريُّ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٧٧٧ و٤٧٧٨)، والترمذي رقم (٢٤٩٥) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطانَ خُلِقَ من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدُكم فليتوضأ»[1] وهذا كلُّه إذا لم يكن لله جلَّ وعزَّ، بل كان لأمرٍ دنيويٍّ، أو شخصيٍّ، كما لا يخفى على العاقل. والحديث رواه الديلميُّ كما قال المصنف، ولا يخفى ما فيه. والله أعلم.

١٤٥ ـ «مَـنْ زَارني في بَـيْتي، أوْ فـي مَسْجِـد رسولِ الله ﷺ، أوْ في بيْتِ المَـقْدِس فمَـاتَ؛ مـاتَ شهيـداً»[2]. رواه الديلميُّ عن أنس.

ش ـ الزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له، واستئناساً به، وزاره، يزوره، زيارةً، وزوراً: قصده، فهو زائر، وزور. وقومٌ زور، وزوّار، والمزار: موضع الزيارة، والمراد بقوله: «بيتي»: الكعبة، ومسجد رسول الله ﷺ في المدينة، وبيت المقدس معلوم. والشهيد في الأصل: من قتل مجاهداً في سبيل الله، ويجمع على: شهداء، ثم اتُّسع فيه، فأطلق على من سمَّاه النبي ﷺ من: المبطون، والغرق، والحرق، وصاحب الهدم، وذات الجنب، وغيرهم. وسمِّي شهيداً؛ لأنَّ الله وملائكته شهوداً له بالجنة. وقيل: لأنَّه حيٌّ لم يمت، كأنه شاهد؛ أي: حاضر. وقيل: لأنَّ ملائكة الرَّحمة تشهده. وقيل: لقيامه بشهادة الحقِّ في أمر الله حتى قتل، وقيل: لأنَّه يشهد ما أعدَّ الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو بمعنى مفعول على اختلاف التأويل، قاله العلامة ابن الجزري في (النهاية) والمراد به هنا: أنَّ له ثوابَ الشهيد، وفضله.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تعالت أسماؤه، وتنزَّهت صفاتُه يخبرنا: أنَّ من زاره، وقصده في بيته الذي هو الكعبة ـ شرفها الله وزادها رفعة وحفظها من كل سوء وأذى ـ فمات بعد الزيارة أو قبلها ـ من باب إنما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى ـ مات شهيداً؛ أي: يثيبه ثوابَ الشهيد، وله أجره، وينبغي لزائر الكعبة إذا وصلها، وأراد دخولها أن يدخلها متواضعاً، خاشعاً؛ لما رواه البيهقيُّ عن سالم بن عبد الله: أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تقول: عجباً للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قِبَلَ السَّقف، يدعُ ذلك إجلالاً لله تعالى، وإعظاماً، دخل رسول الله

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٢٦)، وأبو داود رقم (٤٧٨٤)، من حديث عطية السعدي رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها، ولأنه أشرف بقعة في الأرض، ومحلُّ الرحمة، والأمان. وكذلك مَنْ زار مسجد المدينة الذي فيه قبرُ رسولِ الله ﷺ وجسده الشريف ـ بأبي، وأمي، ومالي وأولادي أفديه عليه الصلاة والسلام ـ فإنه يكون كذلك، وقد وردت أحاديثُ صحيحةٌ في شدِّ الرِّحال إليه، وقصده. روى البخاريُّ، ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا»[1]. وروى البخاريُّ، ومسلمٌ من حديث أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: (صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام)[2] وروى أحمد في مسنده، والبيهقيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن عبد الله بن الزُّبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام. وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مئة في مسجدي)[3] وروى البيهقيُّ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاةٌ في مسجدي هذا تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فهو أفضل)[4] وكذلك مَنْ زار بيت المقدس، فله ذلك، وقد وردت أحاديثُ كثيرة في فضله، وشدِّ الرِّحال إليه، والصَّلاة فيه، وكذلك جاء القرآن بالتنويه بفضله، وإنه بورك فيه. قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٤)، والبخاريُّ رقم (١١٨٩) في فضل الصلاة. ومسلم رقم (١٣٩٧) وأبو داود رقم (٢٠٣٢)، وابن حبان رقم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٤٤٦)، والبخاريُّ رقم (١١٩٠) في فضل الصلاة، ومسلم رقم (١٣٩٤)، والترمذي رقم (٣٢٥)، وابن ماجه رقم (١٤٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٥)، والطيالسيُّ رقم (١٣٦٧)، والبزَّار رقم (٤٢٥)، والبيهقي في السنن (٥/ ٢٤٦)، وابن حبَّان رقم (١٦٢٠)، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه نقول إسناده صحيح.

(٤) رواه البيهقي في السنن (٥/ ٢٤٦). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح. ورواه مسلم بدون قوله (فهو أفضل) رقم (١٣٩٥).

[الإسراء: ١] وثبت في الصحيحين من رواية أبي سعيدٍ الخدري ومن رواية أبي هريرة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تشدُّوا الرِّحال إلا إلى ثلاثةِ مساجد: المسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا»[١]، وعن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ: «أنَّ سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لمَّا بنى بيت المقدس سأل الله عزَّ وجل خلالاً ثلاثاً: سأل الله تعالى حكماً يصادف حكمه، فأوتيه، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فأوتيه، وسأل الله عزَّ وجلَّ حين فرغ من بناء المسجد لا يأتيه أحدٌ لا ينهزه إلاَّ الصلاةُ فيه أن يخرجَه من خطيئته كيوم ولدته أمه» رواه النسائيُّ بإسنادٍ صحيح، ورواه ابن ماجه وزاد: «فقال النبيُّ ﷺ: أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة»[٢] وعن ميمونة بنت سعد، ويقال: بنت سعيد مولاة النَّبيِّ ﷺ قالت: يا نبيَّ الله! أفتنا في بيت المقدس. قال: المنشرُ، والمحشرُ ائتوه، فصلُّوا فيه؛ فإنَّ صلاةً فيه كألف صلاةٍ. قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه لو يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتاً يُسْرَجُ فيه، فإنَّه من أهدى له كان كمن صلَّى فيه» رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بهذا اللفظ، ورواه به أيضاً ابن ماجه بإسناد لا بأس به، ورواه أبو داود مختصراً قالت: قلت: يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس، فقال: ائتوه فصلُّوا فيه ـ وكانت البلاد إذ ذاك حرباً ـ فإن لم تأتوه، وتصلُّوا فيه، فابعثوا بزيتٍ يُسْرَجُ في قناديله»[٣] هذا لفظ رواية أبي داود، ذكره في كتاب الصَّلاة بإسنادٍ حسن، أورد هذا النَّووي في كتاب «المجموع» شرح المهذب، وحديث الكتاب رواه الديلميُّ كما قال المصنف، وسنده لا يخلو مِنْ خَدْشٍ. والله أعلم.

١٤٦ ـ «مَنْ ذَكرني في نفسِهِ؛ ذَكرْتُه في نفْسي، ومَن ذكرَني في مَلأٍ؛

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧). والبخاري رقم (١١٩٧) ومسلم ص (٩٧٥) رقم (٨٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) روا أحمد في المسند (٢/ ١٧٦)، وابن حبان رقم (١٦٢٣)، والحاكم (١/ ٣٠ و٣١) والنسائي (٢/ ٣٤)، وابن ماجه رقم (١٤٠٨)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٦٣)، وأبو داود رقم (٤٥٧)، وابن ماجه رقم (١٤٠٧) من حديث ميمونة بنت سعد رضي الله عنها، وإسناده ضعيف. وللفقرة الأولى شواهد، وهي قوله ﷺ: (أرض المحشر والمنشر).

ذكرْتُـه في ملأٍ أكثرَ منْـهُ، وأطْيب»[1] . رواه ابن شاهين عن أبي هريرة.

١٤٧ ـ «مَنْ سَـلَبْـتُ كرِيمَتيْـهِ؛ عوّضْـتُه منْـهُما الجنَّـة»[2]**رواه الطبرانيُّ في الكبير، والأوسط عن جرير.**

ش ـ الحديث الأوَّل تقدَّم ذكر ما يشبهه ألفاظاً، ومعنى، وذكر ما يتعلق به، والذِّكر في الجملة أعظمُ دواءٍ للقلب، فإنه يجلوه من الظلمات، ويريه الحقَّ والباطل، وله فوائدُ عظيمة، ذكر بعض المصنفين في الأذكار له مئة فائدة، وأفيَدُ كتابٍ في ذلك كتاب (الوابلُ الصَّيب من الكَلِمِ الطيب) للإمام ابن قيِّم الجوزية، فعليك به، والحديث الثاني تقدَّم ذكر مثله أيضاً، فارجع إليه. والله أعلم.

١٤٨ ـ «مَـنْ شَغلـهُ ذِكْـرِي عَـنْ مسْـألَتـي؛ أعْطيْتُـه أفْضـلَ مـا أعْطِـيتُ السَّائلينَ»[3] . **رواه البخاريُّ، والبزَّار، والبيهقيُّ عن ابن عمر.**

١٤٩ ـ «مَنْ شَغلهُ ذِكْري عنْ مَسْألتي؛ أعْطَيْتُه قَبْل أن يَسْألَني»[4].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٠٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٧١) والكبير (٢/ ٣٤٢). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير والأوسط. وفيه حصين بن عمر ضعفه أحمد وغيره. ووثقه العجليُّ. وللحديث شاهد من حديث أنسٍ رواه أحمد (٣/ ٢٨٣)، ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذيُّ، فهو بهما صحيح.

(٣) رواه البيهقيُّ في الشعب رقم (٥٧٢). والبخاريُّ في (خلق أفعال العباد) ص (٩٣). وابن عبد البر في التمهيد (٦/ ٤٥ و٤٦) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضرار بن صُرد. وصفوان بن أبي الصَّهباء: ضعيفان. والأول أشدُّ ضعفاً، فقد قال البخاريُّ: متروك، وكذبه ابن معين. وللحديث شاهد رواه الترمذيُّ من حديث أبي سعيد الخدري. ومن حديث حذيفة رواه أبو نعيم في الحلية، فهو حديثٌ حسنٌ بطرقه وشواهده.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٣). وابن عساكر في فضيلة ذكر الله عز وجل من حديث حذيفة رضي الله عنه. وفي إسناده عبد الرحمن بن واقد. قال ابن عديٍّ: يحدث بالمناكير عن الثقات. ويسرق الحديث. وقال الحافظ: صدوق يغلط. ووثقه ابن حبان.

رواه أبو نعيم، والديلميُّ.

١٥٠ ـ «مَنْ شَغلهُ قراءةُ القُرْآنِ عنْ دُعائي، ومَسْألتي؛ أعْطَيْتُه ثوابَ الشَّاكرِين»[(١)]. رواه ابنُ حذيفة ـ شاهين عن أبي سعيدٍ الخدري.

ش ـ الحديث الأول: يخبرنا المولى جلَّ ذكره فيه: أنَّ من شغله ذكرُ الله عزَّ وجل من عباده عن مسألة الله وطلبه يعطيه ويمنحه أفضل ما يعطي السائلين؛ إذا كان طلبُهم مشروعاً، مقبولاً، وأجيب. ففيه الحثُّ، والترغيبُ في ذكر الله عزَّ وجلَّ، والإكثار منه، وجعله في أول درجةِ الأعمال المطلوبة للعبد؛ لأنَّ فيه فوائدَ تعود على العبد لا تنحصر، فنسأل الله التوفيق لذلك.

والحديث الثاني: كالحديث الأول إلا أن فيه: أنَّ الله تبارك وتعالى يعطيه، ويجيب طلبه قبل أن يسأله، ولا شكَّ: أنَّ الله سبحانه يعلم ما في القلوب قبل إظهاره على الألسن، فعلى العبد أن يهتمَّ بذكر الله، ويداومَ عليه، ويكثرَ منه.

والحديث الثالث: فيه الحثُّ، والترغيب في قراءة القرآن، ولا ريب أنَّ أعظم الذكر هو تلاوةُ كلام الله الحكيم؛ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

وقد تقدَّم ذكر أحاديث كثيرة ترغِّبُ في الذكر، وتحثُّ عليه، وأزيدك هنا أحاديث لم تذكر من قبلُ، منها: ما رواه الترمذيُّ ـ واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ وغريب ـ وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! إنَّ شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّثُ به. قال: «لا يزال لسانُك رطباً من ذكر الله»[(٢)]. وقوله: «أتشبث به»: أتعلَّق. وعن جابرٍ رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: «ما عمل ابنُ آدم عملاً

---

(١) لم نجده بلفظ المؤلف، ورواه الترمذي رقم (٢٩٢٧). والدراميُّ (٢/ ٤٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ: (يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٩٠). والترمذي رقم (٣٣٧٥)، وابن ماجه رقم (٣٧٩٣)، والحاكم (١/ ٤٩٥) وصححه، ووافقه الذهبي من حديث عبد الله ابن بسر رضي الله عنه. وإسناده حسن.

أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى. قيل: ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: ولا الجهادُ في سبيل الله؛ إلا أن يضربَ بسيفه حتى ينقطع»[1]. رواه الطبراني في الصغير، والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب، والوَرِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى! قال: ذكر الله»[2] قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله. رواه أحمد بإسنادٍ حسن، وابن أبي الدنيا، والترمذيُّ، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقيُّ. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ بإسنادٍ جيد؛ إلا أنَّ فيه انقطاعاً، وقد شرحتُ هذا الحديث في تعليقي على الكلم الطيب بما لا تجده لغيري، فعليك به؛ فإنَّه اشتمل على فوائد كثيرة، وأرجو الله أن يوفقني إلى تكميله. وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[3] رواه الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

ومن الآيات الدَّالة على فضل القرآن، وتلاوته قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الصغير رقم (٢٠٩) والأوسط (٢٣١٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزاوئد (١٠/ ٧٤) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه، نقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٩٥)، والترمذي رقم (٣٣٧٤)، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧١)، والحاكم (١/ ٤٩٩)، وابن حبان رقم (٨١٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

ومن الأحاديث الدَّالة على ذلك ما رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائي، وابن ماجه، وغيرُهم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه»[1] وروى مسلم، وأبو داود، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قومٌ في بيت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2] وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني! قال: «عليك بتقوى الله؛ فإنَّه رأسُ الأمر كلِّه. قلت: يا رسول الله زدني! قال: عليك بتلاوة القرآن، فإنه نورٌ لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء»[3]. رواه ابنُ حبَّان في صحيحه في حديث طويل.

والحديث الثالث: ذكره الحافظ المنذري بزيادة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الربُّ تبارك وتعالى: «مَنْ شغله القرآنُ عن مسألتي أعطيته أفضلَ ما أُعطي السائلين، وفضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». رواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريب. والحديث الثاني صححه الحاكم، ونازعه الحافظ الذهبي في ذلك. انتهى. والله أعلم.

١٥١ ـ «مَنْ عَلِمَ أنِّي ذُو قُدْرةٍ على مَغفِرةِ الذُّنوبِ؛ غَفَرْتُ لهُ، وَلا أُبالِي؛ ما لَمْ يُشرِكْ بي شَيْئاً»[4] رواه الحاكم، والطبرانيُّ في الكبير عن ابن عباس.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٥٨)، والبخاري رقم (٥٠٢٧)، وأبو داود رقم (١٤٥٢)، والترمذي رقم (٢٩٠٧)، وابن ماجه رقم (٢١٢) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء وأبو داود رقم (٤٩٤٦)، والترمذي رقم (١٤٢٥) في الحدود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن حبان رقم (٣٦١) والبيهقي في السنن (٩/ ٤). وابن حبان في الحلية (١/ ١٦٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الحاكم، وتعقبُه الذهبي بقوله: حفص بن عمر العدني واهٍ. والحديث هو عند الترمذي رقم (٢٤٩٥) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه مرفوعاً: (وكلكم مذنبٌ إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرةٍ على المغفرة =

١٥٢ ـ «مَنْ عَمِلَ عمَلاً أشْرَكَ فيهِ غَيْرِي؛ فَهُو له كلُّه، وأنَا أغْنَى الشُّركاءِ عن الشِّركِ»[١]. رواه ابن جرير عن أبي هريرة.

ش ـ قوله: «ذو قدرة» أي: صاحب قدرة، والقدرة: هي الصفة التي يتمكَّنُ الحيُّ من الفعل، وتركه بالإرادة، وهي من صفات القهر. قال الراغبُ الأصفهانيُّ: فإذا وصف بها الإنسانُ فاسم لهيئةٍ له بها يتمكن مِنْ فعل شيءٍ ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه؛ ومحالٌ أن يوصفَ غيرُ الله بالقدرة المطلقة معنىً، وإن أطلق عليه لفظاً، بل حقُّه يقال: قادرٌ على كذا. ومتى قيل: هو قادر؛ فعلى سبيل معنى التقييد، ولهذا لا أحدَ غير الله يوصفُ بالقدرة من وجهٍ إلا ويصحُّ أن يوصفَ بالعجز من وجه. واللهُ تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كلِّ وجه، والتقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه، ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصحُّ أن يوصفَ به إلا الله تعالى، والمقتدرُ يقاربه. والمغفرةُ هي أن يستر القادرُ القبيحَ الصَّادرَ عمَّن تحت قدرته، والمغفرة من الله والغفران، هو: أن يصون العبدَ من أن يمسَّه العذاب. والذنوبُ: جمع: ذنب، وهو الإثم؛ أي: ما يحجبك عن الله تعالى. ولا أبالي؛ أي: لا أحتفل، ولا أكترثُ به. والشِّرك: أن يعتقد أنَّ لله شريكاً، أو: الكفر. والغنى: السعة.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ اسمه يخبرنا: أنَّ مَن اعتقد فيه: أنَّه جلَّ عزُّه ذو قدرةٍ على غفران ذنوب العبد إذا أساء وارتكب بعض المعاصي؛ يغفر اللهُ جلَّ جلالُه ذلك ولا يبالي؛ أي: لا يكترثُ بذلك، ولا يحتفلُ مهما بلغت ذنوبُه، فإنَّ جرائم العباد، وآثام أهل العناد في جنب عظمة الرَّبِّ كذرةٍ صغيرة في أرض فلاةٍ، ولأنَّ الاعتراف بالذنب سببُ الغفران إلا إذا أشرك في أعماله غير الله جلَّ وعزَّ، واعتقد ذلك، فإنَّ الله لا يغفرُ له ذنوبه. قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] والشرك أعظم كفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ

= فاستغفرني؛ غفرت له ولا أبالي). وقال الترمذي: حديث حسن. نقول: في إسناده ضعف.

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٨٥) وابن ماجه رقم (٤٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧١] وهذا الشرك الأكبر. والشركُ الأصغرُ هو: مراعاة غير الله معه في الأمور. وهو الرياءُ، والنفاق المشارُ إليه بقوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] ومن هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النَّمل على الصفا»[١] ومن عمل عملاً أشرك فيه غير الله فهو كلُّه لمن أشرك، وهو كنايةٌ عن ردِّه، وعدم قبوله. والله جلَّ وعزَّ أغنى الشركاء عن الشرك. ففيه التنفير من الشرك مطلقاً وإنَّ من أشرك ولو في بعض أعماله فعمله كلُّه مردودٌ عليه. والله أعلم.

١٥٣ ـ «مَنْ لم يَرْضَ بِقضائي وقَدري؛ فَلْيَلتمِسْ ربّاً سوايَ ـ وفي روايةٍ ـ غَيْرِي». رواه البيهقيُّ عن ابن عمر[٢]، والطبرانيُّ، وابن حبان عن أبي هند[٣]، والبيهقيُّ، وابن النجار عن أنس.

١٥٤ ـ «مَنْ لانَ بحقِّي، وتَواضعَ لِي، ولمْ يَتكَبَّر في أرْضي؛ رَفعْتُه حتَّى أجْعَلهُ في عِلِّيِّين»[٤]. رواه أبو نعيم عن أبي هريرة.

١٥٥ ـ «مَنْ لمْ يَرْضَ بقَضائي، ولَمْ يَصْبرْ على بَلائِي، فَلْيلْتَمِسْ ربّاً

---

(١) رواه الحكيم الترمذي ص (٣٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث حسن.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (٢٠٠). وفي إسناده علي بن يزداد الجرجاني قال الذهبي في ترجمة شيخه: عصام بن الليث لا يعرفان وساق له في اللسان هذا الحديث. وقال: هذا إسناد مظلم لا أصل له، من حديث أنس. ولم نجده عند البيهقي من حديث ابن عمر كما أشار المؤلف.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (٢٢/٨٠٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٠٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير فيه سعيد بن زياد متروك. من حديث أبي هند الداري رضي الله عنه. نقول: وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٤٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

سوَاي﴾. رواه ابن حبان، والطبرانيُّ وأبو داود، وابنُ عساكر عن أبي هند الداري[1].

ش ـ القضاءُ والقدرُ تقدَّم الكلام عليهما قبلُ، والالتماسُ: الطلب، والربُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التَّمام. يقال: ربَّه، وربَّاه، وربيه. ويطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيِّم، والمنعم، ولا يطلق غير مضافٍ إلا على الله تعالى المتكفِّل بمصلحة الموجودات. وإذا أطلق على غيره تعالى أضيف، فيقال: ربُّ الدار، وربُّ الفرس. ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾. والسِّوى: الغير، واللِّينُ: ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلانٌ ليِّن، وفلانٌ خشنٌ، وكلُّ واحدٍ منهما يمدحُ به طوراً، ويذمُّ به طوراً بحسب اختلاف المواقع. والتواضع: تقدَّم الكلام عليه، والكِبْر: ضدُّ التواضع، وهو الحالة التي يتخصص بها الإنسانُ من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وعلِّيِّين ـ كما قال الراغب: اسم أشرف الجنان، كما أنَّ سجِّيناً اسم شرِّ النيران، وقيل: بل ذلك في الحقيقة اسم سكانها. وهذا أقرب في العربية؛ إذ كان الجمع يختصُّ بالناطقين، قال: والواحد على نحو بطيخ. وقال العلاَّمة ابن الأثير في النهاية. عليُّون: اسم للسماء السابعة، وقيل: هو اسم لديوان الملائكة الحفظة، ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد. والصَّبر لغة: الحبس، والكفُّ. وفي الشرع: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عامٌّ، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه؛ فإنْ كان حبس النفس لمصيبةٍ؛ سمِّي صبراً لا غير، ويضادُّه: الجزع، وإن كان في محاربةٍ سُمِّي: شجاعةً، ويضادُّه: الجبن، وإن كان في نائبةٍ مضجرةٍ؛ سُمِّي: رحب الصدر، ويضادُّه: الضَّجر. وإن كان في إمساك الكلام؛ سمِّي كتماناً، ويضادُّه: المذل.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا في الحديث الأول: أنَّ مَنْ لم يرضَ بقضائه، وقدره، وسخط من ذلك، وضجر؛ فليلتمسْ، ويطلبْ ربّاً سواه تعالى. وكأنَّ المولى يقول لنا: هذا لا يرضانا رباً حين سخط، فليتخذ رباً آخر يرضاه، وهذا غايةُ التهديد.

---

(١) رواه ابن حبان في المجروحين (١/ ٣٢٤). والطبراني في الكبير (٢٢/ ٨٠٧)، وابن عساكر (٧/ ١١٥)، وإسناده ضعيف جداً.

ولا شكَّ أنَّ الله تبارك اسمه عالمٌ بأحوال العبد، وظروفه، فإنَّه يقضي عليه بأشياء هي خيرٌ له إذا اتسع لها صدرُه، وقبلها، ووضعها في محالِّها، واستعملها في الحكمة، والمعرفة، ولم يضق بها ذرعاً؛ فإنها تنفعه في حياته، وفي معاده، وأما إذا تلقاها بسخطٍ، وضجرٍ؛ فإنَّها تكون عليه وبالاً، وإثماً، وهذا ما قدَّره الله عز وجل على العبد من الأمور هي في الحقيقة خيرٌ للعبد، وأنفع مما يظنه العبدُ، أو يريده، فعلى العبد أن يسلِّم للقضاء والقدر، ويحمد الله سبحانه وتعالى في السَّراء، والضَّرَّاء وافق هواه أم لا، ويذعنَ لما قدَّره، وقضاه عليه.

والحديثُ قال المناوي في شرح الجامع الصغير: رواه الطبراني عن أبي هندٍ الداري، وإسناده ضعيف، ورواه البيهقيُّ عن أنس. انتهى.

والحديث الثاني: يخبرنا أنَّ مَنْ لان، وتساهل، ووطَّأ نفسه للأخذ بحقِّ الله، وواجبه، والقيام بما فرضه عليه من العقائد والأحكام ـ ولم يجف لها، ويخشن، ويتباعد من الانقياد لحقِّه تعالى وأمره ـ وتواضعَ، واستكانَ، وتذلَّلَ تذلُّلَ عبدٍ منكسرٍ خاشعٍ لله جلَّ وعزَّ، ولم يتكبرْ في أرض الله على خلقه؛ رفعه الله جلَّ جلاله منازلَ عاليةً حتَّى يجعله في أعلى علِّيِّين، وهو اسمٌ لأشرف الجنان، فيحظى بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اللهمَّ إنا نسألك أن توفقنا لطاعتك حتى نفوز بدرجاتك!

والحديث الثالث: يخبرنا أنَّ من لم يرض بقضاء الله عزَّ، وجلَّ، ولم يصبر على بلائه الذي ظاهره بلاءٌ، وباطنه دواءٌ، وشفاءٌ من الأمراض الظاهرة، والباطنة، والصَّبرُ من الصفات التي تحتاج إلى جهاد النفس، والشيطان، والهوى، وهو مِنْ آكد المنازل في طريق المحبة، وألزمها للمحبِّين، وهم أحوجُ إلى منزلته من كلِّ منزلة.

قال الإمام أحمد بن حنبل: ذكر الله تعالى الصَّبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً على ما حكاه ابن قيِّم الجوزية في كتابه (مدارج السالكين) وهو واجبٌ بإجماع الأمَّة، وهو نصف الإيمان؛ فإنَّ الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر، وهو من الإيمان أيضاً بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أن لا جسد لمن لا رأس له، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصَّبر. وأخبر النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح: أنَّه ضياء[1]. وقال: «ومَنْ يتصبَّر

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣) في الطهارة، والترمذي رقم (٣٥١٢) في الدعوات، والنَّسائي (٦/٥٥) في الزكاة. من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

يصبره الله»[1] وفي الحديث الصحيح: «عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيراً له، وإنْ أصابتْه ضرَّاء صبر، فكان خيراً له»[2] وأمر الأنصار بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده، حتى يلقوه على الحوض[3]، وأمر عند ملاقاة العدو بالصَّبر[4]، وأمر بالصَّبر عند المصيبة، وأخبر أنَّه إنما يكون عند الصَّدمة الأولى[5]، وأمر المُصَابَ بأنفع الأمور له، وهو الصَّبر والاحتساب، فإنَّ ذلك يخفف مصيبته، ويوفِّر أجره، والجزع، والتسخط، والتشكِّي يزيد في المصيبة، ويذهب الأجر، وأخبر: أنَّ الصَّبر خيرٌ كلُّه، فقال: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً له، وأوسعَ مِنَ الصَّبر».

وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع؛ الأول: صبرٌ على طاعة الله تعالى، وصبرٌ عن معصية الله تعالى، وصبرٌ على امتحان الله تعالى، فالأولان صبرٌ على ما يتعلق بالكسب. والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه. قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله تعالى: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز عن شأنها أكملَ من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه؛ فإنَّ هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصَّبر. وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار، ورضاء، ومحاربة للنفس، ولا سيما

---

(١) رواه البخاري رقم (١٤٦٩)، ومسلم رقم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٦)، والدارميُّ (٢/ ٣١٨)، ومسلم رقم (٢٩٩٩). وابن حبان رقم (٢٨٩٦) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ رقم (٣٧٩٤)، في مناقب الأنصار، ومسلم رقم (٢٠٥٩). والحميديُّ رقم (١١٩٥)، والبغوي رقم (٢١٩٢) من حديث أنسٍ رضي الله عنه بلفظ: «إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

(٤) رواه البخاريُّ رقم (٧٢٣٧)، ومسلم رقم (١٧٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية. فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف».

(٥) رواه البخاريُّ رقم (١٢٨٣) في الجنائز، ومسلم رقم (٦٢٦) في الجنائز، وأبو داود رقم (٣١٢٤)، والترمذيُّ رقم (٩٨٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة، فإنه كان شاباً، وداعية الشباب إليها قوية، وعزباً ليس له ما يعوضه، ويردُّ شهوته. وغريباً، والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه بين أصحابه، ومعارفه، وأهله. مملوكاً، والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحرِّ. والمرأة جميلةٌ، وذات منصبٍ، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشدَّ الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصَّغار، ومع هذه الدَّواعي كلها صبر اختياراً، وإيثاراً لما عند الله. وأين هذا من صبره في الجبِّ على ما ليس من كسبه؟! وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكملُ من الصبر على اجتناب المحرَّمات، وأفضل، فإنَّ مصلحة فعل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدةَ عدم الطاعة أبغضُ إليه، وأكرهُ مِنْ مفسدة وجودِ المعصية. انتهى. وهذا القدرُ كافٍ، نسأل الله الصبر!

١٥٦ ـ «مَنْ لا يدعُونِي أغْضَبُ عَليهِ»[(١)] . رواه العسكريُّ عن أبي هريرة.

ش ـ الدعاء: النداء، والابتهال إلى الله بالسؤال. والدعاء إلى الشيء: الحثُّ على قصده، وقد جاء القرآن بالدُّعاء، وحثَّ عليه في غير آية. قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء سلاحُ المؤمن، وعماد الدِّين، ونور السموات والأرض»[(٢)]. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد. ورواه أبو يعلى من حديث عليٍّ، وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) رواه العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٢)، وأبو يعلى رقم (٤٣٩)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٣)، وفي إسناده انقطاع بين علي بن الحسين وجده علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٤٧) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني متروك. والحديث ضعيف الإسناد.

ﷺ: «لا تعجزوا في الدعاء، فإنَّه لن يهلك مع الدعاء أحدٌ»[١]. رواه ابنُ حبَّان في صحيحه. والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القدرَ إلا الدُّعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِرُّ، وإن الرجل ليُحْرَم الرزقَ بالذنب يذنبه»[٢] رواه ابن حبان في صحيحه. والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد. وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مخُّ العبادة»[٣] رواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ غريب، والحافظ المنذريُّ أورده بصيغة: «روي» وهو يدلُّ على ضعفه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[٤] رواه مالك، والبخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، وغيرهم، وفي روايةٍ لمسلم: «إذا مضى شطرُ الليل، أو ثلثاه؛ ينزل الله تبارك، وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائلٍ فيعطى؟ هل من داعٍ فيُستجاب له؟ هل من مستغفرٍ فيغفر له؟ حتى ينفجرَ الصُّبْحُ»[٥] وهذا الحديث أفردهَ شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ابنُ تيمية بالتأليف، وشرحه شرحاً لم يترك لغيره مجالاً، ولا كلاماً؛ فإنَّه حقَّقَ، ودقَّق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل، تنشرح له الصدور، وطبع في الهند، وهو من أمَّهات الكتب التي يؤخذ منها مذهبُ الإمام الجليل ابن تيمية، وعقيدته السَّلفية الموافقة للكتاب والسنة، وجماهير العلماء، والمحققين، فإنه تكلَّم على نزول الربِّ، وأتى بأقوال علماء السَّلف، والخلف، وحلَّ

---

(١) رواه ابن حبَّان رقم (٨٧١) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٢٧٧ و٢٨٠)، وابن ماجه رقم (٩٠) في المقدمة و (٤٠٢٢) في الفتن، وابن حبان رقم (٨٧٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٨٣١) من حديث ثوبان رضي الله عنه. وهو حديث حسن بطرقه وشواهده دون قوله: (إنَّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه).

(٣) رواه الترمذيُّ رقم (٣٣٦٨) من حديث أنسٍ رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٧)، والموطأ (١/ ٢١٤)، والبخاريُّ رقم (١١٤٥ و٦٣٢١) في الدعوات. وابن أبي عاصم في السنة (٤٩٢)، وأبو داود رقم (١٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم رقم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إشكالاتٍ كثيرة. والكتاب الثاني: (التوسُّل، والوسيلة) فإنَّه حقَّق الوسيلة لغةً، وشرعاً، وعرفاً، ونفى كلَّ ما فيه شائبة من كفرٍ، أو تلويثٍ من رجسٍ، والكتاب متداول بين أيدي العلماء، والعوامِّ، ومما يستغرب منه: أنَّ أبا عبد الله بن بطوطة[1] قال في رحلته المسمَّاة (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) أنه رأى عالم الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام، وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدُّنيا كنزولي هذا، ونزل درجةً من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزَّهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامَّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنِّعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامتُه، وظهر على رأسه شاشية حرير، فأنكروا عليه لباسها، واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة، فأمر بسجنه، وعزَّره بعد ذلك... إلخ. فانظر أرشدك الله إلى قول الحقِّ، والحجَّة، والبيِّنة كيف يكون هذا النقل في نظرك، ورأيك، ألم يكن تخبط من صاحب الرِّحلة فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم يزد عليه قوله، أو رفع أمره إلى حاكم تلك الجهة، أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الشام التي تجول فيها المؤلف، واجتمع بملوكها، وأمرائها، وعلمائها، ولا ريب أنَّ من يصلي في مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم، والجاهل، والعاقل، والمتعصب، والمنصف، فحكاية ابن بطوطة لهذا تحاملٌ منه ظاهر وبعيدٌ كل البعد، فإنَّ التلفظ بهذا يعدُّ كفراً، فإنَّ الله يقول في كتابه الحكيم: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] والإمام ابن تيمية يقول ـ على زعم صاحب الرحلة ـ إن الله له مثل، وهذا كفرٌ بإجماع المسلمين، فإن كان صحيحاً لقام عليه علماءُ عصره وقتئذ، وكفَّروه، وشكوه إلى الحاكم، ولألف في ذلك رسائل ردَّ فيها على ابن تيمية، وبيان كفره، وكلُّ ذلك لم يحصل، فدلَّ على أنه خطأ في النقل. وفي كلام صاحب الرحلة سقط، وهو قوله: «لا»؛ أي: لا كنزولي هذا، ويشهد لذلك تآليف شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم نجد أنزه من ابن تيمية في عصره لله تعالى، وهذا

---

(١) عبد الله بن بطوطة: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله رحالة مؤرخ، ولد ونشأ في طنجة، بالمغرب الأقصى. طاف بلاد المغرب، ومصر، والشام، والحجاز، والعراق، وفارس توفي رحمه الله سنة (٧٧٩)هـ.

السقط يقع كثيراً في التآليف؛ وواجبٌ على العلماء أن يحترموا أنفسهم، ويقدِّروا تفوق غيرهم، ويقرُّوا لهم بالفضل والسَّبق، وشيخ الإسلام ابن تيمية يُرفَعُ الرأسُ به، ويفتخر المسلمون بوجود مثله في عصره، فإنه كان هادماً للتقاليد الضارَّة، وداعيةً إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله، ومَنْ طالع مؤلفاته، وترك التعصب لمذهبٍ، أو رأيٍ ير ذلك، ويتحقق.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ اسمه يخبرنا على لسان رسول الله ﷺ أنَّ مَنْ لا يدعوه يغضب عليه، ومفهومه: أنَّ من يدعوه يحبُّه، ويرضى عنه، ويستجيب له. ففيه حثٌّ على الدعاء، والإكثار منه، وقد تقدَّم ذكرُ الآيات القرآنية، والأحاديثُ النبوية في ذلك. قال المناوي في شرح (الجامع الصغير) في حديث الكتاب: رواه العسكري في كتاب المواعظ عن أبي هريرة بإسنادٍ حسن.

١٥٧ ـ «هذا دِينٌ ارْتَضيْتُهُ لِنَفْسي، ولَنْ يُصْلِحَهُ إلا السَّخاءُ، وحُسْنُ الخُلُقِ، فأكْرِموهُ بِهِما ما صحِبْتُموه». رواه الرافعيُّ عن أنسٍ وسمويه[1]، وابن عدي، والعقيليُّ، والخرائطيُّ، والخطيب، وابن عساكر، والقضاعي عن جابرٍ بلفظ: «إنَّ هذا دين. . . إلخ»[2].

ش ـ الدِّين ـ بكسر الدال المهملة، وسكون الياء التحتية ـ: وضعٌ إلهيٌّ يدعو أصحاب العقول إلى قَبول ما هو عند الرسول ﷺ، أو ما شرع الله لعباده على لسان أنبيائه ليتوصَّلوا به إلى جوار الله تعالى. والدِّين، والملَّة متَّحدان بالذات، مختلفان بالاعتبار، فإنَّ الشريعة من حيث أنَّها تطاع تسمى: ديناً، ومن حيث أنهما تجمَّع تسمَّى: ملةً، ومن حيث أنها يُرجع إليها تسمَّى: مذهباً. وقيل: الفرق بين الدين،

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٦/ ١٦٢١٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: رواه الرافعي، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص (٥٣)، وفي إسناده عبد الملك بن مسلمة منكر الحديث كما في لسان الميزان. وإبراهيم بن أبي المنكدر ضعفه الدارقطني. وقال الأزدي: منكر الحديث. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر. وهو ضعيف. من حديث جابر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف أيضاً.

والملة، والمذهب: أنَّ الدين منسوب إلى الله تعالى. والملَّة منسوبةٌ إلى الرسول ﷺ، والمذهب منسوب إلى المجتهد. والدِّين الصحيح هو دينُ الإسلام. والسخَّاء ـ بالمد ـ: الجودُ، والكرمُ. والحديث ذكره الغزالي في الإحياء، قال الحافظ العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد دون قوله: «وحسن الخلق» بسندٍ ضعيف. ومن طريقه ابن الجوزيّ في الموضوعات، وذكره بهذه الزيادة ابنُ عديٍّ من رواية بقية عن يوسف بن السفر، عن الأوزاعيِّ، عن الزُّهريِّ، عن عروةَ، عن عائشة، وزاد المدنيُّ في كتابه (الإتحافات السنية): ورواه أبو نعيم، والضياء المقدسيُّ عن جابر، وقال العقيلي: لم يتابع عليه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر من وجهٍ يثبت، ويوسف ضعيف. والخُلُق: تقدَّم الكلام عليه، فارجع إليه.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى يخبرنا أنَّ الذي اختاره لنفسه، وارتضاه لعباده هذا الدِّين ـ وهو دين الإسلام ـ الدِّين الصحيحُ الذي ينتهي بانتهاء الدُّنيا؛ لا دين غيره، ولا يقبل من العبد سواه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله: «ولا يصلحه إلا السَّخاء» هو الجودُ فيما يملك. واختلف الناس في تعريفه، وكلٌّ قال بحسب ذوقه، وحاله. سأل معاوية الحسنَ بن عليٍّ رضي الله عنهم عن المروءة، والنَّجدة، والكرم، فقال: أما المروءة: فحفظ الرجل دينه، وحرزه نفسه، وحسن قيامه بضيفه، وحسن المسارعة، والاقتدام في الكراهية. وأما النَّجدة: فالذبُّ عن الجار، والصبر في المواطن. وأما الكرمُ: فالتبرع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل. وقال عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما: مَنْ وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً، وإنما السَّخيُّ من يبتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته، ولا تنازعه نفسه إلى حبِّ الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاماً. وقيل للحسن البصري: ما السَّخاء؟ فقال: أن تجود بمالك في الله عزَّ وجلَّ. قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه. قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحبِّ الرياسة. وقيل لسفيان بن عيينة: ما السَّخاء؟ قال: البرُّ بالإخوان، والجود بالمال. وقيل للأحنف: ما اللؤم؟ فقال: الاستفضال على الملهوف. فقيل: وما الجود؟ فقال: الاحتيال للمعروف، وقيل لإبليس من أحبُّ الناس إليك؟ فقال: عابدٌ [بخيل] قيل فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسقٌ سخيٌّ، فينجيه سخاؤه. وقيل: السَّخي حرٌّ؛ لأنه يملك بماله، والبخيل لا يستحقُّ اسم الحرية؛ لأنه يملكه ماله. وهو خلق شريف من

جملة أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وكان سيِّدُ الخَلْقِ، وشامةُ الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكرمَ الناس، وأجودَهم، وأسخاهم، وكان يعطي عطاءَ مَنْ لا يخاف الفقر. وكان عطاؤه كالرِّيح المرسلة، وكان أصحابُه رضي الله عنهم في السَّخاء لا يجارون، وهاك بعض ما ورد في مدح السَّخاء، ونبذةً من سخاء الصحابة، وجودهم، وكرمهم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ السَّخيَّ قريبٌ مِنَ الله، قريبٌ مِنَ الناس، قريبٌ من الجنة، بعيدٌ مِنَ النار، وإنَّ البخيلَ بعيدٌ مِنَ الله، بعيدٌ مِنَ الناس، بعيدٌ من الجنة، قريبٌ من النار. وجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عالم بخيل»[(١)] رواه الترمذيُّ، وقال: غريب. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما جَبَـلَ اللهُ تعالى أولياءَه إلا على السَّخاء، وحُسْنِ الخُلُق»[(٢)] رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروةَ مرسلاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تجافوا عن ذنب السَّخيِّ، فإنَّ الله آخذٌ بيده كلما عَثَر»[(٣)] رواه الطبرانيُّ في الأوسط، والخرائطيُّ في مكارم الأخلاق. وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ إلا أنها لا تخلو عن طعن.

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (١٩٦٢) في البرِّ، والعقيلي في الضعفاء (١٥٤) وقال الترمذيُّ: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن محمد وقد خولف في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه ابن عساكر رقم (١٥/ ٤٠٧) من طريق يوسف بن السَّفر أبي الفيض حدثنا الأوزاعي حدثني الزُّهري عن عائشة مرفوعاً، ويوسف بن السفر كذاب، وقد أورد الحديث من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ١٧٩) وقال: قال الدارقطني: يوسف يكذب. والحديث لايثبت.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧١٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٨٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم. أقول في إسناده تميم بن عمران القرشي مجهول. قال الذهبي في اللسان (٢/ ٧٢): ومحمد بن عقبة المكي مجهول، وقال الذهبي (٥/ ٢٨٥) في اللسان: ليث بن أبي سليم صدوق مختلط. ورواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٤) وفي إسناده أبو الفيض ذي النون ضعيف.

ومما يروى عن الأسخياء ما صحَّ عن النبيِّ ﷺ: أنَّه كان أجودَ بالخير مِنَ الرِّيح المرسلة[1]، وأنَّه عليه الصلاة والسلام ما سئل شيئاً قطُّ فقال: لا[2]. وإنَّ رجلاً سأله، فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى الرَّجلُ قومه، فقال: يا قوم! أسلموا، فإنَّ محمداً يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر[3]، وكان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج إلى المسجد، فقال له طلحة رضي الله عنه: قد تهيأ مالك، فاقبضه فقال: هو لك يا أبا محمد معونةً على مروءتك، وجاء أعرابيٌّ إلى أبي طلحة، فسأله، وتعرَّف إليه برحم، فقال: إن هذا الرَّحم ما سألني بها أحد قبلك، فأعطاه ثلاثمئة ألف درهم. وقال عروة رضي الله عنه: رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً، وهي ترفع درعها. ورُوي: أنها قسمت في يومٍ ثمانين ومئة ألف بين الناس فلما أمست قالت: يا جارية عليَّ فطوري، فجاءت بخبزٍ، وزيتٍ، فقالت لها أم درة: أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكرتيني لفعلت. واشترى عبدُ الله بن عامر[4] من خالد بن عقبة داره التي في السُّوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون على دارهم. قال: يا غلام! ائتهم، فأعلمهم أنَّ الدار، والمال لهم جميعاً. وقال مصعب بن الزبير[5]: حجَّ معاويةُ، فلما انصرف مرَّ بالمدينة، قال الحسين بن عليٍّ لأخيه الحسن:

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٦٣). والبخاريُّ رقم (١٩٠٢) في الصوم (٤٩٩٧) في فضائل القرآن، ومسلم رقم (٢٣٠٨) في الفضائل، وابن حبان رقم (٣٤٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٦٠٣٤) في الأدب. ومسلم رقم (٢٣١١) في الفضائل من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣١٢) في الفضائل. من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم الإمام الكبير المقرىء في الشام، وأحد الأعلام أبو عمران اليحصبي الدمشقي حدث عن معاوية، والنعمان بن بشير، وفضالة بن عبيد. وواثلة بن الأسقع. حدَّث عنه ربيعة بن يزيد القصير، والزبيدي، توفي رحمه الله سنة (١٩٨)هـ.

(٥) مصعب بن الزبير بن العوَّام القرشي الأسدي أمير العراقيين، أبو عيسى، وكان فارساً، شجاعاً، جميلاً، وسيماً، حارب المختار وقتله. سار لحربه =

لا تلقه، ولا تسلِّم عليه، فلمَّا خرج معاويةُ قال الحسن: إنَّ علينا ديناً، فلابدَّ لنا من إتيانه. فركب في أثره، ولحقه، فسلَّم عليه، وأخبره بدينه، فمرُّوا عليه ببختيٍّ عليه ثمانون ألف دينار، وقد أعيا، وتخلَّف عن الإبل، وقومٌ يسرقون، فقال معاوية: ما هذا؟ فذكر له، فقال: اصرفوه بما عليه لأبي محمَّد، وسأل رجلٌ الحسن بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما حاجةً، فقال له: يا هذا! حقُّ سؤالك إياي يعظم لديَّ! ومعرفتي بما يجبُ لك تكبُرٌ عليَّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عنِّي مؤنةَ الاحتمال، والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقِّك فعلت! فقال: يابن بنت رسول الله! أقبلُ، وأشكرُ العطيَّة، وأعذر على المنع فدعا الحسنُ بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها، فقال: هات الفاضل الثلاثمئة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً، قال: فما فعلت بالخمسمئة دينار؟ قال: هي عندي قال: أحضرها، فأحضرها، فدفع الدنانير، والدراهم إلى الرجل، وقال: هات من يحملها لك، فأتاه بحمالين، فدفع إليه الحسن رداءه لكراء الحمالين، فقال له مواليه: ما عندنا درهم! فقال: أرجو أن يكون لي عند الله أجرٌ عظيم!

قال أبو الحسن المدائنيُّ[1]: خرج الحسنُ، والحسينُ، وعبدُ الله بن جعفر حجاجاً، ففاتهم أثقالُهم، فجاعوا، وعطشوا، فمرُّوا بعجوزٍ في خباءٍ لها، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها، وليس لها إلا شويهةٌ في كسر الخيمة، فقالت: احلبوها، وامتذقوا لبنها! ففعلوا ذلك، ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدُكم حتى أهيىء لكم ما تأكلون. فقام إليها أحدُهم، وذبحها، وكشطها، ثم هيأت لهم طعاماً، فأكلوا، وأقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفرٌ من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين، فألمِّي بنا فإنا صانعون بك خيراً، ثم ارتحلوا؛ وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة، فغضب الرَّجل، وقال:

= عبد الملك بن مروان، قتل رحمه الله (٧٢)هـ.

(١) أبو الحسن المدائني: العلامة الحافظ الصادق، أبو الحسن عليُّ بن عبد الله ابن أبي سيف المدائني الأخباري، نزل بغداد وصنف الكتب، وكان عجيباً في معرفة السير. والمغازي. والأنساب وأيام العرب. وعالي الإسناد، سمع قرة بن خالد وهو أكبر، شيخ له، وشعبة، حدث عنه خليفة بن خياط. توفي رحمه الله (٢٢٤) هـ.

ويلك، تذبحين شاتي لقومٍ لا تعرفينهم، ثم تقولين نفرٌ من قريش! قال: ثمَّ بعد مدَّة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلا، وجعلا ينقلان البعر إليها، ويبيعانه، ويتعيشان بثمنه، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن عليٍّ جالسٌ على باب داره، فعرف العجوزَ، وهي له منكرة، فبعث إليها غلامه، فدعا بالعجوز، وقال لها: يا أمة الله أتعرفينني؟! قالت: لا. قال: ضيفك يوم كذا وكذا، فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي! أنت هو؟ قال: نعم، ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصَّدقة ألف شاةٍ، وأمر لها معها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين، فقال لها الحسين: بكم وصلك أخي؟ قالت: بألف شاة، وألف دينارٍ، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال لها: بكم وصلك الحسنُ، والحسينُ؟ قالت: بألفي شاةٍ، وألفي دينار، فأمر لها عبد الله بألفي شاة، وألفي دينار، وقال لها: لو بدأت بي لأتعبتهما، فرجعت العجوزُ إلى زوجها بأربعة آلاف شاةٍ، وأربعة آلاف دينار. انتهى، أقول: وهذا لا يستكثر من مال بيت النبوة؛ لأنَّه جاء من معدنه، والذي جاء من معدنه لا يستغرب منه. وقدم رجل من قريش من السَّفر فمرَّ برجلٍ من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدَّهر، وأضرَّ به المرضُ، فقال: يا هذا أعنَّا على الدهر! فقال الرجل لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه. فصبَّ الغلام في حجر الأعرابيِّ أربعةَ آلاف درهم، فذهب لينهض، فلم يقدر من الضعف، فبكى، فقال له الرجل ما يبكيك؟ لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا ولكني ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

وتقدَّم ذكر تراجم الأئمة المذكورة هنا كلهم إلا سمويه، فإنَّه الإمام الحافظ المتقن الطوَّاف أبو بشر، إسماعيل بن عبد الله بن مسعود العبدي، الأصبهاني، له كتاب (العوائد) توفي سنة سبع وستين ومئتين.

١٥٨ ـ «وَجَبتْ مَحبَّتي لِلَّذينَ يَتَلاقونَ فِيَّ»[١]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن عبادة بن الصامت.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٤) وفي إسناده حفص بن عمر بن الصباح الرقي، قال الحافظ في لسان الميزان: معروف من كبار مشيخة الطبراني. وقال أبو أحمد الحاكم: حدَّث بغير حديث لم يتابع عليه. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال: ربما أخطأ. وشهر بن حوشب تكلم فيه شُعبة وغيره، ووثقه جماعة. نقول: وفي الحديث ضعف في الإسناد، وله شواهد.

١٥٩ ـ «وَجبَتْ محَبَّتِي لِلْمُتَحابِّينَ فيَّ، والمُتَجالسينَ فيَّ، والمُتَباذِلينَ فيَّ، والمُتزَاوِرينَ فيَّ»[١] . رواه أحمد، والحاكم، والطبرانيُّ في الكبير، وابنُ حبّان، والبيهقيُّ عن معاذ.

١٦٠ ـ «وعِزَّتي لا أقْبِضُ كرِيمَتي عَبْدٍ، فيَصْبرُ لِحُكْمي، ويَرْضى بقَضائي، فأرْضى لهُ بثَوابٍ دُونَ الجنَّة»[٢] . رواه عبدُ بن حميد، وسمويه، وابنُ عساكر عن أنس.

ش ـ الحديث الأول، والثاني: تقدَّم ذكرهما، إلا أنه لم يذكرْ فيهما: «يتلاقون» واللقاء: مقابلةُ الشيء، ومصادفته معاً، وقد يعبَّر به عن كلٍّ واحدٍ منهما. يقال: لقيه، يلقاه، لقاءً، ولقيّاً، ولقيةً، واللقاء: الملاقاة، والمتجالسين: جمع متجالس، والتجالس: أنَّ يجلس كلُّ واحدٍ إلى الآخر. والحديث الثالث: تقدم ذكرُ مثله، فلا حاجة للإعادة.

ففي هذه الأحاديث الترغيب في مصاحبة الناس، ومحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، وبذل المعونة لهم، وتلاقيهم، كلُّ ذلك يكون في الله تعالى، لا لغرضٍ دنيويٍّ، فإذا كان لله كان متصلاً، ويدوم، وله ثوابٌ عظيم، وكذلك مَنْ طرأ عليه وجعٌ في عينيه، فذهبتا، وصبر لحكم الله. ورضي بقضائه فالله جلَّ ذكره لا يرضى له بثواب دون الجنة، فعلى الإنسان أن يصبر لصدمات الزَّمن ويتلقاها بصدرٍ رحبٍ، وقلبٍ مفعمٍ بالإيمان.

١٦١ ـ «وَعِزَّتي، وَجلالي، ورَحْمَتي لا أدَعُ في النَّارِ أحَداً قالَ لا إلهَ إلا الله!»[٣] . رواه تمَّامُ عن أنسٍ بن مالك.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٢٣٣)، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٣ و٩٥٤). والحاكم في المستدرك ((٤/١٦٨ و١٦٩) وابن حبان رقم (٥٧٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٤) من حديث معاذ رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٢) رواه عبد بن حميد في المنتخب رقم (١٢٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه: وفي سنده موسى بن عبيدة ضعيف، وأبو بكر بن عبيد الله مجهول الحال.

(٣) لم نجده بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المصادر، ومعناه صحيح.

ش ـ ألفاظ الحديث تقدَّم الكلام عليها غير مرَّة، وفيه حثٌّ، وترغيبٌ في قول: لا إله إلا الله. وفي غير هذا الحديث الترغيبُ في قول: لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله ﷺ، وإحداهما لا تغني عن الأخرى، فالجملتان لا بدَّ منهما في دخول الجنة؛ وكذلك لا بدَّ من دخول الجنة مباشرةً من الأعمال المفروضة على الإنسان من صلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، وغير ذلك، كما هو مبيَّنٌ في غير هذا الموضع، وأن تكون خالصةً مِنْ كلِّ شائبةٍ: رياءٍ، وعجبٍ، وكِبْر. أو يحمل على أنَّ هذا كان في ابتداء الإسلام قبل أن تشرع الفرائض، قال الحافظ عبدُ العظيم المنذريُّ في كتابه: (الترغيب والترهيب) وقد ذهب طوائفُ من أساطين أهل العلم إلى أنَّ مثل هذه الاطلاعات التي وردت فيمن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حرَّم الله عليه النار، ونحو ذلك إنما كان في ابتداء الإسلام، حين كانت الدعوةُ إلى مجرَّد الإقرار بالتوحيد، فلما فرضت الفرائض، وحدَّت الحدودُ نسخ ذلك. والدلائل كثيرةٌ متظاهرة. وإلى هذا القول ذهب الضَّحاك، والزُّهريُّ، وسفيان الثوريُّ، وغيرهم. وقالت طائفة أخرى: لا احتياج إلى ادِّعاء النسخ في ذلك، فإنَّ كلَّ ما هو من أركان الدين، وفرائض الإسلام، هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته، فإذا أقرَّ، ثم امتنع عن شيءٍ من الفرائض جحداً، أو تهاوناً ـ على تفصيل الخلاف فيه ـ حكمنا عليه بالكفر، وعدم دخول الجنة. وهذا القول أيضاً قريب. وقالت طائفة أخرى: التلفُّظ بكلمة التوحيد سببٌ يقتضي دخول الجنة، والنجاةَ من النار بشرط أن يأتي بالفرائض، ويجتنب الكبائر، فإن لم يأت بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر؛ لم يمنعه التلفُّظ بكلمة التوحيد مِنْ دخول النار. وهذا قريبٌ مما قبله، أو هو هو. انتهى.

١٦٢ ـ «وَعِزَّتي، ووَحْدَانِيَّتي، وارْتِفاعِ مكاني، واحتياجِ خَلقي إليَّ، واسْتوائي على عَرْشي: إنّي لأسْتَحي مِنْ عَبدي، وأمَتِي يشيبانِ في الإسلام، ثمَّ أعَذِّبهُما!»[1]. رواه الخليليُّ، والرافعيُّ عن أنس.

ش ـ سبق الكلام على بعض ألفاظه، وبعضها ظاهرٌ لا يحتاج إلى تفسير.

والمعنى والله أعلم: أنَّ الله جلَّ، وعزَّ يخبرنا، ويقسم لنا ببعض صفاته: أنه

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٨٠٩٣). وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال جـ٣ ص (٦٠٠) من منكرات محمد بن عبد الله الأنصاري وكلماته. من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده ضعيف جداً.

ليستحي من عبده، وأمته يشيبان في الإسلام، ثم يعذبهما بسبب ما ارتكبوه من المخالفات والمعاصي. وفيه حثٌّ، وترغيبٌ في الاستقامةِ، وحسنِ العمل، والمواظبةِ على الفرائض والمندوبات، وعدم التَّساهل في ذلك، فإذا كان المولى جلَّ جلاله يستحي من أن يعذِّب عبده، أو أمته بسبب اقترافهما الذنوب؛ لأنهما كبرا، وشابا في الإسلام؛ أفلا يكون الأولى بالعبد، والأمة أن يستحيا أن يعصيا الله تعالى، وهما على تلك الحالة؟ اللهمَّ عذراً، وتوفيقاً، فإنك حليمٌ، عدلٌ حكيمٌ بعبادك رؤوف رحيم!

١٦٣ ـ «وعِزَّتي، وجَلالي لأنْتَقمنَّ منَ الظَّالم في عاجِلهِ وآجِلهِ! ولأنْتَقمن مِمَّنْ رَأى مَظْلوماً، فقَدَرَ أنْ يَنْصُرَه، فَلم يَفْعَلْ!»[١].
رواه الطبرانيُّ في الكبير، والأوسط عن ابنِ عباس.

ش ـ تقدَّم ذكر الحديث برقم (١٢٤) مع تغييرٍ قليل في بعض ألفاظه، وأشبعنا الكلام عليه هناك، فارجع إليه.

١٦٤ ـ «ومَنْ أظْلمُ مِمَّن ذَهبَ يخلُقُ خَلْقاً كخلْقِي؟! فَلْيَخْلُقوا ذرَّةً، أوْ لِيخْلُقوا حَبَّةً، أوْ ليخْلُقُوا شَعيرةً»[٢]. رواه أحمد، والشيخان عن ابن عباس.

ش ـ قوله: «ذهب»: قصد. والذرَّة ـ بتشديد الراء وفتحها ـ: واحدة الذرِّ، وهو النمل الأحمر الصَّغير. وسئل ثعلب عنها فقال: إن مئة نملة وزن حبة، والذرُّ واحد منها، وقيل: الذَّرة ليس لها وزن، ويراد بها: ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة، والحبَّة، والشعيرة، معلومان.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله عزَّ وجلَّ يخبرنا: أن لا أحد أظلم ممن يذهب ويقصد أن يخلق خلقاً كخلق الله عزَّ وجل، وهو كناية عن التصوير الذي في استطاعة العبد، لا الإيجاد الذي ليس في استطاعته، أو نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء

---

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٦٥٢). والأوسط رقم (٣٦) وفي إسناده أحمد بن محمد بن يحيى له مناكير. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٧) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير والأوسط، وفيه من لم أعرفهم. أقول: إسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٥٩) ورقم (٧٥٢١) و٩٠٧٧) ورقم (٩٨٣٤) والبخاريُّ رقم (٧٥٥٩)، ومسلم رقم (٢١١١)، وابن حبان رقم (٥٨٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والتهكم بهم، ثم أمرهم بأن يخلقوا ذرَّةً ـ وهي التي لا جرم لها ـ أمرَ تعجيزٍ، وتحقيرٍ، وهو إشارة إلى ما ليس له جرم محسوس، أو بأن يخلقوا حبَّة قمحٍ بدليل قوله: «أو ليخلقوا شعيرةً» إشارة إلى ماله جرم.

وفيه: التنديد بصنعة التصوير، والتهديد للمصوِّرين، ولذلك وردت أحاديثُ كثيرةٌ فيها ذمُّ التصوير، ووعيدُ المصورين بالعذاب الأليم سيأتي ذكرها في محلٍ أليق من هذا إن شاء الله تعالى.

قال الحافظ شهاب الدين أحمد العسقلاني في شرح هذا الحديث: وقوله: «ممَّن ذهب» أي: قصد، وقوله: «يخلق كخلقي» نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء، أو التشبيه في الصورة فقط، وقوله: «فليخلقوا ذرةً، أو شعيرة» أمرٌ بمعنى التعجيز، وهو على سبيل الترقي في الحقارة، أو التنزل في الإلزام، والمراد بالذرَّة إن كان النملة؛ فهو من تعذيبهم، وتعجيزهم بخلق الحيوان تارةً، وبخلق الجماد أخرى. وإن كان بمعنى الهباء؛ فهو يخلق ما ليس له جرمٌ محسوسٌ تارةً وبما له أخرى، ويحتمل أن يكون «أو» شكّاً من الراوي، قال ابنُ بطَّال: قوله في حديث عائشة وغيره: «يقال لهم أحيوا ما خلقتم» إنما نسب خلقها إليهم تقريعاً لهم بمضاهاتهم الله تعالى في خلقه، فبكَّتهم بأن قال: إذا شابهتم بما صورتم مخلوقات الله تعالى، فأحيوها كما أحيا هو ما خلق. وقال الكرماني: أسند الخلق إليهم صريحاً، وهو خلاف الترجمة، لكن المراد كسبهم، فأطلق لفظ الخلق عليهم استهزاءً، أو ضمن خلقتهم معنى صورتهم تشبيهاً بالخلق، أو أطلق بناءً على زعمهم فيه. انتهى.

(فإن قيل): الكافرُ أظلم؛ فكيف عبر هنا بأظلم؟ أجيب: بأنَّه إذا صوَّر الصنم للعبادة كان كافراً، فهو هو، وزِيدَ عذابُه على سائر الكفار بقبحِ كفره.

١٦٥ ـ «لا إلهَ إلا اللهُ كلامي وأنَا هُوَ، فمَنْ قالَها؛ دَخل حِصْنِي، وأمِنَ عقابي»[1]. رواه ابنُ النَّجار عن عليٍّ.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٤٥٨). وفي إسناده يوسف بن خالد، قال ابن معين: كذاب. وشيخه هارون بن راشد. قال الذهبي في الميزان: مجهول، وشيخه فرقد، قال الدارقطني: ضعيف من حديث أنس رضي الله عنه. والخطيب في التاريخ (١١/ ٢٢٥) وفي إسناده عمر بن محمد بن عيسى السذابي. وقال الخطيب: عمر في بعض حديثه نكارة. وقال=

١٦٦ ـ «**لا إلهَ إلا اللهُ حِصْنِي، ومَنْ دَخلَ حِصْنِي؛ أَمِنَ مِنْ عَذابِي**»[1].

رواه أبو نعيم، وابنُ النجار، وابنُ عساكر عن عليٍّ.

ش ـ الحصن ـ بكسر الحاء وسكون الصَّاد المهملتين ـ في اللغة: المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه ومناعته. وجمعه: حصون، وفي اصطلاح أهل الحرب: عبارةٌ عن مكانٍ معدٍّ لدفع حملات العدوِّ ومهاجمته. وأسباب حصانته قد تكون طبيعية كالآجام، والأنهار، أو صناعية، كالأسوار، والمتاريس الخشبية، أو الحجرية، أو الترابية، أو الحديدية، والحصون في أول أمرها كانت بسيطةً على حسب أزمنتها، ثم ترقَّت، واستحدثت حصونٌ منيعةٌ بطرزٍ غير الطرز الأول، فكان أول إنشائها عند اختراع البارود، واستعماله في الحروب. ويضرب المثل في عصرنا الحاضر بخط ماجينو الفرنسي، وخط سيجفريد الألماني، والأول أحصنُ، وأتقن، وأقوى، صُرِفَ عليه ملايين من الدنانير حتى أصبح الوحيد في هذا العصر ـ أعني: القرن الرابع عشر الهجري ـ يقال: إنَّ فرنسا أنفقت على خطّ ماجينو وتحصينه ما يساوي ثمن مئة بارجة عظيمة من التي تفريغ الواحدة منها خمسة وثلاثون ألف طن، وثمن مئة بارجة من هذا القدر يبلغ في أيامنا هذه على حسب تقدير الخبيرين بذلك ألف مليون جنيه على الأقل، وعن قريب سنسمع ما يحصل؛ هل الألمانيون يهاجمونه مهما كلَّفهم من النفقات، والقتلى، والجرحى؟!. والعقاب ـ بكسر العين المهملة ـ: الجزاء بالشرِّ، وقيل: هو ما يلحق الإنسان بعد الذَّنب من المحنة في الآخرة. قال الأصفهاني في مفرداته: والعقوبة، والمعاقبة، والعقاب يختصُّ بالعذاب، والعذاب في أصل كلام العرب: الضَّرب، ثم استعمل في كلِّ عقوبةٍ مؤلمةٍ، واستعير للأمور الشَّاقَّة، فقيل: السفر قطعةٌ من العذاب.

= الذهبي في ترجمته في الميزان: هذا حديث موضوع من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٥١)، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٤٧) وقال: فيه عبد الله بن أحمد بن عامر. قال الذهبي في ميزان الاعتدال: (عبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه عن علي الرضا عن آبائه أتى بتلك النسخة الموضوعة الباطلة ما تنفك عن وضعه أو وضع أبيه). وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٤) ورقم (٣٧٨٠) من حديث علي رضي الله عنه. نقول: وإسناده ضعيف جداً.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا أنَّ كلمة لا إله إلا الله كلامه، فمن قالها، ونطق بها، واعتقد ذلك؛ دخل حِصْنَ الباري جلَّ، وعزَّ، وتحصَّن به، وامتنع من أن يُمَسَّ بسوء، وأمِنَ عقاب الله جلَّ، وعلا، وعذابه يوم القيامة. ولا شكَّ أنَّ مَنْ دخل حصناً من الحصون المنيعة المستحكمة البنيان؛ أمِنَ مِنَ العدوِّ، ووُقيَ من الأذى؛ على فرض أنَّ خصمه لم يتمكن من مناهضته، وتخريب حصنه، ومحاصرته، فهو لم يأمن ذلك، ولم يذهب خوفه إلا إذا خابت مساعي عدوِّه، وفشل تمامَ الفشل، وتركه، وذهب من حيث أتى؛ بخلاف حصن الرَّبِّ جلَّ ذكره، من دخله كان آمناً مِنْ كلِّ عدوٍّ، وحركةٍ، مطمئنَ القلب، هادئَ البال، منشرحَ الصَّدر. وإذا علم الإنسان ذلك فليكثرْ مِنْ ذِكرها، وقد ورد: أنَّ أفضل شيءٍ قاله النبيُّون: لا إله إلا الله. وروى البزار، والإمام أحمدُ بن حنبل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله»[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك لما رأيت مِنْ حرصك على الحديث! أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه»[2]. رواه البخاريُّ، وفيه دليل على أن الله، تبارك وتعالى يتَّصف بصفة الكلام، وهو مذهبُ أهل السنَّة، والجماعة، وهو المذهب الحقُّ، والطريقُ الواضح، نسأل الله تعالى أنْ يميتنا عليه!

ذكر الحاكم في تاريخ نيسابور، ونقله عنه المناوي: أن عليّاً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين لمَّا دخل نيسابور، وكان في قبة مستورةٍ على بغلة شهباء، وقد شقَّ بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة الرازي، وابن أسلم الطوسي، ومعهما من أهل العلم والحديث مالا يحصى، فقالا: أيها السيد الجليل ابن السَّادة الأئمة! بحقِّ آبائك

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٢٤٢). والبزار رقم (٢) وفي إسناده شهر بن حوشب ضعيف. وشهر لم يسمع من معاذ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦) وقال: رواه أحمد والبزار. وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ. وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها.

(٢) رواه البخاري رقم (٩٩) في العلم باب الحرص على الحديث. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأطهرين، وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك، عن جدِّك نذكرك به؟ فاستوقف غلمانه، وأمر بكشف المظلة، وأقرَّ عيون الخلائق برؤية طلعته، فكانت له ذؤابتان متدليتان على عاتقه، والناس قيامٌ على طبقاتهم ينظرون ما بين باكٍ، وصارخٍ، ومتمرِّغ في التراب، ومقبلٍ لحافر بغلته، وعلا الضجيج، فصاحت الأئمةُ الأعلام: معاشر الناس! أنصتوا، واسمعوا ما ينفعكم، ولا تؤذونا بصراخكم. وكان المستملي أبو زرعة، والطوسي، فقال الرضا: حدثنا أبو موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى قال: حدَّثني حبيبي وقرَّةُ عيني رسولُ الله ﷺ، قال: حدثني جبريل عليه السلام، قال: حدثني ربُّ العزَّة سبحانه يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن قالها، دخل حصني ومَنْ دخل حصني؛ أمن من عذابي، ثم أرخى الستر على القبة، وسار فَعُدَّ أهل المحابر والدواوين الذين كانوا يكتبون، فأنافوا على عشرين ألفاً، وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: اتَّصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية، فكتبه بالذَّهب، وأوصى أن يدفن في قبره، فرؤي في النوم بعد موته، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غُفِر لي بتلفظي بلا إله إلا الله، وتصديقي بأن محمداً رسول الله ﷺ. وذكر الحمال الزرندي في معراج الوصول: أن الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت إلى عليٍّ سيد الأولياء قال: قال رسول الله ﷺ سيِّد الأنبياء: حدثني جبريلُ عليه السلام سيِّد الملائكة قال: قال الله تعالى: إنِّي أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص؛ دخل حصني، ومن دخل حصني؛ أمنَ عذابي. (شيرازي) في الألقاب (عن عليٍّ) أمير المؤمنين، ونحوه خبر الحاكم في تاريخه، وأبو نعيم عن عليٍّ أيضاً: «لا إله إلا الله حصني. . . إلخ» قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف، وقول الديلمي: «حديثٌ ثابت» مردودٌ. انتهى.

١٦٧ ـ «لا أتَقَبَّلُ إلا ما ابْتُـغِيَ بـه وَجْهـي»[١]. رواه البخاريُّ في تاريخه عن أنس.

ش ـ الابتغاء: طلب الشيء. يقال: ابتغيت الشيء، وتبغيته: طلبته، مثل: بغيته.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنَّه عزَّ، وجلَّ لا يتقبل مِنْ أحدٍ إلا ما طلب

---

(١) رواه البخاريُّ في التاريخ من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

وقصد وجهه؛ يعني: خالصاً من شوائب المصالح الدنيوية، ولذلك أمرنا في كتابه أن نعبده مخلصين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وانظر إلى مَثَلِ مَنْ يخلص في عمله ويبتغي به وجه الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وروى البخاريُّ عن سعدِ بن أبي وقَّاص: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فم امرأتك»[1] فقيَّد النفقة بطلب وجه الله فيها، وعلَّق عليها الثواب لذلك؛ والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية كثيرةٌ في ذلك.

١٦٨ ـ «لا أَجْمَعُ على عبدِي خَوْفَيْنِ، وَلا أَجْمَعُ لهُ أَمْنَيْنِ، إذا أَمِنَني في الدنْيا؛ أَخَفْتُه يوْمَ القيامةِ، وإذا خافَني في الدُّنيا، أَمَنْتُه يَوْمَ القيامةِ»[2]. رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً. ورواه أبو نعيم عن شداد بن أوس موصولاً بلفظ:

«إنْ هُـوَ أمنَـني في الدُّنْيـا؛ أَخَفْتُـه يـوْمَ أَجْمَـعُ عِبـادِي، وإنْ هُوَ خافَنـي في الدُّنيـا؛ أمنْتُـه يَـوْمَ أجمَـعُ عِبـادِي»[3].

ش ـ الخوف والأمن تقدَّم الكلام عليهما غَيْرَ مرَّة. والحديثُ ذكره السُّيوطيُّ في الجامع الصغير باللفظ الثاني، وعزاه إلى الحلية، قال المصنف في شرحه: ورواه البزار، والبيهقيُّ عن أبي هريرة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٧٩)، والحميدي رقم (٦٦)، والبخاريُّ رقم (٦٧٣٣) ومسلم رقم (١٦١٨)، والترمذيُّ رقم (٢١١٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد رقم (١٥٧) أخبرنا عوف عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ. وهذا إسناد صحيح لكنه مرسل. والبزار رقم (٣٢٣٢) مرسلاً.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٨) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. وفي إسناده عمر بن صبح، قال ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث. ورواه ابن حبان رقم (٦٤٠) والبزار رقم (٣٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن. نقول: وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه يخبرنا: أنَّه لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين، فمن خاف الله تعالى في الدنيا؛ بأن تباعد عن الذنوب، والآثام، وأقبل على الطاعات والمندوبات؛ فإن الله لم يخفه يوم القيامة من أهوالها، وشدائد أحوالها، وكذلك مَنْ أمِنَ عذاب الله في الدُّنيا، واطمأنَّ بسبب ما يسوله الشيطانُ له من عظيم عفو الله تعالى، فيركن إليه، ويسبح في غمرات الشهوات، ويتمتع في لذَّات الدنيا، ومناهيها؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى لا يؤمِّنه يوم القيامة يوم العرض عليه، بل يخيفه يومَ جمع الناس وعرضهم.

ولا شكَّ أنَّ كلما اشتد خوفُ العبد من الله في الدُّنيا كان أبعدَ عن ارتكاب ما يُخِلُّ به عقلاً، وشرعاً، وعادةً، وكلَّما قلَّ خوفه؛ كثرتْ جرأته على المخالفات، وإتيانها فمن كان خوفه في حياته الدُّنيا شديداً كان أمنُه يوم القيامة أكثرَ، وبالعكس، وهذا معنى قول بعض العارفين: لأنَّ الشخص لما صَلِيَ حَرَّ مخالفة الهوى في الدنيا لم يذقْهُ اللهُ كرْب الحرِّ في العقبى. قال القرطبي: فمن استحى من الله تعالى مما يصنع؛ استحى الله عن سؤاله في القيامة، ولم يجمع عليه حياءين كما يجمع عليه خوفين. وقال: الحرُّ إلى نار الحقِّ في الدُّنيا للمعترف رحمة من عذاب النار، تفديه من نار السَّطوة في الآخرة، ومحمد عليه الصلاة والسلام يُعطى الأمن يوم القيامة حتى يتفرغَ للشفاعة، وما ذاك إلا من الخوف الذي كان عَلاه أيام الدنيا فلم يجتمع عليه خوفان، فكلُّ مَنْ كان له حظٌّ من اليقين فعاين منه ما ذاق من الخوف بقدر ما ذاق هنا. قال العارفون: الخوف خوفان: خوفُ عقاب، وخوف جلال. والأول يصيب أهلَ الظاهر، والثاني يصيب أهل القلوب. والأول يزول، والثاني لا يزول. والله أعلم.

١٦٩ ـ «لا أذْهِبُ حَبيبَتيْ عَبْدِي، فَصبرَ، واحتَسبَ إلا أثَبْتُه بهما الجَنَّة»[(١)]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم ذكره غير مرَّةٍ، فلا حاجة لإعادة الكلام عليه، إلا أنه عبَّر هنا بحبيبتي عبدي، وهناك بكريمتي عبدي، سمَّاها هنا كذلك؛ لما فيهما مِنْ جلب المسارِّ ودفع

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢٦٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه: (حصين بن عمرو) ضعفه أحمد وغيره، ووثقه العجلي من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

المضارِّ، وتوقي الأخطار. وسمَّاهما: كريمتي؛ لكثرة منافعهما ديناً، ودنيا، ولأنهما أحبُّ أعضاء الإنسان إليه؛ لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوت رؤية ما يريد رؤيته من خيرٍ، فيسرُّ به، أو شرٍّ فيجتنبه. والله أعلم.

١٧٠ ـ «لا يأتي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيءٍ لمْ أكُنْ قَدْ قدَّرْتُه، وَلكنْ يُلْقيه النَّذْرُ إلى القَدرِ، وَقدْ قَدَّرْتُه، أَسْتخرجُ بهِ مِنَ البَخيلِ، فيُؤتيني عَليْهِ ما لمْ يُؤْتني عَليْه منْ قبْلُ»[1]. رواه أحمد، والبخاريُّ، والنسائيُّ عن أبي هريرة.

ش ـ يقال: نذرت أنذِر ـ بكسر الذال المعجمة ـ وأنذُر ـ بضمها ـ نذراً: إذا أوجبتَ على نفسك شيئاً متبرعاً من عبادةٍ، أو صدقةٍ، أو غير ذلك لحدوث أمر. والقَدر ـ بفتح الدال المهملة ـ تقدَّم الكلام عليه. والبخل: إمساكُ المقتنيات عما لا يحقُّ حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بخل، فهو باخل. وأمَّا البخيل: فالذي يكثُر منه البخل، كالرحيم من الرَّاحم. وقيل: هو المنع مِنْ مال نفسه. والشحُّ: هو بخلُ الرَّجل من مال غيره، وقيل: ترك الإيثار عند الحاجة. وقيل: البخل محو صفات الإنسانية، وإثبات عادات الحيوانية، وقد جاءت آيات قرآنية، وأحاديثُ نبويةٌ في ذم البخل كثيرةٌ ليس هنا محلُّ ذكرها.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أن الله جلَّ ذكره يخبرنا على لسان رسول الله ﷺ: أنَّ ابن آدم إذا نذر شيئاً بسبب حادث من الحوادث؛ بأن يقول: إذا شفيتُ من مرضي فعليَّ كذا، وكذا، أو: إنْ ردَّ غائبي عليَّ فلأفعلنَّ كذا، وكذا، أو: إنْ قضيتُ حاجتي فلأعملنَّ كذا، وكذا، هذا النذر لا يردُّ من قضاء الله وقدره شيئاً إذا زعم الزَّاعم ذلك، بل يُسْتَخرَجُ به من البخيلِ مالُه، ويلزمُ ذلك شرعاً.

وقد اختلف العلماء في مشروعيته، والنهي عنه. قال العلامة أبو السعادات في النهاية: وقد تكرَّر في الأحاديث ذكر النَّهي عنه، وهو تأكيدٌ لأمره، وتحذيرٌ عن التهاون به بعد إيجابه، ولو كان معناه الزَّجرَ عنه حتى لا يفعل؛ لكان في ذلك إبطالُ حكمه، وإسقاط لزوم الوفاء به، إذا كان بالنهي يصير معصيةً فلا يلزم، وإنما وجه الحديث: أنه قد أعلمهم: أنَّ ذلك أمراً لا يجرُّ لهم في الآخرة نفعاً، ولا يصرف عنهم ضرّاً، ولا يردُّ قضاءً، فقال: لا تنذروا على أنكم قد تدركون بالنذر شيئاً لم يقدره الله لكم، أو

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٢). والبخاريُّ رقم (٦٦٠٩ و٦٦٩٤) ومسلم رقم (١٦٤٠). وابن ماجه رقم (٢١٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم، فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فاخرجوا عنه بالوفاء، فإنَّ الذي نذرتموه لازمٌ لكم. انتهى. وقال البيضاوي[1]: عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعةٍ، أو دفع مضرَّةٍ، فنهي عنه؛ لأنه فعلُ البخلاء؛ إذ السَّخيُّ إذا أراد أن يتقرَّب بادر إليه، والبخيلُ لا تطاوعه نفسه بإخراج شيءٍ من يده إلا في مقابلة ما يحصلُ له، وذلك لا يغني من القدر شيئاً، فلا يسوق إليه خيراً لم يقدر له، ولا يردُّ عنه شرّاً قُضِيَ عليه، لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه. قال ابن العربي: فيه حجةٌ على وجوب الوفاء بما التزمه الناذر؛ لأنَّ الحديث نصَّ على ذلك بقوله: يستخرج به، فإنَّه لو لم يلزمه إخراجه لما تمَّ المراد من وصفه بالبخل من صدور النذر عنه؛ إذ لو كان مخيَّراً في الوفاء لاستمرَّ لبخله على عدم الإخراج. وقد روى الترمذيُّ من حديث أنسٍ رضي الله عنه: «أنَّ الصدقة تدفع ميتة السُّوء»[2] ما يخالف ظاهره قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ النذر لا يردُّ القدر» وجمع بينهما بأن الصَّدقة تكون سبباً لدفع ميتة السوء، والأسباب مقدَّرة كالمسببات، وقد قال ﷺ لمن سأله عن الرُّقى: هل تردُّ من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي مِنْ قدر الله»[3] أخرجه أبو داود، والحاكم، ونحوه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله» قال ابن العربي: النَّذر شبيه بالدُّعاء، فإنَّه لا يردُّ القدر، ولكنه من القدر أيضاً، ومع ذلك فقد نهي عن النذر، وندب إلى الدعاء، والسبب فيه: أنَّ الدعاء عبادةٌ عاجلةٌ، ويظهر به التوجُّه إلى الله، والتضرُّع له، والخضوع، وهذا بخلاف النَّذر؛ فإنَّ فيه تأخيرُ العبادة إلى حين الحصول، وترك العمل إلى حين الضرورة. وفي الحديث: إن كل شيءٍ يبتدئُه المكلَّف من وجوه البرِّ أفضل مما يلتزمه بالنذر. قال الماورديُّ: وفيه

---

(١) البيضاوي ـ الإمام القاضي ـ أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي الفارسي، البغدادي، الحنفي، سمع جعفر بن المسلمة، وأبا الغنائم بن المأمون. وعنه السمعاني، وابن عساكر، وابن الجوزي. توفي رحمه الله سنة (٥٣٧) هـ.

(٢) رواه الترمذي رقم (٦٦٤) في الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة. من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٢١)، وابن ماجه رقم (٣٤٣٧)، والحاكم (٤/ ١٩٩) وصححه، ووافقه الذهبي، والترمذيُّ رقم (٢٢٦٦) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

الحثُّ على الإخلاص في عمل الخير، وذمُّ البخل، وأنَّ من اتبع المأمورات، واجتنب المنهيات لا يعدُّ بخيلاً. انتهى من فتح الباري باختصار.

وقد وقع الإجماع على صحة النَّذر، ووجوب الوفاء به، إذا كان المُلتَزَمُ به طاعةً، فإنْ كان معصية، أو مباحاً، كدخول السُّوق؛ فإنه لا ينعقد نذره، ولا كفارة عليه عند الشافعي، وجمهور العلماء؛ وأما ما يفعل في هذا الزمن من النذور لغير الله تعالى في مصر، وغيرها، بأن يقول: إن شفي مريضي، أو قضيت حاجتي، فعليَّ للشيخ الفلاني شاةٌ، أو بقرةٌ، أو غير ذلك، فهذا من النذور الباطلة التي لم تشرع. وقال الإمام الرافعي في شرح المنهاج: وأما النَّذر للشاهدة التي على قبر ولي، أو شيخ، أو على اسم مَنْ حلَّها من الأولياء، أو تردَّد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين، فإنْ قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب، أو الواقع من قصود العامة ـ تعظيمَ البقعة، والمشهدِ، أو الزاويةِ، أو تعظيمَ مَنْ دفن بها، أو نسبت إليه، أو بنيت على اسمه؛ فهذا النذر باطلٌ غيرُ منعقدٍ، فإنَّ معتقدهم أنَّ لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يُدفَع بها البلاء، ويُستَجلبُ بها النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى إنَّهم ينذرون لبعض الأحجار؛ لما قيل لهم: أنه استند إليها عبدٌ صالح، وينذرون لبعض القبور السُّرج، والشموع، والزيت، ويقولون: القبرُ الفلاني، أو المكانُ الفلانيُّ يقبل النذر، يعنون بذلك: أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريضٍ، أو قدوم غائبٍ، أو سلامة مالٍ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر على هذا الوجه باطلٌ لا شكَّ فيه، بل نذرُ الزيت، والشَّمع، ونحوهما للقبور باطلٌ مطلقاً، ومن ذلك نذرُ الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام، ولقبر غيره من الأولياء، فإنَّ الناذرَ لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً، وتعظيماً ظانّاً: أنَّ ذلك قربةٌ، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرَّمٌ، سواء انتفع به هناك منتفعُ أم لا، قال الشيخ قاسم الحنفي في (شرح درر البحار): النذر الذي ينذره أكثرُ العوام على ما هو مشاهدٌ، كأن يكون لإنسان غائبٌ، أو مريضٌ، أو له حاجةٌ، فيأتي إلى بعض الصُّلحاء، ويجعل على رأسه سترةً ويقول: يا سيدي فلان! إن ردَّ الله غائبي، أو عوفي مريضي، أو قُضِيتْ حاجتي؛ فلك من الذَّهب كذا، أو من الفضَّة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشَّمع والزيت كذا، فهذا النذر باطلٌ بالإجماع لوجوه؛ منها: نذرٌ لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادةٌ، والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها: أنَّ المنذور له ميت، والميت لا يملك، ومنها: أنه ظن أنَّ الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفرٌ. . . إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم، والشمع، والزيت، وغيرها ينقل

إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليها محرَّمٌ بإجماع المسلمين. نقله عنه ابن نجيم في (البحر الرائق) ونقله المرشد في (تذكرته) وغيرهما عنه، وزاد: قد ابتلي الناس بهذا لاسيما في مولد البدوي. وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الردِّ على من أجاز الذَّبح، والنذر للأولياء: فهذا الذَّبحُ، والنذر إنْ كان على اسم فلان فهو لغير الله، فيكون باطلاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣] والنذرُ لغير الله إشراكٌ مع الله، كالذبح لغيره.

١٧١ ـ «لا يَذْكُرُني عَبْدي في نَفْسِهِ إلا ذَكَرْتُه في مَلأ مِنْ ملائكتي، ولا يذْكُرُني في ملأ إلا ذكَرْتُه في الرَّفيقِ الأعلى»[١]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن معاذ بن أنس.

ش ـ لفظ الذكر، والعبد، والملأ، والملائكة، تقدَّم الكلام عليها قبلُ، فلا داعي للإعادة. والرفيقُ الأعلى: هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وهو اسم جاء على فعيل، ومعناه: الجماعة، كالصديق، والخليط، يقع على الواحد، والجمع، وذكر الحديث الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) إلا أنَّه زاد «الملأ» بعد لفظ «الرفيق» وقال: رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسن. والملأ: أشراف الناس، ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرْجَعُ إلى قولهم. وجمعه: أملاء.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ جلاله يخبرنا: أنَّ عبده إذا ذكره في نفسه ذكره الله تعالى في ملأٍ من ملائكته، ولا يذكر العبد في ملأٍ إلا ذكره الله في الرفيق الأعلى؛ أي: في جماعة هم خير من جماعة العبد، وهذا غاية الفضل. ففيه الحثُّ على الذكر، والإكثار عنه، وقد تقدم ما فيه الكفاية.

١٧٢ ـ «لا يَشْرَبُ عَبْدٌ مُسْلمٌ شَرْبةً مِنْ خمرٍ؛ إلاّ سَقيْتُه بمَا انتْهكَ منها مِنَ الحَميم مُعَذَّبٌ بَعْدُ، أو مغفورٌ لهُ. ولا يَترُكُها وهُوَ عَلَيْها قادرٌ ابْتِغاءَ مَرْضاتي؛ إلا سَقَيتُهُ منْها، فأرْدَيْتُه في حَظيرةِ القُدْسِ»[٢].

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الكبير رقم (٢٠/ ١٨٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٨) وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه. نقول: وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٧ و٢٦٨)، والطبراني في الكبير رقم (٧٨٠٣ و٧٨٠٤) وفيهم القاسم أبو عبد الرحمن وفي سماعه من أبي أمامة كلام وذكره=

رواه الطبرانيُّ عن ابن عمر.

ش ـ الخمر: تقدم الكلام عليها في شرح الحديث (١٣٩) من هذا الكتاب؛ والانتهاك: المبالغة في خرق محارم الشرع، وإتيانها. والحميم: الماء الشديدُ الحرارة، وأرديتُه: جعلته مرتدياً في حظيرة القدس لا يصيبه سوء أبداً، وقد ذكرنا تفسيرها في شرح الحديث (١٣٩)، وأورد الحديث الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد بأطول من هذا وقال في آخره: رواه كله أحمد، والطبرانيُّ، وفيه علي بن يزيد، وهو ضعيف.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا. أنَّ العبد المسلم لا يشرب شربةً من خمر في الدنيا إلا سقاه بسبب ما انتهك، وخرق من محارم الشَّرع ماءً شديد الحرارة، سواء كان يعذب بعد ذلك، أو يغفر له، ولا يترك عبدٌ شرب الخمر في الدُّنيا وهو قادر عليها قاصداً بذلك الترك وجهَ الله، وابتغاءَ مرضاته إلا سقاه الله منها، وعوَّضه خيراً منها، ألا وهي خمر الجنة التي قال الله في وصفها ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: ٤٦ ـ ٤٧]. اللهم أذقنا لذتها في الآخرة، ولا تحرمنا منها! وبعد ذلك يرديه الله جل ثناؤه في حظيرة القدس، وهي الجنة، وقد تقدَّم الكلام على الخمر ومضارِّها بما فيه الكفاية. والله أعلم.

١٧٣ ـ «لا يَنبَغي لعَبْدي أنْ يَقُولَ: أنَا خَيرٌ من يونُس بن مَتَّى»[(١)].

رواه مسلمٌ عن أبي هريرة.

ش ـ لا ينبغي: أي لا يجوز، ولا يليق. ويونس فيه ستُّ لغات، أو أوجه: ضم النون، وكسرها، وفتحها مع الهمز، وتركه، والفصيح: ضمُّها بلا همز، وبه جاء القرآن. ومتَّى: اسم أبيه، وهو بفتح الميم، وتشديد التاء المثناة فوق مقصوراً. ويونس عليه الصلاة والسلام نبيٌّ من أنبياء الله عزَّ وجل الصالحين، وآيات كثيرة من القرآن تنطق بفضله ومكانته.

والمعنى: لا ينبغي، ولا يليق، ولا يجوز لعبدي، وفي رواية: «العبدِ لي يقول» وفي رواية: «العبدِ يقول» ـ أي: من الأنبياء ـ أنا خير من يونس بن متَّىٰ؛ أي: من حيث

= الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٩) وقال: رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد بن أبي زياد ضعيف. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٧٦) باب في ذكر يونس عليه السلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

النبوة، فإنَّ الأنبياء فيها سواء، وإنما التفاوت في الدرجات ونحوها، والمراد: لا ينبغي لعبدٍ بلغ كمال النفس، والصبر على الأذى أن يرجح نفسه على يونس لأجل ما حكيت عنه من قلة صبره على أذى قومه؛ لأنَّ تلك أمورٌ خارجةٌ.

وللعلماء في هذا وجهان؛ أحدهما: أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنَّه أفضلُ من يونس، فلما علم ذلك قال: أنا سيِّد ولد آدم، ولم يقل هنا أنَّ يونس أفضل منه عليه الصلاة والسلام، أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجراً عن أن يتخيَّل أحدٌ من الجاهلين شيئاً من حطِّ مرتبة يونس صلى الله عليه وسلم من أجل ما في القرآن العزيز من قصته. قال العلماء: وما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطَّه من النبوَّة مثقال ذرةٍ. وخصَّ يونس بالذِّكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر. وأما قوله ﷺ: لا ينبغي لعبدي أن يقول: أنا خير من يونس: فالضمير في «أنا» قيل: يعود إلى النَّبيِّ ﷺ، وقيل: يعود إلى القائل؛ أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادةٍ، أو علمٍ، أو غير ذلك من الفضائل؛ فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل بعض روايات مسلم: لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خير من يونس بن متَّى. أفاده النووي رحمه الله تعالى.

وحاصل قصته عليه الصلاة والسلام كما في القرآن الحكيم، قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] وقال جلَّ، وعزَّ في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨] وقال تعالى في سورة الصافات ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ ـ ١٤٨] وقال جلَّ وعزَّ في سورة نون: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ ـ ٥٠].

وحاصل ما قاله المفسرون في قصة يونس بن متَّى عليه السلام: أنَّ الله بعثه إلى أهل نِينُوى ـ بكسر النون الأولى وضمِّ الثانية ـ من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله

عز وجل، فكذبوه، وتمرَّدوا على كفرهم، وعنادهم، فلمَّا خرج من بين ظهرانيهم، وتحقَّقوا نزول العذاب؛ قذف الله في قلوبهم التوبة، والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوحَ، وفرَّقوا بين كلِّ بهيمةٍ وولدها، ثم عجُّوا إلى الله عزَّ وجلَّ، وصرخوا، وتضرَّعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرِّجال، والنِّساء، والبنون، والبنات، والأمهات، وجأرت الأنعام، والدوابُّ، والمواشي، وفغرت الإبلُ وفصلانُها، وخارت البقر، وأولادها، وثغت الغنمُ وحملانُها، وكانت ساعةً عظيمةً هائلةً، فكشف الله العظيم بحوله، وقوته، ورأفته، ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتَّصل بهم بسببه، ودارَ على رؤوسهم كقطع الليل المظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [يونس: ٩٨] أي: هلا وجدت فيما سلف من القرون قريةٌ آمنت بكمالها، فدلَّ على أنه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤] وقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] أي: آمنوا بكمالهم، وقد كان قومه مئة ألف باتفاق، واختلف العلماء في الزيادة فقيل: عشرة آلاف، وقيل: عشرون ألف، وقيل غير ذلك. واختلف العلماء أيضاً في إرسال يونس إليهم؛ هل كان قبل الحوت، أو بعده، أو هما أمَّتان على ثلاثة أقوال ذكرت في الكتب المطولة، والمقصود: أنه عليه الصلاة والسلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه؛ ركب سفينةً في البحر، فلجَّت بهم، واضطربت، وماجت بهم، وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فَمَنْ وقعت عليه القرعةُ ألقوه من السفينة ليتحفظوا منه. وكان من عادة الناس في ذاك الزمن متى حصل لهم مثلُ ذلك في سفينةٍ علموا أن في السفينة عبداً آبقاً، أو رجلاً آثماً، فلما اقترعوا، وقعت القرعة على نبيِّ الله يونس، فلم يسمحوا به لظهور الصَّلاح، وسمة الأخلاق السمحة فيه، فأعادوها ثانيةً، فوقعت عليه أيضاً، فشمر ليخلع ثيابه، ويلقي بنفسه إلى البحر فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثةً، فوقعت عليه أيضاً لما يريده الله تعالى به من الأمر العظيم، والتشريع الحكيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢] وذلك أنه لما وقعت عليه القرعة ألقي في البحر، وبعث الله عز وجل حوتاً عظيماً من البحر فالتقمه، وأمره الله تعالى ألا يأكل له لحماً، ولا يهشم له عظماً، فليس لك برزق، فأخذه فطاف به البحار كلَّها. وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوتَ حوتٌ آخر أكبر منه، ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات فحرَّك جوارحه، فتحركت، فإذا هو حيٌّ فخر لله ساجداً، وقال: يا رب اتخذتُ لك مسجداً لم يعبدك أحدٌ مثله!

واختلفوا في مقدار لبثه في بطن الحوت. فقال مجالد عن الشعبي: التقمه ضحىً، ولفظه عشيةً، وقال قتادة: مكث فيه ثلاثةً. وقال جعفر الصادق: سبعة أيام، ويشهد له شعر أمية بن أبي الصلت:

وأنتَ بفضلٍ منكَ نجَّيت يونساً وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ لياليا

وقيل غير ذلك. والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه.

قال الحافظ ابن كثير: والمقصودُ أنَّه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللُّجِّيَّة، ويقتحم به لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرَّحمن، وحتى سمع تسبيح الحصى لفالق الحبِّ والنوى، ورب السموات السبع، والأرضين، وما بينهما، وما تحت الثرى، فعند ذلك، وهنالك قال ما قال بلسان الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال الذي يعلم السرَّ والنجوى، ويكشف الضرَّ والبلوى، سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دقَّت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الأمين، وهو أصدق القائلين، ورب العالمين وإله المرسلين: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ و ٨٨] والله أعلم.

١٧٤ ـ «يَا آدمُ إنِّي عرَضتُ الأمانَة علىٰ السَّمواتِ والأرْضِ فَلمْ تُطقْها، فهلْ أنْتَ حامِلُها بما فيها؟ قالَ: وَمالي فيها؟ قالَ: إنْ حَملْتَها؛ أُجِرْتَ، وإنْ ضَيَّعْتَها؛ عُذِّبْتَ. فقالَ: قدْ حَملْتُها بمَا فيها. فَلمْ يَلْبَث في الجنَّةِ إلا ما بيْنَ صَلاةِ الأولىٰ والعَصْر حتى أخرجَه الشَّيْطان منها»[١] **رواه أبو الشيخ عن ابن عباس.**

ش ـ آدم: وزنه أفعل، والألف منه مبدلة من همزة، وهي فاء الفعل؛ لأنه مشتقٌّ من أديم الأرض، أي: وجهها، أو من الأدمة؛ أي: لونها، ولا يجوز أن يكون أصله

(١) رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده جويبر بن سعيد الأزدي ضعفه غير واحد. وقال الدارقطني متروك. والضحاك بن مزاحم الهلالي لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما. نقول وإسناده ضعيف.

فاعلاً بفتح العين؛ إذ لو كان كذلك، كعالم، وخاتم، والتعريف وحده لا يمنع الصَّرف، وليس بعجميٍّ.

والعَرْض ـ بفتح العين المهملة، وسكون الراء ـ البدوُّ، والظهور، يقال: عرض الشيء له: أظهره له، وعرض المتاع للبيع: أظهره لذوي الرَّغبة ليشتروه. والشيء عليه: أراه إيَّاه. والأمانة: ضدُّ الخيانة، والمراد بها هنا كما ذكره الراغب الأصفهاني: كلمة التوحيد. وقيل: العدالة، وقيل: حروف التهجِّي، وقيل: العقل، وهو صحيحٌ؛ فإنَّ العقل هو الذي لحصوله يتحصل معرفة التوحيد، وتجري العدالة، وتعلم حروف التَّهجي؛ بل لحصوله يُعلم كلُّ ما في طوق البشر تعلُّمه، وفعلُ ما في طوقهم من الجميل فعلُه، وبه فضلٌ على كثير ممن خلقه. انتهى. والسموات، والأرض معلومةٌ. وقوله: «لم يلبث»: لم يمكثْ. وصلاة الأولى: الفجر.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ، وعزَّ يخاطب آدم عليه السلام، ويخبره: أنَّه تعالى عزُّه عرض الأمانة... الخ.

وآدم عليه السلام: كنيته: أبو البشر، ويقال: أبو محمد، خلقه عزَّ وجلَّ بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، واصطفاه، وكرَّم ذريته، وعلَّمه جميع الأسماء، وجعله أول الأنبياء، وعلَّمه ما لم يعلِّم الملائكة المقربين، وجعل من نسله الأنبياء، والمرسلين، والأولياء، والصديقين. قال الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣] الآية. وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] الآية. وثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى خلق آدم يوم الجمعة» واشتهر في كتب الحديث والتواريخ: أنه عاش ألف سنة، وكان النبي ﷺ أشبه الناس بآدم عليه السلام، قال أبو إسحاق الزَّجاج[1]. اختلفت الآيات فيما بدىء به خلق آدم، ففي موضع: خلقه الله تعالى من تراب. وفي موضع: من طينٍ لازب، وفي موضع: من حمأ مسنون، وفي موضع: من صلصال. قال: وهذه الألفاظ راجعةٌ إلى أصلٍ واحدٍ، وهو التراب؛ الذي هو أصل الطين، فأعملنا الله عزَّ، وجلَّ: أنَّه خلقه من ترابٍ جعل طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار. وفي عصرنا الحاضر ادَّعى رجلٌ من دمنهور مصر: أنَّ آدم ليس بنبيٍّ، وأنكر نبوته جهاراً، وقامت القيامة، ورفعت عليه دعوى المحكمة الشرعية، وصدر عليه الحكم بالتفريق بينه وبين

---

(١) أبو إسحاق الزجاج ـ إبراهيم بن محمد بن السرِّي الزجاج ـ ـ البغدادي ـ مصنف كتاب (معاني القرآن) توفي رحمه الله (٣١١) هـ.

زوجته لردَّته بذلك الإنكار، وشنِّع عليه، وطُرِدَ من بلده دمنهور. ولما استأنف الحكم إلى محكمة الإسكندرية أنكر ذلك، وحاور في كلامه، وقال أمام رؤساء المحكمة في عقد الجلسة: إنه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة، وأنه يعتقد، ويقر بنبوَّته، فصدر الحكم بإلغاء الحكم الأول، وأعيدت إليه زوجته. وهذا ليس عمل الرجل الذي يعتقد شيئاً ولا يدافع عنه، ويرجع القهقرى، وهذا الرَّجل له سقطات كثيرةٌ أسأل الله تعالى هدايته.

وقال الأستاذ النَّجار: إنَّ القرآن الكريم وإن لم يذكر لفظ النبوة بإزاء آدم كما ذكر ذلك بإزاء غيره من الأنبياء، كإسماعيل، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم؛ فقد ذكر أنَّه خاطبه بلا واسطة، وشرَّع له في ذلك الخطاب، فأمره، ونهاه، وأحلَّ له، وحرَّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو كلُّ معاني النبوة، فمن هذه الناحية نقول: إنه نبيٌّ، وتطمئن أنفسُنا بذلك.

وأما رسالته: فالأمر فيها مختلفٌ فيه، وشأننا أن نفوِّضَ علم ذلك إلى الله تعالى؛ على أني رأيتُ في حديث أبي هريرة في الشفاعة الواردة في صحيح مسلم: أنَّ الناس يذهبون إلى نوح، ويقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض، فلو كان آدم رسولاً لما ساغ هذا القول، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأن نوحاً أول رسول بعد الطوفان، وهو تأويلٌ متكلَّف.

وعرضُ الأمانة: إبرازُها، وإظهارُها في معرض المحسوسات، وليس ببعيد على الله جلَّ ذكره أن يظهر المعاني في قالب المحسوس؛ لتشاهد، وترى، وخلق الله تعالى في السموات والأرض والجبال فهماً وتمييزاً، فخيِّرت في الحمل، فأبت، فيكون الكلام حقيقياً، ويشهد لهذا ما قاله الحافظ ابن الجوزي: إن الله عزَّ وجلَّ لما خلق آدم عليه السلام، ونفخ فيه الروح مثلت له الأمانةُ بصخرةٍ، ثم قال للسموات: احملي هذه! فأبت، وقالت: إلهي! لا طاقة لي بها، وقال سبحانه للأرض: احمليها! فقالت: لا طاقة لي بها! وقال تعالى للجبال: احمليها! فقالت: لا طاقة لي بها! فأقبل آدم عليه السلام فحرَّكها بيدٍ، وقال: لو شئت لحملتها، فحملها حتى بلغت حقويه، ثم وضعها على عاتقه، فلما أهوى ليضعها نودي من جانب العزِّ: يا آدم! مكانك، لا تضعها، فهذه الأمانة قد بقيت في عنقك، وعنق أولادك إلى يوم القيامة، ولكم عليها ثوابٌ في حملها، وعقابٌ في تركها. انتهى. وهذا ظاهر في أنَّ الحمل على حقيقته، أو: هو تمثيل نزَّل المعاني لتحققها منزلة ما يحسُّ، ويبصرُ، وأسند لها العرض، ونزَّل السمواتِ، والأرضَ منزلة مَنْ يعقل، وأسند لها الإباء. والله أعلم.

والأمانة: هي التكليف، وقَبولُ الأوامر، والنواهي بشرطها، وهو: أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب، فقبلها الإنسانُ على ضعفه، وجهله، وظلمه إلا من وفق الله. ورُوي عن الحسن البصري رحمه الله: أنَّه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: عرضها على السَّبع الطباق الطرائق التي زُيِّنت بالنجوم وحملة العرش العظيم، فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إنْ أحسنتِ جزيتِ؛ وإن أسأت؛ عوقبت، قالت: لا. ثمَّ عرضها على الأرضين السبع الشداد التي شُدَّت بالأوتاد، وذُلِّلتْ بالمهاد، قال: فقيل لها: هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنتِ؛ جزيتِ، وإن أسأتِ؛ عوقبتِ. قالت: لا. ثم عرضها على الجبال الشُّمِّ الشوامخ، الصِّعاب، الصلاب. قال: قيل لها: هل تحملين الأمانة، وما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: قيل لها: إن أحسنتِ؛ جزيتِ، وإن أسأتِ؛ عوقبتِ. قالت: لا. وأمرُ السمواتِ والأرضِ بحمل الأمانة أمرُ تخيير، لا أمر تكليفٍ، لذلك لم يكن الإباء منهنَّ معصيةً. والله أعلم.

وقصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه لعنةُ الله مذكورةٌ في الكتاب الحكيم، وسنن مَنْ بالمؤمنين رؤوف رحيم. وحاصل قصته: أنَّ الله تعالى أخبرنا في كتابه المكنون في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٠ ـ ٣٩].

وذكرت أيضاً قصته عليه السلام في القرآن الكريم في سورة الأعراف، والإسراء، والكهف، وطه، و(ص)، كلها وردت بمعنى واحدٍ، لا يختلف، ولكن بعباراتٍ مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدلُّ على إعجاز القرآن الكريم، فإنَّ أكتبَ الكاتبين،

وأبلغَ البلغاء المشهورين، وأفصحَ فرسان المنشئين إذا كتب قصةً مرّةً يستحيل عليه أن يكتبها مرةً أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة في الأسلوب والبلاغة في التعبير، كما تراه في القرآن المنزل على سيد البشر محمَّدٍ رسول الله ﷺ، وقد أراد المولى جلَّ ذكرُه أن يظهر شرفَ آدم، وفضلَه على سائر المخلوقات، فقدَّمها عليه في الخلق، ولهذا قالت الملائكة: ليخلق ربنا ما يشاء، فلن يخلق خلقاً أكرمَ عليه منَّا. فلمَّا خلق آدم، وأمرهم بالسجود له؛ ظهر فضلُه، وشرفُه عليهم بالعلم، والمعرفة. فلما وقع في الذنب ظنَّت الملائكةُ أنَّ ذلك الفضلَ قد نسخ، ولم تطَّلِعْ على عبودية التوبة الكامنة. فلمَّا تاب إلى ربه، وأتى بتلك العبودية؛ علمت الملائكةُ: أنَّ لله في خلقه سرّاً لا يعلمه سواه، ولما علم السَّيد أنَّ ذنب عبده لم يكن قصداً لمخالفته، ولا قدحاً في حكمته، علَّمه كيف يعتذر إليه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧] العبد المخلص لا يريد بمعصيته مخالفة سيده، ولا الجرأة على محارمه، ولكن غلباتُ الطبع، وتزيينُ النفس، والشيطان، وقهرُ الهوى، والثقةُ بالعفو، ورجاءُ المغفرة، هذا من جانب العبد، وأمَّا من جانب الربوبية: فجريان الحكم، وإظهارُ عزِّ الربوبية، وذلِّ العبودية، وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الحسنى، كالعفو، والغفور، والتواب، والحليم لمن جاء تائباً نادماً، والمنتقم، والعدل، وذي البطش الشديد لمن أصرَّ ولزم المضرَّة، فهو سبحانه يريد أن يُري عبده تفرُّدَه بالكمال، ونقصَ العبد، وحاجته إليه، ويشهده كمال قدرته، وعزَّته، وكمال مغفرته، وعفوه، ورحمته، وكمال برِّه، وستره، وحلمه، وتجاوزه، وصفحه، وأنَّ رحمته به إحسانٌ إليه، لا معاوضة، وأنَّه إن لم يتغمَّدْه برحمته، وفضله؛ فهو هالك. فلله كم في تقدير الذنب من حكمة، وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة! التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل، وربَّ علةٍ كانت سبب الصحَّة.

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبه   وربما صحَّت الأجسادُ بالعللِ

وقوله: «حتى أخرجه الشيطان منها» أي: من الجنة بسبب ما وسوسَ له إبليسُ، حتى أخرجه حسداً، وبغضاً. نسأل الله السلامة!

١٧٥ ـ «يابْن آدَم! إذا ذكرْتَني خالياً؛ ذكرْتُكَ خالياً، وإذا ذَكرْتَني في مَلأٍ؛ ذَكرْتُكَ في مَلأٍ خيرٌ مِن الَّذين تَذكُرني فيهم»(١).

---

(١) رواه البزار رقم (٣٠٦٥) وقال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، والطبراني في الكبير رقم (١٢٤٨٤)، وذكره الهيثمي في =

رواه البزار عن ابن عباس.

ش ـ تقدَّم الكلام عليه بلفظ: «عبدي! إذا ذكرتني خالياً؛ ذكرتك خالياً...» إلخ وفي الحديث رقم (١٥) بلفظ: «إذا ذكرني عبدي خالياً؛ ذكرته خالياً... إلخ» فارجع إليهما.

١٧٦ ـ «يابْنَ آدمَ مَهما عَبْدتَني، ورَجْوتني، ولمْ تُشرِكْ بي شَيْئاً؛ غَفْرتُ لكَ عَلى ما كان فيكَ، وإنِ اسْتقْبلتني بمِلْءِ السَّمواتِ والأرْضِ خطايَا، وذُنوباً؛ اسْتقْبلْتُكَ بمِثْلِهنَّ مغْفِرةً، وأغْفِرُ لكَ، وَلا أُبالي»[1]. رواه الطبرانيُّ في الكبير، والبيهقيُّ، والشيرازيُّ عن أبي الدرداء.

ش ـ مهما: اسم شرط زمان. والرَّجاء: ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مسرَّة، والملء ـ بكسر أوله، وسكون ثانيه ـ: ما يملأ الشيء. وباقي ألفاظ الحديث تقدَّم الكلام عليها غير مرَّة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يخاطب عباده، ويخبرهم: أنَّ أحدَهم مهما عبده في أيِّ زمانٍ، ووقتٍ، ورجاه، ولم يشرك به شيئاً، وفعل ما فعل من المعاصي؛ يغفرها له، ويسترها عليه بعدم العقاب في الآخرة، وإن استقبله بما يسع السموات والأرض من الخطايا والذنوب ـ على فرض إبرازها بصور مجسمة محسوسة ـ يستقبله الله جلَّ اسمه بمثلهن ـ أي: بملء السموات والأرض مغفرةً، ويغفرها له، ولا يبالي، ولا يكترث بذنوبه، ولا يستكثرها، وإن كثرتْ؛ فلا يتعاظمه جلَّ وعلا شيءٌ، ولأنَّه لا حجر عليه تعالى فيما يفعله. أو: معنى لا أبالي: لا أشغل بالي به. وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً أن لا أقبح ذنباً من الشِّرك، وأنَّه لا يغفر لصاحبه، وأنَّ أجمل شيءٍ وأعلاه هو التوحيد، وهو مفزع أعداء الله جلَّ ذكره، وأوليائه، فأمَّا أعداؤه: فينجيهم به مِنْ كرب الدنيا، وشدائدها. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ

= مجمع الزوائد (١٠/٧٨) وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي. ثقة. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، نقول: وهو حديث صحيح.

(١) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٢٣٤٧) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وأما أولياؤه رضي الله عنهم، وأرضاهم: فينجيهم به مِنْ كربات الدنيا والآخرة، وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس بن متَّى، فنجاه الله من تلك الظلمات، وقد تقدَّم الكلام على ذلك قريباً، وفزع إليه أتباعُ الرسل، فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما أعدَّ لهم في الآخرة. ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك، وإدراك الغرق له؛ لم ينفعه؛ لأنَّ الإيمان عند المعاينة لا يُقْبل هذه سنة الله في عباده، فما رفعت شدائدُ الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروبٌ إلا فرجَّ الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجِّي منها إلا التوحيد، فهو مفزعُ الخليقة، وملجؤها، وحصنُها، وغياثها. أفاده ابنُ قيِّم الجوزية في كتابه (الفوائد).

قال العلماء: لا يوجد في الأحاديث أرجى من هذا الحديث. وقال بعض العلماء: لا يجوز لأحد أن يغترَّ به، ويقول: أكثرُ من الخطيئة؛ ليكثر الله مغفرتي، وإنما قاله لئلا ييأس المذنبون من رحمته، ولله مغفرةٌ وعقوبةٌ، لكن مغفرته أكثرُ، لكن لا يعلم أحدٌ أنه من المغفورين، أو من المعاقبين، فينبغي التردُّد بين الخوف والرجاء.

وقال العلامة الطيبي(١): هذا عامٌّ خصَّ بحسب الأحوال والأزمان، فإنَّ جانب الخوف ينبغي رجحانه ابتداءً، والرَّجاء انتهاءً، أو مطلق محمول على المقيد بالمشيئة في ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] أو بالعمل الصالح مع الإيمان.

والحديث رواه الطبرانيُّ وغيره كما قال المصنف. وقال أيضاً في شرح الجامع الصغير: رمز المصنف لحسنه. قال الهيثميُّ: رواه الطبرانيُّ في الثلاثة، وفيه إبراهيم بن إسحاق الضبِّي، وقيس بن الربيع، وفيهما خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقع هنا في الحديث: «مهما عبدتني» وسيأتي ذكره بعد بلفظ: «دعوتني» والله أعلم.

١٧٧ ـ «يابْنَ آدَم! أَنْـفِقْ؛ أُنْـفِقْ عَلَيْـكَ؛ فَـإِنَّ يميـنَ اللهِ مَـلأى سَحّـاً،

---

(١) تقدم التعريف به.

لا يَغيضُها شيءٌ باللَّيْلِ وَلا بالنَّهارِ»[1]. رواه الدارقطنيُّ عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم الكلام على هذا الحديث؛ إلا أنَّه أورده بلفظ: «أنفق أنفق عليك» مختصراً على هذا اللفظ، وأسنده إلى الإمام أحمد والشيخين عن أبي هريرة.

وقوله: «يمين الله» سبق ذكر ما كان في معناه مما أضيف إلى الله تعالى ويوهم التشبيه، وتحقيق ذلك، فلا حاجة إلى الإعادة. وقوله: «سحا» بفتح السين والتنوين، وفي رواية «سحاء» بالمد، قال العلامة مجد الدين أبو السعادات في النهاية: «يمين الله سحاء لا يغيضها شيءٌ بالليل والنهار» أي: دائمة الصبِّ، والهطل بالعطاء. يقال: سحَّ، يسحُّ، سحاً، فهو ساحٌّ، والمؤنثة سحَّاء، وهي فعلاء لا فعل لها، كهطلاء، وفي رواية: «يمين الله ملأى سحاءً» بالتنوين على المصدر. ولا يغيضها شيءٌ، أي: لا ينقصها. يقال: غاض الماء، يغيض؛ وغضته أنا، وأغضته غيضةً، وأغيضه.

والمعنى والله أعلم: أنَّ الله جلَّ ذكره أمر عباده أن ينفقوا مما رزقهم الله جلَّ وعزَّ على الفقراء، والمساكين، ومصالح الناس، ومرافقهم، ولا يمسكوا أيديهم، ويبخلوا خوفاً من أن ينفد ما في أيديهم من المال، فإنَّ رازقهم الله سبحانه وتعالى يعطيهم خلفه، بل أكثر منه أضعافاً مضاعفة. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] ولا ينفد ما عنده من الرزق فيقتر على خلقه، بل خزائنه ملأى بالخيرات، لا تبيد، ولا تنقص. قال العلامة الطيبي: هذا مشاكلة من إنفاق الله لا ينقص من خزائنه شيء، وهذا ظاهر؛ لأنه إذا أنفق ظهر بصورة الفقر، والعبودية، والسَّخاء، فاستحقَّ نظر الحقِّ إليه من جهة فقره الذي لا بدَّ من جبره، ومن جهة مقابلة وصفه بوصف ربه، وظهور معاني أسمائه، فكأنه قال لعبده عند إنفاقه: أتتسخَّى عليَّ، وأنا خلقتُ السخاء، وقد امتثل المصطفى ﷺ أمر ربه، فكان أكثر الناس إنفاقاً، وأكملهم جوداً، والله أعلم.

١٧٨ ـ «يابْنَ آدَم! أفْرِغْ مِنْ كنْزِكَ عنْدي، وَلا حَرَق، وَلا غَرَق، ولا سَرَق، أُوفِيكهُ أحْوَجَ ما تكُونُ إليْه»[2]. رواه البيهقيُّ عن الحسن مرسلاً.

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٥٣٥٢)، ومسلم رقم (٩٣٣) في الزكاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقيُّ في الشعب رقم (٣٣٤٢) عن الحسن مرسلاً، وهو حديث ضعيف.

ش ـ أفرغ من كنزك: ابذله وأنفقه. والكنز في الأصل ـ بفتح الكاف وسكون النون ـ: ما ادخر، وجمع من مالٍ، ودفن في الأرض، والمراد به هنا: ما اذُّخر عند الله من ثواب وأجر.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام، ويحثنا على الإنفاق في سبيل الله، ويبين لنا أنَّ الكنز الموجود لأحدنا عند الله تعالى من البرِّ، والإخلاص، والعمل الصالح مملوءٌ، ولا يصل إليه الحرق، ولا الغرق، ولا أحدٌ يقدر أن يمدَّ إليه يداً بسرقة، وزيادة على ذلك: فإنَّ أحدنا إذا أنفق كنزه، وبذل جهده في وجوه الخير والسبل المشروعة، فإنَّ الله تعالى يوفِّيه إيَّاه في وقت ما يكون العبدُ أحوجَ إليه، فإذا علم العبدُ ذلك ازداد إنفاقاً، وتوسَّع في قضاء مصالح الناس، وأعان الفقير، والمسكين، وابن السبيل، وغيرهم ممَّن يستحقُّ ذلك، وفقنا الله وإياك إلى ذلك!

قال الحافظ المنذريُّ: رواه الطبرانيُّ، والبيهقيُّ، وقال: هذا مرسلٌ، والله أعلم.

١٧٩ ـ «يابْنَ آدَم! اثْـنَتَانِ لَمْ يكُنْ لكَ واحدةٌ منْهما: جَعلْـتُ لكَ نَصيباً مِنْ مالكَ حينَ أخَذتُ بكَظَمِكَ لأطَهِّـرَك بِهِ، وأزكِّيكَ، وصلاةُ عِبادِي عَليْـكَ بعْـدَ انقِضاءِ أجَلِك»[١]. رواه ابن ماجه عن ابن عمر.

ش ـ تقدَّم ذكره، فراجعه. قال الفاكهانيُّ: من خصائص هذه الأمة الصلاة على الميت، والإيصاء بالثلث.

١٨٠ ـ «يابْنَ آدَم إنْ تَـبْذُلِ الفضْلَ؛ فهوَ خيرٌ لك، وإن تُمْسِكه فهوَ شـرٌّ لكَ، وَلا تُـلامُ على الكفَافِ، وابْـدأْ بمَنْ تَعولُ، واليـدُ العُلْيا خيْـرٌ منَ اليَـدِ السُّفْلى»[٢]. رواه البيهقيُّ عن أبي أمامة.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٧١٠). والدارقطني (٤/ ١٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي إسناده مبارك بن حسان. وثقه ابن معين. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال أبو داود: منكر الحديث. وقال الأزدي: متروك. نقول: والحديث ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٢)، ومسلم رقم (١٠٣٦) في الزكاة، والبيهقي في السنن (٤/ ١٨٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ش ـ يقال: بذل المال بذلاً، من باب قتل: سمح به، وأعطاه، وبذله: أباحه عن طيب نفسه، وإن ـ هنا ـ بكسر الهمزة وجزم تبذل، وضبطها النوويُّ في شرح مسلم بفتح الهمزة، والفعل بعدها منصوب، والذي يعيِّن الجزم هنا قوله في الجواب: فهو خير لك. والفضل ما زاد على قدر الحاجة. والكفافُ ـ بفتح الكاف ـ: ما كف عن الحاجة إلى الناس مع القناعة، لا يزيد على قدر الحاجة. وبمنْ تعول: أي بمن تمون، وتلزمك نفقته من عيالك. يقال: عال الرجل عياله، يعولهم: إذا قام بما يحتاجون إليه من قوتٍ، وكسوةٍ، وغيرهما. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى: أنَّ الله تعالت أسماؤه يخبرنا: أنَّ ابن آدم إذا بذل ما فضل عن حاجته، ولم يدَّخره؛ كان خيراً له، وإن أمسكه، وادَّخره، ولم ينفقه في المصالح الحيوية، والمشاريع الشرعية؛ كان شرّاً له، ولا تلامُ على كفاف: أي ما كفَّ عن الحاجة؛ أي: إذا لم يكن عندك كفاف لم تلم على أن لا تعطي أحداً؛ وقدِّمْ في النَّفقة، وابدأ بمن تعوله، ويجب عليك نفقته من عيالٍ، وأهلٍ، وأقارب؛ لأنَّهم أحقُّ من الغير، فيجب عليه أن يقدِّم نفسه بحديث: «فابدأ بنفسك، ثم بمن تعول» قال الإمام النوويُّ رحمه الله تعالى في شرح مسلم: معناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك، وحاجة عيالك، فهو خيرٌ لك؛ لبقاء ثوابه، وإن أمسكته؛ فهو شرٌّ لك؛ لأنه إن أمسك عن الواجب؛ استحقَّ العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب؛ فقد نقص ثوابه، وفوَّت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كلُّه شرٌّ. ومعنى لا تلام على كفاف: أنَّ قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وهذا إذا لم يتوجب في الكفاف حقٌّ شرعي، كمن كان له نصاب زكويٌّ، ووجبت الزكاةُ بشروطها، وهو محتاجٌ إلى ذلك النصاب لكفافه، وجب عليه إخراج الزكاة، ويحصِّلُ كفايته من جهة مباحة. ومعنى ابدأ بمن تعول: أنَّ العيال، والقرابة أحقُّ من الأجانب. انتهى. واليدُ العليا خير من اليد السفلى: جاء في صحيح البخاريِّ، ومسلم تفسير اليد العليا بالمنفقة من الإنفاق، والسفلى بالسائلة، وذكره أبو داود عن أكثر الرواة. ورواه عبد الوارث عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: العليا: المتعففة ـ بالعين ـ من العفَّة، ورجَّح الخطابيُّ هذه الرواية. قال: لأنَّ السياق في ذكر المسألة، والتعفف عنها. والصحيحُ الرواية الأولى، ويحتمل صحةُ الروايتين بالمنفقة أعلى من السائلة، والمتعففة أعلى من السائلة، وقال بعضُ العلماء: العلياء: الآخذةُ، والسُّفلى: المانعة. والمراد بالعلو: الفضل، والمجد، ونيل الثواب. وذكر هذا الحديث في مسلم على أنه حديثٌ نبويٌّ، لا قدسيٌّ. والله أعلم.

١٨١ ـ «يابْنَ آدَم! إنَّك ما دعَوْتني، ورَجوْتَني؛ غَفرْتُ لكَ على ما كانَ

منْكَ، وَلا أبالي! يا بْنَ آدم! لوْ أنَّكَ أتَيْتني بقُراب الأرْضِ خَطايَا، ثمَّ لَقِيْتني لا تُشْرِكْ بي شَيْئاً؛ لأتَيْتُك بقُرابها مَغْفِرة»[1]. رواه الترمذيُّ، والقضاعيُّ عن أنس، والطبرانيُّ عن ابن عباسٍ[2]، وابنُ النَّجار عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم ذكره غير مرَّةٍ، وسيذكره المصنف أيضاً بعدُ مع اختلافٍ في بعض الألفاظ، وأشرنا إلى ذلك في محلِّه.

١٨٢ ـ «يابْنَ آدَم إنْ ذَكَرْتني؛ ذكرْتُك، وإنْ نَسيتني؛ ذَكرْتُكَ، فإذا أطعْتَني فاذْهبْ حيْثُ شئْتَ محَلَّ تُوَالِيني، وأُواليكَ، وتُصافيني، وأصافيكَ، وتُعْرِضُ عنّي وأنا مُقْبلٌ عليْكَ. مَنْ أوصَل إليْكَ الغِذاء وأنْتَ جَنينٌ في بطْنِ أمِّك؟ لمْ أزلْ أُدبِّرُ فيكَ تَدْبيراً حتَّى أنْفذْتُ إرادَتي فيكَ، فلمَّا أخْرَجْتُك إلى دار الدُّنيا؛ أكْثرْتَ المعاصي، ما هكذا جَزاءُ مَنْ أحْسنَ إليْكَ!!»[3]. رواه أبو نصر ربيعةُ بن عليٍّ العجلي، والرافعيُّ عن ابن عباس.

ش ـ الموالاةُ: القرب، والعناية، والتناصر، وهي من قبيل المشاكلة. والمصافاة: الإخلاص في الودِّ، والجنين: الولد ما دام في البطن، وجمعه: أجنة. وأنفذت إرادتي: أمضيتها. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى: أنَّ الله تعالت أسماؤه، وتنزَّهت صفاتُه يخبرنا: أنَّه جلَّ ذكرُه يذكرُ عبده، وأمته في كلِّ حالٍ، سواءٌ ذكره عبدُه، وأمتُه، أو نسياه، وذِكْر العبدِ خالقَه: بأن يعكفَ على المأمورات، ويتباعد عن المنهيات، ونسيانُه: بأن يلهوَ، ويلعبَ، وينهمكَ في مالا ثوابَ فيه، ولا أجر وهذا من كرم الله تعالى الذي أسدله على عبده بألا ينساه،

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

(٢) رواه الطبرانيُّ في الكبير رقم (١٢٣٤٦) والصغير رقم (٨٢٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢١٦) وقال: رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، والصغير وفي إسناده إبراهيم بن إسحاق الضبي ـ وقيس بن الربيع، وكلاهما مختلفٌ فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح من حديث ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، ويشهد له ما قبله.

(٣) لم نجده بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المراجع.

لا في الطاعة، ولا في حال المعصية، فواجبٌ على العبد ألاَّ يغفل عن الله تعالى، وينساه، فالمعصية، والغفلة عن ذكر الله تعالى تتولد منها أشياءُ كثيرةٌ مضرَّةٌ في العبد حالاً، ومآلاً، كما يتولَّد الزَّرعُ عن الماء، والإحراقُ عن النَّار. منها: قلة التوفيق، وفساد القلب، والرأس، وخفاء الحقِّ، وخمولُ الذِّكر، وإضاعةُ الوقت، ونفرةُ الخلق، والوحشةُ بين العبد وبين ربه، ومنعُ إجابة الدعاء، وقسوةُ القلب، ومحقُ البركة في الرزق، والعمر، وحرمانُ العلم، ولباسُ الذلِّ، وإهانةُ العدوِّ، وضيقُ الصَّدر، والابتلاءُ بقرناء السُّوء الذين يفسدون القلب، وطولُ الهمِّ، والغمِّ، وضنكُ المعيشة، وكسفُ البال. وأضدادُ هذه تتولد عن الطاعة، فأسألُ الله العظيم أن يوفقنا لطاعته، ويجنبنا معصيته إنَّه سميعُ الدُّعاء!

فإذا أطاع العبد ربَّه؛ فليذهبْ حيث شاء محلَّ يوالي العبد ربَّه، ويتَّصل به، ويناصرُه، ويصافيه، ويخلصُ له العمل، كما أنَّ الله جلَّ ذكره كذلك. وانظر كيف يخبرنا الله تعالى: أنه يُقْبِلُ على عبده ولو في حال إعراض العبد عنه، وهي حالُ نسيان الله تعالى، وانهماكه في المحظورات، ثمَّ يعدِّدُ الله جلَّ ذكره نعمه على عبده، وهو جنينٌ في بطن أمِّه، وهي حالُ عجز العبد عن القدرة والاكتساب، وعدم دفع الأذى عنه. منها: أنه لا يزال الله تعالى يدبِّرُ فيه تدبيراً، من مني إلى نطفة، إلى مضغةٍ، إلى علقةٍ مخلقةٍ، وتقدير عمر، وتسجيل حياة؛ هل هو سعيدٌ، أم شقيٌّ، حتى إذا ما تكاملت أيامُه، ونضج، برز إلى عالم الوجود في أحسن تقويم، وأبهى صورة، فكان جزاءُ مَنْ فعل ذلك الشكرَ الدائم، والطاعةَ المستمرة إلا أنَّ الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى، فعندما يقوى، وتدبُّ فيه الحواسُّ، وتركب فيه الشهوةُ؛ يميل إلى المخالفات، ويؤثر حبَّ النفس، وميلَ الهوى، ووساوسَ الشيطان، ويطيعها، وينسى الله تعالى. ما هكذا جزاءُ من أحسن إليك! فنسأل الله الهداية واللطف!

١٨٣ ـ «يابْنَ آدَم! إنَّك ما دَعوْتني، ورَجوتني غفرْتُ لكَ على ما كان فيكَ، ولوْ أتَيْتني بمِلءِ الأرضِ خَطايا؛ أتَيْتُكَ بمِلءِ الأرضِ مَغْفِرةً ما لم تُشْرِكْ بي، ولوْ بلَغَتْ خَطاياكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ اسْتَغْفرْتَني؛ لَغفرتُ لكَ»[١].

رواه الطبرانيُّ في الثلاثة عن ابن عباس.

ش ـ سبق ذكره غير مرَّة، والعنان، بفتح أوله: السَّحاب، واحده: عنانة.

---

(١) تقدم تخريجه عند تخريج الحديث رقم (١٨١) برقم (٢).

١٨٤ ـ «يابْنَ آدَمَ! قُمْ إليَّ؛ أَمْشِ إلَيْكَ، وامْشِ إليَّ؛ أُهرْوِلْ إليْكَ»[١]. رواه أحمد عن رجلٍ من الصحابة.

١٨٥ ـ «يابْنَ آدمَ! إنْ ذكرْتني في نَفْسكَ؛ ذكرْتُكَ في نَفْسي، وإنْ ذَكرْتني في مَلأٍ؛ ذَكرْتُكَ في مَلأٍ خيْرٌ منْهم، وإنْ دَنَوتَ منِّي شِبْراً؛ دَنوتُ منْكَ ذِراعاً، وإنْ دَنَوْتَ منِّي ذِراعاً؛ دَنَوْتُ منْك باعاً، وإنْ أتَيْتَني تَمْشي؛ أتَيْتُكَ هرْولةً»[٢]. رواه أحمد، وعبد بن حميد عن أنس.

١٨٦ ـ «يابْنَ آدَمَ! ثَلاثُ خِصالٍ: واحدةٌ منْهُنَّ لِي، ووَاحدةٌ لكَ، ووَاحدةٌ فيما بيْني وبيَنَك، فأمَّا التي لي؛ فَتعْبُدُني لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً، وأمَّا الَّتي لكَ: فمَا عمِلْتَ من خيرٍ جَزيْتُك بهِ، فإنْ أغْفِرْ؛ فأنَا الغفورُ الرَّحيمُ، وأمَّا التي بَيْني وبيَنَك: فعَلَيْك الدُّعاءُ، والمُساءَلةُ، وعليَّ الاسْتِجابةُ، والعَطاءُ»[٣]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن سلمان.

ش ـ الحديث الأول، والثاني تقدَّم ذكرُ مثلهما بألفاظٍ قريبةٍ من هذه فانظر الحديث رقم (١٢). والحديث الثالث تقدم ذكره وهو الحديث رقم (٢٥) مع زيادة خصلة رابعة، وهي: بين العبد وغيره، ويرضى للحق ما يرضاه لنفسه، وقد ذكره السُّيوطي في

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٧٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٦) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير شريح بن الحارث، وهو ثقة. من حديث رجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٨) وعبد بن حميد رقم (١١٦٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٨) وقال: رواه أحمد. ورجاله رجال الصحيح، من حديث أنس رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (٦١٣٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٥١) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير وفي إسناده حميد بن الربيع وثقه غيرُ واحد، لكنه مدلِّس، وفيه ضعف من حديث سلمان رضي الله عنه. نقول وفي إسناده أيضاً علي بن عاصم ضعيف.

الجامع الصغير، ورَمَز لحُسْنِه. قال المناوي في شرحه هنالك: قال الهيثمي: وفيه حميد بن الربيع مُدَلِّسٌ، وفيه ضعف.

١٨٧ ـ «يابْنَ آدَم! إذ أخذْتُ كريمَتَيْكَ فَصبرْتَ، واحْتَسبْتَ عنْد الصَّدْمةِ الأولى؛ لَـمْ أرْضَ لَك ثَواباً دُونَ الجنَّـةِ»[١]. رواه أحمدُ، والطبرانيُّ في الكبير عن أبي أمامة.

ش ـ الصَّدْمُ: ضرب الشيء الصُّلب بمثله، والصَّدمة: المرة منه، والصَّدمة الأولى عند قوة المصيبة، وشدتها. والحديث تكرَّر ذكره غير مرة بألفاظٍ مختلفة فانظر الأحاديث رقم (٩ و١٨ و١٩ و٢٠).

١٨٨ ـ «يابْـنَ آدَم! لا تَعْـجِزْ عنْ أرْبـع ركعَـاتٍ مِنْ أوَّلِ النَّهـارِ؛ أكْفِـك آخِره»[٢] رواه أحمد، ومسلم عن أبي الدَّرداء.

ش ـ تقدَّم ذكر مثله بألفاظٍ قريبةٍ من هذه، فارجع إليه.

١٨٩ ـ «يابْن آدَم! إذا ذَكرْتَـني؛ شكَرْتني، وإذا نَسيتَـني؛ كَفـرْتني»[٣]. رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، وابن شاهين، والخطيب، والديلمي، وابن عساكر.

ش ـ الشُّكر: تصوُّر النعمة، وإظهارها، قيل: وهو مقلوبٌ عن الكشر؛ أي: الكشف، ويضاده: الكفر، وهو نسيانُ النِّعمة، وسترها، والشُّكرُ على ثلاثة أضرب: شكرُ القلب، وهو تصوُّر النعمة. وشكرُ اللسان، وهو الثناءُ على المنعم. وشكرُ سائر الجوارح، وهو مكافأةُ النِّعمة بقدر استحقاقه. والكفر نوعان: كفرُ عنادٍ وإنكار، كأن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٨). والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٣٥). وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٤٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣٥)، وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الطبرانيُّ في الأوسط رقم (٧٢٦٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٩)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الهذلي ضعيف. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

يعرف الحقَّ وينكرَه، ويعاند في قبوله، كأصحاب الكتب المنزلة على غير نبينا ﷺ؛ فإنَّهم يعرفونه حقيقةً، وينكرونه عناداً. وكفرُ جحود؛ بأن يقرَّ، ويعترفَ، ولا ينقاد لبعض الأحكام الفرعية غير المجمع عليها، أو لا يعمل بعلمه، كمن ينسى نعم الله جلَّ ذكرُه، ولا يشكرُه عليها، ويذكره بأن يقوم بتأدية الحقوق المطلوبة، والذِّكر تقدَّم الكلام عليه وفضله غير مرة.

والمعنى: أنَّ ابن آدم إذا ذكر الله جلَّ، وعزَّ؛ فهو يشكره، وإذا نسي ذكر الله تعالى فهو يكفره؛ لأنه كفر إنعام الله تعالى عليه، وأفضاله. قيل: مكتوب في التوراة: عبدي! اذكرني إذا غضبت؛ أذكرْك إذا غضبتُ، فإذا ظلمت؛ فاصبرْ؛ فإن نصرتي لك خيرٌ من نصرتك لنفسك، وحرِّكَ يدك أفتح لك باب الرِّزق. قال المؤلف في (فيض القدير): قال الهيثمي: فيه أبو بكر الهمذاني، وهو ضعيف. انتهى. وأورده ابن الجوزي في الواهيات، وقال: لا يصحُّ.

١٩٠ ـ «يابْنَ آدَم! تَفرَّغْ لِعبادتي؛ أملأ قلْبَكَ غِنىً، وأمْلأْ يـدَيْـك رزْقـاً. يابـنَ آدَم! لا تُباعِـدْ منِّـي؛ فأمْلأ قلبَـك فَقْـراً، وأمْلأ يـدَك شُـغْـلاً»[1]. رواه الحاكم عن معقل بن يسار.

١٩١ ـ «يابْنَ آدم! تَفرَّغْ لِعبادَتي؛ أمْلأ صدْرَك غِنىً، وأسُدَّ فقْرَك، وإلا تـفْعَـلْ؛ مَـلأْتُ يَـديْـك شُغْـلاً، ولـمْ أسُـدَّ فَقْـرك»[2]. رواه أحمد، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، والحاكمُ عن أبي هريرة.

ش ـ تقدَّم الكلام على مثلهما وهو الحديث رقم (٢) فارجع إليه، وقال الترمذي في الحديث الثاني: حسنٌ غريب.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٢٦) وصححه؛ ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٢٠/٥٠٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٨٣)، وقال رواه الطبراني، وفيه سلام الطويل متروك. من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنهما. نقول: إسناده ضعيف، ويشهد له ما بعده.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٣٥٨) ورقم (٦٦٩٦)، والترمذيُّ رقم (٢٤٦٦) وابن ماجه رقم (٤١٠٧)، وابن حبان رقم (٣٩٣)، والحاكم (٢/٤٤٣) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

١٩٢ ـ «يا جِبْريلُ! ما ثَوابُ عبْدي إذا أَخَذْتُ كريمَتَيْهِ إلا النَّظرَ إلى وَجْهي، والجِوارَ في دارِي»[(١)]. رواه الطبرانيُّ في الأوسط عن أبي ظلالٍ القَسْمَلي.

ش ـ جبريلُ: هو المَلَكُ أمينُ الوحي إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وفيه تسع لغات حكاهنَّ ـ كما قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات ـ ابنُ الأنباري، وابنُ الجوالقي: جبريل، وجبريل بكسر الجيم وفتحها، وجَبْرَئِلّ بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام، وجبرائيل بعدها ياء، وجبراييل بياءين بعد الألف، وجبرئيل بهمزة بعد الراء وياء، وجَبْرَئِل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء، وجَبرين، وجِبرين بفتح الجيم وكسرها، ويقال لجبريل: الناموس ـ بالنون كما ثبت في الصحيحين في حديث المبعث. قال أهل اللغة: الناموسُ: صاحب سرِّ الرَّجل الذي يُطلعه على باطن أمره. وقيل: الناموس: صاحب خبر الخير، والجاسوس صاحب خبر الشرِّ. وقد تظاهرت الدلائل على عظم مرتبة جبريل عليه السلام، وورد أكثرُ من آيةٍ، أو حديثٍ في فضله، وكمال منزلته، وكان يأتي النبيَّ عليه الصلاة والسلام في صورة دحية الكلبي، ورأته الصحابة حين جاء في صورة رجلٍ شديدِ بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السَّفر ولا يعرفه أحدٌ، فسأل النبيَّ ﷺ، وهم يرونه، ويسمعونه عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، والساعة، وأمارتها، ثم خرج فطلبوه في الحال فلم يجدوه، فقال النبيُّ ﷺ: «هذا جبريلُ أتاكم ليعلمكم دينَكم»[(٢)] والحديث في الصحيحين، وفي صحيح البخاريِّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب»[(٣)] وغيرُ ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وظِلال: هو بكسر المعجمة، وتخفيف اللام. والقَسْمَليُّ ـ بفتح القاف، وسكون المهملة ـ: بصريٌّ ضعيفٌ، واسمه هلال بن أبي هلال، مشهور بكنيته.

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الأوسط (٨٨٥٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه أشرس بن الربيع لم أجد من ذكره، وأبو ظلال ضعفه أبو داود، والنسائي، وابن عدي. من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه مسلم رقم (٨)، وأحمد في المسند (١/ ٥٢ و٥٣)، وأبو داود رقم (٤٦٩٥)، والترمذيُّ رقم (٢٦١٠) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاريُّ رقم (٤٠٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا الثواب مقيَّدٌ فيما إذا صبر العبدُ، واسترجع وحمد الله جلَّ ذكره. وهذا الحديث وما تقدَّمه من مثله يدلُّ على أنَّ من كان أعمى في هذه الدُّنيا، وصبر، وجاهد؛ فإنَّه يبعث يوم القيامة بصيراً، وهذا لا ينافي ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] فإنه محمولٌ على عمى البصيرة، وكذلك لا يعارضُ خبر: «من مات على شيء بعثه الله عليه»[1] فالمراد من الأعمال الصالحة، والأحوال الطالحة.

١٩٣ ـ «يا جبريلُ! إنِّي خَلَقْتُ أَلْفَ أَلْفَ أمَّةٍ، لا تَعلمُ أمَّةٌ أني خلقْتُ سواها، لمْ أطلعْ عَليها اللَّوح المحْفُوظَ، وَلا صَريرَ القَلم، إنَّما أمْري لشَيْءٍ إذا أرَدْتُ أن أقُولَ لهُ كُنْ فيكُون، ولا يسْبِقُ الكافُ النونَ»[2]. رواه الديلميُّ عن ابن عمر.

ش ـ الأمة ـ بضم الأول، وتشديد الميم المفتوحة ـ يطلق على معانٍ كثيرةٍ تطلق على جماعة يجمعهم أمرٌ ما، إمَّا دينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ، سواءٌ كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً، أو اختياراً، وجمعها: أمم. وعلى النوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] أي: كل نوع منها على طريقةٍ قد سخرها الله عليها بالطبع، فهي من بين ناسجةٍ كالعنكبوت، وبانيةٍ كالسُّرْفة، ومدَّخرة كالنَّمل، ومعتمدةٍ على قوت وقته كالعصفور، والحمام إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصَّصَ بها كلُّ نوع. وعلى الصنف، ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: صنفاً واحداً، وعلى طريقة واحدة في الضلال، والكفر. وعلى الدين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] أي: على دينٍ مجتمعٍ. وعلى حين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: حين، وجمعه: أمم، وآم على وزن عام، والمراد بالأمة هنا: الطائفة متخالفة النَّوع، والجنس، وروى الحكيم الترمذيُّ، وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقيُّ في الشعب، وضعفه: «إن الله تعالى خلق ألف أمة: ستمئة منها في

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٣١٣) وصححه، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٥٢١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

البحر، وأربعمئة في البر، فأول هذه الأمم هلاكاً الجرادُ، فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل نظام السلك إذا انقطع»[1]. واللوح ـ بفتح اللام وسكون الواو ـ: واحد ألواح السفينة، وما يكتب فيه من الخشب وغيره، واللوح المحفوظ المشهور هو ما رُويَ عن ابن عباس ـ والعهدة على الراوي كما قال العلامة الآلوسي[2] في تفسيره (روح المعاني) المطبوع تحت إشرافنا ـ لوحٌ من درَّةٍ بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدرُّ والياقوت، ودفتاه ياقوتةٌ حمراء، وقلمه نورٌ، وهو معقودٌ بالعرش، وأصله في حجر مَلَكٍ يقال له: ساطريون، لله عزَّ وجلَّ كلَّ يومٍ ثلاثمئةٍ وستون لحظة يحيي، ويميت، ويعزُّ، ويذلُّ، ويفعل ما يشاء، وأنه كتب في صدره لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عزَّ وجلَّ، وصدَّق بوعده، واتَّبع رسله؛ أدخله الجنة. وقال مقاتل[3]: إنَّ اللوح المحفوظ عن يمين العرش. وجاء فيه أخبار غير ذلك، ونحن نؤمن به، ولا يلزمنا البحث عن ماهيته، وكيفية كتابته، ونحو ذلك. نعم نقول: إن ما يزعمه بعض الناس من أنه جوهر مجرد ليس في حيز، وأنه كالمرآة للصور العليا مخالفٌ لظواهر الشريعة، وليس له مستند من كتابٍ ولا سنَّةٍ أصلاً. انتهى بحروفه.

---

(١) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان رقم (١٠١٣٢ و١٠١٣٣ و١٠١٣٤). وفي إسناده محمد بن عيسى صاحب محمد بن المنكدر ضعيف منكر الحديث. من حديث عمر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) الآلوسي: هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي شهاب الدين أبو الثناء، مفسرٌ، محدِّثٌ، أديبٌ من المجدِّدين، من أهل بغداد. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. من كتبه: (روح المعاني) توفي رحمه الله (١٢٧٠)هـ.

(٣) مقاتل: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي. أبو الحسن: من أعلام المفسرين أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة. ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث. من كتبه: التفسير الكبير، ونوادر التفسير، ومتشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر. توفي رحمه الله (١٥٠)هـ.

وقال العلامة الراغب: وقوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢] فكيفيته تخفى علينا إلا بقدر ما رُوي لنا من الأخبار.

والصَّرير: الصوتُ، يقال: صرَّ القلمُ، والبابُ يصِرُّ بالكسر، صريراً: صَوَّت. والكاف، والنون حرفان من قولك: «كن».

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يخاطب جبريل، ويخبره عن عظمته جلَّ جلاله، وقدرته، وكثرة خلقه، ومخلوقاته، وتنوُّعها، وأنَّ كلَّ نوعٍ، وجنسٍ منها لا يعلم بخلق الآخر ولا صفاته، وأشكاله؛ لأنَّه ملك شاسعٌ، وعددٌ لا يَعْرِفُ حصرَهُ، لا أوله، ولا آخره إلا القادرُ العظيم، والمبدع الحكيم الذي حارت أولو النُّهى ببديعِ صنعه، وإتقان خلقه، وإعظام بدعه، وإحكامه، وأنه لم يطلع على إيجاده الأممَ وخلقَها اللوح المحفوظ؛ لأنه الذي يكتب فيه كلَّ شيءٍ، ولا صرير القلم الذي هو ألصق شيءٍ باللوح المحفوظ؛ لأنه المنفرد بالخلق، والإيجاد على الإطلاق، وسرعة تكوينه الشيء بلا تفكير، ومراجعة، ومشاورة، ومخابرة، بل إذا أراد كان، وإذا لم يرد لم يكن، وضرب مثلاً لسرعة إيجاده وخلقه «بكن» بدون سبق أحد الحرفين الآخر، وهذه نهايةُ السرعة التي لا توجد لغيره أيّاً كان جلَّ ذكره، وتعالت عظمته. فعلى العقلاء أن يخضعوا لعظمة الربِّ تعالى، وينقادوا لشريعته المحمَّدية، ويتحلوا بالصفات الدينية، ويتركوا التعصبات المزرية، والانتقادات الوهمية، والمشاغبات اللفظية، ويسمعوا قوله تعالى، ويستجيبوا له ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] اللهم اهد خلقك له وذلِّلْ لهم الصعاب!

١٩٤ ـ «يا دُنْيا! اخْدمي مَنْ خَدمني، واسْتخْدمي مَنْ خَدمكِ»[١]. رواه القضاعي عن ابن مسعود.

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٥٤)، والخطيب البغدادي (٨/ ٤٤) وقال: تفرد بروايته الحسين عن الفضيل وهو موضوع. ورجاله كلهم ثقات سوى الحسين بن داود. ولم يكن ثقة. وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣٦). نقول: . والحديث ضعيف من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٩٥ ـ «يا دُنْيا! مُرِّي على أوْليائي، لا تَحْلَوْلي لهُمْ؛ فتفتنيهم»[١]. رواه القضاعي عنه.

ش ـ الدُّنيا ـ بالضم ـ في اللغة: عبارة عن هذا العالم، من: دنا، يدنو: قرب، وسميت هذه الحياة بذلك لقربها، وبعد الآخرة منها، والسماء الدنيا لقربها من ساكني الأرض، وفسَّرها بعضُ العلماء بأنها ما حواهُ الليل والنهار، وأظلَّته السماءُ، وأقلته الأرض. وقوله: «اخدمي» أمرٌ من الخدمة يقال: خدمه، يخدِمه بالكسر، ويخدُمه بالضم، خِدمةً بكسر أوله، وخَدمة بفتح أوله، مهنه، وعمل له، فهو خادم يطلق على الذكر والأنثى، والخادمة بالهاء في المؤنث قليل، والجمع: خدم، وخدَّام، واستخدمه: اتخذه خادماً، وجعله يخدمه. وقوله في الحديث الثاني «مرِّي» أمرٌ من المرارة ضد الحلاوة يقال: مرَّ الشيء، يَمُرُّ ويَمَرُّ مرارةً من باب نصر، وعلم: صار مرّاً، وقوله: «لا تحلولي» من الحلاوة. يقال: حلا الشيء يحلو حلاوةً، فهو حلو، والأنثى حلوة، وحلا لي الشيءُ: إذا لذَّ. وقوله: «فتفتنيهم» من الفتنة، وهي الامتحان، والاختبار، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم، والكفر، والقتال، والضلال، والإحراق، والإزالة، والصَّرف عن الشيء، وجمعها: فتن.

وهي من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبلية، والمصيبة، والقتل، والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضدِّ ذلك، ولهذا يذمُّ الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ جلالُه يخاطب الدُّنيا لتنزيلها منزلة مَنْ يعقل، ويأمرها بأن تخدم مَنْ تفرَّغ لخدمة ربّه، واجتهد في العبادة، وأكثر من الخيرات، وتجنَّب المنهيات، وأكبَّ على الطاعات، بأن داوم على الصلوات الخمس في أوقاتها المحدودة لها شرعاً، وصام رمضان، وأخرج زكاة أمواله، وبدنه، وحجَّ البيت الحرام إذا استطاع إليه سبيلاً، وتقرَّب إلى الفقراء والمساكين، وتباعد عن أهل الشرور والفسوق، ودعا الناس إلى الله جلَّ ذكره سرّاً، وعلانية ما قدر على ذلك، وجعل أكبر

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٥٣) وفي إسناده الحسين بن داود ابن معاذ البلخي قال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

همِّه الآخرة، والعمل لها، ولا يجعل همَّه الدنيا، وزينتها، والتفاخر فيها بالمال، والأبناء، والنساء، والأحساب، إنما زينةُ الحياة الدنيا بلباس التقوى، وشرف العمل الصالح، والإحسان إلى نفسه، وأهله، وإخوانه، فمن جعل همَّه الدنيا ولذَّتها كان خادماً للدُّنيا، ومن أبنائها، وليس له حظ من الآخرة، فهو عبدُ درهمٍ ودينار. اللهم إنا نسألك التوفيق لعمل الآخرة!

وقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ، وأحاديثُ مشهورةٌ في كراهة الدُّنيا، وشهواتها، وزخارفها، والزهد فيها، والإقبال على الآخرة ونعيمها، والتمتع بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهاك بعض آيات التنزيل في وصف الدُّنيا، وذمِّ التعلُّق بها؛ لمصيرها إلى الفناء. قال الله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] وقال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقال عز وجل: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦] وقال عزَّ ذكره: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وقال عز وجل: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٩] وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤] وقال جلت عظمته: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦] وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] إلى غير ذلك.

ونورد لك بعض أحاديث نبوية وآثارَ سلفية لعلَّنا نتعظ بها، ونؤثر الآخرة على الأولى:

عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كانت الدنيا همَّه؛ فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب

له. ومَنْ كانت الآخرة نيَّته؛ جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدُّنيا وهي راغمة»[1] رواه ابن ماجه، ورواته ثقاتٌ، كما قال الحافظ المنذري. وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن انقطع إلى الله عزَّ وجل؛ كفاه الله كلَّ مؤنةٍ، ورزقه من حيث لا يحتسب. ومن انقطع إلى الدنيا؛ وكله الله إليها»[2] رواه أبو الشيخ ابن حبان، والبيهقيُّ من رواية الحسن عن عمران، واختلف في سماعه منه. وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «إن الله ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب»[3] رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد. ورُويَ عن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال: «ينادي منادٍ دعوا الدنيا لأهلها! دعوا الدنيا لأهلها! دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه؛ أخذ حتفه وهو لا يشعر»[4] رواه البزار وقال: لا يروي عن النَّبيِّ ﷺ إلا من هذا الوجه، «وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإنَّ الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٨٣)، وأبو داود رقم (٣٦٦٠)، وابن ماجه رقم (٢٣٠)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٨٨). والترمذي رقم (٢٦٥٦)، وابن حبان رقم (٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه البيهقي في الشعب رقم (١٠٧٦ و١٣٥١ و١٣٥٢). والطبراني في الصغير رقم (٣٢٢)، والخطيب في التاريخ (٧/ ١٩٦). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٣) وقال: رواه الطبراني في الصغير. وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل ضعيف. وبقية رجاله ثقات. من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه. أقول: الحسن لم يسمع من عمران رضي الله عنه فهو منقطع، ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٨). وصححه الحاكم. وقال في التلخيص: صحيح. وهو كما قالا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه البزار رقم (٣٦٩٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٤) وقال: رواه البزار وفيه هانىء بن المتوكل ضعيف. من حديث أنس رضي الله عنه. نقول: وإسناده ضعيف.

تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»[1] رواه مسلمٌ، والنَّسائي، وزاد: «فما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[2] واسمع قول رسول الله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل»[3] فالمؤمن لا ينبغي له أن يتَّخذَ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكونَ فيها كأنَّه على جناح سفر، يعني: جهازه الرحيل. وكان النبي ﷺ يقول: «مالي وللدنيا، وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكبٍ قال في ظلِّ شجرةٍ، ثم راح، وتركها»[4]، وكان عليُّ بنُ أبي طالب كرَّم الله وجهه يقول: إنَّ الدنيا قد ارتحلت مدبرةً، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلةً، ولكلٍّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل». وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إنَّ الدنيا ليست بدار قراركم، كتب الله عليها الفناء، وكتب الله على أهلها منها الظعن، فكم من عامرٍ موثق عن قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضرنكم من النقلة، وتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى. وقال الحسن البصري: المؤمن كالغريب لا يجزع مِنْ ذلِّها، ولا ينافس في عزِّها، له شأن وللناس شأن، لما خلق الله آدم عليه السلام أسكن هو وزوجته الجنة، ثم أهبط منها، ووعد الرجوع إليها وصالحي ذريتهما. فالمؤمن أبداً يحنُّ إلى وطنه الأول، وحبُّ الوطن من الإيمان كما قيل:

كم منزلٍ للمرء يألفهُ الفتى ... وحنينُه أبداً لأول منزل

والحديثان أخرجهما القضاعي كما قال المصنف، وقد تقدمت ترجمته، وكتابه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢)، ومسلم رقم (٢٧٤٢) في الرقاق من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في عشرة النساء رقم (١٥٩)، وابن ماجه رقم (٤٠٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد في السند (٢/ ٢٤)، والبخاريُّ رقم (٦٤١٦) في الرقاق وابن حبان رقم (٦٩٨)، والترمذي رقم (٢٣٣٣)، وابن ماجه رقم (٤١١٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه أحمد في المسند (١/ ٣١٠)، وابن حبان رقم (٦٣٥٢)، والحاكم (٤/ ٣٠٩ و٣١٠) وصححه ووافقه الذهبي. وهو كما قالا. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

المسند في المواعظ والآداب عشرة أجزاء في مجلدٍ واحدٍ أسند فيه كتاب الشهاب المذكور، وهو كتابٌ لطيفٌ له، جمع فيه أحاديث قصيرة من أحاديث الرسول ﷺ، وهي ألفُ حديثٍ ومئتان في الحِكَمِ والوصايا محذوفةَ الأسانيد، مرتبةً على الكلمات من غير تقيدٍ بحرف، ورتبه على الحروف المؤلف جامع هذا الكتاب، وأضاف إلى ذلك بيان المخرجين في مجلدٍ سمَّاه (إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب) ولا يخفى عليك حال الحديثين من قوةٍ وضعف. والله أعلم.

١٩٦ ـ «يا عِبادِي! أعْطيْتُكُمْ فَضْلاً، وسألْتُكم قرضاً، فمَنْ أعْطاني شَيئاً مِمَّا أعْطيتُه طَوْعاً؛ عجَّلْتُ لهُ في العاجِل، وادَّخرْتُ لهُ الآجلِ، ومَن أَخذْتُ منهُ ما أعْطَيتُه كُرْهاً، وصَبر، واحْتسَبَ؛ أَوْجبْتُ لهُ صِلاتِي، ورَحْمتي، وكَتبْتُه مِنَ المُهْتدينَ، وأبحْتُ لهُ النَّظرَ إليَّ»[1]. رواه الرافعيُّ عن أبي هريرة.

ش ـ الفضل: الزيادة، ويطلق على المال، والجاه، والقوة، والمسكنة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل: ٧١] وقوله تعالى: ﴿ لِتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٢] يعني: المال، وما يكتسب، والمراد به هنا: المال. دليله قوله في الحديث: «وسألتكم قرضاً» والقرض: القطع، قال الإمام الواحدي في تفسيره: القرض اسم لكلِّ ما يلتمس منه الجزاء يقال: أقرض فلانٌ فلاناً: إذا أعطاه ما يتجازاه منه. والاسم منه: القرض، وهو ما أعطيته لتكافأ عليه. هذا إجماع من أهل اللغة، والطَّوع: الإذعان، والانقياد، والاسم: الطاعة. والعاجل: ضد الآجل. والعجل، والعجلة: ضدُّ البطء، وقد تقدَّم تفسيره أيضاً، وأصل الادخار: اذتخار، يقال: تذخرته، وادخرته: إذا أعددته للعقبى. وصِلاتي ـ بكسر أوله ـ جمع صلة، وهي الجائزة، والعطيَّة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّت عظمتُه خاطب عباده، وأخبرهم أنَّه جلَّ ذكره أعطاهم، ومنحهم فضلاً مالاً، وسألهم قرضه؛ أي: إنفاقه، فمن أعطى الله شيئاً، وتصدَّق على الفقراء، والمساكين، وأعان المحتاج، وبنى المستشفيات، وأصلح الطرق، وتعاهد المساجد مما أعطاه الله طوعاً، لا كرهاً (يعني: عن طيب نفسٍ وإخلاص قلب) عجَّل الله له الخيرَ، والثوابَ في العاجل ـ أي: في حياته الدُّنيا ـ بأنْ

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ٦ ورقم (١٦١٩١) وقال: رواه الرافعي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سهَّل له طرق الخيرات، ووفقه لعمل الحسنات، ونجاه من الوقوع في المهلكات. وادَّخَر الله له أيضاً من الثواب العظيم ليوم القيامة يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ما لا يدخل تحت حصر. ومَنْ أخذ الله منه ما أعطاه، ومنحه إيَّاه في الحياة الدنيا كرهاً عنه، وصبر العبد على ذلك، واحتسب الله في ذلك وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فمن فعل ذلك؛ أوجبَ الله له صِلاته، وجوائزه، وعطياته، ورحمته في الدنيا والآخرة، وكتبه من المهتدين الذين هداهم الله لصالح الأعمال، ووفقهم لطاعتهم، ومنحهم رضوانه، وزيادة على ذلك: أباح لهم يوم القيامة النظر إلى وجهه عزَّ، وجلَّ. و«أقرض الله تعالى »مثلٌ لتقديم العمل الصَّالح الذي يستحقُّ به فعله الثواب، وهو تأنيسٌ، وتقريبٌ للناس بما يفهمونه ـ والله هو الغني الحميد ـ شبَّه إعطاء المؤمن ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبَّه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع، والشراء.

أخرج سعيد بن منصور، وابن سعد، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبرانيُّ، والبيهقيُّ في الشعب عن ابن مسعود قال: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح الأنصاريُّ: يا رسول الله! إنَّ الله ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله! فناوله يده. قال: فإنِّي قد أقرضتُ ربي حائطي، وله فيه ستمئة نخلة»[1].
فانظر إلى قوة يقين الصحابة، وشدة إيمانهم، ورحب صدورهم بما يسمعون من كلام الله جلَّ ذكره، ومبادرتهم إلى العمل به. اللهم وفقنا لذلك!

١٩٧ ـ «يا عِبادِي! كلُّكم ضالٌّ إلا مَنْ هَديْتُ، وضَعيفٌ إلاَّ مَنْ قوَّيتُ، وفَقيرٌ إلا مَنْ أغْنيْتُ، فاسْألوني أُعطِكمْ. فَلوْ أنَّ أوَّلَكمْ، وآخِرَكمْ، وإنْسَكمْ، وجنَّكمْ، وحيَّكم، وميِّتَكمْ، ورَطْبَكمْ، ويَابسَكُم، اجْتَمعُوا على قلْبِ أتْقى عبدٍ مِنْ عِبادي؛ ما زادَ في مُلْكي جَناحَ بعُوضةٍ، ولوْ أنَّ أوَّلَكم، وآخِرَكمْ، وإنْسَكُمْ، وجِنَّكُمْ، وحَيّكمْ، ومَيِّتَكمْ، ورَطْبَكمْ، ويَابِسكُمْ، اجْتَمعُوا على قَلْبِ أفْجَرِ عبْدٍ هُو لِي، ما نَقصَ منْ مُلْكي جَناحَ بعُوضةٍ، ذلكَ

---

(١) رواه البزار رقم (٩٤٤) و(٢١٩٥) والبيهقي في الشعب رقم (٣٤٥٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١١٣ و١١٤) وقال: رواه البزار، وفيه حميد بن عطاء الأعرج ضعيف. أقول: هو حديث حسن بطرقه وشواهده.

بأنِّي واحدٌ، عَذابي كلامٌ، ورَحمتي كلامٌ، فمَنْ أيْقَن بقُدرتي على المَغفرةِ؛ لمْ يتَعاظَمْ في نفْسٍ أنْ أغْفِر لهُ ذنُوبَه وإنْ كبُرتْ»[1]. رواه الطبرانيُّ في الكبير، والأوسط عن أبي موسى.

ش ـ تقدَّم الحديث بأطول من هذا مع اختلاف في الألفاظ، وزيادةٍ، ونقصٍ، وقد شرح شرحاً مطولاً، فارجع إليه.

١٩٨ ـ «يا عيسى! إنِّـي باعِـثٌ مِنْ بَعْـدِك أمـةً إنْ أصابَهـمْ مـا يُحبُّـون؛ حَمِـدُوا؛ وشَـكَرُوا. وإنْ أصابَهـمْ ما يكْـرَهون؛ احْتَسبـوا وصَـبَروا، ولا حِلْـمَ، ولا عِلْمَ. قالَ: يا ربِّ! كيْـفَ يكُونُ هذا لهُمْ، وَلا حِلْمَ، ولا عِلْمَ؟! قالَ: أعْطيهمْ من حِلْمي، وعِلْمي»[2]. رواه أحمد. والطبرانيُّ في الكبير والأوسط، والحكيم، وأبو نعيم، والحاكم، والبيهقيُّ عن أبي الدَّرداء.

ش ـ عيسى عليه السلام هو أحدُ الرسل أولي العزيمة، وعبد الله، وكلمته ألقاها

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٧١٦٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٠) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه عبد الملك بن عنترة وهو مجمع على ضعفه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه نقول: وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٥٠). والبزار رقم (٢٨٤٥)، وقال البزار: لا نعلم رواه من الصحابة إلا أبو الدَّرداء. ومعاوية، ويونس شاميَّان عابدان، ثقتان. وإسناده حسن. والحاكم (١/ ٣٤٨) وصححه، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٧)، والديلميُّ في مسند الفردوس (٤٥٢٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٧) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن سوار، وأبي حَلْبَس: يزيد بن ميسرة، وهما ثقتان. أقول: والحسن بن سوار وثقه أحمد، وأبو إسماعيل الترمذي، وابن سعد، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال الذهبي في الميزان: ثقة. وأبو حَلْبس يزيد بن ميسرة الدمشقي ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل كما ترجم له البخاري في التاريخ الكبير. ولم يذكرا فيه جرحاً. وذكره ابن حبان في الثقات. فالحديث حسنٌ إن شاء الله.

إلى مريم، وروح منه، وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل، كما أنَّ آخر الرسل والأنبياء من بني الإنسان جميعاً محمدٌ رسولُ الله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذكر اسمه في القرآن بلفظ المسيح تارةً، وهو لقبٌ له، وبلفظ عيسى، وهو اسمه العَلَمِيُّ، وهو بالعبرية ـ يسوع ـ أي: المخلص؛ إشارةً إلى أنَّه سببٌ لتخليص كثيرين من آثامهم، وضلالهم، وبكنيته ـ ابن مريم ـ تارةً أخرى، وذُكِرَ في القرآن كثيراً في ثلاثَ عشرةَ سورة، والنَّصارى إذا ذكروا نسبَ المسيحِ؛ فإنَّما يذكرون نسب يوسف النجار؛ بناءً على أنَّ المسيح كان يُدْعى: يسوع بن يوسف النَّجار، واختلف المسيحيون في نسب المسيح؛ الذي هو نسب يوسف النجار اختلافاً ظاهراً لا مفرَّ للمطَّلع عليه من الحكم بتناقض كلٍّ من إنجيل متَّى ولوقا في ذلك النسب، وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الإنجيل، وانظر كتاب قصص الأنبياء للأستاذ عبد الوهاب النجار، واخترتُ أن أذكر ترجمة نبيِّ الله عيسى عليه السلام من كتاب قصص الأنبياء لصديقنا الحميم الأستاذ عبد الوهاب النجار مختصرةً، فأقول: فنسبه ذُكِرَ في التوراة، والإنجيل: أنه ابن يوسف النجار، وينتهي إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم مع اختلاف كثيرٍ ظاهرٍ في الأناجيل الموجودة بأيدينا ومن أراد تحقيق ذلك فلينظرها، وأبو مريم عليها السلام كان اسمه: عمران، وكان رجلاً عظيماً بين العلماء في بني إسرائيل، وقد حملت زوجه فلما أحسَّت بالحمل؛ نذرت ما في بطنها محرَّراً لله لخدمة بيته على ما كانت عليه العادة عند بني إسرائيل، فلما وضَعَتْ تبيَّنتْ أنَّ الجنين الذي انفصل منها أنثى، وكانت ترجو أن يكون ذكراً؛ ليخدم في بيت الله، فتوجَّهتْ إلى الله تعالى كالمعتذرة، أو الآسفة قائلة: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦] ولكن الله تقبَّل تلك المولودة بقبولٍ حسنٍ، وأنبتها نباتاً حسناً.

والظاهر من الآيات: أنَّ عمران والد مريم قد توفي على أثر ولادة بنته، لذلك كانت صغيرةً تحتاج إلى من يكفلها، ويقوم بشأنها، فلما قدَّمتها أمُّها إلى رعاة الهيكل؛ اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها، وألقوا على ذلك قرعةً، فكان الكافل لها زكريا، والد يحيى عليهما السلام، وزوج خالة مريم، وكان الله تبارك وتعالى يُكْرِمُ مريمَ، ويجعل لها الخوارق للعادات إعلاءً لشأنها، وتعظيماً لأمرها، ففي أثناء رعاية زكريا لها كان يجد عندها رزقاً من رزق الله لم يأتها به، ولا وجود له عند الناس في ذاك الوقت، فيسألها قائلاً لها، ومخاطباً: ﴿ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: ٣٧] كما حكاه القرآن

الحكيم، فتجيبه قائلة: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكانت ملائكة الله تعالى تأتي إلى مريم عليها السلام، وتخبرها باصطفاء الله تعالى، واجتبائه إيَّاها، وتطهيرها من الأرجاس، والأدناس، وتحثُّها على الاجتهاد في العبادة، والقنوت لله، هكذا نشأت مريم على الطهارة، والبعد عن كلِّ دنسٍ، ودامت على ذلك. اقرأ قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤] الآيات، وليس عند أهل الكتاب كلامٌ في ولادة مريم، وكفالة زكريا إيَّاها، ولا نذرها، فمن ذلك نعلم أنَّ مريم عليها السلام نشأتْ نشأةَ طهرٍ، وبعدٍ عن الإسفاف، والرذيلة، مكلوءةً بعناية الله، محروسةً بحراسته، فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتاً في خلوةٍ وحدها، فلم تَرُعْ إلا بالملك جبريل الذي أرسله الله إليها، جاءها على صورة فتى، فأخذها الرُّعب، وظنَّته يريدُ بها سوءاً، فاستعاذت منه، ووصفته بعدم التَّقوى قائلة: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٨] على أنَّ «إن» نافية، فأعلمها: أنه مرسلٌ من الله تعالى؛ ليهبَ لها غلاماً زكياً، فأخذها العجبُ من ذلك؛ إذ كيف يكون لها ولدٌ، وهي لم يمسَّها أحدٌ من الناس؟! فهوَّن عليها الأمر، وأحال على قدرة الله تعالى، وهو الإله الذي لا يعجزه شيء، ونفخ في جيب درعها؛ فإذا هي حامل، وكان فيما أخبرها الملك به: أنَّ ابنها يسمَّى المسيح عيسى ابن مريم، وأنَّه يكون وجيهاً في الدنيا، والآخرة، وأنَّه يكون من المقربين، وأنَّه يكلِّم الناس في المهد، وكهلاً؛ للإشارة إلى أنَّه يكلمهم في المهد بكلام إنما يصدر مثله ممن كان كهلاً، وأنَّ الله تعالى سيعلِّمه الكتابَ، والحكمةَ، والتوراةَ، ويعطيه الإنجيل ـ أي: البشارة ـ وأنَّه سيكون آيةً للناس على قدرة الله تعالى، ورحمةً لعباده؛ إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أوحال يرتكسون فيها؛ إذ كان اليهود قد صاروا إلى الماديَّة، وتجاوزوا حدود الله، ولم يراعوا كتابه، فأحلوا حرامه، وحرَّموا حلاله، فجاء لهدايتهم، وردِّهم عن ضلالهم، وكتَّابُ الأناجيل لم يتكلَّم أحدٌ منهم على تبشير مريم بولادة عيسى سوى لوقا.

وهكذا شأن اليهود في كلِّ عصرٍ، فلا يصدرُ عنهم إلا كلُّ شرٍّ، وخبثٍ. وطالع كتب التاريخ، وانظر ما فعلوا بالرسولِ الأمين محمد ﷺ، وكم عفا عنهم، وتجاوز عن خطئهم، وهم مصرُّون على الإيذاء، وإيصال كلِّ شر إليه عليه السلام، ولا يخفى على العالم أجمع: أنَّ هذه الحرب الضارسة ما أقامها، وأصلى نارها وزجَّ الأممَ كلَّها فيها إلا اليهود لعنهم الله على لسان كلِّ إنسانٍ، وخذلهم اللهُ في كلِّ مكانٍ، وزمان، نسأل الله

أن يقصر من أجل هذه الحرب التي ابتدأت سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة! ونحن الآن نسطِّر هذه الحروف يوم الأربعاء حادي عشر المحرَّم سنة إحدى وستين وثلثمئة[1]، نسأل الله السلامة!

حملت مريمُ عليها السلام بالمسيح عيسى عليه السلام بمجرَّد نفخ الملك في جيبها، وطَبَعِيٌّ أنَّها قد مرَّت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته، والقرآن الحكيم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئاً؛ واختلف العلماء في مدَّة الحمل؛ فقيل: سبعة أشهر، وقيل: ستة، وقيل: ثمانية، ولم يعش مولود وضع لثمانيةٍ غيره، وقيل: ساعة، كما حملته نبذته. والله أعلم. ولما حان انفصالُ جنين مريم ألجأها المخاضُ إلى جذع نخلةٍ هناك في الموضع الذي فيه مدينة بيت لحم، وهي على بضعة الكيلو مترات من بيت المقدس، والبيضاوي رحمه الله تعالى يقول: إنَّ زمن الولادة كان في الشتاء، والنخلة يابسة، وإنما مجيئها إليها لتستتر بها، أو لتعتمد عليها.

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هي قادمةٌ عليه من لوم اللائمين من قومها، وما سيرمونها به من الفاحشة، فقالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ بالكسر والفتح: ﴿مَّنسِيّٗا﴾[مريم: ٢٣] وهو اللبن المشوب بالماء، يتركُ وينسى لحقارته ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ منادٍ ﴿مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم: ٢٤] قيل: المنادي جبريل كان في مكان أسفل من مكانها، وقيل: المنادي هو عيسى عليه السلام. والسَّرِيُّ: هو النهر، وقيل: الوجيه من الناس، ويؤكد كونه نهراً قوله بعد ذلك ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [مريم: ٢٥ ـ ٢٦] وقد أراد الله بهذا أنْ يُسكِّنَ روعها، وتعلم أنَّ مَنْ أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة في الشتاء، وأوجد لها الماء الجاري في تلك الهضبة التي كانت عليها من الجبل قادرٌ أن يردَّ لها عيب العائبين، وقذف القاذفين ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [مريم: ٢٦] ولا يحزنك ما يقولون فإذا رأيت من البشر أحداً ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ عن الكلام ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٦] وفي ذلك الحين يتولَّى الله تعالى البرهنة على براءتها، وهنا لقائل أن يقول: كيف يصحُّ أن يولد إنسان بدون مباشرة الرَّجل للمرأة؟ فالجواب: أنَّ هذا صنعُ الإله القادر؛ الذي يأتي بالعجب العجاب؛ لأنَّ الله أوجد آدم من غير أبٍ، ولا أمٍّ، فهو أقدرُ على إيجاد إنسان بدون أبٍ فقط، وليس هذا بأعجب من خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب، كلُّ ذلك ناطقٌ بأنَّه صنعُ

---

(١) الموافق لـ ٢٨/ ١/ ١٩٤٢.

حكيم عليم قادرٍ، قدرتُه فائقةُ الوصف. والله يقول في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] ولم يتكلمْ من أصحاب الأناجيل عن الحمل بالمسيح سوى متَّى، ولوقا، وعبارة متَّى مختصرة.

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشيء الذي يطمئن به نفسها، بل أخذت الهواجس تنتابها، وتحسب لما سيقول الناسُ عنها ألف حساب، ولقد زادت وساوسُها حين أخذها المخاضُ، ورأت ما سيحسبه الناس جريمةً لها ماثلاً أمام عينها، فقالت ما قصه الله تعالى عنها في كتابه العزيز: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣] الآية، ولكنها كانت تريد الجواب الذي تجيب به لوَّامها، والمعيِّرين لها، فقال لها معلماً، ومرشداً: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] ـ وكان الصَّوم عن الكلام ضرباً من العبادة، كما يفعله اليوم في عصرنا الحاضر بعض الزعماء، كغاندي ـ فلما أتت قومها، وعلى يدها شيء تحمله ارتاعوا لهذا الحادث النازل، وزاد في ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت، وطيب البيئة، ونشأة التَّقوى التي نشأتها، فأخرجهم ذلك إلى تعنيفها على ما أتت به من إثمٍ في زعمهم، وقالوا لها فيما قالوا: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧] أي: بديعاً، منكراً من الإثم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] وهي ليست أخت هارون في النسب بل كانت أخته في العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى. فلما سمعت مريم هذا القول، وهي قد نذرت الصَّمت، فأشارت إلى ابنها، وهو في المهد طالبةً إليهم أن يوجهوا إليه كلامهم، فعدُّوا ذلك منها غريباً، وقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] فلم يُمهلهمْ عيسى عليه السلام أنْ أجابهم الجواب الشافي الدَّالَّ على براءة أمِّه، والمؤذنَ بأنَّه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب، وأنه سيجعله نبياً، ويبارك فيه أينما توجه، وأنَّ الله أوصاه بالصَّلاة والزكاة مدَّة حياته، وأنَّه سيكون برّاً بوالدته، وسيكون عبداً متواضعاً، لا جباراً شقياً ـ اقرأ ذكر ذلك في سورة مريم ـ وهل مرَّ حادثُ حمل مريم بين اليهود دون أن يطلبوا محاكمتها؟ ولا يعقل أنَّهم صدقوها في دعواها: أنَّ ذلك حصل بفعل الله! وقد سكتت الأناجيلُ عن ذلك، وإنَّما ذكره القرآنُ الحكيم فقط، والظاهر من عبارة القرآن أنَّهم رموها بالزنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

ولما وُلِد عيسى عليه السلام خُتِن بعد ثمانية أيامٍ من ولادته كما ذكر في إنجيل لوقا، وحكاية المجوس، وعيسى عليه السلام مذكورةٌ في إنجيل برنابا، فارجع إليه.

وذهابُ يوسفَ ومريمَ بالمسيح إلى مصر مذكورٌ في إنجيل برنابا أيضاً، وهو مترجمٌ بالعربية، ومطبوعٌ في مصر، ولم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن المسيح عيسى عليه السلام أيام صِباه بعد كلامه في المهد، ولم يتكلَّم في ذلك سوى لوقا من بين الأناجيل الأربعة، وذكرها أيضاً برنابا في إنجيله في الفصل التاسع، فارجع إليه.

من مجموع ذلك نفهم: أنَّ المسيحَ عليه السلام نشأ نشأةً محمودةً لا غبار غليها، وأنه كان غيوراً على الدِّين منذ صغره، حريصاً على تفهُّم حكمه، وأسراره، غيوراً عليه، وأنَّه كان يختلس من وقته ما يقوِّي به معارفه، ويثبتُ به علمه، ويجالسُ العلماء، ويناقشُهم، ويسائلهم، ويجيبُهم، فالبيئة التي تمرَّس بها في صباه وشبابه بيئةُ علمٍ، وحكمةٍ، ودينٍ إلى أن جاءته النبوة، والقرآن الحكيم لم يذكر متى كان ابتداءُ نُبّوة عيسى، ولا كيف كان ذلك، وأصحاب الأناجيل الأربعة، وبرنابا ذكروا ذلك. وعبارتُهم تدلُّ على أن المسيح عليه السلام نُبِّيء على رأس ثلاثين سنة، وأن الله تعالى أعطى المسيح الإنجيل، وأنه كتاب تضمَّن الهدى، والنور، وقد أهاب ببني إسرائيل أن يرجعوا إلى الله ويعبدوه، وأنبأهم بأحداث مستقبلة، وبشَّرهم باقتراب زمن النبيِّ الذي وُعِدَ بنو إسرائيل بأن يبعثه الله، وعلى يده يكون بعث شريعةٍ جديدةٍ، وأنه يكون موسى صاحب شريعة مستقلة، وفيه وصفه، ووصف أتباعه قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤] وقال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات المتفرقات في سورٍ كثيرة تبيِّنُ أنَّ المسيح عليه السلام جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل، ولكنَّ الناس على مرِّ الزمان تركوا ذلك الإنجيل، وترتَّب على ذلك ضياعُه، واستمسكوا بكتبٍ ألَّف بعضها تلاميذُ المسيح، وبعضَها تلاميذُ تلاميذه، أو مَنْ بعدهم، وقد كثرت الأناجيل كثرةً فاحشةً حتى أربت على المئة، وانظروا فيما تقدَّم عن بولس تجدوا ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يُحوِّلون الإنجيل عن مجراه، ومعلومٌ أنَّ الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها، وأقرَّتِ الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من انقطاع السند، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقي، أو المترجم، ومبلغ أمانته على الدِّين، وحرصه على الصِّدق، وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقي المفضي إلى أنَّ أحد الأقوال صادقٌ، وما عداه كاذب.

جاءهم نبيٌّ الله عيسى عليه السلام بمعجزاتٍ تدلُّ على صدقه، وأنَّ ما يدَّعيه حقٌّ. والمعجزة: أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقاً لهم، كأنَّه بخرق العادة يقول لعباده المرسل إليهم: صدق عبدي فيما يُبلِّغُ عنِّي، من ذلك:

أنه يبرىء الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وأنه ينبئهم بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيها فيكون طيراً بإذن الله، وبيَّن لهم: أنَّ هذه الآيات كافيةٌ في صدقه، وحملهم على الإيمان له، وبيَّن لهم: أنه مصدِّقٌ مؤمنٌ بما فيها، حاثٌّ على اتباعها، وأنه يحل لهم بعض ما حرم عليهم، فانقسم الناس في أمره بين مصدِّقٍ ومكذب، ومقبل عليه ونافرٍ فيه ـ اقرأ ما ورد في سورة آل عمران، والمائدة، والزخرف ـ وكذلك جاءت هذه المعجزاتُ في كتب الإنجيل، ولقد كانت هذه الخوارق سبباً لافتتان فريق من الناس به، حتى وصفوه بأنه ابنُ الله على معنى النبوة الحقيقية، وآخرون قالوا: إنَّه الله، حتَّى عُبِدَ، وتكلَّف قومٌ لعباده ضروباً من المسوغات يرفضها العقلُ، ويمقتها العلمُ.

وبعد أن قام بين ظهرانيهم يدعو قومه إلى عبادة الله وحدَه، وأنَّه رسولٌ من عنده، ويقيم لهم البراهين، والمعجزات على صدقه، حتى شاع أمره، وانتشرت دعوتُه، وتزعَّم، فأحرج مكانة الكهنة، والقديسين، وبتعليمه، وتجريحه إياهم في طريقتهم، وفضح رياءهم، وخبثهم، فأخرجهم ذلك إلى الكيد له، والتدبير لقتله، هذا ثمرةُ هديه لهم، ومجيئه بما ينقذهم من عذاب يوم القيامة.

فلما اختمر هذا الأمر في أنفسهم شكوا أمره إلى الوالي طبعاً، وزينوا شكواهم بما يستدعي اهتمام الوالي بأن ادَّعوا عليه: أنه يقول: إنه مَلِكُ اليهود، وأنَّهم لا يُقِرُّون بملك سوى قيصر رومية، فأرسل الوالي جنداً للقبض على المسيح عيسى ابن مريم، فلما أتوا، ولم يبق إلا القبض عليه، والمسيح قد اهتم لهذا الأمر، وخشي أن ينالوه بالأذى، أنقذه الله من أيديهم، وطهَّره منهم، وألقى شبهه على شخص آخر علم فيما بعد: أنه تلميذه الخائن، وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الأسخريوطي، وصار بحيث أن كلَّ من رآه لا يشكُّ في أنَّه يسوع، فَأُخِذَ، وصُلِبَ، وقُتِلَ، ونجا المسيحُ مِنْ شرِّهم، وقد أعلم اللهُ تعالى المسيح بما سيتمُّ، وشاع في الناس أنَّ يسوعَ الناصري قُتِل بعد أن صُلِبَ. وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبِّه لهم ذلك، بل رفعه الله إليه بروحه، وجسده حيّاً إلى السماء، وهو مذهبُ جمهور المسلمين. والله أعلم.

وقوله: «باعث» أي: مرسل، والأمَّة: تقدم تفسيرها قريباً، والحبُّ، والحمدُ، والشُّكر، والصَّبر، والاحتساب تقدَّم الكلام عليها غير مرَّة في غير حديثٍ، فلا حاجة للإعادة. وقوله: «ولا حلم ولا علم» الحلم: تقدم الكلام عليه في شرح الحديث (١١٦)، ولا بأس من التوسُّع في الكلام عليه؛ لأنه من أحسن صفات الإنسان، وأكملها. عُرِّفَ الحلم بأنه ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، وجمعه: أحلام،

وقيل: الحلم: تجرع الغيظ، وقيل: دعامة العقل. وقال الأفوه الأودي: الحلم: محجزة عن الغيظ. وقالت الفلاسفة: الحلم فضيلة النفس يكسبها الطمأنينة؛ لا يحركها الغضب بسهولة وسرعة، والحليم: المنشرح صدره لمساوىء الخَلْقِ، وسوء سيرتهم، والعلم أميز صفة في الإنسان، بها ينفي صفة الجهل، وهو إدراك الشيء بحقيقته، وقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ متواترةٌ في فضل العلم وأهله ذكرتها في كتابي (نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية) فارجع إليه، فإنه أنفسُ ما كتب في بابه.

والمعنى: أنَّ الله جلَّتْ عظمتُه يخاطب نبيَّه عيسى عليه السلام، ويخبره: أنَّه باعثٌ ومرسلٌ من بعده أمةً غير أمته، وهي أمَّةُ محمدٍ رسول الله ﷺ، وهي خيرُ أمَّةٍ، من أوصافها الجميلة، ومزاياها الباهرة: إن أصابهم ما يحبُّون؛ حمدوا الله، وأثنوا عليه بما هو أهله، وشكروه على ذلك، وإن أصابهم ما يكرهونه؛ تلقَّوه بالصبر والاحتساب، والحالُ أنْ ليس لهم حلمٌ، ولا علمٌ مكتسبان يبعثان على ذلك. قال العلامةُ الطيبيُّ طيَّب الله ثراه: قوله: «ولا حلم ولا علم» تأكيدٌ لمفهوم: صبروا، واحتسبوا؛ لأن معنى الاحتساب أن يبعثه على العلم الصَّالح الإخلاص، وابتغاء مرضاة الربِّ، لا الحلم، ولا العلم، فحينئذ يتوجَّه عليه أنه كيف يصبر ويحتسب مَنْ لا علم له ولا حلم؟ فيقال: إذا أعطاه الله من حلمه يتحلَّمُ، ويتعلَّمُ بحلم الله وعلمه، وفي وضع العلم موضع العقل إشارةٌ إلى عدم جواز نسبة العقل، وهي القوة المتهيئة لقبول العلم إلى الله تعالى عن صفات المخلوقين. وقال الحكيم الترمذيُّ: هذه أمَّةٌ مختصةٌ بالوسائل من بين الأمم، محبوةٌ بالكرامات، مقربةٌ بالهدايات، محفوظةٌ بالولايات، تولَّى الله هدايتهم، وتأديبهم يسمَّون في التوراة: صفوة الرحمن، وفي الإنجيل: حلماءُ، علماءُ، أبرارُ، أتقياء، كأنَّهم من الفقه أنبياء، وفي القرآن: أمةً وسطاً، وخيرَ أمةٍ أخرجت للناس. وقال المصنف في شرح (الجامع الصغير)، قوله: «صبروا واحتسبوا» الاحتساب: أن يرى ذلك الشيء الذي أخذه الله، وإن كان صبره باسمه؛ فالأصل لله، وقوله: صبروا؛ أي: ثبتوا، فلم يزلْ أحدُهم عن مقامه بزوال ذلك الشيء عنه؛ فإنَّ المؤمن يقول: إنا لله، وها أنا بين يديه في طاعته، ونعمه عليَّ سابغةٌ، فإذا امتحنه، فأزال عنه؛ زال عن مقامه ذلك طلباً لتلك النعمة التي زالت؛ فليس هذا ثباتاً. وقوله: «ولا حلم ولا علم» كأنه يخبر أنه تعالى قدر حلماً وعلماً لخلقه يتحالمون به بينهم، ويعلمون، فبذلك الحلم

والعلم يتخلقون. وفي حديث «إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم»[1] وكانت هذه الأمة آخرَ الأمم، فرق ذلك فيهم، ورقَّ، فلو تركهم على رقَّة تلك الأخلاق، ورقَّة تلك الحلوم، وقلة العلم؛ لم ينالوا من الخير إلا قليلاً، ولم يزل الناس ينقصون من الخلق والرزق والعمر من زمن نوحٍ، فكان أحدهم يعمر ألف سنة وطوله ستون ذراعاً، والرمانة يقعدُ في قشرتها عشرةُ رجالٍ، فلم تزل تنقص إلى الآن. فانظر كم بين الخلقين، والعمرين؟!

١٩٩ ـ «يا مُحمَّدُ! إنَّ أمَّتكَ لا يَزالونَ يقُولونَ: ما كذا؟ ما كذا؟ حتَّى يقُولوا: هذا اللهُ خَلقَ الخَلْقَ، فمَنْ خَلقَ اللهَ؟»[2]. رواه أحمد، ومسلم، وأبو عوانة عن أنس.

ش ـ قوله: «ما كذا؟ ما كذا؟» يعني: يسألون كثيراً عن كلِّ ما يخطر ببالهم، ويوسوس لهم الشيطان، فيسألون كيف هو؟ ومن أي شيءٍ هو؟ وغير ذلك مما يوجب الوقوع في الحيرة، والشكِّ.

وأبو عوانة: هو الحافظ الثقة الكبير يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفرائيني النيسابوري الأصل صاحبُ الصحيح المسند المخرَّج على صحيح مسلم، وله فيه زيادات عدَّة، وهو أول من أدخل كتب الشافعي ومذهبه إلى إسفرائين. توفي سنة ست عشرة وثلاثمئة بإسفرائين.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يخاطب نبيَّه، ويخبره: أنَّ أمَّة محمد عليه الصلاة والسلام لا يزالون يسألون أنفسهم، ويستفهمون، ويكثرون من الأسئلة، ويقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ أي: ما الشيء الفلانيُّ؟ وما هذا الأمر؟ وما حقيقته؟ وكيف هو؟ وأي شيءٍ هو؟ حتى يجرَّهم ذلك إلى أن يقولوا: هذا الله الربُّ الخالقُ خلق الخلقَ، وأوجد العالم على هذا النظام البديع، فمن خلقه، وأوجده؟ وهذا يدلُّ دلالةً واضحةً على ذمِّ كثرة السؤال، وتنوُّع الاستفهام، وأن ليس ممدوحاً أنَّ كل ما خطر ببالك، وحضر بفكرك تسألُ عنه؛ لأنَّ الشيطانَ يوسوسُ للإنسان، ولا سيَّما إذا كان

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٨٧) ورقم (٣٦٧٢) والبزار رقم (٣٥٦٢) والبغوي رقم (٢٠٣٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وإسناده ضعيف، والصحيح موقوف.

(٢) رواه البخاري رقم (٧٢٩٦) في الاعتصام. ومسلم رقم (١٣٦) من حديثاً أنسٍ رضي الله عنه.

لا يقدر عليه من جهات أخرى؛ لتحصينه منه، فيأتيه من هذه الجهة ويورد له ذلك حتى يوقعه في الحيرة، ويتركه متردداً في عقيدته شاكّاً في ربّه، وخالقه، وقد أوضح هذا الحديث أحاديث أخرى في هذا الباب، فإذا حصل لأحدنا ذلك؛ فليقل: آمنت بالله جلَّ ذكرُه.

وهاك ما جاء في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: «جاء ناسٌ من أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظمُ أحدنا أن يتكلَّم به! قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريحُ الإيمان»[1]. وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ولا يزال الناسُ يتساءلون حتى يقالَ هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنتُ بالله»[2]. وعنه أيضاً: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: يأتي الشيطان أحَدكم فيقول: مَنْ خلق السماء؟ مَنْ خلق الأرض؟ فيقول: الله. ثم ذكر بمثله، وزاد «ورسله»[3] وعنه أيضاً قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناسٌ من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة! هذا الله! فمن خلق الله؟ قال فأخذ حصى بكفِّه، فرماهم، ثم قال: قوموا صَدَقَ خليلي»[4] وعنه أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «ليسألنَّكم الناسُ عن كل شيءٍ حتى يقولوا: الله خلق كلَّ شيء، فمن خلقه؟»[5] والحديث الذي ذكره المصنف من الروايات المختصرة يوضحه أحاديثُ الباب.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح هذه الأحاديث: أمَّا معاني الأحاديث وفقهها: قوله ﷺ: «ذلك صريح الإيمان» و«محض الإيمان» معناه: استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإنَّ استعظام هذا، وشدةَ الخوف منه، ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده؛ إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً، وانتفت عنه الريبةُ

---

(١) رواه مسلم رقم (١٣٢) في الإيمان باب بيان الوسوسة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم رقم (١٣٤ و٢١٢) في الإيمان باب بيان الوسوسة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم رقم (١٣٤ و٢١٣) في الإيمان باب بيان الوسوسة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم رقم (١٣٥ و٢١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) رواه مسلم رقم (١٣٥ و٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والشكوكُ. واعلم أنَّ الرواية الثانية، وإن لم يكن فيها ذكر الاستعظام، فهو مرادٌ، وهي مختصرة من الرواية الأولى، ولهذا قدَّم مسلم رحمه الله تعالى الرواية الأولى. وقيل: معناه: أنَّ الشيطان إنما يوسوس لمن أيس مِنْ إغوائه، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر: فإنَّه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد. فعلى هذا معنى الحديث: سببُ الوسوسة محضُ الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان. وهذا القول اختيار القاضي عياض. وأما قوله ﷺ: «فمن وجد ذلك؛ فليقل: آمنت بالله» وفي الرواية الأخرى: «فَلْيَسْتَعِذْ بالله وَلْيَنْتَهِ» فمعناه: الإعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه، قال الإمام المازري[1] رحمه الله تعالى: ظاهر الحديث: أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها، والردِّ لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها. قال: والذي يقال في هذا المعنى: أن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة، ولا اجتلبتها شبهة طرأت: فهي التي تدفع بالإعراض عنها، وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنَّه لما كان أمراً طارئاً بغير أصلٍ دفع بغير نظر في دليل؛ إذ لا أصل له ينظر فيه. وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنَّها لا تدفع إلا بالاستدلال، والنظر في إبطالها. والله أعلم.

٢٠٠ ـ «يا مُحمَّدُ! مَنْ آمنَ بي، ولمْ يُؤمِنْ بالْقدَرِ خيْرِه وشرِّه؛ فلْيلْتمِسْ ربّاً غَيْري»[2]. رواه الشيرازي.

ش ـ تقدَّم الحديث بلفظ: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبرْ على بلائي؛ فليلتمس رباً سواي»، والإيمان ذكر غير مرَّة، وقد تقدَّم الكلامُ عليه. والالتماس: الطلب بلينٍ، يقال: التمسَ الشيء من فلانٍ: طلبه بلين، والربُّ: تقدَّم تفسيره.

والشيرازيُّ هو الحافظ الإمام الجوَّال، أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الفارسي صاحبُ كتاب (الألقاب) المتوفى سنة ٤٠٧ أو ٤١١ هـ.

---

(١) المازري: هو محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، مصنف كتاب: «المعلم بفوائد شرح مسلم». توفي سنة (٥٣٦)هـ. رحمه الله تعالى.

(٢) رواه الشيرازي في الألقاب، من حديث عليٍّ رضي الله عنه. وفي إسناده محمد بن عكاشة الكرماني قال الدارقطني كان يضع الحديث. فالحديث ضعيف.

والمعنى والله أعلم: أنَّ الله تبارك وتعالى يخاطبُ نبيَّه محمداً عليه الصلاة والسلام، ويخبره: أنَّ من آمن به عزَّ، وجلَّ، ولم يؤمنْ بالقدر خيرِه وشرِّه؛ فليطلبْ ربّاً غيره تعالى. أفاد: أنَّ الإيمان والتصديق بوجود الله جلَّ ذكرُه، والانقياد لأوامره لا يكفي لمن لا يؤمن بقدر الله خيرِه وشرِّه، بل هما متلازمان، فالإيمان يجب بكلٍّ منهما، وقد أطلنا الكلام في القدر والقضاء، فارجع إليه. قال الغزالي: كأنه يقول: هذا لا يرضانا ربّاً حتى سخط، فليتخذْ ربّاً آخر يرضاه. وهذا غاية الوعيد، والتهديد لمن عقل، ولمن صدَّق، ولقد صدق من قال: إذ سئل ما العبودية والربوبية؟ فقال: الربُّ يقضي والعبد يصبر، وليس في السُّخط إلا الهمُّ والضَّجر في الحال، والوزر، والعقوبة في المآل بلا فائدة؛ إذ القضاء نافذٌ، فلا ينصرف بالهلَعِ، والجزَعِ، كما قيل:

ما قَدْ قُضي يا نفسُ فاصبري له ... ولكِ الأمانُ مِنَ الذي لم يُقَدَّر

وتيقَّني أنَّ المقدَّر كائنٌ ... حتمٌ عليكِ صبرتِ أو لم تصبري

فَمَنْ ترك التسليم لقضاء الله وقدره؛ فقد جمع على نفسه ذهاب ما أصيب به وذهاب ثواب الصابرين، فهو خسرانٌ مبين، ومَنْ رضي بمكروه القضاء والقدر تلذَّذَ بالبلاء، ونالَ ثواب الصابرين، ومَنْ علم مِنْ نفسه العجزَ فليستعذْ بالله من حمله مالا يطيق، وليقل كما علمه ربنا: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ويسأل المعافاة، ويستعين بالله على قضائه وقدره، ونعم المولى، ونعم النصير.

(فإن قيل) الشرُّ والمعصية بقضاء الله وقدره، فكيف يرضى به العبد؟ قلنا: الرضا إنما يلزم بالقضاء، وقضاء الشرِّ ليس بشرٍّ، بل الشرُّ المقضي. قالوا: والمقضيات أربعة: نعمةٌ، وشدَّةٌ، وخيرٌ، وشرٌّ، فالنِّعمة يجب الرضا فيها بالقاضي، والقضاء، والمقضي، ويجب الشُّكر عليها. والشدَّة يجب الصَّبر عليها، والخير يجب الرضا بالقاضي والمقضي. ويجب عليه ذكر المنَّة من حيث أنه وفقه له، والشرُّ يجب فيه الرضا بالقاضي، والقضاء، والمقضي من حيث أنه مقضي، لا من حيث أنه شر.

والحديث ذكره المدنيُّ في كتابه، وزاد في «الألقاب» عن عليٍّ. وفيه: محمد بن عكاشة الكرماني، قال الدارقطنيُّ: يضع الحديث.

٢٠١ ـ «يا موسى! إنَّه لَنْ يَلْقاني عَبْدِي في حاضِرِ القيامةِ؛ إلا فتَّشْتُ عمَّا في يدِه، إلا الوَرِعينَ؛ فإنِّي أسْتحْييهمْ، وَأُجلُّهمْ، وَأُكْرِمُهمْ، وأُدْخِلهم

الجنَّـةَ بغيْرِ حسابٍ»[1] . **رواه الحكيم الترمذيُّ عن ابن عباس.**

ش ـ موسى بن عمران: هو نبيُّ الله، ورسولُه، وصفيُّه، وكليمُه ابن يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم، وكان عمر عمران حين توفي مئة وسبعاً وثلاثين سنة، قال أهل التاريخ: لما مات الرَّيان بن الوليد وهو فرعون مصر الأول صاحب يوسف الذي ولَّاه خزائن الأرض، وأسلم على يده مَلَكَ بعده جبار وأبى أن يسلم، ثم مات، فَمَلَكَ بعده جبَّارٌ آخر، وتوفي يوسف، وأقامت بنو إسرائيل بمصر، وقد كثروا، ونشأ لهم ذريةٌ، وهم تحت أيدي العمالقة، وهم على بقايا من دينهم الذي كان يوسف، ويعقوب، وإسحاق، وإبراهيم، صلى الله عليهم وسلم أجمعين شرعوه لهم متمسكين، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله تعالى إليه، ولم يكن في الفراعنة أعتى منه، ولا أقسى قلباً منه، ولا أطول عمراً في الملك منه، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل، وكان يعذِّبهم، ويستعبدُهم، وجعلهم خدماً، وخولاً، وعاش فيهم أربعمئة سنة، فأراد فرعون أن يقتل كلَّ ذكرٍ من أولادهم حتى لا يكثر عددُ بني إسرائيل فيقووا عليه، فأمر قابلتي المصريين ـ وكان اسم إحداهما شفرة، والثانية فوعة ـ بقتل كلِّ ذكر تلده عبرانية، وأما البنت فتبقى، فلم تفعلا ما أمرتا به، ولما سألهما قالتا له: إن العبرانيات قويات فهن يلدن قبل أن تأتي القابلة، ثم أمر فرعون جنوده المتدخلين في الأعمال أن يُلقوا كلَّ ذكر من أولاد العبرانيين في النهر ليموت. هذا ما ذكرته التوراة، وهو عين ما ذكر في القرآن إلا في تفاصيل جزئية. اقرأ سورة القصص آية ٣، ٤، ٥، ٦ والبقرة ٤٩ والأعراف ١٤١ وإبراهيم ٦ فترى أنَّ قتل الأبناء واستحياء النساء بلاءٌ لا يصبر عليه ذو عقل إلا بمعونة الله، وأنَّ الله تعالى إنما كافأ بني إسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر، وإن كانوا على أخلاق جافية، وطباع شاذة في نواح أخرى من نواحي سجاياهم، من حيث ضجرهم بالخير يسدي إليهم، وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً حين مرُّوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم، ومبادرتهم إلى عبادة العجل بلا روِيَّة، وذلك أنَّ أجر الصبر عند الله عظيم. ولما ولدت أمُّ موسى ابنها موسى عليه السلام خبأته عن عيون مَنْ يطلبون أطفال بني إسرائيل قتل ذكرانهم، فمكث عندها ثلاثة أشهر، فلما خافت افتضاح أمرها أعلمها الله تعالى، وعلَّمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق، وتطليه بالقطران، والزفت، وتلقيه في اليمِّ،

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل العشرون والمئتان. من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

ففعلت، وناطت بأخته أن تتبع أثره، وتعلم علمه، وكان الله تعالى قد أعلمها: أنه رادُّه إليها، وجاعله من المرسلين، فلم تزلْ أختُه تراقبه حتى علمت: أنَّه التقط، وأدخل دار فرعون، وأنَّ عين زوجة فرعون وقعت عليه، فألقى الله عليها محبته، فاستحيته، وأبقته ليكون قرة عينها وعين فرعون، راجيةً أن ينفعهما، أو يتخذاه ولداً، وهذا تدبير من الله تعالى لموسى وأمه؛ لأنه سيعود إليها لتكون ظئراً له، وتتقاضى على إرضاعه أجراً، وهي آمنة كيد الكائدين، وسعي السَّاعين.

ولما عُرِضَ على المراضع فزهَّده الله تعالى فيها، فلم يُقْبِلْ على ثدي إحداهنَّ رحمةً منه تعالى بأمِّه، وكانت أخته تقصُّ أثره، وتتبعه أينما سير به حتى رأت إعراضه عن الثدي، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأةً عبرانية ترضعه، وتكفله، وأنها تكون له ناصحةً، مشفقةً، تقوم له مقام الأمِّ، وكان اسم أخته مريم. صادف قولُ مريم من آل فرعون أذناً مصغيةً، وبعثوها في طلب الظئر، فجاءت بأمِّها، وأمَّه على التحقيق، فأقبل على ثديها، فألقوا إليها بموسى لترضعَهُ، وهو موضع عنايتهم. اقرأ سورة القصص قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] الآيات، وسورة طه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه: ٣٧].

وطبعي أن أمَّ موسى بعد أن أتمَّت رضاعته أتتْ به إلى بيت فرعون، وتولَّى البلاط الفرعوني تربيته، كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد بواسطة الكهنة، ورجال الدِّين بحسب التقاليد التي كانت لذلك البيت في تلك الأيام، وأنَّ موسى عليه السلام قد تعلم تعليماً راقياً، وفي التوراة: أنَّ موسى ردته إلى ابنة فرعون، فاتخذته ولداً، وأسمته موسى، وقالت: إني انتشلته من الماء، فلما كبر قتل القبطي، ثمَّ خرج خائفاً يترقب، فلما ورد ماء مدين وهي بلادٌ واقعةٌ شرقي شبه جزيرة سيناء، وخليج العقبة، وشمال الحجاز، وجنوب فلسطين؛ جرى له هناك مع شعيب ما جرى، وتزوَّج ابنته كما أخبر الله تعالى به، فلما قضى موسى الأجل، وهو أكمل الأجلين عشر سنين ثبت ذلك في الصحيح عن ابن عباس سارَ بأهله، فآنس من جانب الطور ناراً، فجرى له ما أخبر الله به في كتابه، والله أعلم.

وقوله: «في حاضر القيامة» أي: شاهد يوم القيامة، والواقف فيها. والورعين: جمع ورع: التقيُّ. والاستحياء: طلب الحياء. والإجلال: التعظيم، والاحترام.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى يخاطب نبيَّه، وكليمه موسى عليه وعلى نبينا محمدٍ أفضل الصلاة والتسليم، ويخبره: أنَّ العبد إذا لقيه يوم القيامة فتَّش، ونظر عما في يده من خيرٍ وشرٍّ، فإن اكتسب خيراً جازاه عليه، وإن اكتسب شرّاً عاقبه

عليه، وعبر بالتفتيش مع أنَّ الله جلَّ وعلا يعلمُ ما تُكِنُّه الصدورُ، وتخفيه القلوبُ مشاكلةً جرياناً على ما يألفه الخلق من التفاهم، والتخاطب؛ إلا الذين اتقوا الله، وكفُّوا أنفسهم عن المهلكات، وآثروا الآخرة على الحياة الدنيا، فأولئك لا يدخلون تحت المراقبة والتفتيش؛ لأنَّ الله جلَّتْ عظمتُه يستحي أن يفتشهم، ويجلهم، ويحترمُهم، ويوقِّرهم، ويكرمهم، وزيادةً على ذلك: فإنَّ الله تعالى يدخِلُهم الجنة بغير حساب لتقواهم، وورعهم، والورع: تقدَّم الكلام عليه غير مرَّة. والحديث: رواه الحكيم الترمذي في كتابه (نوادر الأصول) كما قال المصنف. والله أعلم.

٢٠٢ ـ «يا مُوسى! لَنْ تـرَاني؛ إنَّه لَنْ يَـراني حيٌّ إلا مـاتَ، وَلا يابسٌ إلا تـدَهْـدَه، وَلا رَطْـبٌ إلاّ تَـفـرَّق؛ إنَّمـا يَـراني أهْـلُ الجنَّـة الذيـن لا تمـوتُ أعْينُهم، ولا تَـبْـلى أجْسادُهمْ»[1] . **رواه الحكيمُ عن ابن عباس.**

ش ـ قوله: «تدهده» أي: تدحرج. وبلي الجسد: فني. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى: أنَّ الله تبارك اسمه يخاطب نبيَّه موسى عليه السلام، ويخبره: إنَّك لن تراني ما دمت في هذه الحياة الدُّنيا؛ لعدم استعدادك لذلك، وظاهرُ هذا: أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام طلب مِنْ ربه عزَّ وجل أن يريه ذاته كما جاء بذلك الكتاب الحكيم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولما كانت الرؤية في الدنيا من سائر المخلوقات جائزةً طلب رؤية ربِّه ليتمتع بذلك بعد أن سمع كلامه خالقه تعالى، فأجابه المولى: أنَّ رؤيته لا تكون في الدنيا لعدم طاقة الخلق عليها، وضرب له مثلاً بما هو أقوى من بنيته، وأثبت، وهو الجبل الذي كان عليه موسى عليه السلام؛ أي: إنْ ثبت الجبلُ مكانه، وسكن؛ فسوف تراني، وإن لم يسكنْ فإنك لا تطيق ذلك، كما أنَّ الجبل لا يطيق رؤيتي، فلما تجلى الله تبارك وتعالى، وظهر للجبل؛ جعله دكاً؛ أي: تراباً، أي: استحال من الحجرية والشموخ إلى المهاد والتراب وموسى عليه

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول رقم (٣١٦) والديلمي في مسند الفردوس (٣٠٦٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

السلام خرَّ صعقاً مغشياً عليه. فهذا يدلُّ على أنَّ الأبصار لا تدرك الله تعالى في الدُّنيا، كما أخبر الله بذلك في القرآن الحكيم: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية إلا إذا خلق لمن يريد كرامته بصراً، وإدراكاً يراه به كما حصل لنبينا محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام حين عرج إلى السماء إلى ربِّ العزَّة، فرأى ربَّه ببصره وعيني رأسه، وعن مالك بن أنس قال: لم يُـرَ في الدنيا؛ لأنه باقٍ، ولا يُرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة، ورزقوا أبصاراً باقيةً رأوا الباقي بالباقي. قال القاضي عياض: وهذا كلامٌ حسنٌ مليحٌ، وليس فيه دليلٌ على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوَّى الله تعالى مَنْ شاء من عباده، وأقدره على حمل أعباء الرؤية؛ لم يمتنع في حقه، وقد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً في رؤية الله تعالى؛ هل هي جائزة، أم لا؟ البعضُ قال: جائزة مطلقاً، والبعض قال: بالمنع مطلقاً، والبعض فصَّل، فقال: هي غير جائزة في الدنيا، جائزة في الآخرة، وكلٌّ منهم أورد لنفسه دلائل، وتمسَّك بها، وللأستاذ صاحب مجلة المنار هنا كلامٌ في تفسيره عليه حلاوةٌ، وطلاوةٌ، وتحقيقٌ أورده لك زيادة فائدة، قال:

كان جماعةُ الصَّحابة رضوان الله عليهم يفهمون هذه الآيات وأمثالها، ولا يرون فيها إشكالاً، وهم أعلم العرب بلغة القرآن، وبمراد الله تعالى من آياته فيه، لتلقيهم إيَّاها من الرسول المنزلة عليه المأمور فيها ببيانها للناس، ثم انتشر الإسلامُ، ودخل فيه مِنَ الأعاجم مَنْ كانوا على أديان مختلفة، وصاروا يتلقَّوْنَ لغته بالتلقين، ويقتبسونها بمعاشرة العرب الخلص، ثم بالتعليم الفني، ثم صارت السلائل العربية، كذلك، ثم حدثت في الجميع الاصطلاحات العلمية، والفنية لما وضعوا من العلوم الشرعية، كأصول العقائد، والفقه، والحديث. واللغوية، كالنحو، والصرف، والبيان، ولما ترجموا من كتب علوم الأوائل، وما زادوا فيها من الرياضيات، والعقليات، والوجدانيات وسائر سنن الموجودات، فامتزجت هذه الاصطلاحات بلغة القرآن، والحديث، فصارت آلاتٍ لفهمهما، وسبباً للخطأ في تعيين بعض المراد منهما.

ثم حدث ما هو ادعى إلى الخطأ في الفهم، وهو عصبية المذاهب، والشيع التي فرقت بين المسلمين، على ما جاء في التفرق والتفريق من الوعيد الشديد، فصار كلُّ منتمٍ إلى شيعةٍ، وحزبٍ لا ينظر في الكتاب والسنة إلا بالمنظار المعبر عنه بمذهب الحزب، وإن كان من أهل النظر والاستدلال ومدعي الاجتهاد والاستقلال، والبداهةُ قاضيةٌ بالتضادِّ بين التقيد بالمذهب والاستقلال الصحيح المسمَّى عندهم بالاجتهاد المطلق.

وهناك سببٌ آخر، وهو حشر الإسرائيليات، والروايات الموضوعة، والواهية في تفسير القرآن، وكتب السنَّة، وتقاصر الأكثرين عن تمحيصها، والتمييز بين حقِّها وباطلها، حتى إنَّ بعض الإسرائيليات قد اشتبه بالأحاديث المرفوعة، كما بينه بعض نقاد الحفاظ، ومنهم ابنُ كثيرٍ في تفسيره.

فبهذه الأسباب أبطلوا مزية كتاب الله وخاصيته في رفع الخلاف والتفرق المفسدين لأمر الملة والأمة اتباعاً لسنن مَنْ قبلهم وهم لا يشعرون؛ لأنَّهم جعلوه هو موضع الخلاف أيضاً، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فالردُّ إلى كتاب الله، وما بيَّنه من سنَّة رسوله لإزالة التنازع، وحسم الخلاف تفادياً من التفريق والتفرق المنافي لوحدة الدِّين يتوقف على جعل الكتاب وبيان الرسول له فوق التنازع، واختلاف المذاهب، والشيع، وإلا كان الدواءُ عين الداء.

فإن قيل: إن القرآن ليس موضوع اختلافٍ بين الشيع والأحزاب المختلفين في المذاهب الإسلامية، فهم مجمعون على أنَّ من ردَّ شيئاً منه كان مرتداً عن الإسلام ـ إن كان قد عد من أهله ـ وإنما الاختلاف في فهمه، وأما السنة: فاختلفوا في رواية بعضها، وفي فهم بعض، ومَنْ صحَّ عنده منها شيءٌ يتعلَّق بأمر الدين؛ وجب الأخذ به في كل مذهب من المذاهب التي يعتدُّ بإسلام أهلها، والاختلاف في فهم ما كان غيرَ قطعيِّ الدَّلالة ضروري لا يتناوله مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ونجيب عن هذا (أولاً) بأنَّهم كانوا كذلك في كلِّ ذلك قبل الفتن وعصبية المذاهب، وأما بعدها فقد صرَّح بعضُ كبار فقهاء الحنفية بأنَّ الأصل عندهم في كلِّ حكم كلام أصحابهم، فإن وجدوا آيةً تخالفه (!!) التسموا لها ناسخاً، فإن لم يجدوا؛ أوَّلوها، وإن وجدوا حديثاً مخالفاً له (!!) بحثوا في إسناده، فإن وجدوا فيه مطعناً؛ نبذوه، وإلا فعلوا في التقصِّي منه ما يفعلون في التقصِّي في القرآن (!) وقد جرى على ذلك أهلُ كلِّ مذهب، إلا أفرادٌ من كبار النظار خالفوا المذاهب في بعض المسائل الكلامية والأصولية بالدَّليل، وبعض كبار المحدِّثين رجحوا بعض الأحاديث الصحيحة الصريحة على المذهب، وإن شئت فراجع بعض الشواهد على ردِّهم لها في «كتاب إعلام الموقعين» للمحقق ابن القيم ـ وثانياً ـ بأنَّ الله تعالى يكلِّفهم ألاَّ يجعلوا ما ليس قطعيَّ

الدَّلالة سبباً للتفرق، والتعادي، وتأليف الأحزاب، والشيع التي يلقن أتباعُ كلٍّ منها فهمَ رجلٍ أو رجالٍ يسمُّونه مذهبهم، ويتعلمون منه الردَّ على مخالفيهم، وتفسيقهم، أو تكفيرهم، وبهذا كان الاختلاف ضارًّا، ومفسداً على المسلمين ومن كان قبلهم من أهل الملل أمورَ دينهم، ودنياهم. وهو المراد بقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] الآية ولولاه لما كان أولئك العلماء الأعلام من المعتزلة والأشعرية يتنابزون بالألقاب، ويتبارون بالسباب، ويتهاجون بالأشعار، كقول الزمخشري[1] المعتزلي بعد تفسيره لآية الأعراف التي نحن بصدد تفسيرها: ثم تعجب من المتسمين بأهل السنة والجماعة؛ كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً؟ ولا يغرنَّك تسترهم بالبلكفة، فإنَّه من منصوبات أشياخهم ـ يعني بالبلكفة قولهم: إنَّه تعالى يُرى بلا كيف؛ أي: رؤيته ليست كرؤية أهل الدنيا بعضهم لبعض فيما يلزمها من كون المرئي جسماً كثيفاً تحيط به أشعةُ البصر ـ ثم قال: والقول ما قال بعضُ العدلية فيهم:

وجماعةٌ سمُّوا هواهم سنةً ... لجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبَّهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

يعني بالعدلية جماعة المعتزلة، فإنَّهم سمَّوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، فانظر إلى جعله إثبات الرؤية الثابتة في الأحاديث المتَّفق على صحتها منافياً للاتسام بالإسلام، والتسمِّي بأهل السنة، وهو يعلم أنهم ينفون التشبيه في الرؤية بالتصريح كما ينفيه هو، فلولا تعصب المذهب لما ألزمهم إياه بدلالة اللزوم الضعيفة التي قالوا فيها: «لازم المذهب ليس بمذهب» قيل: مطلقاً. وقيل: فيما لم يدل الدليل على التزام صاحب المذهب له، وأما ما صرح بنفيه: فلا وجه لإسناده إليه البتة ومن نسبه إليه وذمه به كان ظلوماً جهولاً.

ولو أنَّ الزمخشري وشاعر العدلية لم يقولا ما قالا من الطَّعن والهجو في أهل السنة بأن اكتفى الزمخشري في تأويل أحاديث الرؤية بما أولها به من كون الرؤية فيها عبارة عن كمال المعرفة الجلية؛ لما جوزنا على ذلك بمثل ذنبهما، أو أكثر، كما قال

---

(١) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم من أئمة العلم بالدِّين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر من قرى خوارزم. سافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن توفي رحمه الله (٥٣٨) هـ.

أحمد بن المنير الإسكندري[1] في (الانتصاف) حاشيته على الكشاف:

وجماعة كفروا برؤيةِ ربِّهم ... حقّاً ووعدُ الله ما لن يخلفَهْ
وتلقَّبوا عدليةً قلنا أجلْ ... عدلوا بربِّهم فحسبهم سَفَهْ
وتلقَّبوا الناجين كلاَّ إنَّهم ... إن لم يكونوا في لظى فعلى شَفَهْ

وللشيخ تاج الدين السبكي[2] صاحب (جمع الجوامع) وغيره مثل هذا الشعر المحزن، والبادىء بالشرِّ أظلم، وهؤلاء هجوا عدلية المعتزلة بمثل ما هجا به شاعرُهم أهل السنة كافةً هم من الأشعرية الذين يقولون مثلهم بالتأويل، ويشنعون على إخوانهم من الحنابلة وغيرهم من السلفيين في بعض مسائل التفويض، كالنصوص في علوِّ الله تعالى خلقه، واستوائه على عرشه؛ التي اتبعوا فيها إجماع السلف، أو جمهورهم الأعظم في إمرارها كما جاءت مع تنزيه الربِّ تعالى عن مشابهة الخلق، والتحيُّز، والحدِّ، والحلول؛ لأن أصل عقيدتهم: أنه تعالى مباينٌ لخلقه بذاته، وصفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] بل أوَّل الإمام أحمد بن حنبل نفسه نصوص المعية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فخصَّه بالعلم.

فالحقُّ الواقع أنَّ المختلفين في فهم النصوص من المسلمين الصَّادقين يؤمنون بها، ويعظمونها، ولكن غلب على قومٍ ترجيح جانب التنزيه حتى انتهى ببعضهم إلى التعطيل، وجعل صفات الرب تعالى سلبيةً بضروبٍ من التأويل، وغلب على قومٍ جانب الأخذ بالظاهر في ذلك، حتى وقع بعضُهم في التشبيه فعلاً، كأنَّ الكتاب والسُّنة خلوا من المجاز والكناية في ذلك، مع العلم بأنَّ ما عدا اسم الجلالة من ألفاظ اللغة قد وضع قبل نزول القرآن للتعبير به عن المخلوقات وشؤونها، فالفريقان أراد تعظيم الربِّ تعالى، وسدَّ ذريعة القول في ذاته وصفاته بغير الحقِّ الذي يرضيه، هؤلاء خافوا التعطيل وردَّ شيءٍ من النصوص، أو تحكم الأهواء في تأويلها، وأولئك خافوا الوقوع

---

(١) هو أحمد بن محمود بن منصور المعروف بابن المنيِّر، من علماء الإسكندرية وأدبائها توفي سنة (٦٨٣) هـ.

(٢) تاج الدين السبكي، هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر، قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، ولد في القاهرة. وانتقل إلى دمشق مع والده. فسكنها، وتوفي فيها. قال ابن كثير جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاضٍ مثله. من تصانيفه: (طبقات الشافعية الكبرى) توفي رحمه الله (٧٧١) هـ.

في تشبيه الربِّ سبحانه بخلقه، وسدَّ ذريعة ما يعدُّ نقصاً في حقه. فالنيةُ كانت حسنةً من الجانبين، كما قال شيخُنا الشيخُ حسين الجسر الطرابلسي رحمه الله تعالى في درسه عند قراءة شَرْحَيْ: السنوسية، والجوهرة، ولكن الذين ضلُّوا بالتأويل والتعطيل كثيرون حتى خرجت به عدَّة طرق من الملة بعضُهم باطناً وظاهراً، وبعضهم باطناً لا ظاهراً، كالباطنية الذين تركوا أركان الإسلام من صلاةٍ، وزكاةٍ، وحجٍّ، وصيام زاعمين أنَّ لها معاني غير ما عمل به النَّبيُّ ﷺ وأصحابه وأجمع عليه المسلمون، وكغلاة الصوفية الذين ذهبوا في التأويل إلى ما وراء طور العقل، والنقل، وأساليب اللغة، فادَّعوا أنهم يرون الله تعالى عياناً في جميع الصُّور، ويتلقَّون عنه كالأنبياء، وأن فيهم من هم أفضل من الأنبياء، وأعلم بالله تعالى، ومنهم من ادعى رفع التكليف عمن بلغ مقاماتهم في المعرفة، بل منهم مَنْ غلا في وَحْدَة الوجود إلى ادعاه الربوبية للبشر، والبقر، والحجر، والمدر، وما يستحي، أو يتنزه قلمُ المتدين الأديب عن ذكره، وإلى عدم التفرقة بين موحِّدٍ، ومشركٍ، ومؤمنٍ، وكافرٍ، وبرٍّ، وفاجرٍ، وعادلٍ، وجائرٍ، وطيبٍ، وخبيث. ولا بين نافع وضارٍّ، وطهورٍ ورجسٍ، ويستدلُّون على عقائدهم، أو مزاعمهم بالآيات والأحاديث بضروبٍ من التأويل، وقد قال بعضهم:

عقد الخلائقُ في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ولم يقع من فرقة تأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير تأويلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تمثيلٍ في مثل هذا الضلال البعيد، فهؤلاء الظاهرية، ومن يسمُّونهم: غلاة الحنابلة من أقوى المسلمين إيماناً وأصحهم إسلاماً، وما راموا به من التشبيه والتمثيل الذي نفاه النصُّ والعقلُ ظلمٌ، سببُه التَّعصبُ المذهبي، فإذا كانوا يثبتون للربِّ تعالى كل ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله فيما صحَّ من حديثه، حتى فيما يفوضون كنهه إليه تعالى للاعتراف بأن عقولهم لا تحيط به، فهل يعقل أن يثبتوا له ما نفاه عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو مما يعقلونه، ولا يعقلون ضدَّه؟ كلا إنَّ تعصب أصحاب النظريات الكلامية من المعتزلة، ومن يقرب منهم من متأولة الأشعرية هم الذين افتاتوا عليهم بما ألزموهم إيَّاه مما نفوه من لوازم ما صحَّ في الكتاب والسنة، من علوه تعالى على خلقه، واستوائه على عرشه، وكونه ينزل إلى سماء الدنيا، ويحبُّ، ويبغضُ، ويضحكُ... إلخ، مع استصحاب نص التنزيه، فهم لا يرون فرقاً بينها وبين كونه يسمع، ويبصر، ويتكلم، وكذا يعلم، ويريد، ويشاء، ويقدر، فكلُّ ذلك مما يطلق على الخلق والخالق مع انتفاء التشبيه، وإنما ذنبهم عندهم أنهم لا يستعملون نظريات أفكارهم في التحكم بتأويل هذه

النصوص، ولم يكلف الله تعالى أحداً من خلقه هذه النظريات الفلسفية الكلامية، وإنما كلفهم الإيمان بجميع ما جاءهم به رسله ﷺ، وأصل الدِّين الذي بعث الله تعالى به جميع رسله إلى خلقه هو أن يعبدوا الله تعالى وحده ولا يشركوا به شيئاً من خلقه، وأن يعبدوه بما شرعه لهم دون غيره؛ إذ ليس لغيره أن يشرِّع شيئاً من الدين بدون إذنه، فالله تعالى قد شرع الدين لجميع أفراد الأمة، وهذه الفلسفة الكلامية من دقائق النظريات الفكرية التي انفرد بالغوص عليها أفرادٌ معدودون من أذكياء الأمم، فتفرقوا فيها، واختلفوا؛ لأنَّ التفرق، والاختلاف من لوازمها البينة، فعصوا الله تعالى في نهيه عن التفرق، والاختلاف في الدين، فكيف يقول عاقلٌ أن جميع المؤمنين قد كلفوها، وإذا كانت صحة الإيمان تتوقف عليها؛ فكم عددُ المؤمنين في الأمة كلها؟ وإذا كان الحقُّ فيها واحداً ـ كما يقولون ـ فكم عدد أهل الحقِّ منهم؟ وكيف السبيل لدى كل من احتكر الحقَّ فيها لنفسه إلى تلقين السواد الأعظم من الأمة ما يراه بحيث لا يقبل سواه؟ فإن كان هو أصل الدين الذي لا يقبل الله غيره؛ ففهم الدين متعذر على أكثر الأمة.

وأما ما كان عليه السَّلفُ الصَّالح في صدر الأمَّة فكان سهلاً، ويسيراً كما وصف الله ورسوله هذا الدِّين، وهذه الملة، كان جميع المسلمين في الصدر الأول يصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسله من غير تشبيهٍ له بأحدٍ من خلقه، ومن غير هذه الفلسفة الكلامية التي لم يشرعها الله تعالى، ولا أنزل بها من سلطان؛ ولذلك استنكر جميع أئمة السلف علمَ الكلام، وعدُّوه بدعةً سيئة، ومن خاض فيه بعد ذلك من أتباعهم؛ فلأنهم ظنوا أنه يتوقف عليه إبطال البدع، وإزالة الشبهات المشكلة في الدين، لا لذاته، وأرادوا به إزالةَ الخلاف، فزادهم خلافاً وافتراقاً حتى صار أكثرُهم يزعم: أنَّ العقائد الصحيحة لا تُعْرَفُ إلا به، ويحصرها كلُّ فريقٍ في مذهبه، ولا سلامة للمسلمين في دينهم، ودنياهم إلا الرجوع في الدين المحض إلى ما كان عليه السلف، وفي أمور الدنيا إلى ما أثبته العلم والتجارب في هذا العصر، وأن ينبذوا جميع الأسباب والكتب التي كانت مثار الخلاف والتفرق وراء ظهورهم، ولا يجعلوا قول عالم من علمائهم ولا فهمه سبباً للتعادي والتفرق بينهم، بل يعدوا كل ما ليس قطعياً من كتاب ربِّهم وسنة رسولهم وإجماع سلفهم من الاجتهاد الذي يُعذر به من قام دليله عنده ومن وثق به ولا يكون حجةً على غيره. وقد فصَّلنا القول في هذا في مجلتنا (المنار) مراراً. فبهذا يزول ضررُ اختلاف المذاهب في الأصول، والفروع، ويتراجع الجميعُ إلى وحدة الدين، وأخوة الإسلام، فينالوا من سعادة الدنيا، ثم الآخرة ما شرع الله لهم الدين لأجله. انتهى.

والحديث يدلُّ على أنَّ رؤية الله تعالى لا تكون في الدنيا؛ لأنَّ أهل الدنيا ليس عندهم استعداد للرؤية، وتحصل للخلق يوم القيامة في الجنة لاستعدادهم لذلك، فإنَّ أهل الجنة لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادُهم، والحديث موافق لما في القرآن والسنة الصحيحة. والله أعلم.

٢٠٣ ـ «يا مُوسى! إنَّـهُ لنْ يتَصنَّـعَ إليَّ المُتصَنعونَ بمِثْل الزُّهدِ في الدُّنْيا، ولمْ يتَقـرَّبْ إليَّ المتقرِّبونَ بمثلِ الوَرَع عمَّـا حرَّمْتُ عليهم، ولن يتعبَّـدَ إلـيَّ المُتعبِّـدون بمثلِ البُـكاءِ مِنْ خِيفَتي»[١]. رواه القضاعي عن كعب.

ش ـ التصنُّع: التفعل، والتكلف يقال: تصنَّع الرَّجلُ: تكلَّف حُسْنَ السَّمْتِ، والتزيُّن، وأظهر عن نفسه فعلاً ليس فيه. والزُّهد: تقدم الكلام عليه في شرح الحديث (١٣٣) فارجع إليه. والورع في الأصل: الكفُّ عن المحارم، والتحرُّج منه، يقال: ورع الرجل يرع ـ بالكسر فيهما ـ ورعاً، ورعةً، فهو ورع، وتورَّع من كذا، ثم استعير للكفِّ عن المباح والحلال. والبكاء: ـ بالمد والقصر ـ وقيل: القصر مع خروج الدموع، والمدُّ إلى إرادة الصوت، وقد جمع الشاعر اللغتين فقال:

بكـتْ عينـي وحـقَّ لهـا بكـاهـا ... ومـا يغنـي البكـاءُ ولا العـويـلُ

ويتعدَّى بالهمزة، فيقال: أبكيته، ويقال بكَيْتُه، وبكَيْتُ عليه، وبَكيتُ له، وبكَّيْتُه بالتشديد بمعنىً، وبكيت السماء: أمطرت. والخيفة: الحالة التي عليها الإنسان من الخوف. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّت عظمتُه يخاطب نبيَّه موسى عليه السلام، ويخبره: أنَّ هناك ثلاثة أعمال من أعمال البرِّ التي ليست لها نظير، الأول: الزهد في الدنيا، فليس عملٌ يتكلَّفه الإنسان، ويتصنَّعه مثلَ الزُّهد في الدنيا، والزُّهد في الشيء: الإعراض عنه؛ لاستقلاله، واحتقاره، وارتفاع الهمَّة عنه، يقال: شيءٌ زهيد؛ أي: قليل وحقير. فالزُّهد في الدُّنيا كثر الإشارة إلى مدحه في القرآن الحكيم، وكذا ذمُّ الرغبة في الدنيا، وسبق ذكر بعضها قريباً، ولا بأس من الزيادة في ذلك، فنقول: قال الله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦ ـ ١٧] وقال تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الأنفال: ٦٧] وقال تعالى في قصة

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (١٤٥٨) من حديث ابن عباس وفي إسناده جويبر متروك. وفيه انقطاع بين ابن عباس والضحاك.

قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨٣] وقال حاكياً عن مؤمن آل فرعون: أنه قال لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٣٩].

الأحاديثُ في ذمِّ الدنيا، وحقارتها، والزُّهدِ فيها كثيرةٌ، منها: ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مر بالسوق والناس كنفته ـ أي: مكتنفوه ـ فمرَّ بجديٍ أسكَّ ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، فقال: أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنَّه لكم؟ قالوا والله لو كان حياً لما رغبنا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: والله للدُّنيا أهون على الله من هذا عليكم»[1]. والأسكُّ: مصطلم الأذنين، مقطوعهما.

وفيه أيضاً عن المستورد الفهري، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما الدُّنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ، فلينظر بم ترجع»[2] وخرَّج الترمذيُّ من حديث سهل بن معاذ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[3].

وقد تكلَّم السَّلفُ ومَنْ بعدهم في تفسير الزُّهد في الدنيا، وتنوَّعتْ عباراتُهم عنه، وورد في ذلك حديثٌ مرفوعٌ خرَّجه الترمذيُّ، وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن حَلْبَس، عن أبي إدريسٍ الخولاني، عن أبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الزهادةُ في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألاَّ تكون بما في يدك أوثقَ مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغبَ

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٥٧) في الزهد، والرقائق، وأبو داود رقم (١٨٦) في الطهارة من حديث جابرٍ رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٥٨) في الجنة، والترمذيُّ رقم (٢٣٢٤) في الزهد. وابن ماجه رقم (٤١٠٨) من حديث المستورد بن شداد.

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٣٢١) في الزهد، وابن ماجه رقم (٢٤١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وهو حديث حسن.

فيها لو أنها بقيت لك»[1] وقال الترمذيُّ: غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن واقد منكر الحديث، قال الحافظ زين الدين بن رجب: قلت: الصحيحُ وقفه، كما رواه الإمام في كتاب الزهد. وقال الفضيل بن عياض: أصلُ الزهد: الرضا عن الله عزَّ وجل. وقال: القنوعُ هو الزاهد، وهو الغني، فمن حقَّق اليقين وثق بالله في أموره كلِّها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجاءً، وخوفاً. وضعه ذلك طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك كان زاهداً في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء في الدنيا، كما قال عمار رضي الله عنه: كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنىً، وكفى بالعبادة شغلاً. ومن علامات الزهد في الدنيا: قلة الرغبة فيها، كما قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه: مَنْ زهد في الدنيا هانتْ عليه المصيباتُ. ومنها: أن يستوي عند العبد حامدُه، وذامُّه في الحقِّ، فإنَّ مَنْ عظمت الدنيا عنده اختار المدحَ، وكره الذمَّ، فربما حمل ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذمِّ، وعلى فعل كثير من الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامدُه وذامُّه في الحقِّ دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبَّة الحقِّ وما فيه رضا مولاه، كما قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله. وكلام القوم في الزهد كثيرٌ، فعليك بمطالعة كتاب (مدارك السالكين) و(طريق الهجرتين) و(مختصر شعب الإيمان) تجدْ ما يسرُّك، ويملأ قلبك إيماناً ويقيناً.

الثاني من الأعمال التي أشار إليها الحديث: الورع، فلن يَتَقَرَّبَ إلى الله المتقربون بمثل الكفِّ عما حرَّم عليهم. وتقدَّم تفسير الورع آنفاً، وقد جمع النَّبيُّ ﷺ الورع كله في كلمةٍ واحدةٍ، فقال: «مِنْ حسن إسلام المرءِ تركهُ ما لا يعنيه»[2] رواه الترمذيُّ، وحسَّنه النوويُّ، فهذا يعمُّ الترك لما لا يعني من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكرة، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمةُ شافيةٌ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٤١) في الزهد. وابن ماجه رقم (٤١٠٠) وقال الترمذي: غريب. من حديث أبي ذر رضي الله عنه. نقول: وإسناده ضعيف.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٣٦٧)، وابن ماجه رقم (٣٩٧٦)، وابن حبان رقم (٢٢٩) وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد الله العمري (متروك). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد ورد الحديث من رواية أبي ذر، وزيد بن ثابت، والحارث بن هشام، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فهو حديث صحيح لغيره بطرقه وشواهده.

في الورع. قال إبراهيم بن أدهم[1]: الورعُ تركُ كلِّ شبهةٍ، وتركُ ما لا يعنيك، هو ترك الفضلات. وفي الترمذيِّ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ: «يا أبا هريرة! كن ورعاً تكنْ أعبد الناس»[2]. قال الشّبلي[3]: الورع أن تتورَّع عن كلِّ ما سوى الله، وقال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشدُّ منه في الذهب والفضة. والزُّهد في الرياسة أشدُّ منه في الذهب والفضة؛ لأنهما يبذلان في طلب الرياسة. وكلام القوم في الورع كثيرٌ نسأل الله التوفيق.

النوع الثالث المذكور في الحديث: البكاءُ من خيفة الله عز وجل، ولن يَتَعَبَّدَ إلى الله تعالى المتعبِّدون بمثله، والبكاءُ على أنواع كما حققه العلامة ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه: (زاد المعاد في هدي خير العباد) قال: أَحَدُها: بكاء الرَّحمة، والرِّقة. والثاني: بكاء الخوف، والخشية. والثالث: بكاء المحبة، والشوق. والرابع: بكاء الفرح، والسرور. والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم، وعدم احتماله. والسادس: بكاء الحزن. والفرق بينه وبين بكاء الخوف: أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروهٍ، أو فوات محبوبٍ، وبكاء الخوف يكون لما يتوقَّع في المستقبل من ذلك. والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن: أن دمعة السرور باردةٌ، والقلبُ فرحان، ودمعة الحزن حارَّةٌ، والقلب حزين، ولهذا يقال لما يفرح به: هو قرة عين، وأقر الله به عينه، ولما يحزن: هو سخينة، وأسخن الله عينه به. والسابع: بكاء الخور والضعف. والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العينُ، والقلبُ قاسٍ، فيُظهِرُ صاحبُه الخشوعَ، وهو من أقسى الناس قلباً. والتاسعُ: البكاء المستعار، والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجر، فإنَّها كما قال عمر بن الخطاب تبيع عبرتها، وتبكي بشجو غيرها. والعاشر: بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرَّجل الناس يبكون لأمرٍ ورد عليهم، فيبكي معهم،

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، أبو إسحاق: زاهدٌ مشهور. كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقَّه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق، والشام، والحجاز، كان يعيش من العمل بالحصاد. وحفظ البساتين. ويشترك مع الغزاة في أرض الروم توفي رحمه الله سنة (١٦١)هـ.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٤٢١٧) في الزهد والخرائطي ص (٣٩) من حديث واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه، وهو حديثٌ حسنٌ.

(٣) الشبلي: هو دلف بن جحدر الشبلي، ناسك، عابد، صوفي، أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة من قرى ما وراء النهر، وفاته ببغداد سنة (٣٣٤)هـ.

ولا يدري لأيِّ شيءٍ يبكون، ولكن يراهم يبكون، فيبكي. وما كان من ذلك دمعاً بلا صوتٍ فهو بكا ـ مقصور ـ وما كان معه صوت فهو بكاء ـ ممدود ـ على بناء الأصوات، وقال الشاعر:

بكتْ عيني وحقَّ لها بكاها ... وما يغني البكاءُ ولا العويلُ

وما كان منه مستدعى متكلَّف فهو التباكي، وهو نوعان: محمودٌ، ومذمومٌ، فالمحمود: أن يستجلب لرقَّة القلب، ولخشية الله، لا للرِّياء، والسمعة. والمذموم: أن يجتلب لأجل الخلق. وقد قال عمر بن الخطاب للنَّبيِّ ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإلا تباكيت. ولم ينكر عليه ﷺ، وقد قال بعض السَّلف: ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا؛ فتباكوا.

والبكاء مشروع يدلُّ على لين القلب، ورقَّته، والنَّبيُّ ﷺ إذا نظرت في سيرته الشريفة وجدت مِنْ شمائله عليه الصلاة والسلام: أنه كان يبكي تارةً بكاءَ رحمةٍ للميت، وتارةً خوفاً على أمته، وشفقة، وتارةً من خشية الله، وتارةً عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياقٍ، ومحبةٍ، وإجلالٍ مصاحبٍ للخوف، والخشية. ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه، وبكى رحمةً له، وقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون[١]، وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض، وبكى لما قرأ عليه عبد الله بن مسعود سورة النساء، وانتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[٢] [النساء: ٤١] وبكى لما مات عثمان بن مظعون، وبكى لما كسفت الشمس، وصلى صلاة الكسوف، وجعل يبكي في صلاته، وجعل ينفخ، ويقول: رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، وهم يستغفرون، ونحن نستغفرك[٣]؟!. وبكى لما جلس على قبر

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٩٤)، والبخاريُّ رقم (١٣٠٣)، ومسلم رقم (٢٣١٥) وأبو داود رقم (٣١١٦)، وابن حبان رقم (٢٩٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٨٠ و٤٣٣)، والبخاريُّ رقم (٤٥٨٢) في التفسير، ومسلم رقم (٨٠٠) في صلاة المسافرين، وأبو داود رقم (٣٦٦٨) وابن حبان رقم (٧٣٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود رقم (١١٩٤) في الصلاة. من حديث عبد الله بن عمرو بن =

إحدى بناته، وكان يبكي أحياناً في صلاة الليل. والحديث فيه شيء والله أعلم.

٢٠٤ ـ «يا موسى! لوْ أنَّ السَّمواتِ ومَا فيها، والأرضَ وما فيها، والبحار وما فيها وُضِعوا في كِفَّة، ولا إلهَ إلا الله وُضِعتْ في الكِفَّةِ الأخرى؛ لرَجَحتْ»[(١)] . رواه أبو يعلى عن أبي سعيد.

ش ـ السموات: جمع: سماء. وسماءُ كلِّ شيءٍ أعلاه، قال الشاعر في وصف فرس:

وأحمر كالديباج أمَّا سماؤُه فريا وأمَّا أرضُه فمحول

قال بعضهم: كلُّ سماءٍ بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلا السَّماء العليا فإنها سماءٌ بلا أرض، وحمل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] والسماء المقابل للأرض مؤنث وقد يذكر ويستعمل للواحد، والجمع، وقد ورد في القرآن كذلك. والأرض: الجرم المقابل للسماء، وجمعه: أرضون، ولا تجيء مجموعةً في القرآن ويعبَّر بها عن أسفل شيء، كما يعبر بالسَّماء عن أعلاه. والبحار جمع: بحر، وأصل البحر: كلُّ مكان واسعٍ جامعٍ للماء الكثير، هذا هو الأصل، ثم اعتبر تارةً سعته المعاينة، فيقال: بحرت كذا: أوسعته سعة البحر؛ تشبيهاً به، ومنه: بحرت البعير: شققت أذنه شقّاً واسعاً. ومنه سميت البحيرة. وسموا كلَّ متوسع في شيء: بحراً، وللمتوسع في علمه بحر، وقد تبحَّر؛ أي: توسع في كذا، والتبحُّر في العلم: التوسع، وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء الملح دون العذب. والكِفَّة ـ بكسر الكاف، وفتحها ـ: الميزان والجمع كِفف بكسر الكاف.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى يخبر نبيه، وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام: أنَّ السموات، وما فيها من عجائب ومخلوقات، والأرض وما فيها كذلك، والبحار وما فيها من خبايا وعجائب التي يحار العقل فيها؛ لو وضع الكلُّ في كِفَّة الميزان، ولا إله إلا الله وُضِعَتْ وحدها في كِفَّةِ الميزان الأخرى المقابل للأولى لرجحت، ومالت بهنَّ لا إله إلا الله، وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشِّرك، وتوحيد

= العاص رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(١) رواه أبو يعلى رقم (١٣٩٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٢) وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف. أقول: إسناده ضعيف.

الله الذي هو أفضل الأعمال، وأساس الملَّةِ والدِّين. روى ابن حبَّان في صحيحه، والحاكمُ، وصحَّحه عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى عليه السلام: «يا ربِّ علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به! قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: كلُّ عبادك يقولون هذا! قال: يا موسى! لو أنَّ السموات السَّبع وعامرهن غيري، والأرضين السَّبع في كِفَّةٍ، ولا إله إلا الله في كِفَّةٍ مالت بهنَّ لا إله إلا الله»(١) وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ: «أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله؛ فإنَّ السَّموات السَّبع، والأرضين السَّبع لو وضعت في كِفَّةٍ، ولا إله إلا الله في كِفَّةٍ لرجحت بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السَّموات السَّبع، والأرضين السَّبع كنَّ حلقةً مبهمةً لقصمتهن لا إله إلا الله»(٢).

والحديث يدلُّ على أنَّ لا إله إلا الله أفضلُ شيء، وأعظمُه، وهو كذلك. روى الإمام أحمد، والترمذيُّ من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «خير الدُّعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير»(٣) قال ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله ونوَّر مرقدَه: الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورةُ العملين واحدةً، وبينهما من التفاضل كما بين السَّماء والأرض. وقد ورد في فضل لا إله إلا الله أحاديثُ كثيرة. كيف لا وهي الفارقة بين التوحيد والشرك، وبين

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٦٢١٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٤ و١١٤١). والحاكم (١/ ٥٢٨). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. درَّاج أبو السَّمح في روايته عن أبي الهيثم ضعيفة.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٢٥) ورقم (١/ ٧١٠١)، والبخاريُّ في الأدب المفرد (٥٤٨). والبزار رقم (٢٩٩٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٩ و٢٢٠) وقال: رواه كله أحمد، ورجال ثقات. من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه الترمذيُّ رقم (٣٥٨٥). من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم. وقال الترمذيُّ: حماد بن أبي حميد ليس بالقوي عند أهل الحديث. ويشهد له ما رواه مالك في الموطأ (١/ ٢١٤ و٢١٥) بلفظ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة. وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله». وهو مرسل صحيح.

الإيمان والكفر. نسأل الله أن يميتنا على قول: لا إله إلا الله، مخلصين بها قلوبنا! وأسعد الناس يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه.

وهي أيضاً أفضلُ الذِّكر، وهي مفاتيح الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! «من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه»[1] رواه البخاريُّ. وعن جابرٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أفضلُ الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدُّعاء: الحمد لله»[2] رواه ابن ماجه، والنسائيُّ، وابنُ حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مفاتيحُ الجنة شهادةُ أن لا إله إلا الله»[3] رواه أحمد، والبزّار. والله أعلم.

٢٠٥ - «يُؤتى بحَسناتِ العبْدِ وَسيِّئاتِه يومَ القيامة، فَيقْتصُّ بعْضُها ببعْض، فإنْ بَقِيتْ حَسنةٌ واحِدةٌ؛ أدْخِلَ الجنَّة»[4]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن ابن عباس.

ش - يؤتى بالحسنات: يُجَاءُ بها، والحسنات: جمع حسنة، ويعبَّر بها عن كل ما يسر من نعمةٍ تنال الإنسان في نفسه، وبدنه، وأحواله. والسيئات: جمع سيِّئة، وهي تضادُّ الحسنة، وهما من الألفاظ المشتركة، كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة، كالفرس، والإنسان، وغيرهما. ويوم القيامة: يوم قيام الساعة، وأصلُ القيامة: ما يكون من الإنسان من القيام دفعةً واحدةً، أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة.

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٦٥٧٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٣). والحاكم (١/ ٥٠٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه رقم (٣٨٠٠)، من حديث جابر رضي الله عنه وهو حديث حسنٌ.

(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٢). والبزار رقم (٢) وقال البزار شهر لم يسمع من معاذ نقول: وشهر ضعيف لسوء حفظه.

(٤) رواه البزار رقم (٣٤٥٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٤) وقال: رواه البزار ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. نقول: وللحديث شواهد، فهو فيها حسن لغيره.

والقصاص: القود، يقال: أقصَّ الأميرُ فلاناً من فلان: إذا اقتصَّ له منه، فجرحه مثل جرحه، أو قتله قَوَداً.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ثناؤه، وتعاظمت قدرتُه يخبرنا: أنَّ يوم القيامة ـ وهو يوم الساعة ـ يؤتى، ويجاءُ بحسنات العبد، وسيئاته، فتوزنُ بميزان العدل، ليظهر أي الكفتين أرجحُ، فيقتص بعضها ببعض، أي يقدر الحسنات والسيئات، فتسقط السيئات بحسب الحسنات ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فإن بقيت حسنةٌ واحدةٌ بعد ذلك له أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بإدخاله الجنة. واختلف في تسمية يوم القيامة بذلك؛ قيل: لكون الناس يقومون من قبورهم. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] وقيل: لوجود أمور المحشر، والوقوف، ونحوهما فيه. وقيل: لقيام الناس لربِّ العالمين، كما روى مسلمٌ في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه[1]. قال ابن عمر رضي الله عنهما يقومون مئة سنة. ويروى عن كعبٍ: يقومون ثلاثمئة سنة، وروى أبو يعلى بإسنادٍ صحيح، وابنُ حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] مقدار نصف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن، كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب[2] وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى، وابنُ حبَّان في صحيحه عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقيل: ما أطول هذا اليوم؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنَّه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخفَّ من صلاةٍ مكتوبة»[3].

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٦٥٣١) في الرقاق، ومسلم رقم (٢٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن حبان رقم (٧٣٣٣)، وأبو يعلى رقم (٦٠٢٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٧) وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد. وهو ثقة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥)، وابن حبان رقم (٧٣٣٤)، وأبو يعلى رقم (١٣٩٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٧) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى وإسناده حسنٌ على ضعف في راويه. من حديث أبي سعيد =

وقيل: إنما سمّي يوم القيامة لقيام الملائكة، والروح فيها صفاً. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبأ: ٣٨] قال القرطبيُّ(١): القيامة قيامتان: صغرى، وكبرى. فالصغرى: ما تقوم على كلِّ إنسان في خاصته، من خروج روحه، وانقطاع سعيه، وحصوله على عمله. والكبرى: هي التي تعمُّ الناس، وتأخذهم أخذةً واحدة. والدليل على أنَّ كل من مات قامت قيامته قولُ النَّبيِّ ﷺ لقوم من الأعراب سألوه عن السَّاعة، فنظر إلى أحدثِ إنسان منهم، فقال: «إنْ يعشْ هذا حتى يدركه الهرم قامتْ عليكم ساعتكم»(٢) رواه مسلم، وغيره. قال الشاعر:

خرجتُ من الدّنيا وقامتْ قيامتي ... غداةَ أقلَّ الحاملون جنازتي
وعجَّلَ أهلي حفرَ قبري وصيَّروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي

وموقف يوم القيامة موقفٌ عظيم وهو سهلٌ لمن حفظ حقوق الله، وأدَّاها كما أمر، وحافظ على حقوق العباد أينما كان، وهو صعبٌ شديدُ الصُّعوبة، وأشد من العذاب لمن انتهك محارمَ الله، وعبث بحقوق الناس. أخرج الإمامُ أحمد عن محمد بن أبي عميرة(٣). والطبرانيُّ عن عتبة بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً: «لو أنَّ رجلاً يخرُّ على وجهه من يومَ ولد إلى يومَ يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»(٤). وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: لو أنَّ رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبياً لخشي ألا

= الخدري رضي الله عنه. تقول: وإسناده ضعيف درَّاج في روايته عن أبي الهيثم ضعيفة.

(١) القرطبيُّ: هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسِّر. رحل إلى الشرق. واستقرَّ بمنية ابن خصيب. وتوفي ودفن بها في سنة (٦٧١)هـ ـ من مصنفاته: «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة» و«جامع أحكام القرآن» و«المبين لما تضمَّن من السنة وأي الفرقان».

(٢) روا مسلم رقم (٢٩٥٢) في الفتن من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٥)، والطبرانيُّ في الكبير (١٩/ ٢٤٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٨١) وقال: رواه أحمد موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٨٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥ و٥/ ٢١٩) من حديث عتبة بن عبيد رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

ينجوَ من ذلك اليوم. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[(١)]. وفي بعض ألفاظ الصحيح: «سبعين باعاً». وأخرج مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ـ قال ـ فتصهرهم الشَّمسُ فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى حَقْويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً»[(٢)]. وفي روايةٍ له: «تدنى الشَّمسُ يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل» قال سليم بن عامر: ما أدري ما يعني بالميل، مسافة الأرض، أو الميل الذي تكحل به العين؟ قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً». وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه، وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ عن ابن مسعود مرفوعاً: «إنَّ الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة، فيقول: يا ربِّ أرحني ولو إلى النار»[(٣)] ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

روى الإمام أحمد بإسنادٍ حسن عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «يحشرُ الله العبادُ يوم القيامة ـ أو قال ـ: الناسُ عراةً غرلاً بُهْماً. قال: قلنا: وما بُهْماً؟ قال ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الدَّيان، أنا الملك، لا ينبغي لأحدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌّ حتى أقضيَه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحدٍ من أهلِ النار عنده حقٌّ حتى أقضيه منه، حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف، وإنما

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٦٥٣٢)، ومسلم رقم (٢٨٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/٣ و٤)، ومسلم رقم (٢٨٦٤)، والترمذيُّ رقم (٢٤٢١)، والبغويُّ رقم (٤٣١٧)، وابن حبان رقم (٧٣٣٠) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٠٨٣) وأبو يعلى رقم (٤٩٨٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

نأتي عراةً غرلاً بُهْماً؟ قال: الحسنات، والسيئات»[1].

وإذا زادت سيئاتُه ولم يبق له حسنةٌ طُرِح عليه من سيئات الغير، ثم يلقى في النار. وفي صحيح مسلم، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ، وصيامٍ، وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا مِنْ حسناته. وهذا مِنْ حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضيَ ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثمَّ طُرِحَ في النار»[2] أسأل الله العظيم أن يسلمنا من هول ذلك اليوم!

والحديث لم يذكره الحافظُ الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد؛ وذكر ما يقاربه عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الرُّوح الأمين قال: قال الربُّ تبارك وتعالى: «يؤتى بسيئات العبد وحسناته، فيَقتصُّ، أو يَقْضي، فإن بقيتْ له حسنة وسَّع له في الجنة» رواه البزار ورجاله وثِّقوا على ضعفٍ في بعضهم. والله أعلم.

٢٠٦ ـ «يُؤْذيني ابنُ آدمَ بسَبِّ الدَّهْرِ، وأنا الدَّهْرُ، بيَدِي الأمرُ، أقلِّبُ الليْلَ والنهارَ»[3]. رواه أحمد، وهنَّاد، والشيخان عن أبي هريرة.

٢٠٧ ـ «يُؤْذيني ابنُ آدم بقوْله: يا خَيبَةَ الدَّهْرِ! فلا يَقُولنَّ أحَدُكمْ: يا خَيْبَةَ الدَّهرِ! فإنِّي أنا الدَّهْرُ، أقلِّبُ ليْلَهُ ونهارَهُ، فإذا شِئْتُ قَبَضْتُهما»[4]. رواه مسلم عن أبي هريرة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٥)، والبخاريُّ في الأدب المفرد (٩٧٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٥١٤)، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٣ و٣٣٤)، ومسلم رقم (٢٥٨١)، والبغويُّ رقم (٤١٦٤)، والترمذيُّ رقم (٢٤١٨)، وابن حبان رقم (١٤٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٣٨)، والحميديُّ رقم (١١٢٧)، والبخاريُّ رقم (٤٨٢٦) في التفسير ومسلم رقم (٢٢٤٦/ ٢)، وابن حبان رقم (٥٧١٥)، وأبو داود رقم (٥٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٢٤٦/ ٣). والبيهقي في السنن (٣/ ٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ش ـ الإيذاءُ: إيصالُ المكروه بأحد ضروبه، وإيذاء الله تعالى عبارةٌ عن فعل مالا يرضاه. والسبُّ: الشتم، والشتم: تقدَّم في شرح الحديث (١٠٩) فارجع إليه، والدهر في الأصل: اسمٌ لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ثم يعبَّر به عن كلِّ مدَّةٍ كثيرة، وهو خلاف الزَّمان، فإنَّ الزَّمان يقع على المدة القليلة، والكثيرة. والليل والنهار: معلومان. والخيبة: الحرمان، والخسران.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا أنَّ ابن آدم يؤذيه، ويوصل إليه المكروه؛ بأن يقول في حقِّه تعالى ما يكره بسبب سبِّ الدَّهر. وقد كان من شأن العرب أن تذمَّ الدهر، وتسبه عند النوازل، والحوادث، ويقولون: أبادهم الدَّهر، وأصابتهم قوارعُ الدَّهر، وحوادثه، ويكثرون ذكره بذلك في أشعارهم، وذكرَ الله عنهم في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] فنهاهم الله جلَّ ذكره عن ذمِّ الدَّهر، وسبِّه؛ أي: لا تسبُّوا فاعل هذه الأشياء، فإنَّكم إذا سببتموه وقع السبُّ على الله تعالى؛ لأنَّه الفعالُ لما يريد، لا الدَّهر، بيد الله الأمر يقلِّب الليل والنهار؛ أي: يجدِّدُهما، ويبليهما، ويذهبُ بالملكوت، والجبابرة. والمعنى: أنَّ الزمان يُذْعِنُ لأمر الله تعالى، ولا اختيار له، فَمَنْ ذمَّ الدَّهرَ والزمان على ما يظهر فيه صادراً عني؛ فقد ذمَّني، وأنا الضارُّ، والنَّافعُ، والدهر ظرفٌ لا أثر له.

قال الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه، وأبو عبيد، وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»: كانت العربُ في جاهليتها إذا أصابتهم شدَّةٌ، أو بلاءٌ، أو ملامةٌ؛ قالوا: يا خيبة الدهر! فيسندون تلك الأفعال إلى الدَّهر، ويسبونه، وإنَّما فاعلها هو الله، فكأنَّهم إنما سبوا الله سبحانه؛ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهي عن سبِّ الدهر بهذا الاعتبار؛ لأنَّ الله هو الذي يعنونه، ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسنُ ما قيل في تفسيره، وهو المراد والله أعلم.

وقد غلط ابنُ حزم ومَنْ نحا نحوَه من الظاهرية في عدِّهم الدَّهرَ من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث، وقد تبيَّن معناه في الحديث بقوله: «أقلب الليل والنهار» وتقليبه: تصرفه تعالى فيه بما يحبُّه الناس، ويكرهونه. ونسبة الفعل إلى الدَّهر ومسبته كثيرةٌ في أشعار المولدين كابن المعتز، والمتنبي، وغيرهما. وليس مِنْ سبِّ الدَّهرِ وصفُ السنين بالشدَّة، ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨] الآية. والله أعلم.

٢٠٨ ـ «يقُولُ اللهُ تَبارَك وتعالى للرَّحِمِ: خَلقْتُكَ بيدِي، وشَققْتُ لكَ

إسْماً مِنْ اسمي، وقَرَّبْتُ مكانَك منِّي، وعِزَّتي، وجَلالي لأصِلنَّ مَنْ وَصلكِ! ولأقْطعنَّ مَنْ قطعَكِ! ولا أرْضى حتَّى تَرْضَيْنَ»[1]. رواه الحكيم عن ابن عباس.

ش ـ الرَّحم: تقدَّم الكلام عليه في شرح الحديث (٥٣)، وكذا بقية الكلام عليه فارجع إليه.

٢٠٩ ـ «يقُولُ اللهُ للملائكةِ المُوكَّلينَ بأرْزاقِ بني آدَم: أيُّما عبْدٍ وجَدْتمُوهُ جَعلَ الهمَّ همّاً واحداً؛ فضَمِّنُوا رزْقهُ السَّمواتِ والأرْضَ، وأيُّما عبْدٍ وَجدْتمُوهُ طلَبه؛ فإنَّه يَجْري العَدلَ فطيِّبُوا له، ويسِّرُوا عَليْهِ، وإنْ تَعدَّى إلى خِلافِ ذلكَ، فَخلُّوا بَيْنَه وبينَ ما يُريدُ، ثمَّ لا يَنالُ فوْقَ الدَّرَجة التي كتَبْتُها لهُ»[2]. رواه أبو نعيم عن أبي هريرة.

ش ـ الملائكة: جمع ملأك في الأصل، ثُمَّ حذفت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك بفتح اللام، وقد تحذف الهاء، فيقال: ملائك، وقيل: أصله: مألك بتقديم الهمزة، من الألوك: الرسالة، ثم قُدِّمت الهمزة وجمع، وهي أجسامٌ نورانية، قادرةٌ على التشكُّل والظهور، والهمُّ في الأصل: أول العزيمة، والعزم القويُّ، والقصد.

والمعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ اسمه يقول لملائكته الموكلين بأرزاق بني آدم: أيما عبدٍ من عبادي ذكراً كان أو أنثى وجدتموه جعل الهمَّ هماً واحداً، همَّ المعاد، وما بعد الموت، فضمنوا رزقه السموات والأرض، ولا تكلفوه له، وأيما عبد من عبادي وجدتموه طلب الرزق لسدِّ قوته، وتقويم بنيته، وإصلاح جسمه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [تبارك: ١٥] فإنَّ العبد يتبع جريان العدل في ذلك، فطيبوا له رزقه، ويسِّروا عليه ذلك، وإن تعدَّى العبد إلى خلاف ذلك بأن انهمك في الدنيا، وجعل الهمَّ هموماً وتشعبتْ به الهموم أحوال الدنيا مجرداً؛ فخلوا بينه وبين ما يريد، وزيادة على ذلك؛ فإن تشعُّبَ الهموم وانهماكه في الدنيا لا يفيده شيئاً، ولا ينال فوق الدرجة التي كتبها الله عزَّ وجلَّ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧] وقال جلت عظمته: ﴿مَّن

(١) رواه الحكيم في نوادر الأصول. ص (١٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٢) لم نجده بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المصادر.

كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]
وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «من جعل الهمَّ همّاً واحداً كفاه الله همَّ الدنيا، ومن تشعبته الهموم؛ لم يبال الله في أيِّ أودية الدنيا هلك»[١] رواه الحاكم والبيهقيُّ من طريقه وغيرها، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ورواه ابن ماجه في حديثٍ عن ابن مسعودٍ وفي روايةٍ له عن ابن مسعودٍ أيضاً قال: سمعت نبيَّكُم ﷺ يقول: «مَنْ جعل الهموم همّاً واحداً همَّ المعاد؛ كفاه الله همَّ دنياه، ومَنْ تشعَّبتْ به الهمومُ أحوالَ الدنيا لم يبال الله في أيِّ أوديته هلك»[٢].

قال الشيخ السندي[٣]: فالحاصل: أنَّ ما كُتِبَ للعبد من الرِّزق يأتيه لا محالة، إلا أنَّه مَنْ طلب الآخرة يأتيه بلا تعبٍ، ومَنْ طلب الدنيا يأتيه بتعبٍ، وشدَّةٍ، فطالب الآخرة قد جمع بين الدنيا والآخرة، فإنَّ المطلوب مِنْ جمع المالِ الراحةُ في الدنيا، وقد حصلت لطالب الآخرة، وطالب الدنيا قد خسر الدنيا والآخرة؛ لأنه في الدنيا في التعب الشَّديد في طلبها، فأيُّ فائدة له في المال إذا فاتت الراحةُ. انتهى.

والملائكة اختلف الناس في حقيقتها بعد اتفاقهم على أنَّها موجودةٌ سمعاً، وعقلاً، فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسامٌ نورانية. وقيل: هوائيةٌ قادرةٌ على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى. وقالت النصارى: إنها الأنفس الناطقة المفارقة لأبدانهم الصافية الخيرة، والخبيثة عندهم شياطين. وقال عبدة الأوثان: إنَّها هذه الكواكب السعد منها ملائكة الرَّحمة، والتعس ملائكة العذاب. والفلاسفة يقولون: إنَّها جواهر مجرَّدةٌ مخالفةٌ للنفوس الناطقة في الحقيقة، وصرَّح بعضُهم: بأنها العقول العشرة، والنفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك، وهي عندنا منقسمةٌ إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحقِّ، والتنزُّه عن الاشتغال بغيره، يسبِّحون الليل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٤٣ و٤/٣٢٩). وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث حسن.
(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٥٧) في المقدمة. ورقم (٤١٠٦) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه. وهو حديث حسن. ويشهد له ما قبله.
(٣) السِّندي: هو محمد بن عبد الهادي أبو الحسن نور الدين السندي، فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير، أصله من السند، له حواشٍ على الكتب الستة، توفي بالمدينة سنة (١١٣٨)هـ.

والنهار لا يفترون، وهم العليون، والملائكة المقربون. وقسمٌ يدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء، وجرى به القلم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وهم المدبرات أمراً، فمنهم سماوية، ومنهم أرضية، ولا يعلم عددهم إلا الله، وفي الخبر: «أطت السماء وحقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع»[(١)]. وهم مختلفون في الهيئات، متفاوتون في العظم، لا يراهم على ما هم عليه إلا أرباب النفوس القدسية، وقد يظهرون بأبدان يشترك في رؤيتها الخاصُّ والعامُّ وهم على ما هم عليه. قيل: إنَّ جبريل عليه السلام في وقت ظهوره في صورة دحية الكلبي بين يدي المصطفى ﷺ لم يفارقْ سدرة المنتهى، ومثله يقع للكمَّل من الأولياء، وهذا ما رواه طور العقل، وأنا به من المؤمنين.

وقد ظهر للناس في عالم مصر تفسير سنة ١٣٤٩ أسماه ناشره: (الهداية والعرفان) وليس له من اسمه نصيب، وحقيقٌ به أن يسمَّى: الغواية والبهتان جرى فيه ناشره على قلب الحقائق، وإنكار ما وراء الطبيعة، وما لا يرى، كالملائكة، والشياطين، والجنِّ، وذهب مذهب الباطنية المستحدثين، فقامت عليه العلماء من سائر الأقطار الإسلامية، وسفَّهوا تفسيره، وردُّوا عليه بردود كثيرة، وأخرجوه من جماعة الموحِّدين، وطلَّقوا منه زوجته بالمحكمة الشرعية بسبب ردَّته، وإلحاده، على رأسهم المرحوم صاحب مجلة المنار سيد رُشيد رضا، فقد كال له الكيل الأوفى، وصادرت الحكومة نسخ التفسير، وطردت مشيخةُ الأزهر مَنْ روَّج هذا التفسير، وفصلته من معاهدها، وبعضُ مروجيه خاف عاقبة أمره أن يفعل به ذلك، فحمي، ومات في يومه ذلك، ويعدُّ هذا معجزةً للدين الإسلامي، وللقرآن الحكيم. اللهمَّ احفظه من سقطات الساقطين، وترَّهات المكذبين، وإفك الملحدين. والله أعلم.

٢١٠ ـ «يقُولُ اللهُ لملائكَتهِ: انْطَلِقُوا إلى عبْدِي، فَصبُّوا علَيْهِ البَلاءَ صباً، فإنِّي أُحِبُّ أنْ أسمَعَ صوْتَهُ»[(٢)]. رواه الطبرانيُّ عن أبي أمامة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٣)، والترمذيُّ رقم (٢٣١٣) في الزهد وابن ماجه رقم (٤١٩٠) من حديث أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه وهو حديث حسن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (٧٦٩٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٩١) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير، وفيه عُفير بن معدان. ضعيف. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. نقول: وللحديث شواهد؛ لعلَّه بها يرتقي إلى درجة الحسن.

ش ـ الصبُّ في الأصل: الإراقة، والسكب. والبلاء: الاختبار.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره يقول لملائكته الكرام الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويأمرهم بأن ينطلقوا إلى عبدٍ من عباده ذكراً كان أو أنثى، وهو موصوفٌ عندهم باسمه، وشخصه، ويصبُّوا عليه البلاء صبّاً؛ لأن الله جلَّ اسمه يحبُّ أن يسمع صوت عبده ذلك، ليظهر لملائكته، وخلقه ما يقول، والله أعلم بما في ضمير العبد، وقلبه، وما ينطق به لسانُه. والابتلاء: الاختبار، ويطلق على التكاليف. قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: وسُمِّيَ التكليف بلاءً من أوجه: أحدها: أنَّ التكاليف كلَّها مشاقٌّ على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاءً، والثاني: أنَّها اختبارات، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١] والثالث: أنَّ اختبار الله تعالى للعباد تارةً بالمسارِّ ليشكروا، وتارةً بالمضارِّ ليصبروا، فصارت المحنة، والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنةُ مقتضيةٌ للصبر، والمنحـةُ مقتضيةٌ للشكر، والقيام بحقوق الصَّبر أيسرُ من القيام بحقوق الشُّكر، فصارت المحنةُ أعظمَ البلاءين، وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: بلينا بالضَّراء، فصبرنا، وبلينا بالسرَّاء فلم نصبر. ولهذا قال أمير المؤمنين: مَنْ وُسِّعَ عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مُكِرَ به؛ فهو مخدوع عن عقله. وقال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [الأنفال: ٧] وقوله عز وجل: ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩] راجع إلى الأمرين إلى المحنة التي في قوله عز وجل: ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦] وإلى المنحة التي أنجاهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ [الدخان: ٣٣] راجع إلى الأمرين، كما وصف كتابه بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] وإذا قيل: ابتلى فلان كذا، وأبلاه، فذلك يتضمَّن أمرين؛ أحدهما: تعرُّف حاله، والوقوف على ما يجهلُ من أمره، والثاني: ظهور جودته، ورداءته، وربما قصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما، فإذا قيل في الله تعالى: بلا كذا، أو بلاه؛ فليس المراد منه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرُّف لحاله، والوقوف على ما يجهل من أمره؛ إذ كان الله علامَ الغيوب.

وقال العلامة الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٤١] أصل البلاء: الاختبار، وإذا نسب إليه تعالى يراد منه ما يجري مجراه من العباد على المشهور. وهو تارةً يكون بالمسارِّ ليشكروا، وتارةً

بالمضارِّ ليصبروا، وتارةً بهما ليرغبوا، ويرهبوا، فإن حملت الإشارة على المعنى الأول؛ فالمراد بالبلاء: المحنة، وإن حُمِلَتْ على الثاني؛ فالمراد به: النعمة، وإن حُمِلَتْ على الثالث؛ فالمراد به: القدر المشترك كالامتحان الشائع بينهما. ويرجح الأول التبادر. والثاني: أنه في معرض الامتنان. والثالث: لطفُ جمع الترغيب والترهيب.

ومعنى حبِّ الله تعالى لسماع صوت عبده المبتلى: أنَّ العبد الصادق إذا ابتلي، وصبَّت عليه البلايا، وما يكره، ويؤذيه يلتجىء إلى الله جلَّ ذكره، ويظهر العبودية، وبذلك تظهر معنى الألوهية، وتتحقَّق عظمةُ الرُّبوبية، والحديث الله أعلم بمرتبته.

٢١١ ـ «يَقولُ اللهُ يوْمَ القيامةِ: أخْرِجُوا منَ النَّار مَنْ ذَكرَني يوْماً، أوْ خافَني في مَقامٍ»[(١)]. رواه الترمذيُّ عن أنس.

ش ـ المقام ـ بفتح الميم ـ يكون مصدراً، واسم مكان القيام، وزمانه، ويطلق على المنزلة.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة، ويأمرهم بإخراج من دخل النار من عباده المؤمنين؛ وكان ذكر الله جلَّ ذكره يوماً ما من أيام حياته، أو خاف الله تعالى في مقام ما مدَّة عمره. قال المفسرون في تأويل المقام في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] مقام: مصدر ميمي بمعنى القيام مضاف إلى الفاعل؛ أي: ولمن خاف قيام ربه، وكونه مهيمناً عليه، مراقباً له، حافظاً لأحواله، فالقيام هنا مثله في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٢] وهذا مروي عن مجاهد، وقتادة، أو هو اسم مكان، والمراد به: مكان وقوف الخلق في يوم القيامة للحساب. والإضافة إليه تعالى لاميّةٌ اختصاصيّة لأن الملك له عز وجل وحده فيه بحسب نفس الأمر والظاهر، والخلق قائمون له، وقيل: مقامه سبحانه: هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فالمقام مصدر بمعنى القيام، وقيل: المعنى: خاف قيام ربه عليه، وهو إشرافه على أحواله، واطلاعه على أفعاله، وأقواله.

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٢٥٩٧)، وابن خزيمة رقم (١٩٢) والحاكم (١/ ٧٠) وصححه ووافقه الذهبيُّ. وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٣)، من حديث أنس بن مالك، وهو حديث حسن.

قال الطيبيُّ: أراد به الذِّكر بالإخلاص، وهو توحيدُ الله عن إخلاص القلب، وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب، يدلُّ عليه قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»[1] والمراد بالخوف: كفُّ الجوارح عن المعاصي، وتقييدها بالطاعات، وإلا فهو حديث نفس، وحركةٌ لا يستحقُّ أن يسمَّى خوفاً، وذلك عند مشاهدة سببٍ هائل، وإذا غاب ذلك السبب عن الحسِّ رجع القلب إلى الفضلة. قال الفضيل: إذا قيل لك: هل تخافُ الله فاسكت، فإنك إذا قلت: لا، كفرت، وإذا قلت نعم، كذبت: أشار به إلى الخوف الذي هو كفُّ الجوارح عن المعاصي.

والحديث يدلُّ على فضل الذِّكر، والخوف من الله تعالى، وقد تقدَّم الكلام عليه في غير موضعٍ من هذا الكتاب، فارجع إليه، ففيه الكفاية.

وذكر الحافظ الترمذيُّ هذا الحديث في جامعه، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. والله أعلم.

٢١٢ ـ «يَقولُ اللهُ تعالى يوْمَ القيامةِ لِلولدانِ: ادْخُلوا الجنَّة! فَيقُولونَ: يا ربِّ حتى يَدْخُلَ آباؤُنا، وأمَّهاتُنا! فَيأتُونَ، فيقُولُ اللهُ: ما لي أراهُمْ مُحْبَنْطِئينَ؟! ادْخُلوا الجنَّة، فَيقُولونَ: يا ربِّ آباؤُنا! فَيقُول: ادْخُلوا الجنَّة أنتمْ وآباؤُكمْ»[2]. رواه أحمد عن شرحبيل بن شفعة عن رجلٍ من الصحابة.

ش ـ الولدان؛ كصبيان: جمع وليد، الصَّبي «والمحبنطىء ـ بالهمز وتركه ـ: المتغضِّبُ المستبطىءُ للشيءِ، وقيل: هو الممتنعُ امتناعَ طلبةٍ لا امتناع إباءٍ، يقال: احبنطأت، واحبنطيت.

يقول الله تعالى اسمه يوم القيامة للصبيان الذين لم يبلغوا الحلم: ادخلوا الجنة،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٦)، والحميديُّ رقم (٣٦٩)، وابن حبان رقم (٢٠٠) من حديث معاذ رضي الله عنه، وهو حديثٌ صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٠٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٨٣). وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير شرحبيل، وهو ثقة. أقول: هو حديث صحيح.

فيقفون، ويمتنعون من الدخول امتناع دلال، لا امتناع إباء، ويقولون: يا رب لا ندخلها حتى تدخل آباؤنا الذين هم أصلٌ لنا، وأمهاتنا اللاتي حملننا في بطونهنَّ تسعة أشهرٍ، وربيننا، وسهرْنَ علينا ليالي وسنين، فيأتون أبواب الجنة، ويقفون وقفة رجاءٍ والتماسٍ، فيقول الله تبارك وتعالى: مالي أرى هؤلاء الصبيان محبنطئين، وممتنعين من دخول الجنة؟! فيأمرهم ثانياً، فيقولون: يا رب آباؤنا! أي: اؤمر بدخولهم معنا؛ لنفرحَ، ونسرَّ، ويتمَّ نعيمنا، فيجيبهم الله تعالى بقوله: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم! فيدخلونها فرحين، مستبشرين، مغتبطين.

وفي الحديث دلالةٌ على أنَّ الوِلْدان؛ أي: الصبيان يدخلون الجنة، فيمتنعون، ويشفعون لآبائهم، وأمهاتهم، ويطلبون من ربِّهم تعالى أن يُدخِلَ آباءهم، وأمهاتهم معهم الجنة، فيجيبهم الربُّ تبارك وتعالى إلى طلبهم، ويقبل شفاعتَهم فيهم.

وشرحبيل بن شُفْعة المذكور في الحديث هو الرحبي، ويقال: العنسيُّ الشاميُّ أبو يزيد، روى عن عتبة بن عَبْد السُّلَميِّ، وعمرو بن العاص، وأبي عتبة الخولاني وشرحبيل بن حسنة وغيرهم، وعنه جرير بن عثمان. ذكره ابن حبَّان في الثقات. قاله الحافظُ ابنُ حجر في تهذيب التهذيب. والله أعلم.

٢١٣ ـ «يقولُ اللهُ تعالى يومَ القيامةِ: يا آدمُ! قُمْ، فجَهِّز، مِنْ ذُرِّيَّتِكَ تسعمئةٍ وتِسْعةً وتِسْعينَ إلى النَّارِ، ووَاحداً إلى الجنَّةِ. فبَكى، وبَكى أصحابُه، فقال: ارْفَعُوا رُؤوسكمْ، فوالَّذي نَفْسي بيدِه ما أمَّتي في الأمَمِ إلا كالشَّعْرةِ البيْضاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأسْوَدِ!»[١]. رواه الطبرانيُّ في الكبير عن أبي الدَّرداء.

ش ـ التجهيز: التهيُّؤ، والتمييز. والذريَّة: أصلها: الصِّغار من الأولاد، وإن كان قد يقعُ على الصِّغار، والكبار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد، والجمع، وأصله الجمع، والثَّور: الذكر من البقر.

المعنى ـ والله أعلم ـ يقول الله تبارك وتعالى لآدم: يا آدم! فيقول: لبيك، وسعديك يا ربنا ـ يوم القيامة ـ قم، فجهز، وهيىء، وميِّز، وافرق من ذرِّيتك تسعمئة وتسعة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٤٤١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٣) وقال: رواه أحمد، والطبرانيُّ، وإسناده جيد، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. نقول: إسناده حسن.

وتسعين، وألقهم إلى النار بسبب عصيانهم أوامري، واتِّباعهم شهواتِ أنفسهم، وشياطينهم، وواحداً منهم إلى الجنة لأنَّه أطاعني، وسمع كلامي، وعمل بوصاياي، ولم يخالفني، وحاربَ شيطانه، وهواه. فلما أخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ أصحابه بذلك بكى شفقةً، ورحمةً على أمته، وبكى أصحابُه رضي الله عنهم، وطأطؤوا رؤوسهم حزناً، وخوفاً، وشقَّ عليهم ذلك، ووقعت عليهم الكآبة، والحزنُ، فلمَّا رأى بكاءهم أراد أن يزيلَ عنهم الخوفَ، والحزن الذي اعتراهم من سماع ذلك الخبر، فبشَّرهم، وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم، وأبشروا، فوالله الذي نفسي بيده ما أمتي هذه ـ أعني: أمة محمد ﷺ ـ في الأمم السابقة إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود لقلَّتها، وكثرة الأمم التي قبلها، فيؤخذ من الأمم السابقة تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النَّار، وواحد من أمَّة محمد ﷺ إلى الجنَّة.

والحديث رواه البخاريُّ في صحيحه بأوسع من هذا بسنده عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: يقولُ الله عزَّ وجل يوم القيامة: «يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك! فينادي بصوتٍ: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ أراه قال: تسعمئةٍ وتسعةً وتسعين. فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد. فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبيُّ ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمئة وتسعةٌ وتسعون، ومنكم واحدٌ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبَّرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبَّرنا ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبَّرنا[1].

قال الطيبيُّ: فيه إشارةٌ إلى أنَّ يأجوج ومأجوج داخلون في العدد المذكور، والوعيد، كما يدلُّ قوله: ربع أهل الجنة: على أنَّ في غير هذه الأمة أيضاً من أهل الجنة. وقال القرطبي: قوله: «من يأجوج ومأجوج ألف» أي: منهم وممن كان على الشِّرك مثلهم. وقوله: «ومنكم رجل» يعني: من أصحابه، ومن كان مؤمناً مثلهم. والله أعلم.

٢١٤ ـ «يَقولُ اللهُ تَعالى كلَّ يوْمٍ للْجنَّةِ: طيبي لأهْلكِ! فَتزْدادُ طيباً، فذلكَ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٣)، والبخاريُّ رقم (٧٤٨٣ و٦٥٣٠) ومسلم رقم (٢٢٢) في الإيمان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

البَرْدُ الذي يَجدُه النَّاسُ سَحَراً مِنْ ذلك»[1] . رواه الطبرانيُّ في الأوسط عن جابر .

ش ـ السَّحَر ـ بفتحتين ـ: قبيل الصبح .

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ اسمه يخاطب الجنَّة، ويقول لها كلَّ يوم: طيبي، أي: تطيبي، واجعلي الطيب فيك لأهلك الساكنين فيك، والذين سيسكنون، فتزداد طيباً على طيب. ولما كان هذا الطيب من طيب الآخرة كانت مزاياه أرقى من مزايا طيب الدُّنيا، فإنَّ الناس في الدنيا تجد أثره، وهو البرد الذي يقع آخر الليل قُبَيْلَ الصُّبح. وانظر ما حباه الله جل ذكره لخلقه، وما أنعم عليهم به في الدنيا والآخرة، أفلا يكون الإنسان شاكراً نعم ربه، وحامداً له في السَّراء والضرَّاء، فيقبل على الطاعات، ويجتنب المنهيات، ويحافظ على حقوق العباد. اللهم وفقنا لذلك!

والحديث ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، وفيه: عمر بن عبد الغفار، وهو متروك.

٢١٥ ـ «يَقولُ اللهُ تَعالى للعُلماءِ يوْمَ القِيامةِ إذا قَعدَ على كُرْسِيِّهِ لِقَضاءِ عِبادِهِ: إنِّي لَمْ أَجْعلْ عِلْمي، وحِلْمي فيكمْ إلا وأنَا أريدُ أنْ أَغْفِرَ لَكمْ على ما كانَ منْكمْ، وَلا أبالِي»[2] . رواه الطبرانيُّ في الكبير عن ثعلبة بن الحكم الليثي .

ش ـ المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلت عظمتُه يخاطب علماءَ الأمم، والمتنوِّرين منهم يوم القيامة إذا قعد جلَّ وعلا على كرسيِّه للقضاء بين خلقه والفصل بينهم في حقوقهم وحقوقه تعالى، ويقول لهم: إني لم أجعلْ علمي، وحلمي فيكم أيها العباد إلا وأنا أريد أنْ أغفرَ لكم على ما كان، ووقع منكم من الهفوات، والزلاَّت، والتقصيرات في الحقوق، ومراعاة الخلق، ولا أبالي! أي: لا أهتمُّ به، ولا أكترث.

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الصغير رقم (٧٥)، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد (١٠/ ٤١٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه عمرو بن عبد الغفار متروك. والحديث ضعيف جداً.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨٨٤٥) من حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه. وفي إسناده العلاء بن مسلمة، قال في الميزان: قال الأزدي: لا تحل الرواية عنه. كان لا يبالي ما روى: وقال ابن طاهر: كان يضع الحديث. وقال ابنُ حبَّان: يروي الموضوعات عن الثقات. وقال الحافظ في التقريب: متروك، ورماه ابن حبّان بالوضع. فالحديث ضعيف بهذا التمام والإسناد.

وتقدَّم الكلامُ على العلم، والحلم غيرَ مرَّةٍ، فلا حاجة للإعادة، وإضافتهما إلى الله تعالى هنا لتعظيم المضاف، والكرسيُّ المذكور في هذا الحديث؛ هل هو الكرسي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أم غيره؟ وعلى كلٍّ فالكرسيُّ في تعارف العامة: ما يجلس عليه، ولا يفضل في مقعد القاعد، قال العلامة الآلوسي في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: الكرسيُّ جسمٌ بين يدي العرش محيطٌ بالسموات السَّبع. وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المُنْذر عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: لو أنَّ السموات السَّبع والأرضين السَّبع بسطْنَ، ثم وصلْنَ بعضهن إلى بعض ما كنَّ في سعته ـ أي: الكرسي ـ إلا بمنزلة الحلقة في المفازة. وهو غير العرش، كما يدلُّ عليه ما أخرجه ابنُ جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن أبي ذرٍّ أنَّه سأل النَّبيَّ ﷺ عن الكرسيِّ؟ فقال: «يا أبا ذر! ما السمواتُ السَّبعُ، والأرضون السَّبعُ عند الكرسيِّ إلا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وإنَّ فضل العرش على الكرسيِّ كفضل الفلاةِ على تلك الحلقة». وفي رواية الدارقطنيِّ، والخطيب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلخ قال: كرسيُّه: موضعُ قدميه، والعرش لا يقدر قدره»[1] وقيل: هو العرش نفسه، ونسب ذلك إلى الحسن. وقيل: قدرة الله تعالى. وقيل: تدبيره. وقيل: مَلَكٌ من ملائكته، وقيل: مجاز عن العلم، عن تسمية الشيء بمكانه؛ لأنَّ الكرسيَّ مكان العالم الذي فيه العلم، فيكون مكاناً للعلم بتبعيته؛ لأنَّ العَرَض يتبعُ المحل في التحيز حتى ذهبوا إلى أنه معنى قيام العَرَضِ بالمحلِّ، وحُكِيَ ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل: عن المَلِكِ؛ أخذاً من كرسي المَلِك. وقيل: أصل الكرسي: ما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد. والكلام مُقاسٌ على سبيل التمثيل لعظمته تعالى، شأنه، وسعة سلطانه، وإحاطة علمه بالأشياء قاطبةً. ففي

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ وقال: قال شجاع بن مخلد في تفسيره أخبرنا أبو عاصم عن سفيان عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ فذكره. وإسناده ضعيف.
ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وهو كما قالا. صحيح موقوفاً على ابن عباس.

الكلام استعارةٌ تمثيليةٌ، وليس ثمة كرسيٌّ، ولا قاعدٌ، ولا قعود. وهذا الذي اختاره الجمُّ الغفير مِن الخَلَفِ ـ فراراً من توهم التجسيم، وحملوا الأحاديث التي ظاهرها حمل الكرسي على الجسم المحيط على مثل ذلك لاسيما الأحاديث التي فيها ذكرُ القدم كما قدمنا، وكالحديث الذي أخرجه البيهقيُّ وغيره عن أبي موسى الأشعري: الكرسيُّ موضع القدمين، وله أطيطٌ كأطيط الرحل[1]. وفي روايةٍ عن عمر مرفوعاً: «له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد؛ إذا ركب عليه من يثقله ما يفضل منه أربع أصابع»[2] ـ وأنت تعلم: أنَّ ذلك وأمثاله ليس بالداعي القوي لنفي الكرسيِّ بالكلية، فالحقُّ: أنه ثابت كما نطقت به الأخبارُ الصحيحةُ، وتوهُّم التجسيم لا يُعبأ به، وإلا للزم نفي الكثير من الصفات، وهو بمعزلٍ عن اتباع الشارع، والتسليم له، وأكثر السَّلف الصالح جعلوا ذلك من المتشابه الذي لا يحيطون به علماً، وفوضوا علمه إلى الله تعالى مع القول بغاية التنزيه، والتقديس له تعالى شأنه. انتهى.

وقد دلَّت الآياتُ الكثيرةُ على فضل العلم، وما للعلماء من الدَّرجات الرفيعة يوم القيامة، وكذلك وردت الأحاديث الصحيحة في التشييد برفعة العلماء، ومكانتهم عند الله عز وجل، ويكفي في وصفهم أنَّهم ورثةُ الأنبياء. وهذا كلُّه في العلماء العاملين المخلصين في عملهم، والمحافظين على مكانتهم لدى الله جلَّ وعزَّ، ولدى الناس أجمع، لأنَّهم القدوة. قال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى في كتابه (الترغيب والترهيب) بعد ما أورد هذا الحديث عن طريق ثعلبة بن الحكم الصَّحابي: رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات، قال الحافظ ـ يعني: نفسه ـ: وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى: «علمي وحلمي» وأمْعنِ النظر فيه؛ يتضحْ لك بإضافته إليه عزَّ وجل: أنَّه ليس المراد به علم أكثر أهل الزمان المجرد عن العمل به والإخلاص. انتهى، وقد علقت عليه هناك، وقلت: انظر يا أخي صانك الله عن المساوي إلى كلام الحافظ وقد

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٢٩٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه موقوفاً. وإسناده صحيح.

(٢) رواه البزار رقم (٣٩) وقال: لا نعلم أحداً من الصحابة رفعه إلا عمر، وقد رفعه الثوري على عمر. وعبد الله بن خليفة لم يرو عنه إلا أبو إسحاق. وقد روى عن جبير بن مطعم بغير لفظه وابن الجوزي في العلل المتناهية رقم (٢ و٣) وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وإسناده مضطرب جداً. وعبد الله بن خليفة ليس من رجال الصحيح.

كان في عصر العلم والعمل ـ وهوَ القرن السابع ـ فما كان يقول لو أدرك علماء عصرنا هذا، ورأى توسُّعهم في الملابس غير المشروعة، والمآكل، والتباهي بالعلم، واتخاذه وسيلةً لنيل حطام الدُّنيا من غير مبالاةٍ بالأمر والنهي، ومن غير خوفٍ من يومٍ تهتزُّ له القلوب، وترجف منه الأجسام. نسأل الله تعالى حفظ هذه الأمة من ذلك! وقد جاءت الآياتُ القرآنية، والأحاديثُ النبويَّة بتهديد العلماء المتساهلين بدينهم، ووعدهم بالعقاب الشديد، والعذاب الأليم، ويحمل هذا الحديث على العلماء الذين تساهلوا، ووقع منهم هفوات، ثم استدركوها، وتابوا إلى الله تعالى، وأنابوا إليه بتوفيق الباري لهم على ذلك. نسأل الله السلامة! والله أعلم.

٢١٦ ـ «يقُول اللهُ تعالى يوْمَ القيامةِ: أيْنَ جيراني؟ فَتقولُ المَلائكةُ: مَنْ هـذا الَّـذي يَنْبغـي لـهُ أنْ يُجـاورُكَ؟ فيقـولُ: أيْـنَ قُـرَّاءُ القُـرآن، وعُمَّـارُ المساجِد؟»[١]. رواه أبو نعيم عن أبي سعيد.

ش ـ الجيران: جمع جار، المجاور في السكن. والملائكة: تقدَّم الكلام عليها في شرح الحديث رقم (١١٣) وشرح الحديث رقم (٢٠٩) فارجع إليهما، والقرَّاء بتشديد الراء: جمع قارىء: التالي للقرآن، والعمَّار: جمع عامر، والمساجد: جمع مسجد، معروفٌ.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك اسمُه يخاطبُ ملائكته يوم القيامة، ويقول لهم: أين جيراني في الدنيا؟ فيسأل عنهم الملائكة ليكرمهم، ويحبوهم النعم التي يستحقونها، فتقول الملائكة لله جل وعز: مَنْ هذا الذي ينبغي له أن يجاورك؟! استفهاماً منهم مشوباً بتعجب، فيقول الله تعالى لهم: أين قراءُ القرآن في الدنيا من عبادي، وكذلك عمَّار المساجد الذين يعمرونها ببنائها، وملازمتهم إياها في الصلوات الخمس، أولئك هم جيراني الملازمون لبيوتي، وقراءة كلامي.

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في ترغيب قراءة القرآن، وفضل القرَّاء الذين يعملون، ويخلصون في قراءتهم، وما لهم في الآخرة من أجرٍ ومكانةٍ لا سيَّما إذا كانوا من

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية رقم (١٥٠٣٩). وذكره الغزالي في الإحياء (١/ ١٥٢) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: رواه أبو نعيم من حديث أبي سعيدٍ بسندٍ ضعيف.

العلماء الأخيار؛ الذين يفقهون ما يقرؤون، ويعملون بما يفهمون.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالها. لا أقول ﴿ألم﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميم حرف»[1] رواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب. وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب تبارك وتعالى: «من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[2] رواه الترمذي، وقال حديث حسن غريب. وعن أبي أمامة الباهليِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن؛ فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[3] رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يجيء صاحبُ القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حَلِّه! فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زِدْه! فيلبس حلة الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه! فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ، وارق، ويزاد بكل آيةٍ حسنة»[4]. رواه الترمذيُّ وحسنه، وابن خزيمة، والحاكم، وقال: صحيحُ الإسناد.

وأما عمَّار المساجد، والملازمون لها: فقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في فضلهم، ورفع منزلتهم عند الله تعالى، فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾»[5] رواه الترمذيُّ، واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ غريب، وابنُ ماجه، وابن خزيمة، وابن حبَّان في صحيحيهما، والحاكم كلُّهم

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٢٩١٢) في ثواب القرآن من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٧)، والدارمي (٢/ ٤٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه مسلم رقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذيُّ رقم (٢٩١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٢) وصححه، ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٥) رواه الترمذيُّ رقم (٢٦١٧ و٣٠٩٣)، وابن خزيمة رقم (١٥٠٢)، وابن حبان رقم (١٧٢١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

من طريق درَّاج أبي السَّمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

ورُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ عمَّارَ بيوتِ الله هم أهلُ الله عزَّ وجل»[١] رواه الطبرانيُّ في الأوسط. والله أعلم.

٢١٧ ـ «يقولُ اللهُ يومَ القيامةِ: أدْنُوا منِّي أحِبَّـائي! فتقولُ الملائكةُ: مَنْ أحبَّـاؤكَ؟ فيقولُ: فُقراءُ المُسْلمين. فيُـدْنَـوْنَ منـهُ، فيقولُ: أمَّا إنِّي لـمْ أزْوِ الدُّنيا عنكمْ لِهَوانٍ كان بكمْ عليَّ، ولكنْ أردْتُ بذلكَ أن أضعِّف لَكمْ كرامتي اليوْمَ، فتَمنَّوْا عليَّ ما شئتمُ اليوْمَ! فيُؤمَرُ بهمْ إلى الجنَّةِ قبْلَ الأغْنياءِ بأرْبعينَ خَريفاً»[٢]. رواه أبو الشيخ عن أنس.

ش ـ أدنوا مني أحبائي: قرِّبوهم مني. والأحباء: جمع حبيب. وأزو: أصرف، وأقبض. والهوان: الذلُّ، والحقارةُ، والضعف. والخريف: الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله سبحانه وتعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة، ويقول لهم: أدنوا مني، وقرِّبوا أحبائي من عبادي. فتقول الملائكة: من أحباؤك يا رب؟! استفهام تعجب؛ لأنهم لا يعرفون أنَّ الله جلَّ ذكره يحبُّ، فيجيبهم جلَّ ذكره، ويقول لهم: أحبَّائي: هم فقراءُ المسلمين من الأمة؛ لأنَّهم أحبُّوني، وتركوا لذاتِ الدُّنيا، وزينتها، فعاشوا فقراء الله جلَّ اسمه في أرضه، فأحببتُهم، واليوم أحبُّهم، وأكرمُهم بكرامةٍ لا تكون لغيرهم في الآخرة، فتُقرِّبُهم الملائكة، ويدنونهم من الله جلَّ جلاله ـ وهو أقربُ إلى عباده مِنْ حبل الوريد ـ فيخاطبُهم الربُّ، ويقول لهم: يا عبادي الفقراء في الدنيا !ـ وإن كنتم أغنياء النفس فيها ـ أما إني لم أزو، وأمنعْ، وأصرفْ، وأقبض الدنيا من مالٍ، وعقارٍ عنكم فيها لهوانكم عندي، وذلِّكم، واحتقاركم، ولكن

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الأوسط (٢٥٢٣). وعبد بن حميد رقم (٣٨٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٣) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، وأبو يعلى، والبزار، وفيه صالح المرِّي وهو ضعيف.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ/ ٦/ ورقم (١٦٦٣٠)، وذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ١٩٧) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: رواه أبو الشيخ من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

أردتُ بذلك أن أضعف لكم، وأعوِّضَكم عن ذلك كرامتي اليوم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] فتمنوا عليَّ يا عبادي، وفقرائي في الدنيا ما شئتم اليوم! فإنِّي أمنحكم ما تطلبون وتتمنون. وبعد ذلك يأمر الربُّ بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً. يعني: أربعين سنة.

وقد جاء وصفهم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يدخلُ فقراءُ أمَّتي الجنةَ قبل أغنيائهم بأربعينَ خريفاً. فقيل: صفهم لنا. قال: الدنِسَةُ ثيابُهم، الشعثةُ رؤوسهم، الذين لا يؤذنُ لهم على السُّدَّات، ولا يَنْكحون المنعمات، توكلُ بهم مشارقُ الأرض ومغاربها، يُعْطون كلَّ الذي عليهم، ولا يُعْطَون كلَّ الذي لهم»[1]. رواه الطبرانيُّ في الكبير، والأوسط، ورواتُه ثقات، ورواه مسلم مختصراً: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ فقراء أمتي المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً»[2] ورواه ابن حبَّان في صحيحه مختصراً أيضاً، وقال: «بأربعين عاماً».

وقال العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه (مدارك السالكين) في الكلام على منزلة الفقر: هذه المنزلة أشرف منازل الطريق وأعلاها وأرفعها بل هي روح كل منزلة وسرها ولبها وغايتها، وهذا إنما يعرف بمعرفة حقيقة الفقر والذي تريد به هذه الطائفة أخص من معناه الأصلي، فإن لفظ الفقر وقع في القرآن في ثلاثة مواضع، أحدها: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الآية. أي: الصدقات لهؤلاء، كان فقراء المهاجرين نحو أربعمئة لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، فكانوا وقفاً على كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أهل الصفة. هذا أحد الأقوال في إحصارهم في سبيل

---

(١) رواه الطبرانيُّ في الكبير رقم (١٣٢٢٣). وفيه: قتادة بن الفضيل مقبول والوَضين بن عطاء الدمشقي صدوق سيىء الحفظ رمي بالقدر. وأبو حامد عبد الملك بن عبد ربه منكر الحديث. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٥٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. ويشهد لأوله ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الله، وقيل هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله. وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل لما عاد أعداء الله وجاهدوهم في الله تعالى أحصروا عن الضرب في الأرض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضرباً في الأرض. ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء. والموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية. والموضع الثالث قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ١٥].

٢١٨ ـ «يقولُ اللهُ تعالى: انْظُروا إلى زُوّارِ بَيْتي قد جاؤُوني شُعْثاً غُبْراً»[١]. رواه الحاكم عن أبي هريرة.

ش ـ الزوَّار: جمع زائر، والبيتُ أصله: مأوى الإنسان بالليل؛ لأنه يقال: بات: أقام بالليل، كما يقال: ظلَّ بالنَّهار، ثمَّ قد يقال لِلْمَسْكن: بيت من غير اعتبار الليل فيه. وجمعه: أبيات، وبيوت، لكنَّ البيوتَ بالمسكن أخصُّ، والأبيات بالشِّعر، والمراد ببيته تعالى هنا: مكةُ حرسها الله، وزادها شرفاً. والأشعث: هو مغبرُّ الرأس لبعد العهد بتسريحِ شعره، وغسله، والمغبَرُّ: متغيرُ اللون.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّت عظمتُه يخاطب ملائكته في يوم الحجِّ الأكبر، ويقول لهم: انظروا زوار وحجَّاج بيتي مكَّةَ؛ كيف جاؤوني من بلادٍ بعيدة، وأقطارٍ مختلفة، وسفرٍ شاقٍ، حال كون السفر جعل رأسهم مغبراً، أشعثَ من كثرة التراب، والرِّمال، وتغيَّر لونُهم بسبب ذلك، ولا شكَّ أنَّ هذا المَدْحَ لمن كان في حجِّه مخلصاً، فإنَّ الله جلَّ ذكره سيغمرُهم بالعطايا، ويكرمُهم، ويبدِّلُ تعبهم راحة. والحديث عامٌّ يشمل من قصد بيت الله جلَّ ذكره لأداء فريضة الحج، أو للطواف والسعي في غير أيام الحجِّ.

والحجُّ فرضٌ واجبٌ من أركان الإسلام يتحتَّم على البالغ المستطيع. وقد ذكرنا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٦٥) والبيهقيُّ في السنن (٥/ ٥٨). وابن خزيمة رقم (٢٨٣٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وابن حبان رقم (١٠٠٧) موارد، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٢) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. نقول: وهو حديث صحيح.

ما يتعلَّق بالحجِّ في كتاب (مختصر شعب الإيمان) فعليك به، ولنذكر لك بعضَ ما ورد في ذلك مختصراً.

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حجَّ فلم يرفث، ولم يفسق؛ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[١] رواه البخاريُّ ومسلمٌ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، والترمذيُّ إلا أنه قال: «غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه». وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجَّاج، والعمَّار وفدُ الله، دعاهم، فأجابوه، وسألوه، فأعطاهم»[٢] رواه البزَّار، ورواته ثقاتٌ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يباهي بأهل عرفات ملائكةَ السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً»[٣] رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيحٌ على شرطهما، وهذا الحديث يفسر حديث الباب والله أعلم.

٢١٩ ـ «يقولُ اللهُ تعالى يومَ القيامةِ: سيعلمُ أهلُ الجمعِ اليومَ منْ أهلُ الكرَمِ! قِيلَ: مَن أهلُ الكرَمِ يا رَسولَ الله؟! قالَ: أهلُ مجَالِس الذِّكرِ في المساجِد»[٤]. رواه أحمد، وأبو يعلى عن أبي سعيدٍ الخدريِّ.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٤)، والبخاريُّ رقم (١٨٢٠)، ومسلمٌ رقم (١٣٥٠) والبغويُّ في شرح السُّنَّة (١٨٤١)، والنسائيُّ (٥/ ١١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار رقم (١١٥٣) وفي إسناده محمد بن أبي حميد. وهو إبراهيم المدني الملقب بحمَّاد، ضعيف. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢١١) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات من حديث جابر رضي الله عنه. وللحديث شواهد من حديث عبد الله بن عمر رواه ابن ماجه رقم (٢٨٩٣): وابن حبان رقم (٩٦٤). والحديث بالطريقين حسنٌ.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٠٥)، وابن حبان رقم (٣٨٥٢)، والحاكم (١/ ٤٦٥) وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥)، وابن حبان رقم (٨١٦) من حديث =

ش ـ الجمع: المجتمعين يوم القيامة. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تعالى يخاطب ملائكته يوم القيامة، ويقول لهم: اليوم سيعلم الناس المجتمعين اليوم للعرض مَنْ أهلُ الكرم منهم؛ الذين سيفوزون بالثواب العظيم، والنعم الجسيمة. قيل: أيْ بعضُ الصحابة رضي الله عنهم: مَنْ أهل الكرم يا رسول الله ذاك اليوم العظيم يوم الموقف والعرض؟! فأجابهم الرسول ﷺ بقوله: هم أهلُ مجالس الذكر في المساجد؛ التي بنيت للتشييد بذكر الله جلَّ جلاله.

وقد ورد في فضل الذِّكر، والحثِّ عليه آياتٌ كثيرةٌ، وأحاديثُ نبويَّةٌ صحيحةٌ وقد تقدَّم بعضها، ولا بأس من ذكر جملةٍ هنا استثناءً لهذا الحديث.

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢] وقال تعالى في سورة آل عمران في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخير لكم من أن تلْقَوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى! قال: ذكر الله»[1]، قال معاذ بن جبل: ما شيءٌ أنجى من عذاب الله من ذكر الله! رواه أحمد بإسنادٍ حسن[2]، وابنُ أبي الدنيا، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، والحاكم، والبيهقيُّ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ورواه أحمد أيضاً من حديث

= أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٩٧٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٩). وصححه، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٣) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح إلا أنَّ زياد بن أبي زياد مولى ابن عباس لم يدرك معاذاً رضي الله عنه. وللحديث شواهد فهو بها حسن.

معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعاً، وقد شرحتُ هذا الحديث شرحاً، مطولاً؛ أتيت فيه بفوائد عظيمة في شرحي (الكلم الطيب) للعلامة تقي الدين بن تيمية، فعليك به، فإنَّه خيرُ ما وجد في الأذكار الصحيحة. وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[1] وعن معاوية رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إنِّي لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبرائيلُ فأخبرني: أنَّ الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»[2]، رواه مسلم، والترمذيُّ والنسائيُّ. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت: «يا رسول الله! ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنَّة»[3] رواه أحمد بإسنادٍ حسن.

وحديث الباب ذكره الحافظ المنذريُّ في كتاب (الترغيب والترهيب) وسكت عنه، والله أعلم.

٢٢٠ ـ «أوحى اللهُ إلى آدمَ: يا آدمُ! أنْ حُجَّ هذا البيْتَ قبْلَ أنْ يَحْدُثَ عليكَ حدَثٌ! قالَ: ما يَحْدُثُ عليَّ يا ربّ؟ قال: ما لا تَدْري، وهوَ الموْت. قالَ: ومَا الموْتُ؟ قالَ: سوْف تَذوقُه. قال: مَنْ أسْتَخْلِفُ في أهلي؟ قالَ: أعرِضْ ذلكَ على السَّمواتِ، والأرْضِ، الجِبال، فعَرَضَ على السَّمواتِ فأبَتْ، وعلى الأرْضِ فأبَتْ، وعلى الجِبَال فأبَتْ، وقبله ابنُه قاتِل أخيهِ، فَخرَجَ آدمُ منَ الهِنْدِ حاجّاً، فما نزلَ منزِلاً إلا حازَ عُمْراناً بَعْده وقُرى حتى قَدِمَ مكة، فاستقبلَته الملائكة، فقالوا: السَّلامُ عليْكَ يا آدمُ! برَّ حَجُّك،

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٨١٧). والحاكم (١/ ٤٩٩). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠١)، والترمذيُّ رقم (٣٣٧٦). والنَّسائي (٨/ ٢٤٩) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٧٧ و١٩٩)، وإسناده ضعيف.
ابن لهيعة سيِّىء الحفظ. وراشد بن يحيى المعافريُّ لم يوثقه غير ابن حبان.
من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

أَمَا إِنَّهُ قَدْ حُجَّ هذا البَيْتُ قبلكَ بألْفي عام، والبَيْتُ يوْمئذٍ ياقُوتَهٌ حَمْراء»[1].
رواه الديلميُّ عن أَنس.

ش ـ الوحي يطلق على معانٍ مختلفة ذكرها العلاَّمة أبو عبد الله الدامغانيُّ في كتابه (الوجوه والنظائر) وهو مخطوطٌ عندي، أسأل الله التوفيق لطبعه، قال: الوحْيُ على خمسة أوجه: فوجه منها: الوحي يعني: الذي ينزل من الله عزَّ، وجلَّ على الأنبياء قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾[النساء: ١٦٣] يعني: جبريل إليك، ثم ذكر الأنبياء، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩]. والوجه الثاني: الوحي يعني: الإلهام في القلب قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١] أي: ألهمت، وكقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ [النحل: ٦٨] يقول: وألهم ربُّك النحل. والوجه الثالث: الوحي الكتاب: قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] يعني: كتب إليهم، والوجه الرابع: الوحي يعني: الأمر قوله تعالى في حم السجدة: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] يقول: أمر في كل سماء أمرها، وكقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١١٢] وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يعني: يأمرونهم بالوسوسة. والوجه الخامس الوحي يعني: القول. فذلك قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة ٤ ـ ٥]. أي: قال لها. انتهى بحروفه، والمراد به هنا: ما ينزل على الأنبياء من عند الله تعالى، والحجُّ أصله: القصد للزيارة، قال الشاعر:

يحجُّون بيتَ الزُّبرقان المعصْفَر

خُصَّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامةً للنسك. والحَدثُ: الأمر الحادث المنكر، الذي ليس بمعتادٍ، ولا معروف. وأبتَ: امتنعت، والهند: بلادٌ واسعة الأطراف. والقرى ـ بضم القاف ـ جمع قرية، وبرّ حجُّك. بفتح الباء الموحدة مبني للفاعل، وبضم الباء مبني للمفعول: جعله مبروراً. والحجُّ المبرور: الذي لا يخالطه شيء من المآثم. وقيل: هو المقبول المقابل بالبرِّ، وهو الثواب.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس (٤٢٩٦). والأصبهانيُّ في الترغيب والترهيب رقم (١٠٢١). وإسناده ضعيف.

والياقوت: نوعٌ من الجواهر حجر صلبٌ صافٍ، الواحدة: ياقوتة، والجمع: يواقيت، وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

المعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك اسمه أوحى إلى آدم، وألقى إليه بواسطة أمين الوحي؛ ألا وهو جبريل عليه السلام؛ فأمره أن يحجَّ إلى بيت الله جلَّ ذكرهُ قبل أن يحدثَ عليه حدثٌ ـ وهو الموت ـ فلا يستطيع زيارته، وحجَّه، ولما كان آدم عليه السلام لم يعرف الموت بعدُ فسأل عنه الربَّ جل اسمه، فأخبره أن سيذوقه، فيعرفه، ولما وجد الحجَّ محتَّماً عليه، ولا بدَّ من قصد بيت الله ليسنَّ سنة العالم فيقتدون به، ويسيرون بسيره ـ وهو وحيدٌ في ذاك البلاد، غريبٌ ومعه أهله ـ فسأل الله عمن يستخلفه في أهله إذا هو حجَّ البيت، وقصدَه، وترك أهله. فأجابه الله تبارك وتعالى إلى أن يعرضَ ذلك على السموات، والأرض، والجبال، فإن رضين بذلك، فاستخْلِفْهُنَّ، وإلا فانظر من تريد، فعرض ذلك آدم على السموات، وخاطبها بلسان الحال، أو المقال: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، فعرض ذلك على الأرض، فأبت كذلك، فعرض ذلك على الجبال، فأبت، وامتنعت من قبول ذلك، وبعد ذلك قبل الاستخلاف في أهله ابنه قابيل قاتل أخيه، وقال له: نعم تذهب، وترجع، وتجد أهلك كما يسرُّك، فلما سمع ذلك استراح باله، فخرج من الهند حاجَّاً فكان لا ينزل منزلاً إلا حاز عمراناً بعده، وقرى، وما عداه مفاوز، وقفاراً، حتى وصل مكة، فحينئذ استقبلته الملائكة بإذن الله تعالى وأمره؛ فقالوا: السلام عليك يا آدم: برَّ حجّك، واجعله مبروراً خالياً من كلِّ إثم وذنبٍ، وأخبروه: أنَّ هذا البيت قد حُجَّ وقُصِد من قبل أن يقصده آدم عليه السلام بألفي عام، والبيت شرفه الله وزاده شرفاً يومئذٍ ياقوتةٌ من يواقيت الجنة حمراء؛ لأنَّ الله تعالى أنزل ياقوتةً من يواقيت الجنة، فكانت على موضع البيت والله أعلم.

وحاصل قصة آدم: أنَّ الله جلَّت أسماؤه خلق آدمَ من ترابٍ، وعلمه الأسماء، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدت، وأطاعت كلُّها إلا إبليس لعنه الله، فأبى وادَّعى الأفضيلة تكبُّراً، وحسداً، وعناداً لأمرٍ أراده الله جلَّ ذكرُه، فطُرِد إبليس من الجنة، وأدْخِل آدم الجنة، وخلق الله زوجته، وأباح الله له جميع ما في الجنة إلا شجرةً فإنه نُهي عن الأكل منها، فتحيَّل إبليس، ووسوس لآدم بأن يأكل من هذه الشجرة، ورغَّبَهُ في الأكل منها، ولما كان المقدر الذي في عالم الغيب وقوع ذلك من آدم؛ مالَ، ورغب في أكلها، فأكل منها. . . إلى آخر القصة التي ذكرها المولى جلَّ ذكرهُ في القرآن الحكيم في غير موضع، ثم أمر الله جلَّ ذكره أن يهبطوا إلى الأرض. وهم: آدم، وحواء، والحيَّة، وإبليس، فهبطوا، واختلف العلماء في مكان هبوطهم، فقيل: أهبط آدم في

بلاد الهند، وحواء بجدة، وإبليس بميسان، والحية بأصبهان. وقيل غير ذلك. قال الإمام أبوجعفر الطبري في تاريخه: وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبرٍ يجيء مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك، وورد كذلك غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند، فإنَّ ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام، وأهل التوراة، والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء. انتهى. وقال الحافظ المؤرخ ابن كثير في (تفسيره): المراد بالخطاب في هبوط آدم، وحواء، وإبليس، والحية، ومنهم من لم يذكر الحية. والله أعلم.

والعمدة في العداوة: آدم وإبليس، ولهذا قال تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ الآية [طه: ١٢٢]. وحواء تبعٌ لآدم. والحية وإن كان ذكرها صحيحاً فيه تَبَعٌ لإبليس، وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كلٌّ منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم، أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه، أو رسوله ﷺ انتهى.

ولما هبط آدم إلى أرض الهند مكث مدَّةً، وهو يجول في أرضها، فأمره الله تعالى بأن يحجَّ، فما كان ينزل منزلاً لا يستريح به أو يتخذه سكناً مؤقتاً إلا حاز عمراناً، وأصبح عامراً. وهذا القدر كفايةٌ، وإذا أردت أن تحيط علماً أكثر من هذا فعليك بكتب التاريخ.

والحديث ذكره الحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) بصيغة التضعيف ـ رُوي ـ وزاد في آخره: قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «والبيت يومئذ ياقوتةٌ حمراءُ، لها بابان، من يطوف يرى مَنْ في جوف البيت، ومن في جوف البيت يرى من يطوف، فقضى آدم نسكه، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم قضيت نسكك؟!.

قال: نعم يا ربّ! قال: فَسَلْ حاجتك فقط، قال: حاجتي: أن تغفر لي ذنبي وذنب ولدي! قال: أما ذنبك يا آدم: فقد غفرناه حين وقعت بذنبك، وأما ذنب ولدك: فمن عرفني، وآمن بي، وصدَّق رسلي، وكتابي؛ غفرنا له ذنبه، رواه الأصبهاني. انتهى. وقصة هابيل، وقابيل ذكرها الله تعالى في القرآن الحكيم مفصَّلة. والله أعلم.

٢٢١ ـ «أَوْحى اللهُ لمُوسى: أَتُحِبُّ أَنْ أَسْكُنَ مَعكَ بيْتَكَ؟ فخرَّ لله سَاجداً، ثمّ قالَ: قالَ: يا ربِّ وكيفَ ذلكَ؟! فقالَ: يا موسى أمَا عَلِمْتَ أنّي

جَليسُ مَنْ ذَكَرني؟ وحيْثُما التَمَسني عبْدِي وجَدني»[1]. **رواه ابن شاهين عن جابر.**

ش ـ الوحي: تقدَّم الكلام عليه، وموسى عليه السلام: تقدَّمت ترجمته في شرح الحديث رقم (٢٠١)، والالتماس: الطلب، وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكرهُ أوحى إلى نبيِّه، وكليمه موسى عليه السلام بواسطة جبريل أمين الوحي عليه السلام: يا موسى! أتحبُّ أن أسكنَ معك بيتك الذي أنت ساكنه في الدينا؟ فلما سمع موسى هذا؛ خرَّ لله عز وجل ساجداً استحياءً من الله تعالى، وإظهاراً لعطف الله له ومخاطبته بذلك، ولما كان هذا مستبعداً في حدِّ ذاته؛ طلب من الله جلَّ وعلا شرح هذا، وبيانه؛ ليذهب ما في نفس موسى من الغموض، والتعجُّب، والاستبعاد، فأجابه الله عزَّ وجلَّ بما يكشف ما خاطب به، فقال: يا موسى! لا تعجب، ليس المراد المعنى الذي يتبادر إلى الأفهام، وهو السكن الحقيقيُّ ـ وهو مستحيل في حقِّه تعالى ـ وإنما أردتُ معنىً آخر، وهو: أنِّي جليسُ من ذكرني، وأنت تعلم ذلك، فإذا أكثرت من ذكري فكأني معك جالسٌ؛ لأنَّ العبد حيثما التمسني، وطلبني، وجدني. وفيه: الترغيب في الجلوس لذكر الله جلَّ جلاله، وقد تقدَّم قريباً ما يتعلق بالذكر، والحثِّ عليه، فلا حاجة للإعادة.

والحديث ذكره المدنيُّ في كتابه، وقال: أخرجه ابنُ شاهين في الترغيب في الذكر عن جابر: وفيه: محمد بن جعفر المدائنيُّ قال أحمد: لا أحدِّثُ عنه أبداً، عن سلام ابن أسلم المدائني متروكٌ، عن زيدٍ العَمِّيِّ، والعَمِّيُّ ليس بالقوي. انتهى، والله أعلم.

٢٢٢ ـ «أوْحى الله إلى موسىٰ: أنَّ في أمّة محمّدٍ لَرِجالاً يَقُومُونَ على كلِّ شـرَفٍ، ووَادٍ يُنـادُون بشهَـادة أنْ لا إلـه إلا الله، جَـزاؤُهـمْ علـيَّ جَـزاءُ الأنْبياء»[2]. **رواه الديلميُّ عن أنس.**

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ١/ رقم (١٨٦٥) وقال: رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديث جابر رضي الله عنه. نقول: وفي إسناده محمد بن جعفر المدائني، قال أحمد لا أحدث عنه أبداً. وسلاَّم بن أسلم المدائني متروك. وزيد العَمِّي ضعيف. والحديث ضعيف جداً.

(٢) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس (٥٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

ش ـ الشرف ـ بفتح الراء ـ: العلوُّ، والمكان المرتفع. والوادي: هو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً، والجمع: أودية.

المعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك أوحى إلى موسى عليه السلام: أنَّ في أمة محمد ﷺ ـ وهي آخر أمة أخرجت للناس ـ لَرِجالاً قلوبُهم ملأى بالإيمان، وبحبِّ الله، يقومون على كلِّ شَرَفٍ، ووادٍ، أي: على كلِّ مكانٍ مرتفع، أو منخفضٍ ينادون بأعلى صوتٍ منهم بشهادة أن لا إله إلا الله، فتشهد أهل تلك الأمكنة يوم القيامة لهم بذلك، ولهم جزاءٌ عظيمٌ عندي يوم القيامة، كجزاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من النِّعم العظيمة؛ التي لا عينٌ رأت مثلها، ولا سمعت بمثلها الآذان، ولا خطرتْ على قلب بشرٍ، وقد تقدَّم الكلام على فضل لا إله إلا الله في شرح الحديث رقم (٢٠٤) فارجع إليه.

والحديث معناه صحيح، وألفاظه الله أعلم بصحتها.

٢٢٣ ـ «أوْحى اللهُ إلى مُوسىٰ: يا مُوسىٰ! إنَّ مِنْ عبادي مَنْ لوْ سألني الجَنَّة بحذافيرها، لأعْطَيْتُه، ولو سَألَني غلافَ سَوْطٍ لم أعْطِه، لَيْس ذلكَ عنْ هَوان لهُ عَليَّ، ولكن أريدُ أنْ أدَّخِرَ له في الآخرة منْ كرَامَتي، واحْميهِ منَ الدُّنيا كما يَحْمي الراعِي غَنَمَه منْ مراعِي السُّوءِ، يا مُوسىٰ! ما ألْجأتُ الفُقراء إلى الأغنياءِ إنَّ خَزائني ضاقتْ عَليْهم، وإنَّ رَحْمتي لم تسَعْهمْ، ولكِنْ فرَضْتُ للفُقراءِ في أمْوالِ الأغنْياء ما يَسعُهم، أردْتُ أنْ أبْلُوَ الأغْنِياءَ: كيْفَ مُسارعَتُهمْ فيما فَرضْتُ للفقراءِ في أموالِهم؟ يا مُوسىٰ! إنَّ فَعلوا ذلكَ؛ أتْممتُ عَليهمْ نعْمتي، وأضْعفْتُ لهم في الدُّنيا للواحدةِ عشْرُ أمْثالِها. يا موسىٰ! كُنْ للِفُقَرَاءِ كَنْزاً، وللضَّعيفِ حِصْناً، ولِلْمُسْتجيرِ غَيْثاً، أكُنْ لكَ في الشّدةِ صاحباً، وفي الوَحْدة أنيساً، أكلؤكَ في ليْلك، ونَهارِكَ[1]». رواه ابنُ النَّجار عن أنس.

ش ـ الحذافير: الجوانب. وقيل: الأعالي، واحدها: حذفار، وقيل: حذفور.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ(٦) ورقم (١٦٦٦٤) وقال: رواه ابن النَّجّار عن أنسٍ رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

وغلاف السَّوط: غطاه، والسَّوط: ما يُضْرَبُ به من جلدٍ مضفورٍ، أو نحوه كقضيب الفيل، جمعه: سياط، وأسواط. والهوان: تقدَّم الكلام عليه في شرح الحديث رقم (٢١٧) والادِّخار: تقدم تعريفه في شرح الحديث رقم (١٩٦) وأكلؤك: أحفظك، وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلت أسماؤه أوحى، وألقى إلى موسى بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام: يا موسى! إنَّ من عبادي من لو سألني الجنة بأجمعها لأعطيته ذلك، ولما منعته من طلبه، ولو سألني غلاف سوط الذي لا يساوي شيئاً، لم أعطه ذلك، ولمنعته من طلبه، وهذا لا لأنَّ العبد عليَّ هينٌ، وحقيرٌ، بل أريد أن أدخر له طلبه في الآخرة؛ لأنه أنفع له، وأبقى، وذلك من كرامتي له، وزيادة على ذلك فإنِّي أحميه من الدنيا وزخارفها؛ لئلا يزاد عليه الحساب، كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السُّوء، فإنَّ الراعي إذا رأى أنَّ المرعى الموجود في المكان الفلاني يضرُّ بالغنم؛ فإنه يمنعها من الرعية محافظةً على صحتها، وحياتها، فالله جلَّ ذكره أولى بذلك، وأقدر، وأرحم. نسأله التوفيق لشكره! فإنَّه المنعمُ الحقيقيُّ، والمتصرِّف القديرُ البصير.

يا موسى ! ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء أن يأخذوا من أموالهم لسدِّ حاجتهم لأنَّ خزائني ضاقت عليهم، وقلَّ ما فيها من الأموال والأرزاق ـ كلا وحاشا ـ وليس ذلك لأنَّ رحمتي لم تسعهم، فأعرضت عنهم ـ كلاوحاشا ـ لكنِّي فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم، أردت بذلك أن أبلوَ الأغنياء وأختبرهم: كيف تكون مسارعتهم فيما فرضت، وأوجبت للفقراء في أموالهم؟ ولأعوِّدَهم في الكرم والبذل. يا موسى! إن وجدتُ الأغنياء أطاعوني، وأخرجوا زكاة أموالهم، وأعطوها المستحقين، أتممت عليهم نعمتي، وعوضتهم ذلك، وأضعفت لهم أموالهم في الدنيا للواحدة عشر أمثالها، فلا يظنَّ أحدُ الأغنياء أنَّ ماله ينقصُ بسبب إخراج المال، بل يزداد نمواً حسّاً ومعنى، قال الله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦] وإذا علمت يا موسى ذلك فكن للفقراء والمحتاجين في الدنيا كنزاً ينتفعون من مالك، ويسدُّون حاجتهم. وللضعفاء حصناً يتحصنون به من هجوم القويِّ عليهم، والاستبداد بهم، ومنع حقوقهم، والتعرض لهم بأذى، وللمستجيرين بك غيثاً، أي: معيناً، وملبياً طلبهم، ومجيباً لهم، كالغيث والمطر يحيي الأرض والجسم، ويسعف الناس، فإذا فعلت ذلك يا موسى؛ أكن لك في الشدة صاحباً، أنقذك منها، وأدفع عنك، وأحميك برحمتي، وأكن لك أيضاً أنيساً في وحشتك، وزيادةً على ذلك، فإنِّي حافظٌ لك من كلِّ ما يطرأ

عليك في ليلك، ونهارك، فلا يصيبك شيءٌ من أنواع الأذى والمكاره.

وفي الحديث دليلٌ على أنَّ العبد لايطلب في الدنيا من ربه الأشياء الدنيوية من مالٍ، وعقارٍ، بل يدَّخر ذلك للآخرة، فإنَّ الدنيا دارَ خرابٍ، وفناءٍ، ودار الآخرة دارُ جزاءٍ، وبقاءٍ. وما يبقى خير مما يفنى، ولما عمرت الدنيا في عصرنا الحاضر، وكثر خيرها، واستخرجت كنوزها، وتعاظم؛ أصبحت كلُّ دولة تنظر إلى ما في أيدي الأخرى من خيراتٍ واسعةٍ وأراضٍ شاسعةٍ، وتوجَّه حسدها، وقوتها، واستعدادها للاستيلاء عليها، وغصب ممتلكاتها، والسيطرة على أموالها، ومواردها، واستغلال أهلها، واستعبادهم، وإذلالهم، وتسخيرهم، وابتزاز تجارتهم، ومن مانع في ذلك، ووقف دون المهاجم الغاصب؛ أهدر دمه وأهله، وصودرت أملاكه، وغنمت أمواله، ومواشيه، ولا راحم، ولا مغيث، ولا مشفق، ولا رحيم، ولا ناصر! سبب ذلك: كثرةُ الأموال واستثمارُها، وحبسُ الذهب والفضة، والبخلُ بها، ومنعها عن مستحقِّيها، فلذلك أصبحت الأموالُ غيرَ محفوظةٍ بعناية الله، وغير محروسةٍ برعاية الله، كالراعي إذا غفل عن غنمه، وجاءتها الذئاب من كلِّ ناحية، فهل تستطيع أن تحمي نفسها، ولا سيَّما إذا كانت الذئاب ضاريةً جائعةً، وليس أمامها ما يحول بينها وبين فريستها! اللهم اهدِ الأمم للإسلام! واهد قومي للعمل بشريعة الإسلام، ونبذ الطمع والحسد، والبغضاء بينهم، وترك البدع والعادات القبيحة، وزخارف الدنيا، ولهواتها، إنك على ما تشاء قدير!.

وانظر ما قاله الرسول سيّدُ الأمة المحمَّدية عليه الصلاة والتسليم لمؤذنه بلال الصحابي الجليل: يا بلالُ! مت فقيراً، ولا تمت غنياً. قال للرسول ﷺ لما سمع ذلك منه: وكيف لي بذلك؟ قال: ما رُزِقْتَ؛ فلا تخبأ، وما سئلت؛ فلا تمنع. فقال يا رسول الله! وكيف لي بذلك؟ قال: هو ذاك، أو النار[1]. رواه الطبراني في الكبير، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

ومرةً دخل النبيُّ ﷺ على بلال، وعنده صُبْرةٌ من تمر، فقال الرسولُ له: ما هذا يا بلال؟! قال: أعدُّ ذلك لأضيافك، قال: أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم؟

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/٣١٦)، وصححه. وقال في التلخيص واهٍ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢٥) وقال رواه الطبرانيُّ في الكبير. وفيه طلحة بن زيد القرشيُّ ضعيف.

أنفق بلالُ ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً[١]، رواه البزار بإسنادٍ حسن، وكان رسولُ الله ﷺ لا يدَّخر شيئاً لغد[٢]، وكان رسول الله ﷺ يقول: «ما أحبُّ أنَّ لي أُحُدَاً ذهباً أبقى صبح ثالثة وعندي منه شيءٌ إلا شيء أعِدُّه لِدَيْنٍ»[٣] ولذلك توفي رسول الله ﷺ ولم يكن عنده شيء.

كان رسولُ الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشُه كفافاً، وقنع»[٤]. والزكاةُ هي حصنٌ للمال، وحفظٌ له فعن الحسن البصريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «حصِّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصَّدقة، واستقبلوا أمواج البلاد بالدُّعاء، والتضرُّع»[٥]. رواه أبو داود في المراسيل، وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسعُ فقراءهم، ولن يَجْهَدَ الفقراء إذا جاعوا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإنَّ الله يحاسبُهم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٢٥) و(١٢٠٦). والبزار رقم (٣٦٥٤ و٣٦٥٥). وأبو يعلى رقم (٦٠٤٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٤١) وقال: رواه البزار: وأبو يعلى، والطبراني في الكبير والأوسط. وإسناده حسن. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن حبان رقم (٦٣٥٦). والترمذي رقم (٢٣٦٢) في الزهد. من حديث أنس رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤٦٧ و٥٣٠) والبخاريُّ رقم (٢٣٨٩) و(٦٤٤٥)، ومسلم رقم (٩٩١)، وابن ماجه رقم (٤٢٣١). وابن حبان رقم (٣٢١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ١٩)، والترمذي رقم (٢٣٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٤ و٣٥) وابن حبان رقم (٧٠٥) وهو حديث صحيح.

(٥) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٦٩١)، والطبراني في الكبير (١٠١٩٦) والأوسط (١٩٨٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٤). وقال: رواه الطبراني وفيه ابن عمير متروك. من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. ورواه أبو داود في كتاب المراسيل رقم (١٠٥) عن الحسن البصري مرسلاً، وفي إسناده عمر بن سليم الباهلي؛ قال أبو زرعة: صدوق. وقال أبو حاتم: شيخ. وباقي السند ثقات.

حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً»[1]. رواه الطبراني في الأوسط، والصغير، وقال: تفرد به ثابتُ بنُ محمد الزاهد، قال الحافظ: وثابت ثقةٌ، صدوقٌ روى عنه البخاريُّ، وغيره، وبقية رواته لا بأس بهم، وروي موقوفاً على عليٍّ رضي الله عنه، وهو أشبه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي! مالي! وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتاركه للناس»[2]. رواه مسلم وهذا الباب واسعٌ جداً، وفيما ذكرته كفاية. والله أعلم.

٢٢٤ ـ «أوحى اللهُ إلى مُوسى: أنْ ذكِّرْهم بأيَّامِ اللهِ. وأيَّامُه نعمُه»[3]. رواه البيهقيُّ.

ش ـ أوحى وألقى الله على موسى بواسطة الأمين جبريل عليه السلام: أنْ ذكر الناس وقومك بأيام الله جلَّ ذكره؛ التي تتدفق عليهم بنعمه العظام، فالله جلَّ اسمه خلق الليل والنهار نعمةً من نعمه، تنتفع بهما العباد. ولا يمرُّ يومٌ من الأيام إلا ونعمُ الله فيه تتزايدُ وتكثرُ والعباد يشعرون بذلك إلا أنهم يغفلون عن ذلك، ولا يذكرون الله تعالى فيها، فأمر الله جلَّ ذكره موسى عليه السلام بأنْ يُذَكرَ الناس بنعمه، فيتنبهوا، ويرجعوا إليه، ويشكروه على هذه النعم العظام.

٢٥٥ ـ «أوْحى اللهُ إلى مُوسى: لولا مَن يَشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله؛ لسلَّطْتُ جهنَّمَ على أهل الدُّنيا. يا مُوسى! لوْلاَ مَنْ يَعبُدُني؛ ما أمْهلْتُ مَنْ يَعْصيني

---

(١) رواه الطبراني في الصغير رقم (٤٥٤)، والأوسط رقم (١٩٨٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٢) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير. وقال: تفرد به ثابت بن محمد الزاهد. قلت: ثابت من رجال الصحيح. وبقية رجاله وثقوا وفيهم كلام. من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أقول: وهو حديث حسن بطرقه وشواهده. وروى موقوفاً على علي رضي الله عنه. وهو أشبه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٥٨)، والترمذي رقم (٢٣٤٢)، والبغوي رقم (٤٠٥٥)، من حديث عبد الله بن الشخِّير.

(٣) رواه البيهقي في الشعب رقم (٤٤١٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وإسناده حسن.

طرْفَةَ عيْن. يا موسى! إنَّه مَنْ آمنَ بي فهُوَ أكْرمُ الخلْقِ عليَّ. يا موسى! إنَّ كلمَةً مِنَ العاقِّ تزنَ جميعَ رمال الأرض. قال مُوسى: يا ربِّ! مَن العاقُّ؟ قالَ: إذا قال لوالدَيْه: لا لبَّيْكَ»[1]. رواه أبو نعيم عن أنس.

ش ـ سلَّطت: مكَّنتُ، وحكَّمتُ. وجهنم: اسمٌ لنار الله الموقدة. والعاقُّ: العاصي والخارج عن الإطاعة، يقال: عقَّ والده، يعقُّه، عقوقاً، فهو عاقٌّ: إذا آذاه، وعصاه، وخرج عليه، وهو ضد البرِّ به. ولبَّيْك: هو من التلبية، وهي إجابة المنادي.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى أوحى وألقى إلى كليمه موسى عليه السلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام: لولا من يشهد أن لا إله إلا الله ويقرُّ ويعترف بأنِّي واحدٌ أحدٌ، لا شريك لي، ولا معين، أنا أخلقُ وأميت، وأقدِّر أرزاق العباد، وأمرض، وأشفي، وأقدر على كل شيء، ولا شيء يمتنع عن إجابتي، وأمري، وأنا الذي إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن، فيكون؛ لسلَّطت، ومكَّنتُ، وحكمت جهنم نار الله الموقدة؛ التي أوقد عليها ألف سنة حتى احمرَّت، وألف سنة حتى ابيضَّت، وألف سنة حتى اسودَّت، والآن سوداء مظلمة كالليل المظلم ـ نعوذ بالله منها ـ وأطلقت لها على أهل الدنيا القهر والقدرة، فيستغيثون فلا يُجابون، وينادون فلا يُلبَّون. يا موسى! لولا من يعبدني من خلقي ويظهر العبودية لي ما أمهلتُ، وأخَّرتُ من يعصيني طرفة عين من عذابه والنكال به وبطشه. يا موسى! إن من آمن بي وصدَّق، وأقرَّ واعترف بألوهيتي، ووحدانيتي، وعظمتي وقدرتي على خلقي فهو أكرمُ الخلق علي، وأقربُهم منزلةً، وأعلاهم قدراً، وأكثرهم ثواباً. يا موسى! إنَّ كلمةً من العاق. الخارج عن الأوامر العاصي لها تزن جميع رمال الأرض! فاستفهم كليمُ الله موسى عليه السلام ربَّه عن العاقِّ، ومن هو، ليرشده، وينبِّهه على غضب الربِّ له لينزجر، وليرجعَ إلى الله تعالى، ويتوبَ خوفاً عليه من وقوعه في المهلكات وغضب الربِّ عليه. قال الربُّ جلَّ اسمه لموسى كليمه: يا موسى! العاقُّ هو من إذا طلب أحدُ والديه أمراً، فقال له: لا لبيك، ولا إجابة لك؛ فإنه بذلك عاصٍ وعاقٌّ له. وخارجٌ عن أوامره فيستحقُّ غضب الله عليه، وتُسلّطُ عليه جهنم فاسأل الله السلامة!.

والله جلَّ اسمه ما خلق الخلق إلا لعبادته وإظهار الألوهية، والإخلاص له تعالى في

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية رقم (٣٩٠) ورقم (٢٦٧٤) والديلمي في مسند الفردوس رقم (٥٠٣). من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

وحدانيته، وانفراده بالخلق والرزق، وقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال عز وجل: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وعن معاذ بن جبلُ رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمارٍ فقال لي: يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟ قلت الله ورسوله أعلم! قال: حقُّ الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً. وحقُّ العباد على الله؟ ألاَّ يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟! قال: لا تبشرهم؛ فيتكلوا»[1] رواه الشيخان في صحيحيهما. قال المدني في كتابه بعد ما أورد هذا الحديث: رواه أبو نعيم في المعرفة عن أنس. وقد تقدم قريباً ما يتعلق بفضل شهادة أن لا إله إلا الله. والله أعلم.

٢٢٦ ـ «أوحى الله إلى موسى: يا موسى! ارْضَ بكِسْرةِ خبزٍ منْ شعيرٍ تسُدُّ بها جَوْعتَك، وخِرْقة تُواري بها عوْرتَك واصْبرْ على المُصيباتِ، وإذا رَأيْتَ الدُّنيا مُقْبلةً؛ فقُلْ: إنَّا لله وإنَّا إليْه راجعون، عقوبةٌ عُجِّلتْ في الدُّنيا. وإذا رأيْتَ الدُّنيا مُدْبرةً، والفقْرَ مُقْبلاً؛ فقُلْ: مرْحباً بشِعارِ الصَّالحين[2]».

رواه الديلميُّ عن أبي الدَّرداء.

ش ـ الكسرة ـ بكسر الكاف ـ: القطعة من الشيء المكسور: والخبز معروف. والخرقة ـ بكسر الخاء المعجمة ـ: القطعة من الثوب، وتواري: تستر. وشعار الصالحين: علامتهم، وسيماهم الدَّالة عليهم. وباقي ألفاظ الحديث لا تحتاج إلى تفسير.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره أوحى إلى نبيِّه، وكليمه موسى:

---

(١) رواه البخاريُّ رقم (٧٣٧٣) في التوحيد، ومسلم رقم (٣٠) في الإيمان والترمذيُّ رقم (٢٦٤٥) في الإيمان من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال جـ(٦/ ١٦٦٥١) وقال: رواه الديلميُّ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

يا موسى! ارض بكسرة وقطعة خبز من دقيق شعير مطحون تسدُّ بها جوعك، ولا تتوسع في المآكل؛ لأنك أُرْسلتَ مشرعاً لقومك، ومعلماً لهم كيف تكون الحياة الدنيوية، فإنها مزرعةٌ للآخرة. وارض بخرقة وقطعة ثوب تواري بها عورتك، وتسترها من الظهور والانكشاف، وإذا أصابتك مصيبةٌ في الدنيا في مالك أو بدنك، أو أهلك؛ فاصبر لها ودافعها؛ فإنَّ حرَّها في الصَّدمة الأولى، وبعد ذلك تخفُّ وتذهب، وإذا رأيت الدُّنيا مقبلةً عليك؛ فلا تفرح بها، وقل: إنا لله، وإنا إليه راجعون، فإن إقبالها عليك عقوبةٌ عجّلت في الدينا. وإذا رأيت الدُّنيا مدبرةً عنك، ومولية لك ظهرها، والفقر مقبلاً، ومتوجهاً إليك؛ فلا تحزنْ، وافتح له صدرك، وقل: مرحباً بشعار وعلامات الصَّالحين؛ الذين أصلحوا ظواهرَهم، وبواطنهم بتقوى الله جلَّ ذكره.

وقد وردت آياتٌ كثيرةٌ وأحاديثُ صحيحة في ذمِّ الدنيا، والتوسُّع فيها، منها ما قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[هود: ١٥ و١٦] وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٨٦] وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١] وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] وأعلم: أنَّ الإعراض عن الدنيا ليس معناه تركها مطلقاً، وإنما المراد تحصيلها من وجهٍ مشروع، وعدم الانهماك فيها، واتخاذها مقصداً، وإعطاء الفقراء والمساكين نصيبهم من المال الذي يكسبه الأغنياء، وأداء حقوق الله جل ذكره، والقيام بما يجب عليه.

وانظر كيف كان حالُ النَّبيِّ ﷺ في الدنيا مع أن الجبال عرضت على الرسول ﷺ ذهباً فأبى، وقال: «لا عيش إلا عيش الآخرة». وعن أبي عسيبٍ رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمرّ بي، فدعاني، فخرجت إليه، ثم مرَّ بأبي بكر رضي الله عنه، فدعاه فخرج إليه، ثم مرَّ بعمر رضي الله عنه فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: أطعمنا، فجاء بعذق، فوضعه، فأكل رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، ثمَّ دعا بماءٍ باردٍ، فشرب، فقال: ليسألن عن هذا يوم

القيامة. قال: فأخذ عمر العذق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قِبَلَ رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله! إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: نعم، إلا من ثلاثٍ: خرقةٍ كفَّ بها عورته، أو كسرةٍ سدَّ بها جوعه، أو حُجْرٍ يدخل فيه من الحرِّ والقرِّ»[1]. رواه أحمد، ورواته ثقات. وعن فضالةَ بن عبيد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع»[2]. رواه الترمذيُّ، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»[3] رواه ابن ماجه، والترمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح. وعن عمرو بن عوفٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمالٍ من البحرين، فسمعتِ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلَّى رسولُ الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآهم، ثمَّ قال: أظنُّكم سمعتم: أن أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين؟ قالوا: أجل يا رسول الله! فقال: «أبشروا، وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم! ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[4]، رواه البخاريُّ، ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما شبع آلُ محمَّدٍ ﷺ من طعام ثلاثة أيام تباعاً حتى قبض»[5]. وفي روايةٍ قال أبو حازم: رأيت

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٨١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٧) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات. من حديث أبي عسيب رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذيُّ رقم (٢٣٢١) في الزهد، وابن ماجه رقم (٢٤١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. أقول: وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٤) رواه البخاريُّ رقم (٦٤٢٥) في الرقاق، ومسلم رقم (٢٩٦١) في الرقاق، والترمذيُّ رقم (٢٤٦٤) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاريُّ رقم (٥٣٧٤)، ومسلم رقم (٢٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبا هريرة يشير بأصبعه مراراً يقول: «والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدينا. رواه البخاريُّ، ومسلم. زاد المدنيُّ: وأخرجه أبو نعيم، والحديث الله أعلم بإسناده.

٢٢٧ ـ «أَوْحى اللهُ إلى داود: يا داوُدُ! إنَّ العبدَ ليَأتي بالحَسَنَةِ يوْمَ القيامة كمَثَلِ جيفَةٍ اجْتَمَعتْ عَلْيها الكلابُ يجرُّونَها، أَفَتُحبُّ أن تكُون كلباً منهم فَتَجُرَّ مَعهمْ؟! يا داود! طَيِّب الكلامَ، وليِّن اللِّباسِ. والصيتُ في النَّاس وفي الآخرَة، لا يجتْمعُ أبداً»[1]. رواه الديلميُّ عن عليٍّ.

ش ـ داود عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله العظام، هو: أبو سليمان داود بن إيشا ـ بهمزة مكسورة، ثم مثناة من تحت ساكنة، ثم شين معجمة ـ ابن عويد بن ياعز بن سلمون بن محشون بن عمى نادب بن راء بن حصرون بن فارحي بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. والجيفة: جثة الميت إذا أنتن.

والجرُّ: السحب. والصيت ـ بكسر الصاد المهملة ـ: الذكر الجميل في الناس. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

المعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره أوحى إلى نبيِّه داود عليه السلام بواسطة الأمين جبريل عليه السلام: أن العبد المؤمن ليأتي بالحسنة ـ عملها في الدنيا ـ يوم القيامة كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرُّونها، ليأخذ كلُّ كلبٍ قطعة منها، وذلك من عدم الإخلاص فيها، فلم تقبل، وأصبحت كالجيفة المنتنة لها رائحة تنفر الناس منها، ولا ترغب فيها إلا الكلاب. أتحب يا داود أن تكون كلباً منهم، فتجر معهم هذه الجيفة القذرة؟! وهذا مثل تشبيه الدنيا بجثَّة ميت أنتنت، وظهرت رائحتها، وهرب الناس منها، وأقدم عليها جمهور الكلاب يسحبونها، ويجرُّونها ليأخذ كلُّ واحد من الكلاب قطعةً منها، فيأكلها، ويملأ بطنه منها. وهذا من ألطف التشبيه وأرذله، فنسأل الله تعالى أن يحمينا من الدنيا وويلاتها! ثم أرشد الله نبيه داود عليه السلام إلى صفاتٍ حميدةٍ ليتحصل، ويتصف بها، فقال له تعالى: يا داود! طيِّب الكلام بين الناس، وليِّن اللباس؛ أي: اتخذ من اللباس ما يكفي الحاجة والضرورة، ولا تتوسع فيه. والصيت؛ أي: الذكر الجميل في الناس وفي الآخرة لا يجتمع أبداً، فاختر ما يحلو لك.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس (٥٠١) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

وداود عليه السلام تقدَّم نسبه آنفاً، وقد تظاهرت الآياتُ والأحاديث الصحيحة على عظم فضل الله تعالى عليه. قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النمل: ١٥] وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] وقال عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ ـ ٢٠] وقصته وسيرته ذكرت في القرآن متقطعة في غير موضع، فارجع إليها. وروى البخاريُّ ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»[١]. وفي رواية في الصحيحين: «كان يصوم نصف الدهر». وفي رواية في الصحيحين: «صم صيام داود، فإنه كان أعبد الناس». وعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده»[٢].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) قال الثعلبي[٣]: قال العلماء: لما استشهد طالوت أعطت بنو إسرائيل داود خزائن طالوت، وملَّكوه على أنفسهم، وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين، ولم يجتمع بنو إسماعيل على ملك إلا داود قال: وقال كعب[٤]، ووهب بن

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٦٠)، والبخاريُّ رقم (١١٣١) في التهجد و٣٤٢٠) في أحاديث الأنبياء، ومسلم رقم (١١٥٩)، وأبو داود رقم (٢٤٤٨)، وابن حبان رقم (٢٥٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاريُّ رقم (٢٠٧٢) في البيوع من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

(٣) الثعلبيُّ: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. مفسرٌ من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ. من كتبه (عرائس المجالس) و(الكشف والبيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الثعلبي. توفي رحمه الله سنة (٤٢٧) هـ.

(٤) كعب: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، العلامة الحبر: كان يهودياً =

منبه[1]: كان داود أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية فيها جعودة، حسن الصَّوت، والخلق، طاهر القلب. قال: ومما أعطاه الله تعالى من الفضائل: الزبور، وحسن الصوت، فلم يعط أحداً مثل صوته، وحكي من آثار صوته أشياء عجيبة، منها: تسخير الجبال، والطير للتسبيح معه، ومنها: الحكمة، وفصل الخطاب، وغير ذلك، وقال أهل التواريخ: كان عمر داود عليه السلام مئة سنة، ملكه منها أربعون سنة.

وقد ورد آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبويّة في طيب الكلام، ولين الملبس، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية وقال تعالى: : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد، فبكلمة طيبة»[2] رواه البخاريُّ، ومسلم. وعن المقداد بن شريح عن أبيه عن جدِّه قال: قلت يا رسول الله ﷺ! حدثني بشيءٍ يوجب لي الجنة! قال: «موجب الجنة: إطعامٌ

= فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس أصحاب رسول الله ﷺ. وكان يحدِّثهم عن الكتب الإسرائيلية. ويحفظ العجائب. كان حسن الإسلام. متين الديانة من نبلاء العلماء، حدث عن عمر، وصهيب، وغير واحد رضي الله عنهم. توفي كعب بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه. وكان من أوعية العلم.

(١) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الإمام العلامة الأخباري القصصي أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري، الصنعاني أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه، مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، رحل، وحجَّ، وأخذ عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد، والنعمان بن بشير. قال العجلي: تابعي ثقة، كان على قضاء صنعاء، وقد امتحن، وحبس. وضرب. توفي رحمه الله سنة (١١٤)هـ.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/٢٥٦)، والبخاريُّ رقم (١٤١٣) في الزكاة. و(٣٥٩٥)، ومسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة. من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

الطعام، وإفشاءُ السلام، وحسنُ الكلام»[1]. رواه الطبرانيُّ بإسنادين رواة أحدهما ثقات، وابن أبي الدنيا في كتابه (الصمت)، والحاكم إلا أنهما قالا: عليك بحسن الكلام، وبذل الطعام. وقال الحاكم: صحيحٌ. ولا علة له، رواه البزار من حديث أنس قال: قال رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ: علمني عملاً يدخلني الجنة. قال: «أطعم الطعام، وأفش السلام، وأطب الكلام، وصلِّ بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام»[2]. وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا؟! قال: ما سدَّ جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك؛ فذاك، وإن كان لك دابة؛ فبخ بخ»[3]. وعن أبي يعقوب قال: سمعت ابن عمر يسأله رجلٌ: ما ألبس من الثياب؟ قال: ما لم يزدريك فيه السُّفهاء. ولا يعيبك به الحكماء. قال: ما هو؟ قال: ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهماً، رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وانظر إلى لباس الرَّسول ﷺ ولباس أصحابه.

والحديث ذكره المدنيُّ في كتابه بلفظ: «أوحى الله إلى داود: يا داود! مثل الدنيا كمثل جيفة... إلخ. والله أعلم.

٢٢٨ ـ «أوْحى اللهُ إلى داوُدَ: يا دَاوِدُ! إنّ العَبْـدَ لَيأتي بالحسَنةِ يومَ القيامة فأحَكِّمهُ بها في الجنَّـةِ. قال داودُ: يا رب ومَنْ هذا العَبْدُ؟! قال: مُؤمنٌ يَسْعى لأخيـهِ المُـؤمنِ فـي حاجَـتـهِ يُـحِبُّ قَضاءهـا، قُـضيتْ على يدَيـهِ، أوْ لـمْ تُـقْضَ»[4]. رواه الخطيب، وابنُ عساكر عن عليٍّ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٠)، والبزَّار رقم (٢٨٨٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٧)، وقال: رواه الطبرانيُّ بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات. من حديث مقدام بن شريح عن أبيه عن جده. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه البزار رقم (٧١٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٧) وقال: رواه البزار، وفيه حفص بن أسلم ضعيف. من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده ضعيف. وللحديث طرق وشواهد فهو بها حسن.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٩٣٤٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٤) وقال رواه الطبراني في الأوسط. وفيه الحسن بن عمارة متروك.

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٩٨). والخطيب في تاريخ بغداد =

ش ـ أحكِّمه: من التحكيم، وهو التفويض في الحكم. يقال: حكَّمتُ الرَّجلَ ـ بالتشديد ـ: فوَّضتُ الحكم إليه.

المعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ وعزَّ يخبرنا أنَّه أوحى إلى نبيه داود عليه السلام: أنَّ العبد المؤمن ليأتي بالحسنة الواحدة عملها في حياته في الدنيا يوم القيامة، فيحكمه، ويفوض حكمه بها في الجنة. ولما كان هذا أمراً مستغرباً؛ لأنه عملٌ صغيرٌ يثاب عليه، ويفوّض أمره إلى العامل بأن يحكم لنفسه بما يشاء من ثواب وأجرٍ على ذلك العمل، سأل نبيُّ الله داود عليه السلام ربَّه عن العبد الذي صفته ما ذكر، فقال الله جل ذكره لنبيه داود جواباً لسؤاله: مؤمنٌ آمن بي وصدَّق برسالة نبيي، وسعى لأخيه المؤمن حال حياته في حاجته يحبُّ قضاءها له، قضيت تلك الحاجة على يديه أو لم تقض؛ لأنَّه بذل جهده، ولم يقصِّر؛ فأجرُه محفوظٌ على كلِّ حال؛ لأنَّ الأعمال بالنيات، ولكلِّ امرىءٍ ما نوى. فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج الله عنه بها كربةً مِنْ كرَبِ يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1]. رواه البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزعُ الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[2] رواه الطبرانيُّ. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه»[3] رواه الطبرانيُّ، ورواته ثقات. والحديث

= (٥/ ٤٦١) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٩١) والبخاريُّ رقم (٢٤٤٢) في المظالم و(٦٩٥١) في الإكراه، والبغوي في شرح السنَّة رقم (٢٥٦٤)، وابن حبان رقم (٥٣٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في الكبير رقم (١٣٣٣٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩٢) وقال: رواه الطبرانيُّ، وفيه عبد الرحمن بن أيوب ضعفه الجمهور. وحسَّن حديثه الترمذي. وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه. وبقية رجاله رجال الصحيح. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه الطبراني في الكبير رقم (٤٨٠١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

ذكره المدنيُّ في كتابه (الإتحافات) وقال: وهو واهٍ. والله أعلم.

٢٢٩ ـ «أوْحى اللهُ إلى داوُدَ: وَعِزَّتي! ما مِنْ عبدٍ يَعتصِمُ بي دُونَ خَلْقي، أعْرِفُ ذلكَ مِنْ نيَّتِه، فَتكيدُه السَّمواتُ والأرضُ بمَنْ فيها؛ إلا جعلْتُ لهُ مِنْ بينِ ذلكَ مَخْرجاً. وما مِنْ عبْدٍ يَعْتصِمُ بمخْلوقٍ دوني، أَعْرِفُ ذلكَ مِنْ نيَّتِه؛ إلاّ قطَّعْتُ أسْبابَ السَّماءِ بيْن يَديْهِ، وأرْسخْتُ الهُوِيَّ مِنْ تحتِ قَدَميهِ. ومَا منْ عبْدٍ يُطيعُني إلا وأنَا مُعطيهِ قبْلَ أنْ يَسْألَني، ومُسْتجيبٌ لهُ قبلَ أنْ يدْعُوَني، وغَافرٌ لهُ قبلَ أنْ يَستغفرَني»[1]. رواه أبو تمَّام، وابنُ عساكر، والديلميُّ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.

ش ـ العزَّة حالٌ مانعةٌ للإنسان من أن يُغلَب. من قولهم: أرضٌ عزاز؛ أي: صلبة، والاعتصام: التمسُّك بالشيء. والكيدُ: ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً، وممدوحاً، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر. والمخرَجُ: المخلص. ورسخ: ثبت. والهويُّ بضم أوله وتشديد آخره: جمع هوة، وهي الحفرة، والمطمئن من الأرض، ويقال لها: المهواة أيضاً. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أن الله جلت عظمته أوحى، وألقى إلى نبيِّه داود عليه السلام مقسماً له بعزته، وغلبته التي لا تقاوم: ما من عبدٍ من عباده ذكراً كان أو أنثى يعتصم بالله، ويتمسك به دون أحد من خلقه تعالى، والله جلَّ ذكره أعرف بذلك من نيَّته فتكيده السموات والأرض بمن فيها من الخلائق، وتقوم ضدَّه، وتحتال على النكال به؛ إلا جعل الله جلَّ اسمه لذلك العبد مخرجاً، ومخلصاً من بين ذلك وهو لا يشعر! وكذلك ما مِنْ عبد يعتصم، ويتمسَّك بمخلوقٍ دون الله جلَّ وعلا، والله عزَّ وجلَّ يعرف ذلك من نيته، وما يضمره بقلبه؛ إلا قطع أسباب السَّماء، وما يتوصل به إليه بين يديه، وأرسخت، وأثبت الهوي من تحت قدميه، فلا يتمكن من إثبات نفسه، وتمالك قواه؛ لأنَّ تحته خالياً، فيعجز عن المدافعة عن نفسه، وتقويتها، والمحافظة عليها! وما من عبدٍ من عبادي ذكراً كان أو أنثى يطيعني، وينقاد لأوامري؛ إلا وأنا معطيه عطايا كثيرةً

= (٨/ ١٩٣)، وقال: رواه الطبرانيُّ ورجاله ثقات من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٩٥) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

قبل أن يسألني، ومستجيبٌ له دعاءه وطلبه قبل أن يدعوني، وغافرٌ له أيضاً ذنوبه إذا بدر منه ذنب قبل أن يستغفرني.

ففي الحديث دليلٌ على أن الاعتصام والالتجاء لا يكون إلا لله جل ثناؤه في جميع الحالات، وإذا اعتصم، وتمسَّك بالله جل عزُّه فالله تعالى يحميه، ويحول بينه وبين عدوِّه، ولو كان أعداؤه أقوى المخلوقات، وأعظمها، فإنَّ الله يجعل للعبد من ذلك مخرجاً، ومخلصاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣] ومن اعتصم وتمسَّك بغيره تعالى؛ فقد هلك، وخاب، وخسر الدنيا والآخرة، ووكله الله تعالى إلى غيره، وغضَّ الطرف عنه، وقطع عنه جميع أسباب النجاة والفوز! سبحانه ما أكرمه، وأقدره، وأعظمه، وأبره، وأرحمه بعباده! أفلا يكون العبد رحيماً بنفسه، شاكراً لربه، ملتجئاً إليه في السَّراء، والضراء؟! ومن أطاع الله جل ذكره سهَّل له جميع أسباب الراحة، وأذهب عنه جميع أسباب الشقاء، وأعطاه قبل أن يسأله، واستجاب له قبل أن يدعوه، وغفر له قبل أن يستغفره، سبحانك يا رب ما أرحمك لعبادك، وما أبعد عبادك عنك! اللهم اهدهم فإنَّهم لا يعلمون!

والحديث فيه يوسف بن السَّفر متروك يكذب. وقال البيهقي: هو في عداد من يضع الحديث.

٢٣٠ ـ «أوْحى الله إلى داودَ: أنْ قُلْ للظَّلَمَةِ: لا يذكُروني، فإنّي أذكُرُ مَنْ يَذْكُرني، وإنَّ ذكْري إيَّاهمْ أنْ ألْعَنهم»(١). **رواه الحاكم (في تاريخه)، والديلميُّ، وابن عساكر عن ابن عباس.**

ش ـ الظلمة ـ بفتحات ـ جمع ظالم، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصِّ به. واللعن: الطرد عن رحمة الله، والإبعاد عن إكرامه عزَّ وجل.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عبده ونبيه داود عليه السلام أنْ قل للظلمة الذين تجاوزوا الحدود، وخالفوا الأوامر، واتَّبَعوا شهوات أنفسهم، وركنوا إلى الشيطان. والهوى: لا يذكرون الله جلَّ وعلا؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يذكر من ذكره، وإنَّ ذكر الله لهؤلاء الظلمة لعنُهم، وإبعادُهم عن الخير والكرامة؛ لأنَّ ذكر الله منوطٌ باتباع الأوامر، واجتناب النواهي، والظلمة ليسوا كذلك.

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (٤٩٧) والبيهقي في الشعب رقم (٧٤٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

والظلم من الصفات القبيحة التي أجمعت الأمم جميعاً على ذمِّها، والنفور منها، واستبشاعها، وفي القرآن الحكيم آياتٌ كثيرةٌ في ذمِّ الظلم، والنهي عنه، ولعن الظالم. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧] وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم»[(١)] رواه مسلمٌ وغيره. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[(٢)] [هود: ١٠٢] رواه البخاريُّ، ومسلم، والترمذيُّ. وقال تعالى في الحديث القدسي: «إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته محرماً بينكم. . . إلخ» وقد تقدَّم، فارجع إليه؛ فإنَّ فيه الكفاية. والحديث الله أعلم بسنده.

٢٣١ ـ «أَوْحى الله إلى إبْراهيمَ: يا خَليلي! حَسِّنْ خُلُقَك وَلوْ معَ الكُفَّار تَدْخُلْ مَداخلَ الأبْرار، فإنَّ كلمتي سَبقَتْ لمنْ حسَّنَ خُلُقَه أنْ أظلَّه في عرْشي، وأنْ أُسكنَه حَظيرَة قُدْسي، وأنْ أدْنيه من جِوَاري»[(٣)]. رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة.

ش ـ إبراهيم عليه السلام هو خليل الرحمن ونبيُّه، ولفظه أعجمي، وفيه لغاتٌ كثيرة، ومعناه بالسريانية: أب رحيم. والخليل: الصديق. والخُلَّة ـ بالضم ـ: الصداقة، والمحبة التي تخللت القلب. والخلق ـ بضم الخاء المعجمة واللام، وقد تسكن اللام ـ: الطبع، والسَّجية، والدِّين. والأبرار: جمع بر ـ بالفتح ـ أي: الصادق، أو التقي، وهو خلاف الفاجر، هو كثير ما يخصُّ بالأولياء، والزُّهاد، والعبَّاد. والظلُّ:

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٧٨) في البر والصلة من حديث حابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٦٨٦)، ومسلم رقم (٢٥٨٣) وابن ماجه رقم (٤٠١٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٥٠٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ضعيف.

الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس، أيّ شيءٍ كان. وقيل: هو مخصوص بما كان منه إلى زوال الشَّمس، وما كان بعده فهو الفيء. والعرش في الأصل: شيء مسقف، وقد تقدَّم الكلام عليه في شرح الحديث (٩٤) فارجع إليه. وحظيرة القدس تقدَّم الكلام عليها في شرح الحديث (١٣٩) فلا حاجة للإعادة. والدنوُّ: القرب. والجوار: الملاصقة في السكن.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره أوحى إلى نبيِّه وخليله إبراهيم عليه السلام: يا خليلي! حسن خلقك، وعامل الناس بسعة الصَّدر، وطول البال، والحلم، والأناة، والعفو، ولو أنك تستعمل ذلك مع الكفار الذين جحدوا آلاء الله، ونسوا خيره؛ لأنَّهم بعملك ذلك تحببهم إليك، وينقلب كفرُهم إيماناً، وجحدُهم شكراً، وإقراراً، وحسن الخلق من الصفات الحميدة تدخلك مداخل الأبرار ـ وهي الجنة ـ فإنَّ كلمتي في الأزل سبقت لمن حسن خلقه، واستعمل سجاياه وطبائعه في الأعمال الحسنة أنْ أظلَّه في عرشي، وأحميه من الحرِّ والبرد يوم القيامة؛ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم. وزيادة على ذلك فإني أعددت له سكناً خاصاً، وهو حظيرة قدسي، وأنْ أدنيه، وأقرِّبه من جواري يوم القيامة، فيراني، وأراه. اللهم إنا نسألك النظر إلى وجهك الكريم!

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الله ونبيه، ابن تارح ـ وهو المسمَّى في القرآن آزر ـ بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام. وهذا هو النسب الموجود في التوراة، ولم يذكر القرآن الكريم إلا أنه ابن آزر، ولم يذكر أحداً من أجداده بعنوان أنه جده، وذكره قصة إبراهيم عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الحكيم، تارةً باختصار، وتارةً بالتطويل، وتارةً بذكر شأنٍ من شؤونه في سورةٍ، ثم شأن آخر من شؤونه في سورة أخرى.

وحاصل قصته عليه السلام: أنه كان فتى من أهل فدان آرام بالعراق كما في التوراة، وكان قومه أهل أوثان، وكان أبوه نجاراً ينحت الأصنام ويبيعها لمن يعبدها كما نصَّ على ذلك في إنجيل برنابا، وإنَّ إبراهيم كان قد أنار الله بصيرته، وهداه إلى الرشد، فعلم أنَّ الأصنام لا تسمع، ولا تبصر، ولا تسمع نداءً، ولا تجيب دعاءً، ولا تضر، ولا تنفع، وأنها لا تباين بنات صنفها من سائر الخشب، وأن أباه هو الذي يصنعها.

ولما رأى نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام ذلك نوى الشرَّ في نفسه لهذه الآلهة التي

جمدوا على عبادتها، ولم تفدهم موعظةٌ، ولا برهانٌ عن الغواية بها، فأقسم في نفسه أنْ يُلحِق بها الأذى.

وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم، ويقيم لهم الحجة عملاً على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى إذا تركوا عبادتها، أو تكسبهم خيراً إذا عبدوها؛ لأن البرهان العملي أوقع في النفس، وأرجى أن يحرز القبول، فقال في نفسه كما أخبر بذلك الكتاب الحكيم: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧ ـ ٦٠] فلما فعل فعلته أرادوا محاكمته على رؤوس الأشهاد، فقدموه للمحاكمة، وقد قصَّ الله ذلك في كتابه حيث قال: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦١ ـ ٦٣] حينئذ ظهرت حجة إبراهيم واضحة، ورأى الفرصة سانحةً لإلزامهم الحجة: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ و ٦٧] فلما أعيتهم الحيلة فيه، ووجدت موعظته منهم قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً عمدوا إلى ما يلجأ إليه القوي الجبار الذي لا حقَّ معه بإزاء المحق الضعيف ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٢] ولإبراهيم عليه السلام مواقف مع قومه متعددة فتارةً يُحاج والده، وتارةً يُحاج الجمهور، وتارةً يُحاج الملك، وتارةً يفعل ما يستفزهم به إلى محاجته كتكسير الأصنام ليكلموه في شأنها إلى أن أوقدوا النار لتحريقه، فنجاته منها بعد أن ألقي فيها، فهجرته.

وتاريخ حياته عليه السلام يعطينا درساً وموعظةً لنقف في مقام النُّصح والإرشاد موقف الصابرين الظافرين، ولا نقنط، ونيأس، ونجاهد أنفسنا وقومنا، ونرد عليهم المواعظ والنصائح لأنَّ نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام بعد أن جهد الجهد كله في سبيل هداية قومه، وبعد أن حاول أن يقنعهم بكلِّ وسائل الإقناع؛ لم يحظ من قومه بطائل، وجفاه قومه، وألقوه في النار، فجعلها الله برداً وسلاماً. وهدده أبوه بأن يرجمه إذا استمرَّ على جحد الأصنام. ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة، ولوط بن هارون بن تارح، ولما وجد عناد أبيه له تبرأ منه إبراهيم عليه السلام، ولم يطب له المقام بين أهله وقومه، فهاجر من العراق إلى الشام، فذهب إلى أور الكلدانيين، ثم

حاران، ورحل إلى فلسطين، ومصر. ودفن في الأرض المقدسة، وقبره معروف بالبلدة المعروفة بالخليل بينها وبين بيت المقدس دون مرحلة. وقد حباه الله بصفاتٍ حميدة جميلة بأن أنزل عليه صحفاً، قيل: كانت عشراً، وجعل له لسان صدق في الآخرين ـ أي: ثناء حسناً ـ فليس أحد من الأمم إلا يحبُّه، وأكرمه بالخلَّة، وجعل أكثر الأنبياء من ذريته، وختم ذلك سبحانه وتعالى بنبينا محمد ﷺ.

واختتن عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[1]. ويكسى يوم القيامة أول الخلائق[2]. وبلغ عمره مئة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مئتي سنة.

وفي الحديث: أنَّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيَّه بتحسين خلقه مع جميع الناس ولو مع الكفار. وقد امتثل أمر ربه فبلغ من حسن الخلق وكمال الدربة ما لم يبلغه أحد سواه إلا ما كان من ولده نبينا محمد ﷺ. وانظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والزيغ الشنيع الذي عصى أمر العقل وانسلخ من قضية التمييز والغباوة التي ليس بعدها شيء؛ كيف رتَّب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه في أرشف مساق مع استعماله الملاطفة، والمجاملة، والرفق، واللين، والأدب الجميل وكمال حسن الخلق منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه، مسترشداً بإرشاده.

قال الشيخ محيي الدين بن العربي: ينبغي لطالب مقام الخلة أن يحسن خلقه لجميع الخلق مؤمنهم، وكافرهم، وطائعهم، وعاصيهم، وأن يقوم في العالم مقام الحقِّ فيهم، فإنَّ المرء على دين خليله في شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم أنَّ ذلك الإحسان منه، فمن عامل الخلق بهذه الطريقة صحت له الخلة، وإذا لم يستطع بالظاهر لعدم الموجود أمدَّهم بالباطن، فيدعو لهم بينه وبين ربه، وهكذا حالُ الخليل فهو رحمةٌ كله.

والحديث قال فيه المؤلف في شرحه على الجامع الصغير: قال الزيلعي: وهذا

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٢٢)، والبخاري رقم (٣٣٥٦) في الأنبياء و٦٢٩٨) في الاستئذان، ومسلم رقم (٢٣٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٣٥ و٢٥٣)، والبخاريُّ رقم (٣٣٤٩) في الأنبياء ومسلم رقم (٢٨٦٠)، والنسائي (٤/ ١١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

معضل، وضعفه المنذريُّ ولم يوجهه. وقال الهيثمي: فيه مؤمَّلُ بن عبد الرحمن، وهو ضعيف. والله أعلم.

٢٣٢ ـ «أوْحى اللهُ إلى إبْراهيمَ: يا إبْراهيمُ إنِّي عليمٌ أحبُّ كلَّ عَليم»[١].

رواه ابن عبد البر معلقاً.

ش ـ العليم مبالغة في عالم؛ أي: كثير العلم، وفي وصفه تعالى به أنه هو الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصيةٌ ولا دانية.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره أوحى إلى نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم! إني عليمٌ أعلم، وأحيط بكل شيء علماً، لا يعزب عن علمي مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، أحبُّ كلَّ عليم؛ أي: كثير العلم؛ لأن الشخص كلما كثر علمه ازدادت معلوماته، وفاق غيره علماً، وفضلاً، ومكانة إلا أن علم الله جل ذاته مخالفٌ لعلوم المحدثات من وجوه: أحدها: أنه بالعلم الواحد يعلم جميع المعلومات بخلاف العبد. ثانيها: أنَّ علمه تعالى لا يتغير بتغير المعلومات بخلاف الحادث. ثالثها: أنَّ علم الله سبحانه وتعالى غير مستفاد من الحواس، ولا من الفكر، بخلاف العبد. رابعها: أنَّ علمه تعالى ضروري الثبوت، ممتنع الزوال، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وعلم العبد جائز الزوال. خامسها: أنَّ الحق سبحانه وتعالى لا يشغله علم عن علم، بخلاف العبد. سادسها: أنَّ معلومات الحق تعالى غير متناهية، بخلاف العبد.

ففي الحديث إشارة إلى فضل العلم وشرفه، وأن العبد كلَّما ازداد علماً ازداد عند الله حبّاً. وقد جاء في فضل العلم وشرفه آياتٌ كثيرةٌ، وأحاديثُ صحيحة تفوق الحصر، وقد ذكرت جملة صالحةً من أدلة الكتاب والسنة في فضله وشرفه في كتابي ـ نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية ـ فارجع إليه تجد ما يسرك، والحديث رواه ابن عبد البر معلقاً كما قال المصنف. والله أعلم.

٢٣٣ ـ «أوْحى اللهُ إلى عيسى ابْن مَريم: يا عيسى! عِظْ نفسَكَ بحِكْمتِي، فإن انْتَفعتَ؛ فعِظ النَّاس، وإلا فاسْتحِ منِّي»[٢]. رواه الديلميُّ عن أبي موسى.

---

(١) رواه ابن عبد البرِّ في (جامع بيان العلم وفضله برقم ٢٣٦) وهو ضعيف.

(٢) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٥١٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

ش ـ عيسى ابن مريم عليه السلام تقدَّمت ترجمته. وقوله: «عِظْ»؛ أي: ذكر نفسك، والوعظ: زجرٌ مقترن بتخويف. وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب. والعظة، والموعظة: الاسم. والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تعالى أوحى وأعلم نبيَّ الله عيسى عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام أو غيره: يا عيسى! عِظْ نفسك، وذكرها بحكمتي وإرشادي، فإن انتفعت بنفسك، وأهلك؛ فعظ الناس، وذكرهم بآلاء الله جلَّ ذكره، وقدرته، ومعرفته، وإن لم تنتفع بذلك فاستحِ مني؛ لأنك القدوة إلى الخلق والمرشد العظيم، فالناس لك تبع، وفيه دليل على أنَّ الوعظ إذا لم يؤثر أولاً وبالذات بالواعظ فلا يؤثر بالموعوظ، وهذا لا شك فيه، فإنَّ الواعظ يجب عليه أن يحاسب نفسه، ويعظها قبل أن يلقي الموعظة، فإذا كان حاله موافقاً لوعظه، ومتصفاً بالصفات التي يعظ بها كان الوعظ نافعاً، ومسدداً، وكان الموعوظ قريب الميل إلى الواعظ، وسماع كلامه، وإطاعة أوامره، وامتثال ما يلقي إليه من الصفات الحميدة، ولذلك ذكروا آداباً وصفاتٍ للداعي، والواعظ، والمرشد ينبغي الاتصاف بها، منها: العمل بعلمه، فلا يكذب فعلُه قولَه، ولا يخالف ظاهرُه باطنَه، فلا يأمر بشيءٍ ما لم يكن هو أول عاملٍ به، ولا ينهى عن شيء ما لم يكن هو أول تاركٍ له؛ ليفيد وعظه، ويثمر إرشاده. ومنها: الحلم، وسعة الصَّدر، فكمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب. ومنها: العلم بالقرآن والسنة إذا كان مرشداً، أو واعظاً، وما صحَّ من هدي الرسول وسيرته، وسيرة الخلفاء الراشدين، والسلف الصالح رضوان الله عليهم. ومنها: الشجاعة حتى لا يهاب أحداً في الجهر بالحقِّ، ولا تأخذه في نصرة الله لومة لائم. ومنها: العفة، واليأس مما في أيدي الناس. ومنها: القناعة في الدنيا، والرضا منها باليسير. ومنها: قوة البيان، وفصاحة اللسان إلى غير ذلك. وأهمها الأولى. وفقنا الله وإياك إلى وعظ نفسه قبل وعظ غيره.

والحديث أخرجه الديلميُّ كما قال المصنف، ولا يخفى ما فيه. والله أعلم.

٢٣٤ ـ «أوْحى اللهُ إلى عيسى في الإنجيل: أنْ قُلْ للمَلأِ منْ بني إسرائيل:

إنَّ مَنْ صَام لمَرْضاتي؛ أصْححتُ له جِسْمَه، وأعْظمْتُ لهُ أجْرَه»[1]. **رواه أبو الشيخ، والديلميُّ، والرافعيُّ عن أبي الدَّرداء.**

ش ـ الإنجيل: كتاب أنزله الله جلَّ ذكره على نبيه عيسى عليه السلام، ثم دخله التحريف، والتبديل.

ومعنى الإنجيل: البشارة. والشواهد متضافرة على أنَّ الله تعالى أعطى نبيه المسيح الإنجيل، وأنه كتاب تضمَّن الهدى والنور، وقد أهاب ببني إسرائيل أن يرجعوا إلى الله ويعبدوه، وأنبأهم بأحداث مستقبلة، وبشرهم باقتراب زمن النَّبيِّ الذي وعد بنو إسرائيل بأن الله يبعثه، وعلى يده يكون بعث شريعة جديدة، وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة، وفيه وصفه، ووصف أتباعه، كما ذكر ذلك القرآن الحكيم، فأين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذكره القرآن الكريم؟ إنَّ الإنجيل الذي أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه، وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن وإنما توجد قصصٌ ألَّفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ، والتحريف، والزيادة، والحذف وقد كثرت الأناجيل كثرةً فاحشةً حتى أربت على المئة، ومعلوم أنَّ الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها، وأقرَّت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من انقطاع السند، وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقي، أو المترجم، ومبلغ أمانته على الدين، وحرصه على الصدق، وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقي المفضي إلى أنَّ أحد الأقوال صادقٌ وما عداه كاذبٍ. والملأ: جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالاً. وبنو إسرائيل: قوم موسى عليه السلام. وإسرائيل اسم أعجمي مركب من إيل اسم من أسماء الله تعالى، وإسرا، وهو العبد، أو الصفوة، أو الإنسان، أو المهاجر، وهو لقب سيدنا يعقوب عليه السلام. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّتْ عظمتُه أوحى إلى نبيه ورسوله عيسى عليه السلام بواسطة الأمين جبريل: أنْ قل للجماعة المحترمين، وأصحاب الرأي السديد، والمكانة من بني إسرائيل؛ أي: قومك الذين أرسلت إليهم للهداية والتبليغ: أنَّ مَنْ صام منكم ذكراً كان أو أنثى لمرضاتي، ورضائي، ولوجهي الكريم أصححت له جسمه إذا كان فيه علل وسقم، وأعظمت له أجره في الآخرة. وقد تقدَّم فضل الصوم، وأنَّه لله وحده، وكثرة ثوابه، فلا حاجة للإطالة.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٥١١) من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

والحديث والله أعلم ليس بالقوي وإن كان معناه صحيحاً، فإنَّ الصوم من حيث هو مرغب فيه مشروعٌ ومطلوبٌ الإكثار منه.

وقد تقدمت ترجمة الثلاثة الذين خرجوا الحديث فلا فائدة في تكرار تراجمهم، والله أعلم.

٢٣٥ ـ «أوْحى الله إلى نبيٍّ مِنَ الأنْبياءِ: أنْ قُلْ لِعبادي الصِّدِّيقينَ: ألا يَغْترُّوا بي، فإنّي أقيمُ عليهمْ عَدْلي وقِسْطي، أعَذِّبُهُمْ غيْرَ ظالم لهُمْ. وقُلْ لعبادي الخَطّائين: لا تيْأسوا مِنْ رَحْمتي؛ فإنَّه لا يَكْبُرُ عليَّ ذنْبٌ أغْفِرُه»[1]. رواه أبو ذرٍّ عن أنس.

ش ـ الصدِّيقون: جمع صدِّيق ـ بتشديد الدال ـ: مَنْ كثر منه الصدق. وقيل: بل يقال لمن لا يكذب. وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوُّده الصدق. والاغترار: يقال: اغترَّ الرجل: إذا طلبت غرته، أي: غفلته، وتسامحه. والخطائين: جمع خطاء، يقال: رجلٌ خطاء: إذا كان ملازماً للخطايا غير تاركٍ لها ـ وهو من أبنية المبالغة ـ مقابل الصديقين. والقسط: هو النصيب من العدل. واليأس: ضدُّ الرجاء.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تبارك اسمه أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: أنْ قل، وأخبر عبادي الصدِّيقين الذين صدقوا الله في أقوالهم وأفعالهم، واعتادوا الصدق في أمورهم: ألا يغتروا بالله جلَّ ذكره، ويطلبوا غفلته عنهم بأن يعفو عنهم، أو يغفر لهم إذا أذنبوا أو ارتكبوا معصيةً، فإنَّ الله جلَّ ذكرُه يقيم عليهم عدله، ويأخذهم بنصيب من عدله، ويعذبهم على ما جنوه واقترفوه، ليس بظالمٍ لهم، ولا معتدٍ، بل هم ظلموا أنفسهم. وقل أيضاً لعبادي الخطائين الذين تكثر منهم الخطايا، أو اعتادوها، ولازموها، وجبلوا على حبِّها: لا تيأسوا من رحمة الله جل ذكره، بل توبوا إلى الله، وأنيبوا إليه؛ فإنه يغفر الذنوب جميعاً، ولا يكبر عليه ذنب مهما عظم واستعظم.

وفي هذا ترغيبٌ في الإقلاع عن المعاصي والإقبال على الله تعالى بالتوبة والاستغفار مهما كثرت الذنوب، وعظمت المعاصي. وورد في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ منها ما يشبه هذا الحديث في المعنى، وقد تقدَّم ذكره. فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى يابن آدم إنك ما دعوتني، ورجوتني غفرتُ لك

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية رقم (٣١٤٩) والديلمي في مسند الفردوس رقم (٥١٨). وإسناده ضعيف.

على ما كان منك ولا أبالي! يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك! يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة!»[1] رواه الترمذيُّ وقال حديثٌ حسن.

والحديث الله أعلم بصحته.

٢٣٦ ـ «أَوْحى اللهُ إلى عيسى: أن انتَقِلْ مِنْ مكان إلى مكانٍ لئلا تُعْرَفَ فتُؤذى، فَوعِزَّتي، وجَلالي لأزوِّجنَّكَ أَلْفَ حَوْراءَ! ولأولمنَّ عليكَ أرْبَعَمئةِ عامٍ!»[2]. رواه ابن عساكر عن أبي هريرة.

ش ـ الحوراء ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ مفرد حور ـ بفتح الحاء المهملة ـ وهي نساء أهل الجنة. والوليمة: هي الطعام الذي يصنع عند العرس.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تنزهت صفاته أوحى إلى نبيه ورسوله عيسى عليه السلام: أنِ انتقلْ وتحوَّلْ من مكانٍ إلى مكان، ولا تثبت فيه وتطل الإقامة؛ لئلا يعرفك أشرار الناس وسفلتهم أنك المبشر بدين الله، والمنذر من خالف أوامر الله ونواهيه، فيؤذونك، أو يسلطون عليك من يؤذيك، ولا تتوان عن التبليغ، والهداية، ونصح الناس، ووعظهم، فالله جلَّ جلاله أقسم بعزته وجلاله ليزوجك في الآخرة ألف حوراء نظير تعففك عن الزواج، ولأولمنَّ عليك أربعمئة عام وهذا لم يسبق لغيره من الأنبياء والمرسلين.

وهذا يدلُّ على أن الإنسان إذا كلف بالوعظ والهداية فلا يتخذ له مكاناً خاصاً يقيم فيه الأبد، بل ينتقل من جهةٍ إلى أخرى لينتشر الدين، ويعمَّ الأقطار، فلذلك انتقل الرسول ﷺ من مكة المكرمة وطنه المحبوب إلى المدينة المنورة، وبذلك نشر الإسلام، وعمَّ النواحي، والجهات، والبلاد.

والحديث فيه هانىء بن المتوكل الإسكندراني أبو هاشم المالكي الفقيه، عمَّر دهراً طويلاً لعلَّه أزيد من مئة سنة مات سنة ٢٤٢ هـ. قال ابن حبان: كان تدخل عليه

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٤٠) وقال الترمذي هذا حديثٌ حسن. وهو كما قال.
(٢) ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال (٤/ ٢٩١) ورقم (٩١٩٨) في ترجمة هانىء بن المتوكل الإسكندراني، ونقل قول ابن حبان فيه: (كانت تدخل عليه المناكير، وكثرت، ولا يجوز الاحتجاج به). وعدَّ ابن حبَّان هذا الحديث من مناكيره.

المناكير، وكثرت، فلا يجوز الاحتجاج به بحال وذكر هذا الحديث. انظر ميزان الاعتدال للذهبي، وقد ذكر الحديث فيه محرفاً، فصححناه بقلمنا في نسختنا. والله أعلم.

٢٣٧ ـ «أَوْحى اللهُ إلى نبيٍّ منَ الأنْبياءِ: أنْ قُلْ لِفُلانٍ العابدِ: أَمَّا زُهدُكَ في الدُّنْيا: فَتعجَّلتَ راحَة نفسْكَ، وأمّا انْقِطاعُكَ إليّ: فتعزَّزتَ بِي. فمَاذا عمِلْتَ فيما لي عليْكَ؟ قالَ: يا ربّ ومَا ذلك علي؟! قال: هلْ عادَيتَ فِيَ عدُوّاً؟ أوْ هل والَيْتَ فِي ولِيّاً؟»[1]. رواه أبو نعيم، والخطيب عن ابن مسعود.

ش ـ الزهد: تقدَّم الكلام عليه غير مرة فارجع إليه. والراحة: زوال المشقة والتعب. وتعزَّز: اشتد، وعزَّ كأنه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه، والعدو، والولي: تقدم الكلام عليهما في شرح الحديث (٩٩) فلا حاجة للإعادة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله جلَّ ذكره أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه عليه السلام، وأعلمه بواسطة الملك جبريل عليه السلام أو غيره: أنْ قلْ لفلانٍ العابد، الملازم لعبادتي، وأخبره: أنَّ زهدك في الدنيا وانقطاعك إليَّ أراح نفسك وبدنك؛ إذ الزهد فيها يريح القلب والبدن كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أَمَـتُّ مطـامعـي فـأرحـتُ نفسـي ... فـإنَّ النفـسَ مـا طمعـتْ تهـونُ
وأحييـتُ القنـوعَ وكـان ميتـاً ... وفـي إحيـائِـه عـرضـي مَصـونُ

وأمَّا انقطاعك إليَّ لأجل عبادتي فتعززت، وصرت بي عزيزاً، فماذا عملت فيما لي عليك من حقوق، ومطالب، وأوامر، وواجبات؟ قال: يا رب وما ذلك عليَّ. مرني به أفعله. قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: أن قل لعبدي: هل عاديت فيَّ عدواً، وأضمرت له العداوة؟ أو واليت فيَّ ولياً، وأظهرت له المحبة، والمودة، وناصرته؟ فمجرد الانقطاع إلى الله تعالى للعبادة لا يكفي، بل هناك أشياء أخر يجب عملها، وهي: الموالاة في الله، والمعاداة في الله. وزاد الحكيم الترمذيُّ في روايته: «وعزتي لا ينال رحمتي من لم يوال فيَّ، ولم يعاد فيَّ!» وإسناده واهٍ.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٥١٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٣٠٠). وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣١٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

قال المصنف في شرحه على الجامع الصغير: فذلك العابد ظنَّ أنه بزهده في الدنيا، وانقطاعه عن أهلها قد بلغ الغاية، وارتقى النهاية، فأعلمه الله تعالى بأنَّ ذلك مشرب بحظوظ نفسانية، وأنَّ ترك بعض ما لا يزن كله جناح بعوضة ليس بكبير أمرٍ بالنسبة لأولئك الكمل، وإنما الذي عليه التعويل: التصلب في مباراة أعداء الله؛ مباعدتُهم، ومعاداتهم، أولئك حزبُ الشيطان، فلا تجد شيئاً أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، بل هو الإخلاص بعينه، فإذا أحببت الأشياء من أجله، وعاديت الأشياء من أجله؛ فقد أحببته، بل ليس معنى حبنا له غير ذلك.

وروى الحديث أبو نعيم في الحلية، والخطيب البغدادي في ترجمة محمد بن الورد الزاهد عن ابن مسعود، وفيه علي بن عبد الحميد قال الذهبيُّ: مجهول. وخلف بن خليفة، وأورده في الضعفاء، وقال: ثقة، كذَّبه ابن معين. انتهى. والله أعلم.

٢٣٨ ـ «أَوْحى الله إلى أخِي العُزَيْر: يا عُزير! إنْ أصابتْكَ مُصيبةٌ فلا تشكُني إلى خلْقي، فقدْ أصابني منْكَ مصائبُ كثيرةٌ فلَمْ أشْكُك إلى ملائِكتي، يا عُزيْرُ! اعْصِني بقدر طاقتِك على عَذابي، وسَلْني عنْ حوائجكَ على مقدار عمَلِكَ لي، ولا تأمنْ مَكْري حتَّى تَدخُل جنَّتي. فاهْتزَّ عُزيرُ يبْكي، فأوْحى الله إليهِ لا تَبكِ يا عُزيْرُ! فإنْ عصَيْتني بجَهْلِكَ؛ غَفْرتُ لك بحِلْمي؛ لأنّي كريمٌ لا أُعَجِّلُ بالعُقوبةِ على عبادِي، وأنَا أرْحمُ الرَّاحمينَ»[١]. رواه الديلميُّ عن أبي هريرة.

ش ـ العزير هو ابن جروة، ويقال: ابن سوريق بن عديا بن أيوب بن درزنا بن عرى بن تقى بن أسبوع بن فنحاص بن العاذر بن هارون بن عمران. ويقال: عزيز بن سروخا. واختلف في نبوته، فقيل نبيٌّ، وقيل: كان عبداً، صالحاً حكيماً. والمشهور كما قال الحافظ ابن كثير في تاريخه: أنّ عزيراً نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبق في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها، فردَّها على بني إسرائيل، ولذلك تغالى فيه بعض قومه، وقال: عزيزاً ابن الله. وظاهر الحديث: أنَّه نبيٌّ. والله أعلم. والمصيبة: يقال: مصيبة، ومصوبة، ومصابة، والجمع: مصائب، وأصلها في الريبة، ثمَّ اختصت بالنائبة، وهو

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٥١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

الأمر المكروه ينزل بالإنسان. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده تعالى ـ: أنَّ الله جلَّ علاه يخبرنا أنَّه أوحى إلى عبده ونبيه عزيز أنه إذا أصابته مصيبةٌ من مصائب الدنيا في ماله، أو بدنه، أو ولده فلا يشكو الله جلَّ ذكرُه إلى خلقه وعبيده، فقد حصل من عزير مصائبُ وأعمال كثيرة هي ليست برضاي وأمري فلم أشكك إلى ملائكتي من خلقي، بل صبرت عليك، ولم أؤاخذك بعملك. يا عزيز! اعص الله بقدر طاقتك وصبرك على عذابه؛ لأنَّ عذاب الله لا يطاق، ولا شك أنَّك لا تقدر، ولا تستطيع باختيارك أن تتحمل عذاب الله وإنْ قلَّ، فلا يصدر منك معصية بحقه تعالى مطلقاً، وسل حوائجك اللهَ جلَّ ذكره على قدر عملك لله تعالى، ولو نظرت في عملك، ومن أقدرك عليه، وسبَّبه لك؛ لرأيت كلَّ ذلك بقوة الله وإرادته وتيسيره لك، وعليه فلا عملك لك حقيقة، فلا سؤال. ولا تأمنْ مكرَ الله جلَّ ذكره حتى تدخلَ الجنة برحمته وعفوه، فإنَّه لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون. فلما سمع ذلك عزير اهتزَّ هيبةً وجلالاً، وبكى من خشية الله، فأوحى الله إليه: لا تبكِ يا عزير! فإنَّ عصيتني بجهلك وعدم علمك بالمعصية أو فعلتها سهواً، أو نسياناً غفرتها لك بحلمي، وعفوي، وكرمي؛ لأنَّ الله كريمٌ، وَمِنْ كرمه: أنَّه لا يعجل بالعقوبة على عباده، بل يصبر، ويؤجِّل؛ لأنه تعالى أرحمُ الراحمين بعباده.

والحديث رواه الديلميُّ كما قال المؤلف، وأماراتُ الضَّعف ظاهرةٌ جلية. والله أعلم.

٢٣٩ ـ «أوْحى اللهُ تعالى إلى ذي القَرنين: وعزَّتي وجَلالي ما خَلقْتُ خلْقاً أَحَبَّ إليَّ منَ المعْروف، وسَأجعلُ لهُ عَلماً، فمَنْ رأيتَني حبَّبْتُ إليهِ المعْروفَ واصْطناعَه، وحبَّبْتُ إلى النَّاس الطَّلبَ إليْه، فأحبَّهُ، وتولَّهُ، فإنِّي أحبُّه، وأتولَّاه. ومنْ رأيْتَني كرَّهْتُ إليه المعْروف، وبَغَّضْتُ إلى النَّاس الطَّلبَ منهُ فأبْغضْهُ، وَلا تَتولَّهُ؛ فإنَّه مِنْ شرِّ مَنْ خَلقْتُ»[١]. رواه الديلميُّ عن بكر بن عبد الله المزنيِّ عن أبيه.

ش ـ ذو القرنين ذكره الله تعالى في القرآن الحكيم، وأثنى عليه بالعدل، وأنَّه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم، وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامَّة،

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٥١٥) من حديث بكر بن عبد الله المزني عن أبيه رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

والسلطان المؤيد المظفر المنشور القاهر المقسط، واختلف فيه هل كان رسولاً، أو نبياً، أو عبداً صالحاً؟ والصحيح كما ذهب إليه الحافظ ابن كثير في تاريخه: أنه كان ملكاً من الملوك العادلين، وفي نسبه تسميته ذا القرنين، وفي اسمه اختلافٌ كبير بين المؤرخين، فارجع إلى المطولات، فليس هنا موضع بسط ذلك. وظاهر الحديث: أنَّه أوحي إليه. والله أعلم. والمعروف: اسمٌ لكلِّ فعلٍ يعرف بالعقل أو الشرع حسنُه. والمنكر: ما ينكر بهما. والاصطناع: المبالغة في اصطلاح الشيء.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى ذي القرنين، وأقسم له بعزته تعالى وجلاله: ما خلق خلقاً أحبُّ إليه من المعروف، وهو العمل الحسن. ولما كان المعروف من دعائم الأمور وأحسنها جعل الله تعالى له علماً، فمن رأيتَ يا ذا القرنين أنَّ الله حبب إليه المعروف، والمبالغة في إصلاح العمل، وحبَّبَ إلى الناس الطلب إليه فأحبه محبةً مخلصةً، واجعله ولياً لك؛ لأن الله جلَّ ذكره أحبه وتولاه دون غيره. ومن رأيت يا ذا القرنين أنَّ الله جلَّ علاه كرَّه إليه المعروف، وبغَّض إلى الناس الطلب منه، والقصد إليه في قضاء حوائجهم وإنجاز أعمالهم فأبغضهُ، ولا تحبَّهُ وتتوله؛ فإنَّ ذلك الشخص من شرِّ ما خلق الله جلَّ وعزَّ.

وفيه دليل على أنَّ من أحبه الله وفقه لعمل المعروف بين الناس، وطلب الناس منه قضاء مصالحهم. وفي الباب أحاديث كثيرة؛ منها: ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلمٍ كربة فرج الله له بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1] رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود. وعن ابن عمر أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[2] رواه الطبرانيُّ.

وحديث الباب لم أجده في كتاب، وبكر بن عبد الله المزني ذكره الحافظ العسقلاني في تقريب التهذيب، وقال: بكر بن عبد الله المزني أبو عبد البصري ثقةٌ، ثبتٌ، جليلٌ من الثالثة، مات سنة ست ومئة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٩١)، والبخاريُّ رقم (٢٤٤٢)، ومسلم رقم (٢٥٨٠) وأبو داود رقم (٤٨٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه.

٢٤٠ ـ «أَوْحى الله إليَّ: يا أخَا المُرْسلِينَ! يا أخَا المُنْذِرينَ! أنْذرْ قَوْمَكَ ألا يَـدْخُلوا بيْـتاً منْ بيُوتـي إلا بقُـلوب سليمةٍ، وألسنٍ صادِقـةٍ، وأيدٍ نقيـةٍ، وفُـروجٍ طاهـرةٍ، ولا يدخُلوا بيتـاً منْ بُيوتي ولأحدٍ منْ عبادي عنْد أحَدٍ منهم ظُلامةٌ؛ فإنِّـي ألْعنُه ما دامَ قائماً بينَ يَـديَّ يُصلِّي حتى يَـردَّ تلك الظُّـلامَة إلى أهْلِها، فإذا فَعل أكونُ سَمْعَه الَّذي يَسْمعُ بـهِ، وأكُون بصرَهُ الَّـذي يُـبْصرُ به، ويَـكُون منْ أوْليائِـي، وأصْفيائـي، ويكونُ جـارِي مع النَّبِيِّين، والصِّدِّيقينَ، والشهداءِ في الجنَّـة»[1]. رواه أبو نعيم، والحاكم، والديلميُّ، وابنُ عساكر عن حذيفة.

ش ـ المرسل: من أرسله الله جلَّ ذكره بوحي يبلِّغه، ويعمل به. والمنذر بكسر الذال المعجمة ـ: المحذِّر، والمخبر عن الله تعالى بكلامٍ فيه تخويف. والإنذار: إخبارٌ فيه تخويف، كما أنَّ التبشير إخبارٌ فيه سرور. والألسن: جمع لسان، وهي الجارحة المعلومة. والأيد: جمع يد. ونقية: نظيفة. والفروج: جمع فرج، وهو ما بين الفخذين. والصفاء: هو الخلوص. والظلامة ـ بضم أوله ـ: ما تظلمه المرء من حق. وباقي ألفاظ الحديث بعضها تقدَّم شرحه، وبعضها ظاهرٌ لا يحتاج إلى بيان.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام مخاطباً إياه بقوله: يا أخا المرسَلين! يا أخا المنذرين! ـ وهذان أشرفُ أوصاف الأنبياء عليهم السلام، ولذلك خاطبه الله بهما ـ أنذرْ، وحذِّرْ قومك من عذاب الله تعالى إن لم يؤمنوا من ألاَّ يدخلوا بيتاً ومسجداً من بيوتي ـ فإنَّ مساجد الله بيوته ـ إلا بقلوبٍ سليمةٍ من الفسوق، والكفر، والنفاق، وجميع سوء الأخلاق ـ لأنَّ مَنْ دخل بيت الله كان آمناً ـ وألسنٍ صادقة من الكذب، والفحش، وسائر الآفات، وأيد نقيَّة ـ بتشديد الياء ـ أي: نظيفةٍ شريفةٍ غير معتادة السَّرقة ولا الغصب والبطش بغير حق، وفروجٍ طاهرة من القاذورات والشهوات، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ـ المسجد الحرام أو غيره ـ ولأحدٍ من عبادي عند أحدٍ منهم ظلامة ـ أي: حق ـ فإني ألعنه، وأبعده من رحمتي ما دام قائماً بين يديَّ يصلِّي حتى يردَّ تلك الظلامة إلى أهلها، وهو صاحب الحقِّ، أو وارثه، فإذا فعل ذلك المذكور يكون الله سمعه الذي يسمعُ به، وبصره الذي

---

(١) رواه ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٢٣/ ٣٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

يبصرُ به. . . إلخ. وذلك كناية عن أنَّ الله يجعل سلطان حبه غالباً عليه، حتى لا يرى، ولا يسمع إلا ما يحبه الله عوناً له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه، أو هو كناية من نصرة الله له، وتأييده، وإعانته في كل أموره، وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه، وقد تقدَّم الكلام على مثل هذا الحديث غير مرة فارجع إلى شرح الحديث (١٣٢) تجدْ ما يسرك. ويكون مَنْ فعل ذلك وأطاعني من أوليائي الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأصفيائي الذين اصطفيتهم، وأخلصتهم من خلقي، فصفت منهم السرائر، وأخلصوا العمل لي في السَّرَّاء والضَّرَّاء، ويكون جاري يوم القيامة، وبجواري مع النبيين، والمرسلين، والصديقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والشهداء الذين شهدوا حقيقة الربوبية، فجاهدوا أعداء الله، والنفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والهوى فماتوا في سبيل الله وحبِّه لتكونَ كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا ومالوا عن الدين السفلى.

والحديث رواه الجماعة كما قال المصنف، وزاد المدنيُّ في كتابه: ورواه البيهقيُّ وفيه إسحاق بن أبي يحيى الكمي هالكٌ يأتي بالمناكير عن الأثبات، انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الناقد الذَّهبي. وروى البخاريُّ بعض ألفاظه بلفظ: «أنَّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليَّ مما افترضته عليه، فلا يزال عبدي يتقرَّب إلي بالنوافل حتى أكونَ سمعه. . .» الحديث، وقد تقدَّم شرحُه قريباً، فارجع إليه. والله أعلم.

٢٤١ ـ «أَوْحى الله إلـيَّ كلِماتٍ دَخَلْنَ في أُذني، ووَقـرْنَ في قَلبي، أمِرتُ ألا أسْتغْفرَ لمَن مـاتَ مُشْركاً، ومن أعْطى فَضْـلَ مالِـه؛ فهُوَ خيْـرٌ لـهُ، ومنْ أمْسَك؛ فهُوَ شرٌّ لـهُ، وَلا يَـلومُ اللهُ على كَفافٍ»[1]. رواهُ ابن جرير عن قتادة مرسلاً.

ش ـ كلمات: جمع كلمة. ووقرن: سكنَّ، وثبتْنَ، من الوقار: الحلم، والرزانة. والمشرك: من جعل الله شريكاً. والفضل: الزيادة. والكفاف ـ بفتح الكاف ـ: هو الذي لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة إليه.

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج/٦/ رقم (١٦١٦٥) وقال: رواه ابن جرير عن قتادة مرسلاً. والمرسَل ضعيف. تقول: ويشهد له ما رواه مسلم رقم (١٠٣٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ رسول الله ﷺ يخبرنا عن الله جلَّ ذكره أوحى إليه بكلماتٍ طيباتٍ دخلْنَ في أذنه عليه الصلاة والسلام، ووقرْنَ، وثبتْنَ في قلبه، ووعاهنَّ: أمر ألا يستغفر لمن مات من الخلق مشركاً وإن كان أقرب الناس إليه؛ لأنَّ الشرك أكبرُ ذنبٍ وأعظمُه عند الله تعالى، فلذلك لو أذنب العبد ذنوباً بلغت عنان السماء، ثم تاب، ورجع؛ يغفر الله له إلا الشرك؛ فإنَّ الله لا يغفره. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦] ومَنْ أعطى فضل ماله وتصدَّق به على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين؛ فهو خيرٌ له؛ لأنه تصدَّق بما فضل عنده وزاد عن حاجته؛ ومَنْ أمسك، وبخل، ولم يتصدق بما زاد عن حاجته فهو شرٌّ له؛ لأنه بخل بما أعطاه الله، ولم يبذله لعباده وخلقه، بل منعهم، وإذا كان عنده ما يكفيه ولا زيادة ولا فضل عنده؛ فالله جلَّ ذكره لا يلومه على ذلك.

والحديثُ يؤيده قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] والآية على معنى النهي، وهي متضمنة قطع الموالاة للكفار، وتحريم الاستغفار لهم. والإنفاق، وبذل المال ورد الترغيب فيه من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [المنافقون: ١٠] وقال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ: ٣٩] إلى غير ذلك من الآيات. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما طلعت شمسٌ قطُّ إلا وبجنبتيها ملكان يناديان: اللهم من أنفق فأعقبه خلفاً! ومن أمسك فأعقبه تلفاً!»[1] رواه أحمد، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم بنحوه، وقال: صحيح الإسناد. والحديث روى قريباً منه مسلم في صحيحه، والترمذيُّ عن أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «يابن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى»[2] وقد تقدم برقم (١٨٠).

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي رقم (٩٧٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٤ و٤٤٥)، وابن حبان رقم (٦٨٦). والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٨١٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٣٦) في الزكاة. والترمذيُّ رقم (٢٣٤٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

مع شرحه فارجع إليه. والله أعلم.

٢٤٢ ـ «مكْتُوب في الإنجيلِ كما تدينُ تُدانُ، وبالكَيْلِ الّذي تكيلُ تكْتالُ»[١]. رواه الديلميُّ عن فضالة بن عبيد.

ش ـ كما تدين تدان: الأولى بفتح أوله وكسر الدال، والثانية بضم التاء؛ أي: كما تجازي تجازى.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ الإنجيل مكتوبٌ فيه مواعظُ، وحكم، ومنها قوله: كما تدين ـ أي: تجازي به من الأعمال ـ تدان: تجازى به من الغير؛ إن كان العمل حسناً؛ فستجد حسناً، وإن كان سيئاً؛ فستجد مثله، وكذلك ما كلته للناس؛ إذا وفيته حقَّه؛ كال لك الناس، ووفوك حقَّك كاملاً، فالجزاء من جنس العمل، كما تصنع يصنع بك، وعليه قول الشاعر:

فإنْ كنتَ قد أبصرتَ هذا فإنَّما ... يُصَدِّقُ قولَ المرءِ ما هو فاعِلُه
ففيكَ إلى الدُّنيا اعتراضٌ وإنَّما ... يكالُ لدى الميزان ما أنت كايله
وقد خانتِ الدّنيا قروناً تتابعوا ... كما خانَ أعلى البيتِ يوماً أسافله

والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وأسنده إلى الديلميِّ في مسند الفردوس. قال المناويُّ: هناك ظاهر صنيع المصنف: أنَّ الديلميَّ أسنده في مسند الفردوس وليس كذلك، بل ذكره بغير سند، وبيَّض له ولده، وروى الإمام أحمد في الزهد بسندٍ عن مالك بن دينار قال: مكتوبٌ في التوراة: كما تدين تدان، وكما تزرعُ تحصد. انتهى. والله أعلم.

٢٤٣ ـ «مكْتُوبٌ في التَّوراةِ: مَنْ بلَغتْ لهُ ابْنَةٌ اثْنتي عشْرَة سنةً فلمْ يُزَوِّجْها، فأصابَتْ إثْماً، فإثمُ ذلكَ عليْه»[٢]. رواه البيهقيُّ عن عمر، وأنس.

ش ـ الإثم: الذنب، والمراد به هنا: الزنى.

والمعنى: أنَّ الله جلَّ ذكره يخبرنا: أنَّه مكتوبٌ في التوراة المنزَّلِ على موسى عليه السلام: من كان له ابنة وبلغت اثنتي عشرة سنةً، وجاءها خاطب يليق بها، وطلبها،

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٦٧١٥) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله، عنه وإسناده ضعيف.

(٢) رواه البيهقيُّ في شعب الإيمان رقم (٨٦٦٩) من حديث عمر رضي الله عنه وإسناده ضعيف.

ولم يزوجها؛ أي: أبوها، أو وليُّ أمرها، وتركها بعد ذلك، فأصابت إثماً ـ معصية الزِّنى ـ فالإثم على أبيها، أو وليِّ أمرها؛ لأنه تسبَّب لها بذلك بتأخير زواجها المؤدِّي إلى فسادها، وذكر الاثنتي عشرة سنة؛ لأنَّها مظنة البلوغ المثيرة للشهوة، وهذا يدلُّ على مشروعية الزواج لمن بلغت اثنتي عشرة سنة، وقانون الحكومة المصرية الآن حدد الزواج بمن بلغت ستة عشر سنة وبمن بلغ ثمانية عشر سنة، وهو مخالفٌ لظاهر الحديث، ولعمل الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلماء عصرنا هذا أقروا القانون على ذلك، فنشأ فسادٌ عظيمٌ، ولذلك إذا أراد شخص أن يتزوَّج فتاةً لم تبلغ السادسة عشر سنة ذهب إلى حكيمٍ من حكماء الجسم، وطلب تسنينها زيادةً عن سنها الحقيقي ليتسنَّى له نكاحها، فيعطيه بطاقةً فيها اسم الطبيب، واسم الفتاة، وأنَّها بلغت السن القانوني، ويأخذ نظير ذلك أجراً بسيطاً، فارتكب الجميع أقبحَ الصفات المذمومة، وهو الكذب لنيل أغراضهم. اللهمَّ وفق الراعي والرعيَّة للعمل بالقانون الإلهي الذي لا نقص فيه ولا خلل».

والزواج مطلوبٌ شرعاً ومرغوبٌ فيه عقلاً إلا أن الفتيات في عصرنا الحاضر[1] خرجن في ثوب الخلاعة والتبرج، وغيَّرن خلقهن بما نهى الله عنه، وأبدين زينتهن لغير محارمهنَّ، وانتهكن محارمَ الله تعالى في الأسواق، والملاهي، والنوادي غير مبالين بأحدٍ من الخلق، وكشفن ثوب الحياء، وخلعن لباس التقوى، تجدهنَّ عارياتٍ مظهراتٍ عوراتهن ما ظهر منها وما بطن، تتزوج الشاب لتسوقه إلى مطالبها بعصا من حديد، وتحمله ما لا يطيق، وتكلفه ما لا يقدر عليه، وهي غير راحمةٍ له، ولا مشفقةٍ عليه، فإن كان مستخدماً في مصالح الحكومة، أو في شركة أجنبيةٍ، أو وطنيةٍ تعرَّض لاختلاس أموالها بكلِّ ما لديه من حيلةٍ، وصرفه عليها إرضاءً لها، وتطييباً لخاطرها، ليحظى بحلاوة لسانها، ومجون كلامها، حتى ينكشف أمره، ويفتضح حاله، ويقدم للمحاكمة، فيأخذ نصيبه وقسطه من الشقاء. إنا لله، وإنا إليه راجعون. هذا من جانب إرهاق المرأة زوجها وتكليفه ما لا يطيق لتتمتع بالزينة والثوب الشَّفاف، وغشيان المسارح، والسينمات، والبارات.

وأما من جهة الرجل فتارةً لا يكون أهلاً لها، ولا كفؤاً، فيغير لباسه، ويتنمَّق، ويتزيَّن، ويدعي أنه من أبناء الوجهاء، وأصحاب الأملاك، وأنه حائز لشهادات عالية تؤهله لأن يكون مستخدماً لدى الحكومة بعشرين جنيهاً، وهو مقدِّم طلباً وعن قريب

---

(١) أي: في عصر المؤلف ـ رحمه الله ـ.

سيعيَّن وكيل نيابة، أو سكرتيراً، أو مدرساً بالجامعة، أو غير ذلك من المختلقات التي تلفت النظر، وتحبب أهل الفتاة في ذلك، فيرغبن فيه لإحدى هذه الصفات، وهو خلوٌ من جميعها إلا أنَّ عنده طلاقةَ اللسان، وسحرَ البيان، ورشاقةَ القدِّ، وحسن الملبس، ما أنساهم السؤال عنه، والبحث عن أصله، ونسبه، ووظيفته، وأصبح يتردَّد على أهل الفتاة، ويغريهم بطلاوة كلامه وزخرفة أقواله حتى يجلب الفتاة إلى صفِّه، ويغويها بشقشقة لسانه، ويمنِّيها الأماني الكاذبة بغمز عيونه، فتطاوعه، وتعصي أهلها، غير مبالية بغضب والديها، وتسرق ما طالت يدُها إليه من نقود وحلي، وتفرُّ بما اتخذته قريناً لها وزوجاً طول حياتها ليصونَ شرفها، ويحافظ على حياتها، فما تمضي أيام، أو شهور إلا وسقطت في بيوت العهارة، والدعارة، لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، فتتذكر حينئذ فعلتها الشنعاء، فتندم حيث لا ينفع الندم، وتستغيث بأهلها والحكومة من شرِّ مخالب الحيوان المفترس الذي انقضَّ عليها بلا رحمة ولا حنان، وتحصل القيامةُ الكبرى، والفضيحةُ المرذولة، والزواج المدبَّر، والزوج المزيَّف، ولا يخفى على بالك ما تنشره الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية من الفضائح وحوادث الزواج الذي من هذا القبيل بكثرة. نسأل الله السلامة.

وسبب ذلك اختلاط الجنسين، والخروج على قواعد الشرع، والخلوة بالأجنبي، وعدم نشء الفتاة على الآداب الشرعية، والعبث بالقوانين الوضعية، ولا ناصح، ولا رادع، ولا زاجر، فإذا أحبَّ أحدُ شبَّان هذا العصر المنحطِّ الزواجَ رأيته يسأل عن فتاةٍ للاقتران، ويطلب أوصافاً لها كلها معيوبة، ومذمومة عند العقلاء، ومرذولة ومقبوحة لدى العلماء، فالانحطاط حاصل للذكور والإناث، والمدارس والمدرسون غير ملتفتين لهذا التدهور الخلقي والأخلاق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وانظر إلى الأوصاف التي حبَّب إليها نبيُّ الرحمة، ومنقذ الأمَّة، ومعلِّمُ الأمم، وأعقلُ العقلاء، وأعرفُ العلماء، وأتقى الأولياء، وأصلحُ المصلحين؛ ألا وهو رسول الله ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام:

روى ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً؛ فليتزوج الحرائر»[1] أي: نجائب الصفات.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٨٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣١١)، وفي إسناده سلام بن سوار منكر الحديث. من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

وروى مسلم، والنسائيُّ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاعٌ وخير متاعها المرأة الصالحة»[1] وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: أنَّه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له مِنْ زوجةٍ صالحةٍ، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرَّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[2] رواه ابن ماجه. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، فعليك بذات الدِّين والخلق تربت يمينك»[3] رواه أحمد بإسنادٍ صحيح، وروى الطبرانيُّ في الأوسط عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: «مَنْ تزوج امرأة لعزِّها؛ لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها؛ لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها؛ لم يزده الله إلا دناءةً، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضَّ بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه؛ بارك الله له فيها، وبارك لها فيه»[4] والناس في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام يراعون في المرأة أربع خصال، ويرغبون فيها لأجلها، ولم يرد النبيُّ عليه السلام الأمر بمراعاتها. والحسب: شرف الآباء أو حسن الفعال. وقوله: تربت يداك؛ أي: لصقت بالتراب. ومعناه: الحثُّ، والتحريضُ على ذات الدِّين، وأين هي الآن ذات الدين، فهي كالعنقاء. نسأل الله العافية.

والحديث رواه البيهقيُّ عن عمر رضي الله عنه ـ يعني: ابن الخطاب ـ وحديث أنس أورده البيهقيُّ من طريق شيخه الحاكم، قال عقبه: قال الحاكم: هذا وجده في أصل

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤٦٧) في الرضاع. والنسائي (٦/ ٩٦) في النكاح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٢٨)، والدارميُّ (٢/ ١٣٣ و١٣٤). والبخاريُّ رقم (٥٠٩٠) في النكاح، ومسلم رقم (١٤٦٦)، وأبو داود رقم (٢٠٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢٥٢٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٤) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب ضعيف وقال ابن حبان: يروي الموضوعات. من حديث أنس رضي الله عنه، تقول: وإسناده ضعيف.

كتابه؛ يعني: بكر بن محمد بن عبدان الصَّدفي، وهذا الإسناد صحيح، والمتن شاذ بمرَّة. قال البيهقيُّ: إنما نرويه بالإسناد الأول، وهو بهذا الإسناد منكرٌ. انتهى من فيض القدير. والله أعلم.

٢٤٤ ـ «مكْتوبٌ في التَّوراة: مَن سَرَّه أنْ تَطولَ حياتُه، ويُزادَ في رزْقهِ؛ فلْيصِلْ رحمه»[١]. **رواه الحاكم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.**

ش ـ الرَّحم: تقدَّم الكلام عليه، فارجع إليه. ولا شكَّ أنَّ صلة الرَّحم تزيد في العمر، وفي الرزق. وذكر ما يتعلق بالحديث أشبعنا الكلام عليه في تعليقنا على مختصر شعب الإيمان، فارجع إليه، فإنَّك تجدُ ما يسرُّك. والحديث رواه الحاكم في البرِّ والصلة، وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبيُّ، وقال الحافظ المنذريُّ: رواه الحاكم، والترمذيُّ بإسنادٍ لا بأس به، ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ عن أنس بن مالك بلفظ: «من أحبَّ أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه»[٢] والله أعلم.

٢٤٥ ـ «إنَّ داودَ قال: إلهي! ما لِعِبادِكَ عليْكَ إذا هُمْ زارُوكَ في بيْتِك؟ قال: إنَّ لكلِّ زائر حقّاً على المَزُور يا داودُ! إنَّ لهمْ عليَّ أن أعافيَهُمْ في الدُّنْيا، وأغْفرَ لهمْ إذا لقيتُهم»[٣]. **رواه الطبرانيُّ عن أبي ذرٍّ.**

ش ـ نبيُّ الله داود تقدَّمت ترجمته في شرح الحديث رقم (٢٢٧) والإله: هو المعبود بحقٍّ. والزيارة تقدَّم الكلام عليها في شرح الحديث (١٠٢) وباقي ألفاظ الحديث ظاهرةٌ لا تحتاج إلى بيان.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله داود عليه السلام سأل ربه مستفهماً: ما لعبادك عليك يا إلهي إذا هم زاروك، وقصدوا لقاءك في بيتك ـ أعني: مكة ـ للحج والعمرة؟ فأجابه الله جل ذكره بقوله: إنَّ لكل زائر حقاً على المزور، وحقُّهم عليَّ يا داود: أن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٢٩)، والبخاريُّ رقم (٥٩٨٦) في الأدب، وفي الأدب المفرد رقم (٥٦)، ومسلم رقم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبرانيُّ في الأوسط رقم (٦٠٣٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، وفيه محمد بن حمزة الرّقي ضعيف. وقال ابن عدي: منكر الحديث. فالحديث ضعيف.

أعافيهم في الدنيا من المصائب، والبلايا؛ بأن أبعدها عنهم، أو أصبرهم عليها؛ بحيث لا يشعرون بشدَّتها، وزيادة على ذلك فإني أغفر لهم يوم القيامة ذنوبهم إذا لقيتهم. وذكرت ما يتعلق بفضلِ الزيارة من الأحاديث في شرح الحديث (١٠٢) من هذا الكتاب، فلا حاجة للإعادة.

والحديث رواه الطبراني عن أبي ذرٍّ كما قال المصنف، وذكره الحافظ الهيثميُّ في كتابه مجمع الزوائد، وقال عقبه: وفيه محمد بن حمزة الرقيُّ، وهو ضعيف، وقال الذهبيُّ في الميزان: منكر الحديث. والله أعلم.

٢٤٦ ـ «إنَّ عبْداً دَخل الجنَّة، فرأى عبْدَه فوْقَ درَجته، فقال: يا ربِّ! عبْدِي فوق دَرجتي؟! قال: نَعمْ جزَيْتُه بعَمله، وجَزيْتُكَ بعَملكَ»[1]. رواه **الطبرانيُّ عن أبي هريرة.**

ش ـ الحديث يدلُّ على أنَّ العبد يجازى بحسب عمله، لا حسب نسبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فكلما ازداد العبدُ عملاً حسناً ازداد قرباً من الله جلَّ ذكره، وكثرت حسناتُه، فالسيد لا يفضل عبده وخادمه إلا إذا كان عمله الحسنُ أكثرَ، وأحسنَ إلى خادمه، وتقرَّب إلى مولاه تعالى بالأعمال المقبولة، وإلا كان العبدُ الخادمُ أفضلَ من السيد المخدوم، وأرقى عند الله عزَّ وجلَّ منه. والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، وقد تقدَّم شيءٌ منها. والله أعلم.

٢٤٧ ـ «إنَّ للْكَعْبةِ لِساناً وَشَفَتَيْن، وقَدِ اشْتكت، فقالتْ: يا ربِّ قَلَّ عُوَّادِي، وزُوَّاري! فأوْحى اللهُ: إنّي خالقٌ بَشراً خُشَّعاً، سُجَّعاً يَحنُّون إليْك، كما تَحنُّ الحمامةُ إلى بَيَضِها»[2]. **رواه الطبرانيُّ عن جابر.**

ش ـ الكعبةُ: كلُّ بيتٍ على هيئته في التربيع، وبها سميت الكعبةُ، وهي في الحرم

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٤٠) وقال: رواه الطبراني في الأوسط. وفيه بشير بن ميمون وهو متروك.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٨) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط. وفيه سهيل بن قرين، وهو ضعيف. من حديث جابر رضي الله عنه. وسهيل بن قرين ـ وقيل قريب ـ قال عنه ابن عدي: منكر الحديث. وذكر له هذا الحديث، وقال: باطلة متونها وأسانيدها. وانظر لسان الميزان (٣/ ١٢٢).

معروفة. والعوَّاد: جمع عائد. والزوار: جمع زائر. والخشَّع: جمع خاشع، والخشية: خوفٌ يشوبه تعظيم. والسُّجع: جمع ساجع، الناطق بكلام مقفًّى. والحنان: الرحمة، ورقَّة القلب.

والمعنى ـ والله أعلم بمراده ـ: أنَّ الله يخبرنا على لسان نبيه المصطفى ﷺ بأنَّ للكعبة المشهورة بحرم مكة لساناً تنطق به إذا شاء الله نطقها، أو لسان حالها يقول، وشفتين ظاهرتين، وقد اشتكت إليه تعالى من قلة عوَّادها، وزائريها، فقالت بلسان حالها: يا ربِّ! قلَّ عوادي، وزواري، فاستوحشت إليهم، واشتقت إلى رؤيتهم، فهل تسمح لي بزيارتهم، وزيارتهم لي ليذهب ما بي من حزنٍ واستيحاش؟ فأوحى الله إليها إمَّا مباشرةً أو بواسطة الملك: إني خالقٌ بشراً من الناس صفتُهم خشَّعٌ أبصارُهم وقلوبُهم، سجَّعٌ أصواتُهم، يحنون إليك، ويرغبون فيك، كما تحنُّ الحمامة إلى بيضها، فلا تفارقه، وتذبُّ عنه مَنْ حامَ حوله.

والأحاديثُ كثيرةٌ في فضل مكةَ، والكعبةَ، والترغيب في زيارتهما، وقصدهما، وقد تقدَّم بعضها في هذا الكتاب، فارجع إليه.

٢٤٨ ـ «قال جبريلُ: يا محمدُ! إنَّ اللهَ يُخاطبُني يومَ القيامةِ، فيقولُ: يا جبْريلُ! مالي أرى فُلانَ بنَ فلانٍ في صُفوفِ أهْلِ النارِ؟ فيقولُ: يا ربّ إنَّا لم نَجدْ لهُ حَسنةً يعود عليهِ خيْرُها اليومَ! فيقولُ اللهُ: إنِّي أسْمعهُ في دار الدُّنيا يقولُ: يا حنَّانُ! يا منَّانُ! فائته فاسْأله، فيقولُ: وهَلْ منْ حنَّانٍ ومنَّانٍ غيْرُ اللهِ عزَّ وجلَّ! فآخُذُه بيدِه من صُفوفِ أهلِ النَّار، فأدخلُه في صفوف أهْل الجنَّة»[١]. رواه الحكيم عن جابر.

ش ـ الصفوف: جمع صف. والحنَّان ـ بالتشديد ـ: الرحيم بعباده، من قولهم: فلان يتحنَّن على فلان؛ أي: يترحم، ويتعطَّف عليه. والمنَّان: الذي يشرف عباده بالامتنان بمالَهُ مِنْ عظيم الإنعام والإحسان.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ جبريل عليه السلام يخاطب نبينا محمداً ﷺ، ويخبره: أنَّ الله جلَّ ذكره يخاطبه يوم القيامة، فيقول له: يا جبريل! مالي أرى فلان بن فلان ـ يعني

---

(١) رواه الحكيم الترمذيُّ في نوادر الأصول ص (١١٤) من حديث جابر رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

شخصاً مخصوصاً ـ في صفوف أهل النار؟! مستفهماً متعجباً وهو أعلم بذلك ـ فيقول جبريل عليه السلام: يا رب! أنا لم أجد في سجله حسنةً واحدة يعود عليه خيرها اليوم فينجو من النار، فيقول الله تبارك وتعالى: إني أسمعه يقول في دار الدنيا: يا حنانُ! يا منان! ومن قال ذلك يقصدني، ويطلب رحمتي، ومغفرتي، وعطفي، وأنا أرحم، وأرأف بعبادي! فاذهب إليه وائته واسأله ما يقصد بلفظه هذا؟ فيذهب جبريل عليه السلام إلى الرجل المذكور ويسأله عن قصده وما يريده من لفظه، فيقول العبد: وهل مِنْ حنَّانٍ، ومنَّانٍ غيرُ الله عز وجل، يعتقني من النار، ويمنُّ عليَّ؟! فيأخذه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى من صفوف أهل النار، ويدخله في صفوف أهل الجنة.

والحديث يدل على فضل هذين الاسمين، وهما من أسماء الله الحسنى.

والحديث لم أره في الكتب التي بين أيدينا. والله أعلم بصحته.

٢٤٩ ـ «قال موسى: يا ربِّ أيُّ عبادكَ أعزُّ عليْكَ؟! قالَ: الَّذي إذا قَدَر عفا»[1]. رواه الخرائطيُّ عن أبي هريرة، ورواه البيهقيُّ عنه بلفظ: «مَنْ أعزُّ عبادِكَ عِندك؟ قال: من إذا قدر غفر».

ش ـ المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله موسى وكليمه عليه السلام سأل ربه: يا رب! أي عبادك أعزُّ عندك، وأقوى، وأوجه، وأقرب من غيره؟ قال الله تعالى مجيباً له على سؤاله: من إذا قدر على شيء ولا مانع هناك يمنعه من التنفيذ عفا، وسامح، وأوقف التنفيذ، فالعفو لا يزيدُ العبد إلا عزاً ورفعةً، والعافي أجرُه على الله جلَّ ذكره، وكان من أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام العفوُ عمَّن قدر عليه، حتى عن أعدائه المحاربين له، حتى كسروا رباعيته، وشجُّوا وجهه يوم أحد، فشقَّ ذلك على أصحابه، فقالوا: لو دعوت عليهم! فقال: «إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعياً ورحمةً، اللهمَّ اغفر لقومي، أو اهد قومي فإنَّهم لا يعلمون»[2]. ولو دعا عليهم بالعقاب والعذاب لاستجيب له. ويروى أنَّ النبيَّ عليه السلام كان في بعض المغازي نائماً في ظلِّ شجرةٍ؛ إذ جاءه أحدُ الشجعان، فاستلَّ سيفه، وأراد أن يبطش بالرسول عليه السلام، فارتعدت

(١) رواه البيهقي في الشعب رقم (٨٣٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٢١). ومسلم رقم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فرائصه، وسقط السيف من يده، فقام النبيُّ ﷺ، فمسك السيف، وقال لعدو الله: كيف ترى نفسك؟ فقال: كن ممَّن إذا قدر عفا! فردَّ السيف، وعفا عنه. وقال أمير المؤمنين عليٌّ كرَّم الله وجهه: إذا قدرت على العدو، فاجعل العفو شكر قدرتك، وقيل ليوسف عليه السلام: بعفوك عن إخوتك عند قدرتك رفع قدرك. وظفر الإسكندر ببعض الملوك، فقال له: ما أصنع بك؟ قال: ما يجمل بالكرام أن يصنعوه إذا ظفروا! فخلَّى سبيله، وردَّه إلى مملكته. ولما ظفر أنو شروان ببزرجمهر قال: الحمد لله الذي أظفرني بك! فقال: كافىء من أعطاك ما تحبُّ بما يحبُّ. وقيل: المقدرة تذهب الحفيظة. وقيل: عفو العزيز أعزُّ له، وعفو الذليل أذلُّ له، وقال الشاعر:

ما أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وقد جاء في ذلك آياتٌ كثيرةٌ، وأحاديث تكاد تكون متواترةً في مدح العفو لا سيما من القادر.

والحديث ذكره السُّيوطيُّ في جامعه الصغير من طريق البيهقيِّ، ورمز إلى ضعفه، وقال المؤلف في شرحه هناك: ورواه عنه أيضاً الديلميُّ، ولكن بيَّض ولده لسنده. والله أعلم.

٢٥٠ ـ «قال مُوسى: يا ربِّ! علِّمْني شيئاً أذكرُكَ، وأدْعوكَ به. قال: يا مُوسى! قُلْ: لا إلَه إلا اللهُ. قالَ: يا ربِّ كلُّ عبادِك يقولُ هذا! قال: قُلْ: لا إلَه إلاَّ اللهُ. قال: لا إلهَ إلا أنتَ يا ربِّ! إنَّما أريدُ شيئاً تَخصُّني به. قال: يا موسى! لوْ أنَّ السَّمواتِ السَّبْعَ وعامرَهُنَّ غيْري، والأرْضينَ السَّبْعَ في كِفَّةٍ ولا إلَه إلا اللهُ في كفَّةٍ مالتْ بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. رواه النسائيُّ، وابنُ حبَّان، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو يعلى، والحكيمُ عن أبي سعيد.

ش ـ المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام قال: ربِّ! علِّمني شيئاً أذكرك في خلواتي وجلواتي، وأدعوك به؛ لأنتفع بذلك، ويكون ذخراً لي لديك. فأجابه الله تعالى بقوله: يا موسى! قل: لا إله إلا الله. قال موسى لربه عزَّ وجلَّ: لا إله

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٦٢١٨). والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٨٣٤) و(١١٤) والطبرانيُّ في الدعاء (١٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (١/٥٢٨) وصححه ووافقه الذهبيُّ. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. نقول: وإسناده ضعيف. دراج أبو السمح روايته عن أبي الهيثم ضعيفة.

إلا أنت يا ربِّ! إنما أريد شيئاً تخصني به يا رب! وكلمة لا إله إلا الله عامةٌ، يشترك فيها الخاصُّ، والعامُّ، والتقيُّ، وغيره. قال الربُّ تعالى لموسى: يا موسى! لو أنَّ السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع في كِفَّة ميزان، ولا إله إلا الله في كفةٍ أخرى مالت بهنَّ لا إله إلا الله لعظمها، وكبر شأنها؛ لأنَّها اشتملت على نفي الشرك، وتوحيد الربِّ جل جلاله، وقد أشبعنا الكلام على ذلك في شرح الحديث (٢٠٤) فارجع إليه.

والحديث يدلُّ على عدم اختصاص بعض العباد بشيءٍ من الخيرات، بل الخير عامٌّ يتناوله كلُّ واحدٍ على حسب قوَّته وجدِّه. والله أعلم.

٢٥١ ـ «قال مُوسى: يا ربِّ! ودِدْتُ أنِّي أعْلَمُ مَنْ تُحبُّ منْ عبادِك فأحبُّه؟ قال: إذا رأيْتَ عبْدي يُكثِرُ ذكْري؛ أنَا أذَنْتُ لهُ في ذلكَ، وأنا أحبُّه، وإذَا رأيْتَ عبْدِي لا يَذكُرني؛ فأنا حَجبْتُه عنْ ذلكَ، وأنا أبْغُضه»[1]. رواه الدارقطنيُّ، وابن عساكر عن عمر.

ش ـ الودُّ: محبةُ الشيء، وتمني كونُه، ويستعمل في كلٍّ واحدٍ من المعنيين، على أنَّ التمني يتضمن معنى الودِّ؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما تودُّه. والمحبة: تقدَّم تفسيرها غير مرَّة. والحجب والحجاب: المنع من الوصول. والبغض: ضدُّ الحبِّ.

والدارقطني هو الإمام شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي، والحافظ، صاحب السنن والتصانيف العظيمة. توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمئة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام قال: يا ربِّ! وددت، وأحببت، وتمنيت أني أعلم مَنْ تحبُّ من عبادك، فأحبُّه، وأبجِّله، وأكرمه، وأتودَّد إليه! فأجابه الربُّ جلَّ ذكره: إذا رأيت يا موسى عبداً من عبادي يكثر ذكري في خلوته وجلوته في المجالس، والنوادي، والمجتمعات؛ فاعلم أني أنا أذنت له في ذلك، وأنا أحبه! وإذا رأيت عبداً من عبادي لا يذكرني كذلك؛ فاعلم أني أنا حجبته، ومنعته، وحلت بينه وبين ذلك، وأنا أبغضه، ولم أوفقه لذلك! وفضل الذكر، وما للذاكر من ثوابٍ تقدَّم الكلام عليه، فارجع إليه. والله أعلم.

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس (٤٥٧١) والدارقطني في الأفراد من حديث عمر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

٢٥٢ ـ «قال مُوسى: يا ربِّ! كيْفَ شَكَرَكَ آدم؟ قال: علِمَ أنَّ ذلكَ منِّي، فكانَ ذلك شُكْرَهُ»[١]. رواه الحكيم عن الحسن مرسلاً.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام سأل ربَّه: كيف شكرك آدم عليه السلام؟ لأعلم ذلك، وأفعل صيغة الشكر، أو طريقه، فأجابه الربُّ تبارك وتعالى: إنَّ آدم عليه السلام علم أنَّ حمله على الشكر كان مني، فكان بمجرد هذه المعرفة شاكراً، فإذاً لا شكر إلا بأن تعرف أنَّ الكلَّ منه وإليه، وليس لغيره سوى مجرد مظهرية لما بين يديه، فإن خالطك ريبٌ في هذا؛ لم تكن عارفاً لا بالنعمة، ولا بالمنعم، فهذا أصل أصيل إليه المرجع، وعليه التعويل، قاله الغزاليُّ. وقال الحكيم الترمذيُّ في كتابه (نوادر الأصول): الشكر: معرفتك بأن هذا منه، فأداء فرائضه، وحفظ الجوارح عن مساخطه، والتكلم بالحمد لله إتمام الشكر؛ فإنه اعترافٌ بأن هذه النعمة منه. انتهى. وقد تقدمت ترجمته في شرح الحديث (٦١) من هذا الكتاب.

والحديث مرسل كما قال المصنف، وهو في عرف المحدثين ما سقط منه الصحابيُّ بأن رفعه التابعيُّ إلى النبي ﷺ، واختلف العلماء في الاحتجاج بالمرسل، فذهب مالك، وأحمد في المشهور عنهما، وأبو حنيفة، وأتباعهم من الفقهاء والأصوليين والمحدثين إلى الاحتجاج به في الأحكام وغيرها؛ وذهب أكثر أهل الحديث إلى أنَّ المرسل ضعيفٌ، لا يحتجُّ به. ودليل كلٍّ تجده في المطولات، فلا حاجة للتطويل. والحسن هذا هو الحسن البصريُّ إمام التابعين، وقد تقدَّمت ترجمته في شرح الحديث (٦١). والله أعلم.

٢٥٣ ـ «قال مُوسى لربِّهِ: ما جَزاءُ منْ عَزَّى الثَّكْلى؟ قال: أظِلُّه في ظِلِّي يـوْمَ لا ظـلَّ إلا ظِلِّـي»[٢]. رواه ابن السنِّي، والديلميُّ عن أبي بكرٍ، وعمرانَ بنِ حصينٍ معاً.

---

(١) رواه الحكيم الترمذيُّ في نوادر الأصول (ص ٣٢) من حديث الحسن البصريِّ، فهو مرسل.

(٢) رواه ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة رقم (٥٨٧) والديلمي في مسند الفردوس رقم (٤٥٧٦) من حديث أبي بكر وعمران بن الحصين رضي الله عنهم، وهو حديث ضعيف.

ش ـ التعزية: هو أن يقول للمصاب: أحسن الله عزاءك، ورزقك الصبر الحسن، فيصبره، ويخفف آلام المصاب بكلامٍ حسنٍ. وتعزَّى هو: تصبَّر، وشعاره أن يقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون! والثَّكلى ـ بفتح الثاء المثلثة وسكون الكاف ـ: المرأة التي فقدت ولدها.

وابن السنِّي هو الحافظ الإمام الثقة أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينوري مولى جعفر بن أبي طالب الهاشميِّ، صاحب كتاب عمل اليوم والليلة، المتوفى سنة أربع وستين وثلاثمئة، عاش بضعاً وثمانين سنة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ موسى نبي الله وكليمه عليه السلام قال لربِّه عزَّ وجلَّ مستفهماً: يا ربِّ ما جزاء من عزَّى الثَّكلى؟! قال له الرب تبارك وتعالى: يا موسى! جزاء من عزَّى الثَّكلى أنْ أظلَّه يوم القيامة في ظلي يوم لا ظلَّ لأحدٍ يظله من الحرِّ وهول ذلك اليوم إلا ظلي، فهو الحامي له، والمانع له من التعب والكدِّ.

وهذا يدلُّ على عظم ثواب التعزية؛ لأنَّها تأسيةٌ، وتسليةٌ لمن يصاب بمن يعزُّ عليه، ولا سيما المرأة التي فقدت ولدها؛ لأنَّ أحبَّ شيء إلى الإنسان ولده؛ لأنه قطعةٌ من كبده، ولا سيما المرأة؛ فإنَّها قليلةُ الصَّبر، ضيِّقةُ الصَّدر، ناقصة العقل؛ أقلُّ شيء يؤثر عليها، ويغيرها، ويقلب حالها، فإذا ذهب إليها أقاربُها، ومحارمُها، وصبَّروها، وسلَّوها، وذكروها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وبقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢] ولذلك كان ثواب من مات له ولدٌ وصَبَرَ عظيماً. روى الترمذيُّ وحسَّنه، وابن حبان في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم! فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع! فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد»[1]

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٤١٥)، والطيالسي رقم (٥٠٨)، والترمذي رقم (١٠٢١) في الجنائز، وابن حبان رقم (٢٩٤٨). وفي إسناده عيسى بن سنان القسملي ضعفه أحمد. وابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وأبو طلحة الخولاني لم يوثقه غيرُ ابن حبان، وقال الحافظ في التقريب: مقبول. وللحديث شواهد لعله بها يحسن.

قال المؤلف رحمه الله في شرح الجامع الصغير: إذا كان هذا جزاء المعزِّي؛ فما جزاء المصاب! لكن عظم الجزاء مشروطٌ بعدم الجزع، كما يقع من الجهلة من ضرب خدٍّ، وشقِّ ثوبٍ، ونشر شَعْرٍ، وتغيير زيٍّ، وغير ذلك. أما شدَّة الحزن العاري عن ذلك، فغير مذموم، وإن تطاول بدليل قصة يعقوب عليه السلام. انتهى.

والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز إلى ضعفه.

ورُوِي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزَّى مصاباً فله مثل أجر صاحبه»[1] رواه الترمذيُّ، وقال: حديث غريب، وقد روي موقوفاً. وروى الترمذيُّ أيضاً عن أبي بردة عن النبيِّ ﷺ: «التصبُّر، والتسلية لمن أصيب بما يعزُّ عليه» من قولهم: عزيته، تعزيةً: قلت له: أحسن الله عزاءك؛ أي: رزقك الصبر الحسن، والعزاء؛ مثل سلام: اسم من ذلك، وتعزَّى هو: تصبَّر، وشعاره أن يقول: إنَّا لله، وإنا إليه راجعون. والثَّكلى ـ بفتح الثاء المثلثة، وسكون الكاف ـ: من فقدت ولدها.

والمعنى: أن نبيَّ الله موسى ورسوله وكليمه عليه السلام سأل ربه عزَّ وجلَّ مستفهماً، ومتعلماً: ما جزاء من عزَّى، وصبَّر، وسلَّى الثَّكلى ـ أي: فاقدة ولدها ومهجة كبدها ـ وقال لها: أعظم أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، وجبر مصيبتك! أو: أخلف عليك ونحو ذلك من الألفاظ الحسنة المسكنة. اللهم والتعزية مسنونةٌ، ومستحبةٌ، ومطلوبة، ولا تختص بالموت، بل تسن لكلٍّ من حصل له وجد ـ أي: حزن ـ ومشقة لأجل مصيبة، ولو بنحو فقد مالٍ، أو حيوان غير آدمي، وهي لغة: التسلية، والتصبير لمن أصيب بشيء يعزُّ عليه. وشرعاً: الأمر بالصبر، والحمل عليه بوعد الأجر، والتحذير من الوزر بالجزع، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة ـ قال الله تعالى جواباً لنبيِّه موسى عليه السلام: إنَّ جزاء من عزى الثَّكلى أن أظله في ظلِّ عرشي يوم لا ظل إلا ظلي، فأقيه مِنْ هول ذلك اليوم العظيم يوم يقول كلُّ واحدٍ: نفسي، نفسي! لا يلتفت إلى غيره مهما قرب منه، وعلت منزلته عنده؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يومئذٍ مشغولٌ بما هو أهمُّ شيءٍ عنده. نسأل الله تعالى حمايتنا من ذلك بظلِّ عرش الرب تبارك وتعالى! وقد تقدَّم الكلام على ظل العرش غير مرَّة في هذا الكتاب، فارجع إليه».

وهذا الحديث يدلُّ على مشروعية التعزية، وقد ورد في ذلك أحاديثُ كثيرة؛ منها:

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (١٠٧٣) في الجنائز، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

ما رواه الترمذيُّ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من عزى مصاباً فله مثلُ أجر صاحبه» وقال: حديث غريب. وقد روي موقوفاً. وروى الترمذيُّ أيضاً عن أبي بردة عن النبي ﷺ قال: «من عزى ثكلى كُسِي برداً في الجنة»[1] وقال حديث غريب. وروى ابن ماجه عن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله مِنْ حلل الكرامة يوم القيامة»[2]. وقد نصَّ الحديث على جزاء وأجر المعزي، وأما المصاب فيختلف جزاؤه بقدر صبره، وبشرط عدم جزعه كما يقع من الجهلة من ضرب خدٍّ، وشقِّ ثوبٍ، ونشر شَعْرٍ، وتغيير زيٍّ، وغير ذلك، كما يحصل غالباً في البلاد المصرية. أما شدة الحزن العاري عن ذلك فغير مذموم وإن تطاول؛ بدليل قصة يعقوب عليه السلام.

والحديث رمز السيوطي في جامعه إلى ضعفه، وقال المدنيُّ في كتابه بعد أن أورد الحديث: أخرجه ابن السنِّي في عمل اليوم الليلة. والطيبيُّ في الترغيب. والديلميُّ عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين معاً. والله أعلم.

٢٥٤ ـ «قال مُوسى: يا ربِّ! أقَريبٌ أنتَ؛ فأناجيكَ؟ أمْ بَعيدٌ؛ فأناديكَ؟ فإنِّي أحسُّ حُسْن صوْتِكَ، وَلا أرَاك، فأيْنَ أنتَ؟ فقال تَعالى: خَلْفك، وأَمامَك، وعنْ يمينكَ، وعَنْ شمالك يا موسى! أنَا جَليسُ عبْدِي حين يذكُرني، وأنَا معه إذا دَعانِي»[3]. رواه الديلميُّ عن ثوبان.

ش ـ المناجاة: المساررة، وأصله: أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل: أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، والنجي هو المناجي المخاطب للإنسان، والمحدث له، يقال: ناجاه، يناجيه، مناجاةً، فهو مناجٍ. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله وكليمه ونجيُّه موسى عليه السلام يستفهم ربه عزَّ وجل استفهاماً عارياً عن الشكِّ، بل للاطمئنان، والاستسكان، كقوله تعالى حكايةً عن

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (١٠٧٦) من حديث أبي بردة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٦٠١) في الجنائز. وهو حديث حسن.

(٣) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٥٧٠). من حديث ثوبان رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

إبراهيم عليه السلام: ﴿ كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: يا ربِّ أقريبٌ أنت مني، وسامعٌ لصوتي، وعالمٌ بحركاتي فأناجيك، وتناجيني؟ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥] أم بعيدٌ أنت عنِّي فأناديك؛ لتقرب مني، وتسمع كلامي، فإني أحسُّ وأشعرُ بصوتك الحسن، ولكنِّي لا أراك؛ لأني محجوب عنك، فأين أنت يا رب لأراك، وأشاهدك، وأحظى بجلالك، وجمالك، وبهاء وجهك؟! فقال تعالى له جواباً لاستفهامه: أنا خلفك، وأمامك، وعن يمينك، وعن شمالك أي: لا يحيط بي مكان، ولا يحدُّني زمان، لأني خالق كل شيء، كنت ولا شيء يا موسى! أنا جليس عبدي حين يذكرني، وأنا معه إذا دعاني، والتجأ إليَّ، أسمع دعاءه ولو كان في قاع البحار، وأنقذه ولو كان وراء جبل قاف، القريبُ إليَّ من كان عمله صالحاً، واجتهد في العبادة، وأعان الخلق على قضاء مصالحهم بقدر طاقته، والبعيد منِّي من كان عاصياً وشقياً، ويؤذي عبادي. أسالك اللهمَّ أن تهدينا لما يرضيك، حتى نتقرب منك، ونلذَّ بسماع صوتك!

والحديث يدلُّ على أنَّ لله صوتاً يحسُّ ويسمعُ، وأنَّ الله تعالى متَّصفٌ بهذه الصفات المذكورة: من خلف، وأمام، ويمين، وشمال، وأنه يجالس عبده الذَّاكر، ونحن نؤمن بهذه الصفات، وننزهها عن الشبه، والمثل قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ولا نخوض في كنهها، ونوقع الناس في لبسٍ وشكٍّ، بل نفوض علم ذلك إلى الله جلَّ ذكره، وأنه منزَّهٌ عن كلِّ ما تخيله العقل من نقصٍ، وقد تقدم الكلام في هذا الكتاب بما فيه الكفاية.

قال بعض العلماء: ليس هذا النداء والخطاب هو الذي وقع فيه الصعقة ودكُّ الجبال كما بيّن في سورة الأعراف، بل هذا غيره؛ إذ هذا أول بدء رسالته، وذلك إنما كان بعد غرق فرعون حين أعطاه الله التوراة. وقول الله تعالى: أنا جليس عبدي: الإضافة للتشريف. والحديث الله أعلم بصحته.

٢٥٥ ـ «قال مُوسى: يا ربِّ! إنَّك تُغْلِقُ على عبدِكَ المُؤمن الدُّنيا، فَفتَح اللهُ لهُ باباً منْ أبوابِ الجنَّة، فقال: هذا ما أعْدَدتُ له! قال: وعزَّتك، وجَلالكَ، وارْتِفاعِ مكانك؛ لوْ كانَ أقْطعَ اليَدْينِ، والرِّجْليْنِ، يُسْحبُ على وجْهِهِ مُنْذُ خُلِقَ إلى يوْمِ القِيامةِ ثمَّ كانَ هذا مَصيره؛ لكانَ لمْ يرَ بأساً قطُّ! ثمَّ

قال: يا ربّ! إنَّك تُعْطي الكافرَ الدنيا، فَفتَح لهُ باباً من أبواب النَّارِ، فقالَ: هذا ما أعْددتُ لهُ! فقال: يا ربِّ! وعزَّتك، وجلالكَ لوْ أعْطيْتَه الدُّنْيا ومَا فيها وَلَمْ يزلْ في ذلكَ مُنْذُ يوْم خُلِقَ إلى يوْمِ القِيامةِ، ثمَّ كانَ هذا مصيره؛ لَكان لَمْ يَرَ خَيْراً قطُّ!»[1] . رواه الدارقطنيُّ، والديلميُّ عن أبي سعيد.

ش ـ الغلق ـ بفتح الغين المعجمة واللام ـ والمغلاق: ما يغلق به، يقال: غلق الباب، وانغلق، واستغلق: إذا عسر فتحه. وباقي ألفاظ الحديث لا يحتاج إلى بيان.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ نبيَّ الله موسى عليه السلام نادى ربَّه، وقال: يا ربِّ! إنك تغلق، وتسدُّ على عبدك المؤمن أبواب الدُّنيا في وجهه، ولا تفتحها له ـ مستفهماً عن بيان ما لا يدركه ـ ففتح الله لموسى عليه السلام باباً من أبواب الجنة التي أُعدَّت لمثل ذلك، وقال له: انظر ما أعددتُ لعبدي المؤمن؛ الذي أغلقت دونه أبواب الدنيا! فنظر موسى إلى ذلك، وقال: وعزتك يا ربِّ، وجلالك، وارتفاع مكانك؛ لو كان عبدك هذا أقطع اليدين والرجلين، يسحبُ على وجهه منذ يوم خلق في الدنيا إلى أن تقوم الساعة والقيامة وهو على هذه الحالة التعبة التعسة، ثم كان هذا مصيرَهُ، ومآلَهُ من النعم العظيمة في الآخرة لكان لم ير بأساً قط! ثم قال موسى عليه السلام: يا ربِّ! إنك تعطي الكافر الجاحد نعماءك في الدنيا، وتفتح له أبوابها، فيتمرَّغ فيها كما يشاء ويرغب! ففتح الله لموسى عليه السلام باباً من أبواب النار؛ التي أعدت لأمثاله، فقال الله تعالى له: انظر يا موسى! هذا ما أعددت له يوم القيامة من العذاب الأليم جزاءً وفاقاً! فنظر موسى عليه السلام، وقال: يا رب! وعزتك، وجلالك، لو أعطيت هذا العبد الدَّنيا كلَّها بحذافيرها وما فيها، ولم يزل في ذلك منذ يوم خلق إلى يوم القيامة، ثم كان هذا بعد ذلك مصيرَهُ؛ لكان ذلك الكافر لم ير خيراً قطُّ في دنياه!

لا شكَّ أنَّ الكافر، ولا سيما اليهود لهم السيطرة في الدنيا في جميع أنواع التجارات، والمعاملات، فتجدهم لهم الأملاك الشاسعة، والبنوك الهائلة، والمعامل، والمصانع، والشركات الكبيرة، والسكك الحديدية، كلُّ ذلك لا يغني المؤمن، ولا يعلي قدره، وإنما هذه كلها فانيةٌ، ودائرةٌ، ولا تبقى، والمؤمن تراه في الدنيا في تأخُّر، وشقاءٍ، وقلةٍ من المال، والأملاك، وإنما له إذا صبر ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ

---

(١) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٥٧٧) من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.

سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر. وقد تقدم الكلام في ذلك غير مرة فارجع إليه.

والحديث ذكره الحافظ المنذريُّ في كتابه (الترغيب والترهيب) عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه بألفاظ قريبة من هذا، وقال في آخره: رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن درَّاج. انتهى. والله أعلم.

٢٥٦ ـ «قال داوُد: يارَبِّ! ما حقُّ عبادِك عليك إذا هم زاروك؛ فإنَّ لكلّ زائرٍ على المزور حقاً؟ قال: يا داود فإنَّ لهم عليَّ أنْ أعافيهمْ في دُنْياهم، وأغْفِرَ لهُمْ إذا لَقيتُهم»[1]. رواه الطبراني، وابنُ عساكر عن أبي ذرٍّ.

ش ـ الحديث ذكر قريباً برقم (٢٤٥) فلا حاجة للإعادة.

٢٥٧ ـ «قال داوُد: إلٰهي! ما جزاءُ مَنْ شيَّعَ ميتاً إلىٰ قبْرِه ابتِغاء مَرْضاتِك؟ قالَ: جزاؤُه أن تُشيِّعَه ملائِكتي، فتُصلِّي على رُوحه في الأرواح. قال: اللَّهمَّ! فمَا جَزاءُ مَن يُعزِّي حزيناً ابتغاء مرضاتكَ؟ قال: جزاؤه أنْ ألبسَه لِباسَ التَّقْوىٰ، وأسترَهُ به منَ النَّار، فأدْخلهُ الجنَّة. قالَ: اللَّهمَّ! ما جزاءُ مَنْ عالَ يتيماً، أو أرملةً ابتغاءَ مرضاتكَ؟ قال: جزاؤهُ أنْ أظِلَّه يومَ القيامةِ يوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظلِّي. قالَ: اللَّهمَّ! فَما جزاءُ من سالتْ دموعهُ على وجنتيْه منْ مخافتك؟ قال: جزاؤهُ أنْ أقِيَ وجْههُ لَفْحَ جهنَّم، وأقيه يومَ القيامةِ الفَزعَ الأكبرَ»[2]. رواه ابنُ عساكر، والديلميُّ عن ابن مسعود.

ش ـ التشييع: الخروج مع الشخص ليودعه، ويبلغه منزله. والابتغاء: الاجتهاد في الطلب. ومرضاتك: رضاك. وعالَ: تحمَّل ثقل مؤنته، واليتيم: انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه. والأرملة: التي مات زوجها. والوجنتان: تثنية وجنة، ما ارتفع من الخدين. وأقي: أحفظ. لفح النار: حرُّها، ووهجها.

والمعنى والله أعلم: أنَّ نبيَّ الله داود عليه السلام سأل ربه مستفهماً، وقال: إلهي،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٠٣٧). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٠٨) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، وفيه محمد بن حمزة الرقي ضعيف، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٢) رواه الديلميُّ في مسند الفردوس رقم (٤٥٥٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي إسناده جَسْر بن فرقد ضعيف.

وخالقي! ما جزاء مَنْ شيَّع جنازة ميت، ومشى معه إلى قبره؛ لطلب رضاك، وثوابك لا لشيءٍ آخر؟ وقال المولى جلَّ ذكره مجيباً نبيَّه داود عليه السلام: جزاء منْ شيَّع ميتاً، ومشى معه، وتبع جنازته: أن آمر ملائكتي أن تشيِّعه يوم وفاته، وتمشي معه، وتوصله إلى قبره، فتصلي على روحه في الأرواح، قال نبيُّ الله داود عليه السلام: يا رب! اللهم! فما جزاء مَنْ يعزِّي، ويسلِّي حزيناً أصابته نكبات الدُّنيا، وذلك ابتغاءَ وطلب رضاك؟ قال الرب جل وعلا: جزاؤه: أن ألبسه لباس التقوى، وأستره به من النار، فأدخله الجنة نظير ذلك، ولا شكَّ أنَّ خير لباس لباس التقوى، وخير ستر ما ستر الشخص من النار، ووقاه منها. قال داود عليه السلام لِرَبِّه جل علاه: اللهم! ما جزاء وثواب من عال يتيماً، وتحمَّل مؤنته، ونفقته، أو أرملةً، وتعاهدها بما يلزمها، وذلك ابتغاء وطلب مرضاتك ورضاك، لا لأمر دنيوي أتحصل عليه؟ قال الرب جلَّ ذكره: جزاؤه: أن أظلَّه، وأقيه يوم القيامة في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي! قال داود عليه السلام: اللهم! فما جزاء مَنْ سالتْ، وجرتْ دموعهُ على وجنتيه من مخافتك، وخوفاً منك؟ قال الرب تبارك وتعالى: جزاؤه عليَّ يوم القيامة أن أقي، وأحفظ وجهه لفح، وحرّ، ووهج نار جهنم، وأؤمنه يوم القيامة من الفزع والخوف الأكبر!

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ في ثواب مَنْ شيَّع ميتاً؛ منها: ما رواه مسلم، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ، قيل: وما هي يا رسول الله؟! قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[1] وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة»[2] رواه أحمد، والبزار، وابن حبان في صحيحه.

وقد تقدم الكلام على التعزية آنفاً في شرح الحديث رقم (٢٥٣) فلا حاجة للإعادة.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٢)، والبخاريُّ في الأدب المفرد رقم (٩٩١) ومسلم رقم (٢١٦٢) والبغويُّ في شرح السنة رقم (١٤٠٥)، وابن حبان رقم (٢٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢ و٤٨)، والبخاريُّ في الأدب المفرد رقم (٥١٨)، وابن حبان رقم (٢٩٥٥)، والقضاعي في مسند الشهاب رقم (٧٢٧). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

وأمَّا ثواب مَنْ عال يتيماً، أو أرملةً؛ فقد رواه ابنُ ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عال ثلاثةً من الأيتام كان كمن قام ليله، وصام نهاره، وغدا، وراح شاهراً سيفه في سبيل الله، وكنت أنا وهو في الجنة إخواناً، كما أنَّ هاتين أختان ـ وألصق أصبعيه السبابة الوسطى ـ»[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»[2]. رواه البخاريُّ، ومسلم، وابن ماجه إلا أنَّه قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يقوم الليل، ويصوم النهار». وأما ثواب جزاء من بكى من خشية الله حتى سالت دموعه على خدوده، فقد روى الحاكم بسنده عن أنس رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد: أنَّ النبي ﷺ قال: «من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذَّبْ يوم القيامة»[3].

والحديث قال المدنيُّ بعد ما أورده: وفيه جسر بن فرقد ضعيفٌ. والله أعلم.

٢٥٨ ـ «قال داودُ فيما يُخاطِبُ ربه: يا ربِّ! أيُّ عبادَك أحبُّ إليْك أحبُّهُ بحبِّكَ؟ قال: يا داودُ! أحبُّ عبادي إليَّ تقيُّ القلْب، تقيُّ الكفَّيْن، لا يأتي إلى أحدٍ سُوءاً، وَلا يَمشي بالنَّميمة، تَزولُ الجبالُ ولا يزولُ، أَحبَّني، وأحبَّ مَنْ يُحبُّني، وحبِّبني إلى عِبادي. قال: يا ربِّ! إنَّك لَتعلمُ أني أحبُّك وأحبُّ مَنْ يُحبُّك؛ فكيْف أحببكَ إلى عِبادكَ؟ فقالَ: ذكِّرْهُم بآلائي، وبلائي، ونقْمائي. يا داودُ! إنَّه ليْسَ مِنْ عبْدٍ يُعينُ مَظْلوماً، أوْ يَمْشي مَعه في مَظْلمَته إلا أثْبَتُّ قَدميْه يوْمَ تَزُولُ الأقْدام»[4]. رواه البيهقيُّ، وابنُ عساكر عن ابن عباس.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٣٦٨٠) في الأدب. باب حق اليتيم. من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنه وإسناده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦١)، والبخاريُّ رقم (٥٣٥٣) ورقم (٦٠٠٧)، ومسلم رقم (٢٩٨٢)، وابن ماجه رقم (٢١٤٠)، وابن حبان رقم (٤٢٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٠) وصححه، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا.

(٤) رواه ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٢٥) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

ش ـ تقيُّ القلب: أي حافظه مما يؤذيه، ويضرُّه. ونقي الكفين: نظيفهما، والسوء: كل ما يغمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية. والنميمة: الوشاية، ونقل الحديث من قومٍ إلى قومٍ على جهة الإفساد والشرِّ. والآلاء: النعم، والبلاء: الاختبار، ونقمائي: عقابي.

المعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ داود نبيَّ الله عليه السلام يخاطب ربَّه، ويسأله: يا رب! أيُّ عبادك ذكراً كان أو أنثى أحبُّ إليك، وأقرب منك؛ لأحبه بحبك، وأتقرَّب إليه؟ قال الرب جل ذكره: يا داود! أحبُّ عبادي لي شخصٌ تقي القلب، محفوظ من حبِّ غيري، والمشاركة، نقي الكفين، نظيفهما، لا يمدُّ يداه إلى منكرٍ، ولا يشير بهما إلى أمرٍ مكروه. ولا يأتي إلى أحد سوءاً، أو أذى، أو مكروهاً، بل يسعى إلى الناس بالخير، والعمل النافع، ولا يمشي بين الناس بالنميمة، ونقل الحديث لإفساد ذات البين، وتهييج الناس، تزول الجبال من أماكنها ولا يزول عن محبتي، فهي راسخةٌ في قلبه لا تزلزل، وزيادة على ذلك فإنه أحبَّني، وأحبَّ من يحبُّني، وحببني إلى عبادي. ولما كان الوصف الأخير صعب الفهم على نبي الله داود أراد أن يستفهم كيف ذلك؟ قال: يا رب! إنك لتعلم أني أحبُّك، وأحبُّ من يحبُّك؛ فكيف أحببك إلى عبادك؟ فقال الرب جلَّ ذكره: ذكرْ عبادي بآلائي، ونعمي، وبلائي، واختباري، ونقمائي، فإنَّ ذلك يرغِّبُ عبادي فيَّ، ويرهبوا عن محبة غيري، فإذا ذكر العبد نعمائي عليه، واختباري له، ونقمتي له إذا عصاني؛ فإنَّه يُقلِعُ عن المعاصي، ولا يلتفت إلى غيري، ويقبل عليَّ بكليته. يا داود! إنه ليس مِنْ عبدٍ ذكراً كان أو أنثى يعين مظلوماً، أو يمشي معه في مظلمته إلا أثبت قدميه يوم القيامة يوم تزول الأقدام من هول ذلك اليوم. اللهم ثبت أقدامنا، ووفقنا لمحبة الله تعالى خالصةً، وحبِّ رسوله عليه الصلاة والسلام!

والحديث يدلُّ على أن محبَّة الله تعالى هي متابعة أوامره، واجتناب نواهيه، ولا ينفع العبد، وينقذه يوم الفزع الأكبر من العذاب والأهوال إلا العمل الصالح، اللهم وفقنا إلى ذلك! واختم لنا بالسعادة يا أرحم الراحمين!

٢٥٩ ـ «قال إبْليسُ: يا ربِّ كلُّ خَلْقِكَ قدْ سَبَّبْت رِزْقَهمْ، فَما رِزْقي؟ قال: ما لَمْ يُذْكَرْ اسْمِي عَلَيهِ»[١]. رواه أبو الشيخ عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة (١/١٢٨)، وأبو نعيم في الحلية رقم (١١٦١١و٨/١٣١)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢/٢٥٧) =

ش ـ إبليس: عدوُّ الله، وعدوُّ رسله والمؤمنين، وكنيته: أبو مرَّة. واختلف العلماء في أنه من الملائكة؛ من طائفةٍ يقال لهم: الحن، أم ليس من الملائكة؟ وفي أنه اسمٌ عربيٌّ، أم أعجمي؟ قال النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات) الذي طبعناه في إدارتنا: والصحيح أنه من الملائكة، وأنه أعجميٌّ. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سُمِّي إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله تعالى؛ أي: أيس، والمبلس، والمكتئب: الحزين الآيس. قال: وعلى هذا هو عربيٌّ مشتقٌّ. قال: وقال ابن الأنباري: ولا يجوز أن يكون مشتقاً من أبلس؛ لأنه لو كان مشتقاً لصرف كما أنَّ إسحاق إذا كان عربياً مأخوذاً من أسحقه الله إسحاقاً انصرف، فلو كان إبليس مشتقاً لصرف، كإكليل، وبابه، فلما لم يصرفْ دلَّ على أنه أعجميٌّ معرفة، والعجميُّ ليس مشتقاً وقال ابن جرير: إنما لم يصرف، وإن كان عربياً لقلة نظيره في كلام العرب، فشبهوه بالأعجميِّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يبطل بباب أفعيل، فإنَّه مصروفٌ كلُّه إلا إبليس. قال الواحديُّ: والاختيار: أنه ليس بمشتق لإجماع النحويين على أنه منع من الصرف للعجمة والمعرفة. قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فروي عن طاووس ومجاهد عن ابن عباس: أنه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلما عصى الله تعالى لعنه الله، وجعله شيطاناً مريداً، وسمَّاه إبليس. وبهذا قال ابن مسعود، وابن المسيِّب، وقتادة، وابن جريج، وابن جرير، واختاره الزَّجاج، وابن الأنباري. قالوا: وهي مستثنى من جنس المستثنى منه، قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] أي طائفةٍ من الملائكة يقال لهم الجن. وقال الحسن، وعبد الرحمن بن زيد، وشهر بن حوشب: ما كان من الملائكة قطُّ، والاستثناء منقطع، والمعنى عندهم: أن الملائكة وإبليس أمروا بالسجود، فأطاعت الملائكة كلُّهم، وعصى إبليس. والصحيح: أنه من الملائكة؛ لأنه لم ينقل أنَّ غير الملائكة أمر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه. والله أعلم. وأما إنظاره إلى يوم الدين فزيادةٌ في عقوبته، وتكثير معاصيه وغوايته. نسأل الله الكريم اللطف، وخاتمة الخير! انتهى، والرزق: يقال للعطاء الجاري تارةً دنيوياً كان أم أخروياً، وللنصيب تارةً، ولما يصل إلى الجوف، ويتغذَّى به تارةً.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ إبليس عدوَّ الله وعدوَّ نفسه سأل ربه مستفهماً عن رزقه: من أي طريقة يكون ليسعى له، ويكتسبه بقوله: يا رب! كل خلقك قد سببت رزقهم،

= من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح.

فما رزقي؟ قال الرب تبارك وتعالى جواباً لإبليس اللعين: رزقك كل ما لم يذكر اسم الله عليه، وانتزع منه البركة والخير.

وقد نصَّ الحديث على أنَّ طعام إبليس وجنده ورزقهم هو ما لم يذكر اسم الله عليه، وكلُّ ما لم يذكر اسم الله عليه فقد خلا من البركة واللذة، وهذا أعمُّ من طعام الجنِّ، فإن طعام الجنِّ العظامُ، والروث، فعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تستنجوا بالروث، ولا بالعظام؛ فإنها زاد إخوانكم من الجن»[1] رواه الترمذيُّ، والنسائيُّ، إلا أنه لم يذكر: «زاد إخوانكم من الجن».

وروى الحافظ أبو عبد الله الحاكم في دلائل النبوّة قال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود ليلة الجن: «أولئك جن نصيبين جاؤوني، فسألوني المتاع ـ والمتاع: الزاد ـ فمتعتهم بكل عظم حائل، أو روثة، أو بعرة. قلت: وما يغني منهم من ذلك؟ قال: إنَّهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أخذ، ولا روثةً إلا وجدوا فيها حبَّها الذي كان فيها يوم أكلت، فلا يستنج أحدكم بعظمٍ، أو روث». وشراب إبليس وجنده سيأتي في الحديث الآتي بعد.

والحديث الله أعلم بصحته.

٢٦٠ ـ «قالَ إبليسُ: يا ربِّ! أَهْبطْتَ آدَم، وقدْ علمْتَ أنه سيكونُ كتابٌ، ورُسلٌ، فمَا كِتابُهمْ ورُسلُهم؟ قالَ: رُسلُهمْ الملائكةُ، والنَّبيُّونَ منْهم، وكُتُبهم: التَّوْراة، والإنجيلُ، والزّبورُ، والفُرقانُ. قال: فمَا كِتابي؟ قال: كتابُكَ الوَشْمُ، وقراءتُك الشِّعْرُ، ورُسلكَ الكَهَنةُ، وطَعامُك ما لم يُذكَرِ اسمُ اللهِ عليهِ، وشَرابُكَ كلُّ مُسْكرٍ. وصدْقُك الكذبُ، وبيتُك الحمَّامُ، ومَصايدُك النّساء، ومؤذِّنُك المزْمارُ، ومَسْجدُك الأسواق»[2]. رواه الطبرانيُّ عن ابن عباس.

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (١٨) في الطهارة، والنسائيُّ (١/ ٣٧ و٣٨)، وأبو داود رقم (٣٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١١٤) وقال: رواه الطبرانيُّ في الكبير وفيه يحيى بن صالح الأيلي ضعفه العقيلي. من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

ش ـ آدم عليه السلام، وإبليس لعنه الله، تقدَّمتْ ترجمتُهما قبلُ، فلا حاجة للإعادة. والهبوط: النزول. والوشم ـ بفتح الواو وسكون الشين المعجمة ـ: أن يُغرزَ الجلدُ بإبرةٍ، ثمَّ يحشى بكحلٍ، أو نيلٍ، فيزرقَّ أثره، أو يَخضَرَّ. والشِّعرُ: قولٌ موزونٌ، مقفًّى، يدلُّ على معنى. والكهنة: جمع كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزَّمان، ويدَّعي معرفة الأسرار. والمزمار، والمزمور سواء، هو: الآلة التي يزمر بها. والأسواق: جمع سوق، موضعٌ في المدن وغيرها تباع فيه البضائع، والأمتعة، يؤنث، ويذكر. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ إبليس عليه اللعنة قال لربه جل وعلا: يا رب! أهبطت آدم أبا البشر من الجنة إلى الأرض، وقد علمتَ: أنَّه سيكونُ فيها كتابٌ فيه قانونٌ يتعبدونك به، ويتقربون لك بأحكامه، ورسل فيها توحي إليهم بأمرك، فيعلِّمون عبادك، ويرشدونهم إلى صلاحهم وما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، ويبينون لهم قوانين الكتاب وجزئياته ليعملوا به، ويهتدوا بهديه، فيكونوا على الصراط المستقيم، فما كتبهم ورسلهم؟ قال الرب عز وجل لإبليس الطريد: رسلُهم بيني وبينهم الملائكة، والنبيون منهم. قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] وكتبُهم المنزلة على رسلهم: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان لكلٍّ منها رسولٌ، قال إبليس اللعين: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم الذي هو مملوء من الظلمة والضلال، وقراءتك التي تقرؤها الشعر، ولذلك قال الله تعالى في حقِّ الشعراء: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦] ورسلك الكهنة الذين يخبرون بالأخبار الماضية الخفية بضربٍ من الظنِّ؛ لأنَّ أخبار الكهَّان مبنيةٌ على الظن الذي يخطىء، ويصيب، وكذلك العرَّاف يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك، ولما كان العرَّاف والكاهن مبنياً أخبارهما على الظن الذي يخطىء ويصيب، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: من أتى عرافاً، أو كاهناً، فصدَّقه بما قال؛ فقد كفر بما أنزل على أبي القاسم»[1]. وطعامك كل ما لم يذكر اسم الله عليه، وأنزعت منه البركة واللذة،

---

(١) رواه البزار رقم (٣٠٤٥). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان، وهو ثقة. من حديث جابر رضي الله عنه. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

وقد تقدَّم الكلام عليه قبل. وشرابك كلُّ مسكرٍ حرام، وهو ما غيب العقل، وأذهب الرشد، وصدقك الكذب؛ لأنه أخبث الخبائث، كما جاء في الحديث. وبيتك الحمَّام؛ لأنه أخبث مكان، وقد جاء النهيُ بدخوله للرجال إلا بمئزر، والنساء مطلقاً عن جابر رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يدخل الحمَّام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يُدخل حليلته الحمام»[1] رواه النسائيُّ، والترمذيُّ، وحسنه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم. ومصائدك النساء اللاتي تصيد بهنَّ، وتوقع الناس بهنَّ، وتجعلهنَّ شركاء لك؛ لأن النساء أعظمُ فتنة في الناس، وما يصيد بهنَّ فلا يصاد بغيرهن من أدوات الصيد. اللهمَّ احمنا من النساء، واحم الأمة منهنَّ! ومؤذنك المزمار؛ لأنَّه يجلِبُ كلَّ شرٍّ. ومسجدك الأسواق؛ لأنها دار الغفلة والسهو، ولذلك يطلب ذكر الله في الأسواق.

والحديث الله أعلم بصحته.

٢٦١ ـ «قال إبليسُ لربِّه: بعِزّتكَ وجلالكَ لا أبْرَحُ أغْوِي بَني آدَم ما دامتِ الأرْواحُ فيهم! فقال لهُ ربُّه: بعِزَّتي وجَلالِي لا أبْرحُ أغْفر لهمْ ما اسْتَغْفروني!»[2]. أخرجه أبو نعيم عن أبي سعيد.

ش ـ لا أبرح: لا أزال أفعل كذا. وأغوي: أضل، وأفسد. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ إبليس عدو الله وعدو رسله عليهم السلام قال لربه عز وجل مقسماً بعزته وجلاله تأكيداً لأفعاله وإفساده غافلاً عن قضاء ربه: أنَّه لا يبرح، ولا يزال مداوماً على غواية بني آدم، وإضلالهم، وأمرهم بالكفر والعصيان ما داموا أحياء، وما دامت الأرواح في أبدانهم؛ أي: لا ينقطع طرفة عين عن إيصال الشرِّ إليهم بكلِّ أنواعه، ووجوهه. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيدٍ: أنَّ الشيطان قال: وعزتك يا رب! لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال الرب

---

(١) رواه الترمذيُّ رقم (٢٨٠٢) في الأدب. والنسائيُّ (١/ ١٩٨). من حديث جابر رضي الله عنه. وهو حديث حسن.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦١) وصححه ووافقه الذهبيُّ. وهو كما قالا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

عز وجل: «وعزتي، وجلالي، وارتفاع مكاني! لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[1] وفي حديث الترمذيِّ وابن ماجه: «إن الله يقبل التوبة ما لم يغرغر»[2]. وتوبة العبد مقبولة ما لم يحضره الموت، فإذا حضره؛ لم تنفعه التوبة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨] فقال الرب تبارك وتعالى لإبليس عليه اللعنة مقسماً الرب بعزته وجلاله: أنه لا يبرح ولا يزال يغفر لعباده بني آدم ما استغفروه، فعلى العبد إذا أذنب ذنباً يعقبه بالاستغفار، والتوبة، والإنابة إليه تعالى. وفي حديث ابن ماجه: «يابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني؛ غفرتُ لك، ولا أبالي! يابن آدم! لو لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

والحديث صحيح يستشهد له بأحاديث أخر ولكن سنده الله أعلم به.

٢٦٢ ـ «قالتْ بنُو إسرائيلَ لمُوسى عليهِ السلامُ: هَلْ يُصلِّي ربُّك؟ فقالَ مُوسى: اتَّقوا اللهَ يا بَنِي إسرائيلَ! فقالَ الله: يا موسى! ماذا قال لكَ قوْمُك؟ قال: يا ربّ! ما قدْ علمْتَ، قالوا: هل يُصلِّي ربك؟ قال: فأخْبرهم أنَّ صلاتي على عِبادي أن تسبق رحمتي غضبي، لولا ذلك أهلكتهم»[3]. أخرجه ابن عساكر عن أنس.

ش ـ تقدم الكلام على بني إسرائيل في شرح الحديث (٢٣٤) فارجع إليه. والرحمة ظاهرةٌ.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٦ و٢٩)، والبغويُّ في شرح السنة (١٢٩٣). وإسناده ضعيف. ابن لهيعة ليِّن الحديث. ودرَّاج عن أبي الهيثم روايته ضعيفة. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ويشهد له ما قبله.

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٦١٦٠ و٦٤٠٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٧) والترمذيُّ رقم (٣٥٣١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٩٠) وابن ماجه رقم (٤٢٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) رواه ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق رقم (٢٥/ ٣٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه وإسناده ضعيف.

والمعنى ـ والله أعلم ـ: أنَّ بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام سألوا نبيَّهم موسى عليه السلام: هل يصلِّي ربك، وخالقك الذي تدعو الناس لدينه وعبادته كما نصلي؟ فأجابهم موسى عليه السلام على طريقة النُّصح، والمحافظة لرعاية آداب السؤال والمكالمة بقوله: اتقوا الله يا قومي! ولا تكونوا من المعتدين، والمتجاوزين في السؤال! فقال الرب تبارك وتعالى لنبيه موسى عليه السلام: يا موسى! ماذا قال لك قومك؟ ـ والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك يتلطف بقومه ـ قال موسى عليه السلام: يا رب! ما قد علمت. وفسَّر هذا بقوله: قالوا: هل يصلِّي ربك، وخالقك؟ قال الرب تعالى لموسى عليه السلام: فأخبرهم أنَّ صلاتي على عبادي أن تسبق رحمتي، وتغلب على آثار غضبي، ولولا أن تغلب آثارُ رحمتي غضبي لأهلكتهم؛ لأنه ليس هناك من يمنعني من الانتقام لغضبي.

وهذا دليل على سعة رحمة الله جلَّ ذكره بعباده. قال ابن عربي: لما نفخ الروح في آدم عطس، فقال: الحمد لله! فقال الله: يرحمك الله يا آدم! فسبقت رحمته غضبه، ولهذا قدَّم الرحمة على الغضب في الفاتحة، فسبقت الرحمةُ الغضبَ في أول افتتاح الوجود، فسبقت الرحمةُ إلى ابن آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة.

والحديث الله أعلم بصحته.

٢٦٣ ـ «قالت الملائكةُ: يا ربِّ! ذلكَ عبْدٌ يُريدُ أنْ يَعْملَ سيّئةً ـ وهُو أبصَرُ بِهِ ـ قالَ: ارقُبوه؛ فإنْ عملَها؛ فاكتُبوها لهُ بمِثْلِها، وإنْ تَركها؛ فاكتُبوها حسَنةً، إنَّما تَركها مِن جَرّائي»[1]. رواه أحمد، ومسلم عن أبي هريرة.

ش ـ رقبه: انتظره، والشيء: حرسه. وجرَّائي بفتح أوله وتشديد ثانيه، وبالمد والقصر لغتان؛ معناه: من أجلي. وباقي ألفاظ الحديث تقدَّم بعضها، وبعضها ظاهر.

٢٦٤ ـ «قالتِ الجنَّةُ: يا ربِّ! زيَّنتني، فأحْسنْتَ أرْكاني! فأوْحى اللهُ إليْها: قدْ حشَوتُ أرْكانَكِ بالحسَنِ، والحسين، والسُّعودِ منَ الأنصار. وعزَّتي وجَلالي لا يَدْخُلكِ مُراءٍ ولاَ بَخيلٌ!»[2]. رواه أبو موسى المديني عن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣١٧) ورقم (٨٢١٩) ومسلم رقم (١٢٩ و٢٠٥) والبغويُّ رقم (٤١٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره المتَّقي الهندي (١١/ ٣٣٦٨٦) وقال: رواه أبو موسى المديني عن ابن =

ابن بزيع الأزدي عن أبيه، وقال: غريب».

ش ـ الأركان: جمع ركن: الجانب. والأنصار: الصحابة الذين نصروا النبيَّ ﷺ. والمرائي، والبخيل تقدَّم تفسيرهما.

٢٦٥ ـ «كانَ فيمَنْ كانَ قبلَكمْ رجلٌ بهِ جَرحٌ، فجَزِع، فأخَذ سكِّيناً، فحزَّ بها يدَه، فمَا رَقَـأَ الدَّمُ حتى ماتَ. قالَ تعالى: بادَرَني عَبْدي بنَفْسه، فحرَّمْتُ عليهِ الجنَّـة»[1]. أخرجه الشيخان عن جندب بن عبد الله.

ش ـ الجزع: ضد الصبر. وحزَّ: قطع. ورقأ: سكن. وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة.

٢٦٦ ـ «كانَ رجُلانِ في بَني إسرائيلَ مُتواخيان، وكانَ أحدُهما مُذنبٌ، والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، وكانَ لا يزالُ المُجتهدُ يَرى الآخرُ على الذَّنب، فيقولُ: اقْصُرْ! فوجده يوماً على ذنبٍ، فقالَ له: اقْصُرْ! فقالَ: خلِّني وربِّي؛ أبُعِثْتَ عليَّ رقيباً؟ فقالَ: واللهِ لا يَغْفُر الله لكَ! أو: لا يُـدْخلُكَ اللهُ الجنَّـة! فقُبِضَ روحُهما، فاجْتَمعَا عنْدَ ربِّ العالمين، فقالَ لهذا المُجتهدِ: أكُنْت بي عالِماً؟ أوْ كنْتَ على ما في يَديَّ قادِراً؟ وقالَ للمُذنب: اذْهبْ فادْخُلِ الجنَّـة برحمتي! وقالَ للآخَر: اذْهبُـوا به إلى النار»[2]. أخرجه أحمد، وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ش ـ يقال: آخاه: صار له أخاً، وصديقاً. والرقيب: الحافظ، والمنتظر.

= عباس. عن بزيع الأزدي عن أبيه، وقال: غريب. أقول: بزيع والد العباس ذكره عبدان في الصحابة. والحديث في إسناده مجاهيل. وقال عبدان: لم يُذكر بزيع سماعاً، فلا أدري: أهو مرسل، أم لا. انظر الإصابة (١/ ١٤٧).

(١) رواه البخاريُّ رقم (٣٤٦٤)، ومسلم رقم (١١٣) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٣) ورقم (٨٢٧٥)، وأبو داود رقم (٤٩٠١)، والبغوي في شرح السنة (٤١٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

٢٦٧ ـ «لمَّا نُفِخَ في آدَم الروح مارَتْ، وطارَتْ، فصارَتْ في رأسه، فَعطسَ، فقال: الحمْدُ لله ربِّ العالمين! فقالَ الله عزَّ وجلَّ: يرحَمُكَ الله!»[١]. أخرجه ابن حبَّان، والحاكم، والضِّياء عن أنس رضي الله عنه.

ش ـ في النهاية: لما نفخ في آدم الروح مارت في رأسه، فعطس؛ أي: دار، وتردَّد.

٢٦٨ ـ «لمَّا أصيبَ إخوانُكم بأُحد جَعل اللهُ أرْواحَهُمْ في طيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنَّة، تأكلُ منْ ثمارِها، وتأوِي إلى قناديلَ منْ ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظلِّ العرْش، فلمَّا وجدُوا طيبَ مأكلِهِمْ، ومشرَبهِمْ، ومَقِيلهِمْ؛ قالوا: مَن يُبَلِّغُ إخواننا عنَّا: أنّا أحْياءُ في الجنَّة نُرْزقُ لئلاَّ يَزْهدُوا في الجهاد، وَلا يَنْكلوا عن الحرْب؟ فقالَ الله تعالى: أنا أبلِّغهمْ عنكمْ»[٢]. أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم، والبيهقيُّ، وابنُ جرير عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

ش ـ أُحُد ـ بضمتين ـ: جبل بالمدينة. ولا ينكلوا؛ أي: يجبنوا.

٢٦٩ ـ «لمَّا خلَق الله العقْلَ قالَ لهُ: أقْبِلْ! فأقْبلَ، ثمَّ قال له: أدْبِرْ! فأدْبرَ. قالَ: ما خَلقْتُ خَلْقاً أحبَّ إليَّ منْكَ، بكَ آخُذُ، وبكَ أعْطي»[٣]. رواه عبد الله بن أحمد عن الحسن مرسلاً، والطبرانيُّ عن أبي أمامة[٤]، وأبي هريرة[٥].

---

(١) رواه ابن حبان رقم (٦١٦٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٣) وصححه ووافقه الذهبي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦) ورقم (٢٣٨٨)، وأبو داود رقم (٢٥٢٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨ و٢٩٧ و٢٩٨)، والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث حسن.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، عن الحسن مرسلاً، وهو ضعيف.

(٤) رواه الطبراني في الكبير رقم (٨٠٨٦)، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمر بن أبي صالح. قال الذهبيُّ: لا يعرف. وقال الشوكانيُّ في الفوائد المجموعة ص (٤٧٨): رواه العقيلي عن أبي أمامة مرفوعاً، وفي إسناده مجهولان.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط رقم (١٨٦٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

ش ـ العقل لغة: الإمساك، كعقل البعير بالعقل. واصطلاحاً: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: عقل، وإلى الأول أشار هذا الحديث، وإلى الثاني أشار بقوله عليه الصلاة والسلام: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردى». وهذا العقل هو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وكلُّ موضع ذمّ اللهُ الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول، وكلُّ موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول.

والحديث مرسل كما قال المؤلف. والله أعلم.

٢٧٠ ـ «يُؤتى يومَ القيامةِ بصُحُف مُختَّمةٍ، فتُنصبُ بينَ يَدَي الله تعالى، فيقُولُ اللهُ: ألْقوا هذه، فَتقولُ الملائكة: وعزَّتكَ ما رأينَا إلا خيْراً! فيقولُ اللهُ: إنَّ هذا كانَ لغير وجْهي، وإنِّي لا أقْبَلُ إلا ما ابتُغيَ به وجْهي!»[١]. رواه **البزار، والطبرانيُّ، قال المنذري: بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح.**

ش ـ الصحف: جمع صحيفة: الكتاب. ومختمة: غير مفتوحة.

٢٧١ ـ «يُنادِي المُنادِي منْ بُطْنانِ العرْشِ يوْمَ القيامةِ: يا أمَّة محمَّدٍ! إنَّ الله تعالى يقولُ: ما كانَ لي قِبَلَكُمْ فقدْ وهبْتُه لكمْ، وبَقِيتِ التَّبِعَاتُ، فتَواهبوا، وادْخُلوا الجنَّة برحمتي!»[٢]. **رواه إبراهيم المقري في التبصرة عن أنس.**

= (٨/ ٢٨) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط، وفيه الفضل بن عيسى الرِّقاشيُّ مجمعٌ على ضعفه. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

(١) رواه البزار مختصراً رقم (٣٤٣٥). والطبرانيُّ في الأوسط رقم (٢٦٢٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٠) وقال: رواه الطبرانيُّ في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. ورواه البزار. نقول: وهو حديث حسن بطرقه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٥١٤٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الحكم بن سنان أبو عون قال أبو حاتم: عنده وهم، وليس بالقوي، ومحله الصدق، يكتب حديثه. =

ش ـ بطنان العرش وسطه، والتَّبعات: جمع تبعة، على وزن كلمة: ما تطلبه من ظلامة، ونحوها.

٢٧٢ ـ «يُنادِي المُنادِي: يا أهْلَ التَّوحيد! ليَعْفو بعضُكم عنْ بعْضٍ، وعليَّ الثَّوابُ»[١]. رواه الطبرانيُّ عن أم هانىء.

* * *

تـم بحمـد الله

وتوفيقه تحقيق الكتاب في / ١٤/ شعبان / ١٤١٨هـ

الموافق / ٥/ ١٢/ ١٩٩٨

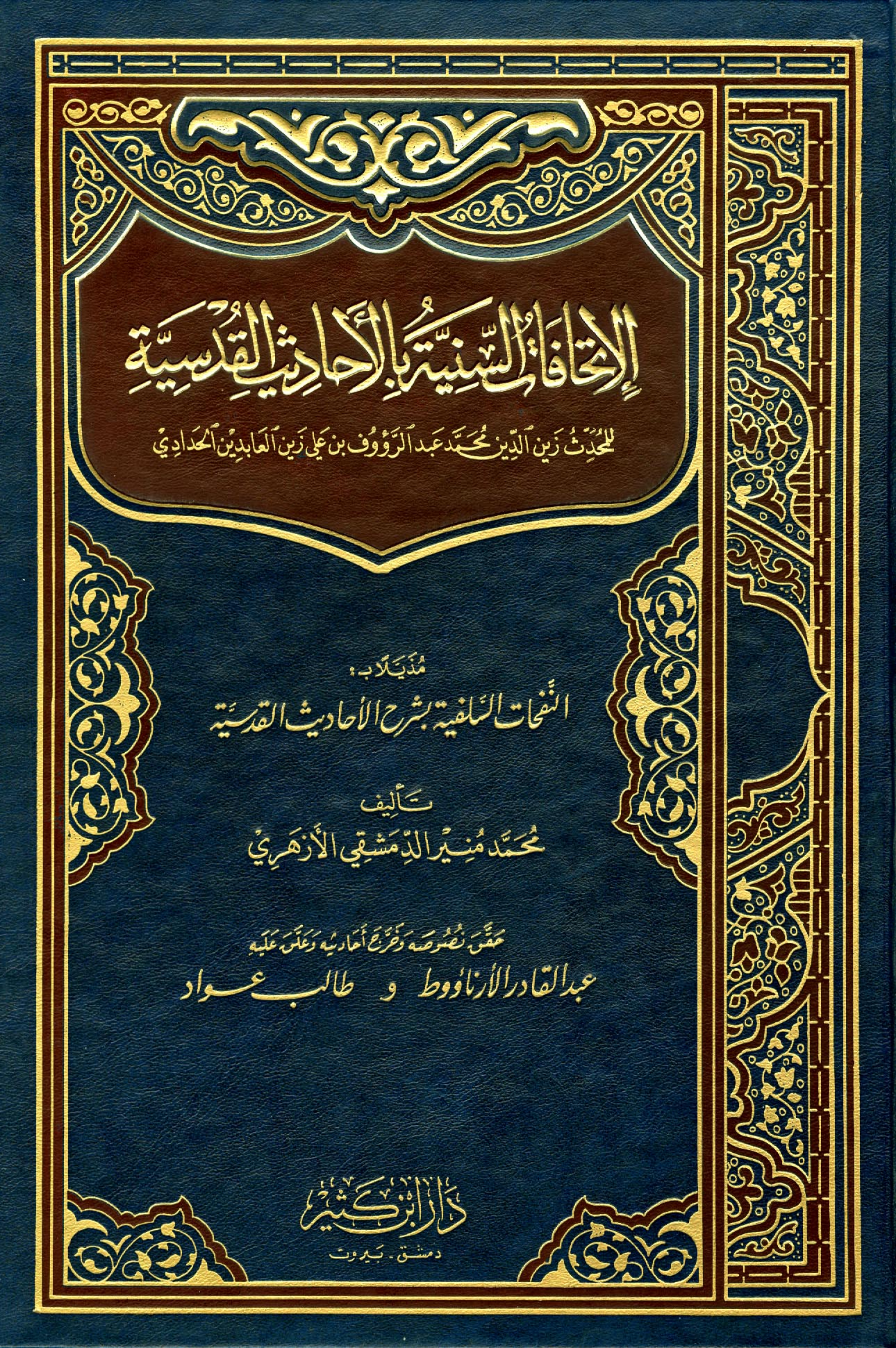
= ولفظه: (إذا التقى الخلائق يوم القيامة فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: نادى منادٍ، يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم، وثوابكم عليَّ).

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٣٥٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٦) وقال رواه الطبراني في الأوسط. وفيه أبو عاصم الربيع بن إسماعيل منكر الحديث. قاله أبو حاتم. والحديث ضعيف.

فهرس
النفحات السلفية شرح الأحاديث القدسية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام


الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية
للمحدث زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي زين العابدين الحدادي
مذيلاً ب:
النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية
تأليف
محمد منير الدمشقي الأزهري
حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
عبد القادر الأرناؤوط و طالب عواد
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية

مُذيّلًا بـ:

النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية

حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه

عبد القادر الأرناؤوط و طالب عواد



دمشق - بيروت



الطبعة الثانية

1426 هـ ـ 2005 م



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : الحديث

العنوان : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية

التأليف :المحدث زين الدين محمد عبد الرؤوف الحدادي

المحقق : الشيخ عبد القادر الأرناؤوط و طالب عواد

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 410

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني

عدد النسخ : 1600

الوزن : 0.8 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : المؤسسة العالمية للتجليد



دمشـــق ـ حلبـــوني ـ جـادة ابن ســـــينا ـ بناء الجـــابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بـيروت ـ بـرج أبي حيــدر ـ خـلف دبـوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكـس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com